

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبَدَائِيُّ وَالنَّهْثَانِيُّ

لِجُلَّةِ الشَّيْخَيْنِ

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح
قامت بها هيئة باشراف

حنان

مكتبة المحارف
بيروت

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجْلَدُ رِوَايَاتِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

ثم تتبعهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام . قال ابن جرير في تاريخه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأُمُور السالفين من أمتنا وغيرهم أن القائم بأُمُور بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا يعني أحد أصحاب موسى عليه السلام وهو زوج أخته مريم وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله وهما يوشع وكالب وهما القائلان لبني إسرائيل حين نكلوا عن الجهاد (أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) قال ابن جرير ثم من بعده كان القائم بأُمُور بني إسرائيل حزقييل بن بوزي وهو الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

فَصَّةُ حَزْقِيِيلَ

قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) . قال محمد بن اسحاق عن

وهب بن منبه إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذي
 وهو ابن المعجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا (ألم تر إلى الذين خرجوا من
 ديارهم وهم ألوف حذر الموت) قال ابن إسحاق فروا من الولاء قتلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله
 موتوا فماتوا جميعا فخطروا عليهم حظيرة دون السباع فضت عليهم دهور طرية فمر بهم حزقيل عليه
 السلام فوقف عليهم متفكرا فقيل له أحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر فقال نعم فأمر أن يدعو تلك
 العظام أن تكتسى لحما وأن يتصل العصب ببعضه ببعض فناداهم عن أمر الله له بذلك فقام القوم أجمعون
 وكبروا تنكيرة رجل واحد . وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس
 وعن مرة عن ابن مسعود وعن أنس من الصحابة في قوله . (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم
 ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قالوا كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع
 بها الطاعون فهرب عامة أهلها فتلوا ناحية منها فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم
 كثير فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا
 بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوق في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا حتى نزلوا
 ذلك المكان وهو واد أفيح فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا حتى إذا
 هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوى
 شذقيه وأصابه فأوحى الله إليه تريد أن أريك كيف أحيهم قال نعم وإني ما كان تفكره أنه تعجب من
 قدرة الله عليهم فقيل له ناد فنادى يا أيها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي فجملت العظام يطير بعضها
 إلى بعض حتى كانت أجسادا من عظام ثم أوحى الله إليه إن ناد يا أيها العظام إن الله يأمرك أن تكتسى
 لحما فاكنتس لحما وحما وثيابها التي ماتت فيها . ثم قيل له ناد فنادى أيها الأجساد إن الله يأمرك أن
 تقومى مقاموا . قال أسباط فزعم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا (سبحانك اللهم وبحمدك
 لا إله إلا أنت) فوجدوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا
 يلبسون ثوبا إلا عاد رسما حتى ماتوا لا آجالهم التي كتبت لهم . وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف
 وعنه ثمانية آلاف وعن أبي صالح تسعة آلاف وعن ابن عباس أيضا كانوا أربعين ألفا . وعن سعيد
 ابن عبد العزيز كانوا من أهل أضرعات . وقال ابن جريج عن عطاء هذا مثل معنى أنه سيق مثلا مينا
 أنه إن معنى حذر من قدر وقول الجمهور أقوى أن هذا وقع . وقد روى الامام أحمد وصاحب الصحيح
 من طريق الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل
 عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الاجناد
 أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فآخبروه أن الولاء وقع بالشام فذكر الحديث معنى في مشاورته المهاجرين

والأنصار فاختلفوا عليه فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا ببعض حاجته فقال إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله (ص) يقول إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه فحمد الله عمر ثم انصرف . وقال الامام حدثنا حجاج ويزيد الملقب (١) قال حدثنا ابن أبي ذؤيب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي (ص) أن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فرجع عمر من الشام . وأخرجاه من حديث مالك عن الزهري بنحوه *

قال محمد بن إسحاق ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل * ثم إن الله قبضه إليه * فلما قبض نسي بنو إسرائيل عهد الله إليهم وعظمت فيهم الأحداث وعبدوا الأوثان وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام صنم يقال له بعل فبعث الله إليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون ابن عمران * قلت وقد قدمنا قصة الياس تبعا لقصة الخضر لأنهما يقرنان في الذكر غالبا ولا أجل أنها بعد قصة موسى في سورة الصافات فتعجلنا قصته لذلك والله أعلم . قال محمد بن إسحاق فيما ذكره عن وهب ابن منبه قال ثم تنبأ فيهم بعد الياس وصيه اليسع بن أخطوب عليه السلام وهذه *

قصة اليسع عليه السلام

وقد ذكره الله تعالى مع الانبياء في سورة الأنعام في قوله (واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) وقال تعالى في سورة ص (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) قال إسحاق بن بشر أبو حذيفة أنبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان بعد الياس اليسع عليها السلام فكث ماشاء الله أن يمكث يدعوهم الى الله مستمسكا بمنهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل اليه ثم خلف فيهم الخلوفا وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجبارة وقتلوا الانبياء وكان فيهم ملك عنيد طاغ * ويقال إنه الذي تكفل له ذو الكفل إن هو تلب ورجع دخل الجنة فسمى ذا الكفل *

قال محمد بن إسحاق هو اليسع بن أخطوب . وقال الحافظ أبو القسم بن عساكر في حرف الياء من تاريخه اليسع وهو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل * ويقال هو ابن عم الياس النبي عليهما السلام . ويقال كان مستخفيا معه بجبل قاسيون من ملك بابل ثم ذهب معه اليها فلما رفع الياس خلفه اليسع في قومه وبناء الله بعده . ذكر ذلك عبد المنعم بن

(١) هو يزيد بن أبي حبيب قال ابن سعد كان مفتي أهل مصر في زمانه وكان حليما عاقلا وكان أول من أظهر العلم بمصر .

ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه . قال وقال غيره وكان بياناس . ثم ذكر ابن عساكر قراءة من قرأ
اليسع بالتخفيف وبالتشديد ومن قرأ واليسع وهو اسم واحد لنبي من الأنبياء * قلت قد قدمنا قصة
ذا الكفل بعد قصة أيوب عليهما السلام لأنه قد قيل إنه ابن أيوب والله أعلم

فَصْنَةُ النَّبِيِّ

قال ابن جرير وغيره ثم مرج أمر بني إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا
من الأنبياء وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكا جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم
الأعداء من غيرهم أيضا وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة
الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى
وآل هارون فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فأنزعوه من
أيديهم فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كدأً وبقي بنو إسرائيل كالغنم
بلا راع حتى بعث الله فيهم نبياً من الأنبياء يقال له شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه
الأعداء فكان من أمرهم ما سئد ذكره مما قص الله في كتابه . قال ابن جرير فكان من وفاة يوشع بن
نون إلى أن بعث الله عز وجل شمويل بن بالي أربعاً وستون سنة وستون سنة * ثم ذكر تفصيلها بمدد الملوك
الذين ملكوا عليهم وساموا واحداً واحداً تركنا ذكرهم قصداً *

فَصْنَةُ شَمْوِيلَ وَفِيهَا بَدْءُ أَمْرِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

* وفيها بدأ أمر داود عليه السلام *

هو شمويل ويقال له أشمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة
ابن ماث بن عوصا بن عزريا * قال مقاتل وهو من ورثة هارون وقال مجاهد هو أشمويل بن هلفا
ولم يرفع في نسبه أكثر من هذا والله أعلم *

حكى السدي بإسناده عن ابن عباس وابن مسعود وأنس من الصحابة والثعلبي وغيرهم أنه لما غلبت
العمالقة من أرض غزة وعسقلان على بني إسرائيل وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا من أبنائهم جمعاً كثيراً
واقطعت النبوة من سبط لاوي ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها
ولداً ذكرأً فولدت غلاماً فسئله أشمويل ومعناه بالعبرانية إسما عيل أي سمع الله دعائى فلما ترعرع بمشته
إلى المسجد وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته فكان عنده فلما بلغ أشده
بينما هو ذات ليلة نائم إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعوراً فظنه الشيخ يدعو فأسأله أذعنوني

فكره أن يفزعه فقال نعم نعم فنام . ثم ناداه الثانية فكذلك ثم الثالثة فإذا جبريل يدعو له فجاءه فقال إن ربك قد بعثك إلى قومك فكان من أمره معهم ما قص الله في كتابه قال الله تعالى في كتابه العزيز (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا فقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سبينة من ربكم وبقية مما ترك آله موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة يده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بالجنود وكنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وكنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم باذن الله وقتل داود جالوت وآله الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

قال أكثر المفسرين كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو شمويل . وقيل شمعون وقيل هما واحد وقيل يوشع وهذا بعيد لما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير في تاريخه أن بين موت يوشع وبمئة شمويل أربع مائة سنة وستين سنة فلهذا أعلم *

والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبي الله في ذلك الزمان وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكا يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه الأعداء فقال لهم (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله) أي وأي شيء يمنعنا من القتال وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) يقولون نحن محروبون ومتوردون لتحقيق لنا أن نقاتل عن أبنائنا المنهولين المستضعفين فيهم المأسورين في قبضتهم . قال تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليل والباقي رجعوا ونكسوا عن القتال (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) قال الشعبي وهو طالوت بن قيش بن أفيش بن صارون بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل .

قال عكرمة والسدى كان سقاء وقال وهب بن منبه كان دباغا. وقيل غير ذلك فآله أعلم ولهذا (قالوا
 (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) وقد ذكروا أن النبوة كانت في
 سبط لاوى وأن الملك كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا في إمارته
 عليهم وقالوا نحن أحق بالملك منه وذكروا أنه قدير لاسعة من المال معه فكيف يكون مثل هذا ملكا .
 (قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) . قيل كان الله قد أرحى إلى شمويل أن أى
 بنى إسرائيل كان طوله على طول هذه العصا وإذا حضر عندك يفور هذا القرن الذى فيه من دهن
 القدس فهو ملكهم فجلوا يدخلون ويقيدون أنفسهم بتلك العصا فلم يكن أحد منهم على طولها سوى
 طالوت ولما حضر عند شمويل فار ذلك القرن فذهنه منه وعينه الملك عليهم وقال لهم (إن الله اصطفاه
 عليكم وزاده بسطة في العلم) قيل فى أمر الحروب وقيل بل مطلقا (والجسم) قيل الطول وقيل الجمال
 والظاهر من السياق أنه كان أجملهم وأعلمهم بعد نبينهم عليه السلام (والله يؤتى ملكه من يشاء) فله الحكم
 وله الخلق والأمر (والله واسع عليم وقال لهم نبينهم إن آية ملكه أن يأتيتكم التابوت فيه سكينه من ربكم
 وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) وهذا
 أيضا من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم ويمنه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذى كان سلب منهم
 وقهرهم الأعداء عليه وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه (فيه سكينه من ربكم) قيل طشت من
 ذهب كان يفصل فيه صدور الأنبياء . وقيل السكينه مثل الريح الخجوج . وقيل صورتها مثل الهرة إذا
 صرخت فى حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) قيل كان
 فيه رصاص الأنواع وشئ من المن الذى كان نزل عليهم باليه (تحمله الملائكة) أى تأتيتكم به الملائكة
 يحملونه وأنتم ترون ذلك عيانا ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية
 هذا الملك الصالح عليكم ولهذا قل (إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) وقيل إنه لما غلب العاقلة
 على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينه والبقية المباركة . وقيل كان فيه التوراة أيضا فلما استقر فى
 أيديهم وضعوه تحت صنم لهم بأرضهم فلما أصبحوا إذا التابوت على رأس الصنم فوضعوه تحته فلما كان
 اليوم الثانى إذا التابوت فوق الصنم فلما تكرر هذا علوا أن هذا أمر من الله تعالى فأخرجوه من بلد
 وجبلوه فى قرية من قراهم فأخدم داء فى رقابهم فلما طال عليهم هذا جملوه فى عجلة وربطوها فى بقرتين
 وارسلوهما فيقال إن الملائكة ساقتهما حتى جاؤا بهما ملائ بنى إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبينهم
 بذلك فآله أعلم على أى صفة جاءت به الملائكة والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم بالجنود
 من الآية والله أعلم * وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكثرهم (فلما فصل طالوت قال
 إن الله مبتليكم بنهر فن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى إلا من اغترف غرفة يده) .

قال ابن عباس وكثير من المفسرين هذا النهر هو نهر الاردن وهو المسمى بالشرية فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له عن أمر الله له إختباراً وامتحاناً أن من شرب من هذا النهر فلا يصحبني في هذه الغزوة ولا يصحبني إلا من لم يطعمه إلا غرفة في يده . قال الله تعالى (فشرّبوا منه إلا قليلاً منهم) .

قال السدي كان الجيش ثمانين ألفاً فشرب منه ستة وسبعون ألفاً فبقي معه أربعة آلاف كذا قال * وقد روى البخاري في صحيحه من حديث إسرائيل وزهير والثوري عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال كنّا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثة مؤمن . وقول السدي أن عدة الجيش كانوا ثمانين ألفاً فيه نظر لأن أرض بيت المقدس لا تحتل أن يجتمع فيها جيش مقاتلة يبلغون ثمانين ألفاً والله أعلم . قال الله تعالى (فلما جاوزوه) والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى استقلوا أنفسهم واستضعفوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة إلى قوتهم وكثرة عدد عدوهم (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) يعنى بها الفرسان منهم . والفرسان أهل الايمان والايقان الصابرون على الجلال والجدال والطعان . (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) طلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر أى يغمرهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تقلق وأن يثبت أقدامهم في مجال الحرب ومترك الابطال وحومة الوغى والدعاء الى التزال فسألوا التثبت الظاهر والباطن وأن ينزل عليهم النصر على أعدائهم وأعدائه من الكافرين الجاحدين بآياته وآلائه فاجابهم العظيم القدير السميع البصير الحكيم الخبير الى ما سألوا وأنا لهم ما اليه فيه رغبوا ولهذا قال (فهرموم باذن الله) أى بحول الله لا بحولهم وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم مع كثرة أعدائهم وكال عددهم كما قال تعالى (ولقد نصركم الله يسدر وأنتم أذلة فانتقوا الله لعلكم تشكرون) وقوله تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وأنه قتله قتلاً أذل به جنده وكسره ولا أعظم من غزوة يقتل فيها ملك عدوه فيغنم بسبب ذلك الأموال الجزيلة ويأسر الابطال والشجعان والاقران وتعلو كلمة الايمان على الاوثان ويدال لاولياء الله على أعدائه . ويظهر الذين الحق على الباطل واوليائه * وقد ذكر السدي فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكاتوا ثلاثة عشر ذكراً كان سمع طالوت ملك بنى إسرائيل وهو يحرض بنى إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت زوجته بابنتي وأشر كته في ملكي وكان داود عليه السلام يرمى بالقذافة وهو المقلع رمياً عظيماً فينا هو سائر مع بنى إسرائيل إذ ناداه جبر أن خذني فإن بي تقتل جالوت فاخذه ثم

حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك فأخذ الثلاثة في مخلاته فلما تواجه الصفان برز جالوت ودعا الى نفسه فتقدم اليه داود فقال له ارجع فاني أكره قتلك فقال لكني أحب قتلك وأخذ تلك الأحجار الثلاثة فوضعها في القذافة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً . ثم رمى بها جالوت فغلق رأسه وفرجيشه منهزماً فوفى له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا اليه أكثر من طالوت فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل اليه وجعل العلماء ينهون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا القليل . ثم حصل له توبة وندم واقترع عما سلف منه وجعل يكثر من البكاء ويخرج الى الجبابة فيبكي حتى يسيل النثرى بدموعه فنودي ذات يوم من الجبابة أن يا طالوت قتلنا ونحن أحياء وأذيتنا ونحن أموات فازداد لذلك بكاءه وخوفه واشتد وجهه ثم جعل يسأل عن عالم يسأله عن أسرء وهل له من توبة فقبل له وهل أبقيت عالماً ؟ حتى دل على امرأة من العابدات فأخذته فذهبت به الى قبر يوشع عليه السلام قالوا فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال أقامت القيامة فقال لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال نعم ينخلع من الملك ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى يقتل . ثم عاد ميتاً فترك الملك لداود عليه السلام وذهب ومعه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا قالوا فذلك قوله (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) هكذا ذكره ابن جرير في تاريخه من طريق السدي بأسناده . وفي بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم .

وقال محمد بن اسحق النبي الذي بعث فأخبر طالوت بتوبته هو اليسع بن أخطوب حكاه ابن جرير أيضاً . وذكر الثعلبي أنها أتت به الى قبر اشمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الأمور وهذا أنسب . ولعله إنما رآه في النوم لأنه قام من القبر حياً فان هذا إنما يكون معجزة لنبي وتلك المرأة لم تكن نبيه والله أعلم * وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت الى أن قتل مع أولاده أربعون سنة فآله أعلم *

قصة داود وما كان في أيامه من فضائله وسماحه ودلائل نبوته وإعلامه

هو داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلون بن نحشون بن عويناذب بن ارم بن حصرون بن فارص ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليقته في أرض بيت المقدس * قال

محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب وقيمه . تقدم أنه لما قتل جالوت وكان قتله فيما ذكر ابن عساكر عند قصر أم حكيم بقرب مرج الصفر فأحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك إلى داود عليه السلام وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خير الدنيا والآخرة وكان الملك يكون في سبط والنبوة في آخر فاجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) أي لولا إقامة الملوك حكاما على الناس لأكل قوى الناس ضعيفهم . ولهذا جاء في بعض الآثار (السلطان ظل الله في أرضه) . وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان (إن الله لينزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن جالوت لما بارز طالوت فقال له اخرج إلى وأخرج إليك فندب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت . قال وهب بن منبه قال الناس إلى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر وخلعوا طالوت وولوا عليهم داود * وقيل إن ذلك عن أمر شمويل حتى قال بعضهم إنه ولاء قبل الوقعة . قال ابن جرير والذي عليه الجمهور أنه إنما ولي ذلك بعد قتل جالوت والله أعلم * وروى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز أن قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم وإن النهر الذي هناك هو المذكور في الآية فالله أعلم * وقال تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابقات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير) وقال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحفظنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) . أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وارشده إلى صنعها وكيفيتها فقال (وقدر في السرد) أي لا تدق المسار فينلق ولا تملظه فيفهم قاله مجاهد وقتادة والحكم وعكرمة .

قال الحسن البصري وقتادة والاعمش كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله يده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة . قال قتادة فكان أول من عمل الدروع من زرد وإنما كانت قبل ذلك من صفائح قال ابن شاذب كان يعمل كل يوم درعا يبيها بستة آلاف درهم وقد ثبت في الحديث أن أطيّب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبى الله داود كان يأكل من كسبه يده وقال تعالى (واذ كر عبدا داود ذا الأيد إنه أواب) . أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالشعش والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) قال ابن عباس ومجاهد الأيد القوة في الطاعة يعني ذا قوة في العبادة والعمل الصالح قال قتادة أعطى قوة في العبادة وفقها في الإسلام قال وقد ذكر لنا أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر . وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ص قال (أحب الصلوة إلى الله صلاة داود

وأحب الصيام الى الله صيام داود) كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفتر إذا لاقى . وقوله (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب) كما قال (يا جبال أوبي معه والطير) أى سبحى معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد فى تفسير هذه الآية (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) أى عند آخر النهار وأوله وذلك انه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً بحيث انه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير فى الهواء يُرجع بترجيعة ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تهجيه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا صلوات الله وسلامه عليه . وقال الاوزاعى حدثنى عبد الله بن عامر قال اعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى أن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعاً وحتى ان الانهار لتقف . وقال وهب بن منبه كان لا يسمعه احد الا حجل كهيئة الرقص وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الاذان بمثله فيعكف الجن والانس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً وقال أبو عوانة الاسفرايينى حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا محمد بن منصور الطوسى سمعت صبيحاً أنبأنا براح قال ابو عوانة وحدثنى أبو العباس المدينى حدثنا محمد بن صالح العدوى حدثنا سيار هو ابن حاتم عن جعفر عن مالك قال كان داود عليه السلام اذا أخذ فى قراءة الزبور فتفتت العذارى وهذا غريب . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال وما بأس بذلك سمعت عبيد بن عمر يقول كان داود عليه السلام يأخذ العزقة فيضرب بها فيقرأ عليها فترد عليه صوته يريد بذلك أن يبكى وتبكي . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت سمع رسول الله (ص) صوت أبى موسى الاشعرى وهو يقرأ فقال لقد أوتى أبو موسى من مزامير آل داود وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه وقال احمد حدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود على شرط مسلم وقد روينا عن أبى عثمان الترمذى أنه قال لقد سمعت البربط والمزمار فما سمعت صوتاً أحسن من صوت أبى موسى الاشعرى . وقد كان مع هذا الصوت الرخيم مريع القراءة لكتاب الزبور كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن هام عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يديه وكذلك رواه البخارى

منفرداً به عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق به ولفظه خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوا به
فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل الا من عمل يديه . ثم قال البخاري ورواه موسى
ابن عقبة عن صفوان هو ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي (ص) وقد أسنده
ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام في تاريخه من طرق عن ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة
ومن طريق أبي عاصم عن أبي بكر السبري عن صفوان بن سليم به .

والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي أنزله عليه وأوحاه اليه وذ كر رواية أشبه أن يكون محفوظاً فانه
كان ملكاً له اتباع فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب وهذا أمر سريع مع التدبر والنزيم
والتمني به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه وقد قال الله تعالى (وآتينا داود زبوراً) والزبور
كتاب مشهور وذ كرنا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه أنزل في شهر رمضان وفيه من
المواعظ والحكم ما هو معروف لمن نظرفيه * وقوله (وشدنا ملكه وآتينا الحكمة وفصل الخطاب)
أى أعطيناه ملكاً عظيماً وحكماً نافذا . روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين
تداعيا الى داود عليه السلام في بقر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه فانكر المدعى عليه فارجأ
أمرهما الى الليل فلما كان الليل أوحى الله اليه أن يقتل المدعى فلما أصبح قال له داود ان الله قد أوحى الى
أن أقتلك فانا قاتلك لا محالة فما خبرك فيما ادعيتك على هذا قال والله يا بني الله انى لحق فيما ادعيت
عليه ولكنى كنت اغتلت أباه قبل هذا فأمر به داود فقتل فعظم أمر داود في بني اسرائيل جدا
وخضعوا له خضوعاً عظيماً . قال ابن عباس وهو قوله تعالى (وشدنا ملكه) وقوله تعالى (وآتينا
الحكمة) أى النبوة (وفصل الخطاب) قال شريح والشعبي وقتادة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم
فصل الخطاب الشهود والأيمان يعنون بذلك البيئة على المدعى واليمين على من أنكر . وقال مجاهد
والسدى هو اصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد هو الفصل في الكلام وفي الحكم واختاره ابن جرير
وهذا لا ينافى ما روى عن أبي موسى أنه قول (اما بعد) . وقال وهب بن منبه لما كثرت الشر وشهادات
الزور في بني اسرائيل أعطى داود سلسلة لفصل القضاء فكانت ممدودة من السماء الى صخرة بيت
المقدس وكانت من ذهب فاذا تشاجر الرجلان في حق فأيهما كان محقاً نالها والآخر لا يصل اليها فلم
تزل كذلك حتى اودع رجل رجلاً للؤلؤة فجحدها منه وأخذ عكازاً وأودعها فيه فلما حضرا عند
الصخرة تناولا المدعى فلما قيل للآخر خذها بيدك عمد الى العكاز فأعطاه المدعى وفيه تلك اللؤلؤة
وقال اللهم انك تعلم أنى دفتها اليه ثم تناول السلسلة فناها فأشكل أمرها على بني اسرائيل . ثم
رفت سريعا من بينهم . ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين . وقد رواه اسحق بن بشر عن ادريس
ابن سنان عن وهب بن معناه (وهل أذاك نبؤ الخضم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففرع منهم

قالوا لا تخف خصمان بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أ كفلتها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب .

وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصا وأخبارا أكثرها اسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها فى كتابنا قصدا اكتفاء واقتصارا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهتدى من يشاء الى صراط مستقيم ..

وقد اختلف الأئمة فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود أو انما هى سجدة شكر ليست من عزائم السجود على قولين * قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أو ما قرأ (ومن ذريته داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فكان داود ممن أمر نبيكم (ص) أن يقتدى به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله (ص) وقد قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى السجود فى ص ليست من عزائم السجود . وقد رأيت رسول الله (ص) يسجد فيها . وكذا رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث أيوب وقال الترمذى حسن صحيح وقال النسائى أخبرنى إبراهيم بن الحدين المسمى حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي (ص) سجد فى ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا تفرد به أحمد ورجاله ثقات وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن أبى سعيد الخدرى قال قرأ رسول الله (ص) وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد معه الناس فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود فقال انما هى توبة نبي ولكن رأيتمكم تشرقم فزلا وسجد . تفرد به أبو داود واستاده على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عمر وأبو الصديق الناجى أنه أخبره أن أباسعيد الخدرى رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ الى التى يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شئ يحضرته اقلب ساجدا قال قصصها على النبي (ص) فلم يزل يسجد بها بعد * تفرد به أحمد وروى الترمذى وابن ماجة من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبى يزيد قال قال لى ابن جريج حدثنى جددك عبيد الله بن أبى يزيد عن ابن عباس قال حاد رجل الى النبي (ص) فقال يا رسول الله انى

رأيت فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة قرأت السجدة فسجدت الشجرة بسجودى فسمعتها تقول
وهى ساجدة (اللهم اكتب لى بها عندك أجراً واجعلها لى عندك ذخراً وضع عنى بها وزراً واقبلها منى
كما قبلت من عبدك داود) وقال ابن عباس فرأيت النبى (ص) قام قرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول
وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة . ثم قال الترمذى غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً وقاله مجاهد والحسن وغيرهما
وورد فى ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشى وهو ضعيف متروك الرواية * قال الله تعالى
(ففرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) . أى ان له يوم القيامة لزلفى وهى القربة التى يقربه الله
بها ويدنيه من حظيرة قدسه بسببها كما ثبت فى حديث (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا
يديه يمين الذين يقسطون فى أهليهم وحكمهم وما ولوا) . وقال الامام أحمد فى مسنده حدثنا يحيى بن
آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص) ان أحب الناس الى الله
يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر
وهكذا رواه الترمذى من حديث فضيل بن مرزوق الاغربى به وقال لا نعرفه مرفوعا الا من هذا
الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبدالله بن أبى زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان
سمعت مالك بن دينار فى قوله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقوم داود عليه السلام يوم القيامة
عند ساق العرش فيقول الله يا داود بحمدى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدتنى فى
الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته فيقول انى أردته عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ فميم
أهل الجنان (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا خطاب من الله
تعالى مع داود والمراد ولاية الامور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه
من الآراء والاهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى
به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات حتى إنه كان لا يمضى ساعة من آناه الليل
وأطراف النهار إلا وأهل بيته فى عبادة ليلا ونهاراً كما قال تعالى (اعملوا آل داود شكراً وقليل من
عبادى الشكور) قال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن بسام حدثنا صالح المزى عن
أبى عمران الجوفى عن أبى الجلود قال قرأت فى مسألة داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لى أن
أشكر وأنا لا أصل الى شكرك إلا بنعمتك قال فأتاه الوحي « أن يا داود أأست تلم أن الذى بك
من النعم منى قال بلى يارب قال فأتى أرضى بذلك منك » وقال البيهقى أنا نا أبو عبد الله الحافظ أنا نا أبو
بكر بن بلويه حدثنا محمد بن يونس القرشى حدثنا روح بن عبادة حدثنى عبد الله ابن لاحق عن ابن

شهاب قال قال داود الحمد لله بما ينبتى لكرم وجهه وعز جلاله فلوحي الله اليه إنك أتممت الحفظه يا داود » ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن علي بن الجعد عن الثوري مثله وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد أنبأنا سفيان الثوري عن رجل عن وهب بن منبه قال ان في حكمة آل داود حق على العاقل أن لا يفضل عن أربع ساعات ساعة يتأجى فيها ربه ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضى فيها الى إخوانه الذين يخبرونه بميوه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلصى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان هذه الساعة عون على هذه الساعات واجام للقلوب وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه * وحق على العاقل أن لا يقطن إلا في إحدى ثلاث زاد لمصاده ومرة لمعاشه ولنة في غير محرم وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي بكر بن أبي خيثمة عن ابن مهدى عن سفيان عن أبي الاغر عن وهب بن منبه فذكره . ورواه أيضا عن علي بن الجعد عن عمر بن الهيثم الرقاشي عن أبي الاغر عن وهب بن منبه فذكره وأبو الاغر هذا هو الذي أبهه ابن المبارك في روايته . قاله ابن عساكر وقال عبد الرزاق أنبأنا بشر بن رافع حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبد الله قال سمعت وهب بن منبه فذكر مثله . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة منها قوله كن للقيم كالأب الرحيم * واعلم أنك كاترزع كذلك تحصد . وروى بسند غريب مرفوعا قال داود يازارع السيئات أنت تحصد شوكتها وحسكها وعن داود عليه السلام أنه قال مثل الخطيب الاحق في نلدى القوم كمثل المغنى عند رأس الميت وقال أيضا ما أقبح القعر بعد الفنى وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى وقال انظر ماتكركه أن يذكر عنك في نلدى القوم فلا تفعله اذا خلوت . وقال لا تمدن أخاك بما لا تنجزه له فان ذلك عداوة ما بينك وبينه . وقال محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر الواقدي حدثني هشام بن سعد عن عمر مولى عفرة قال قالت يهود لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج النساء انظروا الى هذا الذى لا يشيع من العظام ولا والله ماله همة الا الى النساء حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك فقالوا لو كان نبيا ما رغب فى النساء وكان أشد هم فى ذلك حبي بن أخطب فأكذبهم الله وأخبرهم بفضل الله وسنته على نبيه صلوات الله عليه وسلامه فقال (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) يعنى بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ما أنى الله سليمان ابن داود كانت له الف امرأة سبعة مائة وثلاثمائة سرية وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهم امرأة أوريا أم سليمان بن داود التى تزوجها بعد الفتنة هذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الكلبي نحوه هذا وانه كان لداود عليه السلام مائة امرأة وسليمان الف امرأة منهم ثلاثمائة سرية (١) وروى الحافظ فى تلخيصه فى ترجمة صدقة الدمشقي الذى يروى عن ابن عباس من طريق الفرج

(١) من هنا لآخر القصة لم يوجد فى النسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية .

ابن فضالة الحمصي عن أبي هريرة الحمصي عن صدقة الدمشقي أن رجلا سأل ابن عباس عن الصيام فقال لأحدثك بحديث كان عندي في البحث (١) مخزونا إن شئت أنبأتك بصوم داود فانه كان صواما قواما وكان شجاعا لا يفر اذا لاقى وكان يصوم يوما ويفطر يوما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا يكون فيها وكانت له ركة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي بيكاته كل شيء ويصرف بصوته الموم والموم * وان شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان فانه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخره ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختتمه بصيام . وان شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فانه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد ليس له ولد يموت ولا يت يخرب وكان أينما أدركه الليل صفن بين قدميه وقام يصلي حتى يصبح وكان راميا لا يفوته صيد يريده وكان يمر بمجالس بني اسرائيل فيقضي لهم حوائجهم .

وان شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران فانه كانت تصوم يوما وتفطر يومين .
وان شئت أنبأتك بصوم النبي العربي الامي محمد (ص) فانه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول إن ذلك صوم الدهر . وقد روى الامام احمد عن أبي النصر عن فرج بن فضالة عن أبي هرم عن صدقة عن ابن عباس مرفوعا في صوم داود *

كَيْفِيَّةُ حَيَاتِهِ وَكَيْفِيَّةُ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قد تقدم في ذكر الاحاديث الواردة في خلق آدم أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الانبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلا يزهر فقال أي رب من هذا قال هذا ابنك داود قال أي رب كم عمره قال ستون عاما قال أي رب زد في عمره قال لا الا أن أزيده من عمرك وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاما فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال بقي من عمري أربعون سنة وفي آدم ما كان وهبه لولده داود فتمها الله لآدم الف سنة ولد داود مائة سنة رواه احمد عن ابن عباس والترمذي وصححه عن أبي هريرة وابن خزيمة وابن حبان . وقال الحاكم على شرط مسلم . وقد تقدم ذكر طرقة والفاظه في قصة آدم * قال ابن جرير وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعا وسبعين سنة . قلت هذا غلط مردود عليهم قالوا وكان مدة ملكه أربعين سنة وهذا قد يقبل قوله لانه ليس عندنا ما ينافية ولا ما يقتضيه

وأما وفاته عليه السلام قال الامام احمد في مسنده حدثنا قبيصة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة أن رسول الله (س) قال: كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلق الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلقت الدار فاقبلت امرأته تطلع الى الدار فاذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل والداد مغلقة والله لتفتضحن بـداود فجاء داود فاذا الرجل قائم في وسط الدار فقال له داود من أنت قال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا أمتنع من الحجاب فقال داود أنت والله إذن ملك الموت مرحباً بأمر الله ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلي على داود فاظلمت الطير حتى اظلمت عليه الأرض فقال سليمان للطير اقبضي جناحا قال قال أبو هريرة فطفق رسول الله (س) يرينا كيف فعلت الطير وقبض رسول الله (س) يده وغلبت عليه يومئذ المضرحية . انفرد بإخراجه الامام احمد واسناده جيد قوى رجاله ثقات ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرحية أى وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الاجنحة واحدها مضرحة * قال الجوهري وهو الصقر الطويل الجناح وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال مات داود عليه السلام فجأة وكان بسبب وكانت الطير تظله . وقال السدي أيضاً عن أبي مالك وعن سعيد بن جبير قال مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة . وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الاربعاء فجأة . وقال أبو الحسن المجرى مات ابراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين رواه ابن عساکر وروى عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه فقال له دعني أنزل أو أصعد فقال يابني الله قد فذت السنون والشهور والآثار والارزاق. قال فخر ساجداً على مرقاة من تلك المراق قبضه وهو ساجد . وقال اسحاق بن بشر (١) انبأنا وافر بن سليمان عن أبي سليمان الفلسطيني عن وهب بن منبه قال إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صائف قال وكان قد شيع جنازته يومئذ اربعون الف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهرون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعا عليه منهم على داود قال فأداهم الحر فنادوا سليمان عليه السلام أن يعمل لهم وقاية لما اصابهم من الحر فخرج سليمان فنادى الطير فاجابت فامرها أن تظل الناس فتراص بعضها الى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غماً فصاحوا

(١) هو اسحاق بن بشر بن حذيفة البخاري صاحب كتاب المبتدا والفتوح وتركوه وكذبه علي بن المديني وقال ابن حبان لا يحمل حديثه الا على جهة التعجب وقال الدارقطني متروك وقوله وافر بن سليمان كذا بالنسخة الحلبية .

الى سليمان عليه السلام من الغم فخرج سليمان فنادى الطير أن اظلي الناس من ناحية الشمس وتنجي عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس في ظل وتهب عليهم الريح فكان ذلك أول ما رأوه من ملك سليمان . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع حدثني الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضين بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفيير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (ص) لقد قبض الله داود من بين أصحابه ما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهدية مائتي سنة هذا حديث غريب وفي رفعه نظر والوضين بن عطاء كان ضعيفا في الحديث والله أعلم *

قصّة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الحافظ بن عساكر هو سليمان بن داود بن ايثان بن عويد بن عابر بن سلون بن نحشون بن عينا داب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم أبي الربيع نبي الله بن نبي الله . جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق . قال ابن ماكولا فارص بالصاد المهملة وذكر نسبه قريبا مما ذكره ابن عساكر قال الله تعالى (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا هو الفضل المبين) أي ورثه في النبوة والملك وليس المراد ورثه في المال لأنه قد كان له بنون غيره فما كان ليخص بالمال دونهم ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله (ص) قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة وفي لفظ نحن معشر الأنبياء لا نورث فاخبر الصادق المصدوق أن الانبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل يكون أموالهم صدقة من بدم على الفقراء والمحتاج لا يخصصون بها اقرباؤهم لان الدنيا كانت أهون عليهم وأحر عندهم من ذلك كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم وقال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية) يعنى أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها واراذهها . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ (١) أنبأنا علي بن حشاد (٢) حدثنا اسمعيل بن قتيبة حدثنا علي بن قدامة حدثنا أبو جعفر الاسواني (٣) يعنى محمد بن عبد الرحمن عن أبي

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحسكم الضبي الطهماني الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع . وانما عرف بالحاكم لتقلده القضاء وهو صاحب المستدرک وغيره (٢) كذا في الحلية وحشاد في المصريتین وكلاما خطأ والصواب حمشاد عن محمود الامام (٣) كذا في الفسخ بنون بعد الالف وواو بعد السين وهو خطأ والصواب الاستوائی بلهمز بعد الالف وبتاء مثناة بين السين والواو نسبة الى استواء بضم الهمزة ثم السكون وضم التاء المثناة وواو وألف . وهي كورة من نواحي نيسابور ومعناها

يعقوب العمى (١) حدثني أبو مالك قال مر سليمان بن داود بمصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا وما يقول يا نبي الله : قال يخطبها الى نفسه ويقول زوجيني أسكنك أى غرف دمشق شئت. قال سليمان عليه السلام لان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب . رواه ابن عساكر عن أبي القاسم زاهر بن طاهر (٢) عن البيهقي به وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات (وأوتينا من كل شئ) أى من كل ما يحتاج الملك اليه من العدد والآلات والجنود والجيش والجماعات من الجن والانس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضائر المخلوقات من الناطقات والصامتات ثم قال (إن هذا هو الفضل المبين) أى من بارئ البريات وخالق الأرض والسموات كما قال تعالى (وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والغير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) .

يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوما فى جيشه جميعه من الجن والانس والطيور فالجن والانس يسرون معه والطيور سائرة معه تظله بأجنحتها من الحرو وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة أى قباء يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذى يسير فيه ولا يتأخر عنه قال الله تعالى (حتى اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فأصرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور . وقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط بواد بالطائف وأن هذه النملة كان اسمها جرسا وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب . وفى هذا كله نظر بل فى هذا السياق دليل على أنه كان فى مركبها كبا فى خيوله وفرسانه لا كما زعم بعضهم من أنه كان اذ ذاك على البساط لانه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شئ ولا وطء لان البساط كان عليه جميع ما يحتاجون اليه من الجيوش والخيول والجمال والانتقال والخيام والانعام والطيور من فوق ذلك كله كما سنبينه بعد ذلك إن شاء الله تعالى

بلسانهم المضحاة والمشرقة عن محمود الامام (١) كذا بالاصول بالعين المهملة والصواب القمى بضم القاف وتشديد الميم . وهو يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك بن هانى بن عامر بن أبى عامر الاشعري أبو الحسن القمى رحمه الله (٢) هو زاهر بن طاهر أبو القاسم الشحامى مسند بنيسابور صحيح السماع لكنه يخل بالصلاة فترك الرواية عنه غير واحد من الحفاظ تورعا وقبله آخرون

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لامتها من الرأي السديد والأمر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره وإيس كما يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجها فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم لغاتها مزية على غيره إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن في هذا أيضاً فائدة يعول عليها ولهذا قال (رب أوزعني) أي ألهمني وأرشدني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره وأن يسر عليه العمل الصالح وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استجاب الله تعالى له * والمراد بوالديه داود عليه السلام وأمه وكانت من العابدات الصالحات كما قال سنيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر عن النبي (ص) قال قالت أم سليمان بن داود يا بني لا تكثّر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة . رواه ابن ماجه عن أربعة من مشايخه عنه به نحوه . (١) وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن سليمان ابن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة إحدى قوائمها تستسقي فقال لأصحابه ارجعوا فقد سقيتم إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها . قال ابن عساکر وقد روى مرفوعاً ولم يذكر فيه سليمان ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز عن سلامة بن روح بن خالد عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (ص) يقول خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون الله فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال النبي ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة وقال السدي أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام فأمر الناس فخرجوا فإذا بنملة قائمة على رجلها باسطة يديها وهي تقول « اللهم أنا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك » قال فصب الله عليهم المطر . قال تعالى (وقد الطير فقال مالي لا أرى المهدد أم كن من الغائبين لا أعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فكش غير بعيد فقال أحطت بما لم تحيط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين إني وجدت امرأة تملككم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجئتكم وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يهتدون إلا يسجدوا لله الذي يخرج الخبث في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما تعلمون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم قول عنهم فاذنوا ماذا يرجعون .

(١) من هنا لغاية قوله فصب الله عليهم المطر لم يوجد بالتسخين الموجودتين بالمكتبة المصرية .

قالت يا أيها الملائكة أني ألقى في كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تملأوا علي وأتوني مسلمين قالت يا أيها الملائكة أنفوني في أمري ما كنت قاطمة أمراً حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فافظري ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسل اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدون ببال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون) يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدد وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقدمون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك وكانت وظيفة الهدد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا اذا اعوزوا الماء في القفار في حال الاسفار يجي فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر الى الماء تحت تخوم الأرض فاذا دلم عليه خرواعه واستنبطوه واخرجوه واستعملوه لحاجتهم فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقدته ولم يجده في موضعه من محل خدمته (فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) أي ماله مفقود من هنا أو قد غاب عن بصرى فلا أراه بحضوري (لأن عذبه عذاباً شديداً) توعده بنوع من العذاب * اختلف المفسرون فيه والمقصود حاصل على كل تقدير (أولاً ذبحته أو ليأتي بسلطان مبين) أي بحجة تنجي من هذه الورطة . قال الله تعالى (فكث غير بعيد) أي فخاب الهدد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها (فقال) لسليمان (احطت بالم تحط به) أي اطلمت على ما لم تطلع عليه (وجئتك من سبأ نبأ يقين) أي بخبر صادق (اني وجدت امرأة تملكهم وأربيت من كل شيء ولها عرش عظيم) يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين وكان الملك قد آكل في ذلك الزمان الى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم .

وذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد ايها رجلا فسم به الفساد فارسلت اليه تخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خرا ثم حزت رأسه ونصبت على بابها فاقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهي بلقيس بنت السرح وهو الهدد . وقيل شراحيل بن ذي جدر بن السرح بن الحرث بن قيس ابن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبوها من اكابر الملوك وكان يأتي أن يتزوج من أهل اليمن فيقال إنه تزوج بالمرأة من الجن اسمها ريمانة بنت السكن فولدت له هذه المرأة واسمها ثلقمة ويقال لها بلقيس . وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن افس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال كان أحد أبوي بلقيس جنياً . وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف . وقال الثعلبي اخبرني أبو عبد الله بن قبحونة حدثنا أبو بكر بن جرجة حدثنا ابن أبي الليث حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبي بكرة قال ذكرت بلقيس

عند رسول الله (ص) فقال لا يفلح قوم وكوا أمرهم امرأة . اسماعيل بن مسلم هذا هو المكي ضعيف . وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عوف عن الحسن عن أبي بكرة أن رسول الله (ص) لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . ورواه الترمذي والنسائي من حديث حميد عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي (ص) وقال الترمذي حسن صحيح وقوله (واوتيت من كل شيء) أي بما من شأنه أن تؤتاه الملوك (ولها عرش عظيم) يعني سرير عسكرتها كان مزخرفا بأنواع الجواهر والآلى والذهب والحلى الباهر . ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله واضلال الشيطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له الذي يخرج الغلب في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات . فبعد ذلك بعث معه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والآية والاذعان إلى الدخول في الخضوع للملكه وسلطانه ولهذا قال لهم (ألا تعلموا على) أي لا تستكبروا عن طاعتي وامثال أواصري (واتوني مسلمين) أي وأقدموا على سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة فلما جاءها الكتاب مع الطير ومن ثم اتخذ الناس البطائق ولكن أين الثريا من الثرى تلك البطاقة كانت مع طائر سماع مطيع فأم عالم بما يقول ويقال له فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن المهدد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فلقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف فاحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها (قالت يا أيها الملأ أئني ألقى إلى كتاب كريم) ثم قرأت عليهم عنوانه أولا (أنه من سليمان) ثم قرأته (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا على واتوني مسلمين) ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها وقادت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون (قالت يا أيها الملأ أئني في أمرى ما كنت قاطئة أمراً حتى تشهدون) تعني ما كنت لأبئ أمراً إلا وأنتم حاضرون (قلوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) يعنون لنا قوة وقدرة على الجلال والقتال ومقلومة الأبطال فإن أردت منازلك فانا عليهم من القادرين (و) مع هذا (الامر إليك فاقطري ماذا تأمرين) فبذلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة وفوضوا إليها في ذلك الامر لتبصر فيه ما هو الارشد لها ولهم فكان رأيها أنهم وأسد من رأيهم وعلت أن صاحب هذا الكتاب لا يغال ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) تقول برأيها السيد إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إلى ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة إلا على (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) أرادت أن تصانع عن نفسها وأهل مملكتهما بهدية ترسلها وتحف تبثها ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفا ولا عدلا لانهم كافرون وهو

وجنوده عليهم قادرون ولهذا (لما جاء سليمان قال اعدون بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) وهذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة كما ذكره المفسرون ثم قال لرسولها اليه ووافدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) يقول ارجع بهديتك التي قدمت بها الي من قدم بها فان عندي مما قد أنعم الله عليّ وأسداه الي من الاموال والتحف والرجال ما هو اضعاف هذا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفتخرون على أبناء جنسكم بسببه (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أي فلأبعثن اليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا تزلهم ولا مما ننتهم ولا قتالهم ولا نخرجهم من بلادهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة (وهم صاغرون) عليهم الصغار والمار والدمار فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة فبادروا الي اجابته في تلك الساعة وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين فلما سمع قدومهم عليه ووفودهم اليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجن ما قصه الله عنه في القرآن . (قال يا أيها الملأ أياكم يأتي برشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فأتينا يشكر لنفسه ومن كفر فإني عني كريم قال فمكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إلهها كانت من قوم كافرين قيل . لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتها لحة وكشفت عن ساقها قال انه صرح عمرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

لما طلب سليمان من الجن أن يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) يعني قبل أن ينتفضي مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار الى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني اسرائيل وما لهم من الاشغال (واني عليه لقوى أمين) أي واني لنو قدرة على احضاري اليك وامانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . وقيل هو رجل من مؤمنى الجن كان فيما يقال يحفظ الاسم الاعظم . وقيل رجل من بني اسرائيل من علمائهم وقيل إنه سليمان وهذا غريب جداً . وضعفه السهيلي بأنه لا يصح في سياق الكلام قال وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قيل معناه قبل أن تبعث رسولا الى أقصى ما ينتهي اليه طرفك من الارض ثم يعود اليك . وقيل قبل أن يصل اليك أبعد من تراه من

الناس وقيل قبل أن يكل طرفك اذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفئك . وقيل قبل أن يرجع اليك طرفك اذا نظرت به الى أبد غاية منك ثم أغمضته وهذا أقرب ما قيل . (فلما رآه مستقراً عنده) أى فلما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده فى هذه المدة القريبة من بلاد اليمن الى بيت المقدس فى طرفه عين (قال هذا من فضل ربى ليلاونى أشكر أم أ كفر) أى هذا من فضل الله على وفضله على عبده ليختبرهم على الشكر أو خلافه (ومن شكر فأتا يشكر لنفسه) أى انما يعود فمع ذلك عليه (ومن كفر فان ربى غنى كريم) أى غنى عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير حلى هذا العرش ويتكر لها ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال (ننظر أهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) وهذا من فطنتها وغزارة فهمها لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلقتة وراها بأرض اليمن ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب قال الله تعالى اخباراً عن سليمان وقومه (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) أى ومنعها عبادة الشمس التى كانت تسجد لها هى وقومها من دون الله اتباعاً لدين آباؤهم واسلافهم لا لدليل قادم الى ذلك ولا حادهم على ذلك وكان سليمان قد أمر يتاء صرح من زجاج وعمل فى ممره ماء وجعل عليه سقفاً من زجاج وجعل فيه من السمك وغيرها من حواب الماء وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه (فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت ربى إني ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقد قيل إن الجن أرادوا أن يشعروا منظرها عند سليمان وأن تبدى عن ساقها ليرى ما عليها من الشر فينفره ذلك منها وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجن فتسلط عليهم معه . وذكر بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة وهذا ضعيف وفى الاول أيضاً نظر والله أعلم الا أن سليمان قيل إنه لما أراد ازالته حين عزم على تزوجها سأل الأنس عن زواله فذكروا له موسى فامتنعت من ذلك فسأل الجن فضمنوا له النورة ووضعوا له الحمام فكان أول من دخل الحمام فلما وجد مسه قال أوه من عذاب أوه قبل أن يمتنع أوه . رواء الطبراني مرفوعاً وفيه نظر *

وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردّها اليه وكان يزورها فى كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط وأمر الجن فبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان وسالحين ويتون فآله أعلم . وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها بملك همدان وأقرها على ملك اليمن وسخر زوبة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التى ذكرناها باليمن والأول أشهر وأظهر والله أعلم .

وقال تعالى في سورة ص (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب اذ عرض عليه بالمشى الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسح بالسوق والاعتناق . ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم أناب . قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بنسب حساب وان له عندنا لزلزلي وحسن ما أب). يذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ثم أنشئ الله عليه تعالى فقال (نعم العبد إنه أواب) أي رجاء مطيع لله . ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخيل الصافنات وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة . الجياد وهي المضرة السراع (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس . وقيل الخيل على ما سنده كره من القولين . (ردوها علي فطفق مسح بالسوق والاعتناق) قيل مسح عراقيها وأعناقها بالسيوف . وقيل مسح عنها العرق لما أجزاها وسابق يدها وبين يديه على القول الآخر * والذي عليه أكثر السلف الاول فقالوا اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس روى هذا عن علي بن أبي طالب وغيره والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً من غير عذر اللهم الا أن يقال إنه كان سائفاً في شريعتهم فأخر الصلاة لاجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك * وقد ادعى طائفة من العلماء في تأخير النبي (ص) صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعاً اذ ذاك حتى نسخ بصلاة الخوف قاله الشافعي وغيره . وقال مكحول والاوزاعي بل هو حكم محكم الى اليوم أنه يجوز تأخيرها بعذر القتال الشديد كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الخوف . وقال آخرون بل كان تأخير النبي (ص) صلاة العصر يوم الخندق نسياناً وعلي هذا فيحمل فعل سليمان عليه السلام على هذا والله أعلم . وأما من قال الضمير في قوله حتى توارت بالحجاب عائداً على الخيل وأنه لم تفته وقت صلاة وان المراد بقوله (ردوها علي فطفق مسح بالسوق والاعتناق) يعني مسح العرق عن عراقيها وأعناقها فهذا القول اختاره ابن جرير ورواه الوابي عن ابن عباس في مسح العرق * ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليعذب الحيوان بالعربة ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها وهذا الذي قاله فيه فظير لانه قد يكون هذا سائفاً في ملتهم وقد ذهب بعض علمائنا الى أنه اذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شيء من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحها واهلاكها لئلا يمتقوا بها وعليه حمل صنيع جعفر بن أبي طالب يوم عقر فرسه بموته وقد قيل إنها كانت خيلاً عظيمة . قيل كانت عشرة آلاف فرس . وقيل عشرين ألف فرس . وقيل كان فيها عشرون فرساً من ذوات الاجنحة . وقد روى أبو داود في سننه حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد ابن أبي مسريم أنبأنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن عزية أن محمد بن ابراهيم حدثه عن محمد بن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك أو خير وفي سهوتها ستر فبهت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لمائة تلعب فقال ما هذا يا عائشة فقالت بناتي ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ما هذا الذي أرى وسطهن قلت فرس قال وما الذي عليه هذا قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أما سمعت أن سليمان خيلا لها أجنحة قالت فضحك حتى رأيت نواجذه (ص) . وقال بعض العلماء لما ترك الخليل لله عرضه الله عنها بما هو خير له منها وهو الريح التي كانت غدوها شهرا ورواحها شهرا كما سيأتي الكلام عليها كما قال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكاتا يكثران السفر نحو البيت قالوا أينما على رجل من أهل البادية فقال البدوي أخذ يدي رسول الله (ص) فجعل يملأني مما علمه الله عز وجل وقال انك لاتدخ شيئا اتقاء الله عز وجل الا أعطاك الله خيرا منه . وقوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) . ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارا كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلقاة من الاسرائيليات وفي كثير منها نكارة شديدة وقد نهنا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة ومضمون ما ذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوما ثم عاد اليه ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناء بناء محكما . وقد قدمنا أنه جده وأن أول من جمعه مسجداً اسرائيل عليه السلام كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال مسجد بيت المقدس قلت كم بينهما قال أربعون سنة ومعلوم أن بين ابراهيم الذي بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده بعد اكماله البيت المقدس كما قال الامام احمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بسايندهم عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله (ص) : إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خللا ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه إياه وسأله إيمانا رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطبته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياه . فلما الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى فقد أنفى الله تعالى عليه وعلى أبيه في قوله (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرف إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنفتت فيه غم قوم آخرين أي رعت بالابل فاكلت شجره بالكلية فتحا كوا الى داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم بقيمة فلما خرجوا على سليمان قال بما حكم لكم نبي الله فقالوا بكذا وكذا فقال أما لو كنت أنا لما حكمت الا بتسليم الغم الى أصحاب الكرم فيستغلونها متاجا ودرا حتى

يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك ويردوه الى ما كان عليه ثم يتسلخوا غنمهم فيبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، بينا امرأتان معهما ابناهما اذ عدا الذئب فأخذ ابن احدهما فتنازعنا في الاخر فقالت الكبرى انما ذهب بابنك وقالت الصغرى بل انما ذهب بابنك فتحاكتنا الى داود فحكم به للسكبرى فخرجتا على سليمان فقال اثبتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة مسكاً نصفه فقالت الصغرى لا نفعل برحمتك الله هو ابنها قضى به لها ولعل كلا من الحكيم كان سائفاً في شريعتهم ولكن ما قاله سليمان أرجح ولهذا أثبت الله عليه بما ألهمه اياه ومدح بعد ذلك أباه فقال (وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكذا فاعلين وعلناه صنعة لبوس لكم لنحفظنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون). ثم قال (ولسليمان الريح عاصفة) أي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة (تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين. ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنالهم حافظين). وقال في سورة ص (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وان له عندنا نزلن وحسن ما ب). لما ترك الخليل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التي هي أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها تجري بأمره رخاء (حيث أصاب) أي حيث أراد من أي البلاد. كان له بساط مركب من أخشاب بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج اليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والانتقال والرجال من الانفس والجنان وغير ذلك من الحيوانات والطيور فاذا أراد سفراً أو مستنزها أو قتال ملك أو أعداء من أي بلاد شاء فاذا حمل هذه الامور المذكورة على البساط أمر الريح فدخلت تحته فرفته فاذا استقل بين السماء والارض أمر الرخاء فسارت به فان أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فخلته أسرع ما يكون فوضته في أي مكان شاء بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتفدو به الريح فتضمه باصطخر مسيرة شهر فيقيم هناك الى آخر النهار ثم يروح من آخره فترده الى بيت المقدس كما قال تعالى (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور). قال الحسن البصري كان ينفذو من دمشق فينزل باصطخر فيتغدى بها ويذهب راثماً منها فيبيت بكابل وبين دمشق وبين اصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر قلت قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان أن اصطخر بنتها الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديماً وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر وبيت المقدس وبلب جبرون وبلب البريد اللذان بدمشق على أحد الاقوال.

وأما القطر فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد هو النحاس قال قتادة وكانت باليمن أنبعها الله له قال السدي ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج اليه للنباتات وغيرها وقوله (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أي وسخر الله له من الجن عمالا يعملون له ما يشاء لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس (وتماثيل) وهي الصور في الجدران وكان هذا سائغا في شريعتهم وملتهم (وجنان كالجواب) . قال ابن عباس الجنة كالجنة من الأرض وعنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع نجاية وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء كما قال الأعشى .

تَرْوُحُ عَلَى آلِ الْمَلْحَقِ جَفَنَةٍ كجاية الشيخ العراقي يَفُحُّ

وأما القدور الراسيات فقال عكرمة أنها فيها منها يعني أنها ثوابت لا يزلن عن أماكنهن وهكذا قال مجاهد وغير واحد ولما كان هذا بصدد اصطام الطعام والاحسان إلى الخلق من إنسان وجان قال تعالى (اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور) وقال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد) يعني أن منهم من قد سخره في البناء ومنهم من بأسره بالنفوس في الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللاكي وغير ذلك مما لا يوجد إلا هنالك وقوله (وآخرين مقرنين في الأصفاد) أي قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الأصفاد وهي القيود . هذا كله من جملة ما هيأه الله وسخر له من الأشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ولم يكن أيضًا لمن كان قبله وقد قال البخاري ثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال إن عفريتًا من الجن تقلت على البارية ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه فاخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسطًا) . وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي أدريس الخولاني عن أبي الدرداء قال قام رسول الله (ص) فقللى فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ألعنك ملعنة الله ثلاثًا وبسط يده كأنه يتناول شيئًا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحمله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك ملعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات . ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة . وكذا رواه النسائي عن محمد بن سلمة به . وقال أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا مرة بن معبد ثنا أبو عبيد

حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد اللبثي قائماً يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة . فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتموني وابليس فاهويت يدي فإزلت أختقه حتى وجدت برداً لعمابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل . روى أبو داود منه فمن استطاع إلى آخره عن أحمد بن سريج عن أحمد الزيري به *

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة سبعائة بمهور وثلاثمائة سراري وقيل بالعكس ثلاثمائة حرأثر وسبعائة من الاماء . وقد كان يطبق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً قال البخاري حدثنا خالد بن مخلد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل شيئاً الا واحداً ساقطاً أحد شقيه فقال النبي (ص) لو قالها لجاهدوا في سبيل الله * وقال شعيب وابن أبي الزناد تسمين وهو أصبح تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا يزيد أنبأنا هشام بن حسان عن محمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة إلا امرأة ولدت نصف إنسان فقال رسول الله (ص) لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل . إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم ثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ولم يستثن فماتت الا واحدة منهن بشق إنسان قال قال رسول الله (ص) لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل في سبيل الله عز وجل تفرد به أحمد أيضاً . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله قال ونسي أن يقول إن شاء الله فطاف بهن قال فلم تلد منهن امرأة الا واحدة نصف إنسان فقال رسول الله (ص) لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته وهكذا أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به مثله . وقال اسحاق بن بشر أنبأنا مقاتل عن أبي الزناد وابن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن سليمان بن داود كان له اربع مائة امرأة وستمائة سرية فقال يوماً لا طوفن الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن

الا امرأة واحدة منهم جاءت بشق إنسان فقال النبي (س) والذي فنى يده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل . وهذا اسناد ضعيف لحال اسحاق بن بشر فانه منكر الحديث ولا سيما وقد خالف الروايات الصحاح . وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ما لم يكن لاحد قبله ولا يعطيه الله أحدا بعده كما قال (وأوتينا من كل شئ) وقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك أنت الوهاب) وقد اعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق . ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه واسداه من النعم السكاملة العظيمة اليه قال (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أى أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك أى تصرف في المال كيف شئت فان الله قدسوغ لك كما تفعله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك وهذا شان النبي الملك بخلاف العبد الرسول فان من شأنه أن لا يعطى أحدا ولا يمنع أحدا إلا بإذن الله له في ذلك وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين فاختر أن يكون عبداً رسولاً . وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل في ذلك فإشار اليه أن تواضع فاختر أن يكون عبداً رسولاً صلوات الله وسلامه عليه وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته الى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة فله الحمد والمنة .

ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام من خير الدنيا به على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والاجر الجليل والقربة التي تقربه اليه والفوز العظيم والاكرام بين يديه وذلك يوم المعاد والحساب حيث يقول تعالى (وان له عندنا لزني وحسن مآب) .

وفاته ومرة ملكه وحياة

قال الله تبارك وتعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) . روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي (س) قال كان سليمان نبي الله عليه السلام اذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شئ أنت فان كانت اعرس غرست وان كانت لدواء أبنت فينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاي شئ أنت قالت غراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب ففتحها عصا فتوكل عليها حولاً والجن تعمل فاكتمها الارضة فتبث الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين . قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بللاء .

لفظ ابن جرير وعطاء الخراساني في حديثه نكارة * وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة ابن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً وهو أشبه بالصواب والله أعلم . وقال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المردالت التي توفي فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فإن كانت لغرس غرسها وإن كانت نبتت دواء قالت نبت دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك فقالت أنا الخروبة فقال ولاي شيء نبتت فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس قزعها وغرسها في حائط له . ثم دخل الحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب وكان الحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول الست جليداً أن دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمروا به شيطان بنظر إلى سليمان عليه السلام وهو في الحراب الاحترق ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحو عنه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرض ولم يملوا من ذلك فوضعوا الأرض على العصا فاكلت منها يوماً وليلة . ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي قراءة ابن مسعود فمكثوا يداً بوزله من بدموته حولاً كاملاً فابقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل (وادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم إن الشياطين قالوا للأرض لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكننا منتقل إليك الماء والطين قل فأنهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت قال ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشيطان تشكر آله . وهذا فيه من الاسرائيلات التي لا تصدق ولا تكذب .

وقال أبو داود في كتاب القدر حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الأعمش عن خزيمة قال قال سليمان بن داود عليهما السلام ملك الموت إذا أردت أن تهبط روحى فأعطني قال ما أنا أعلم بذلك منك إنما هي كتب يلقي إلى فيها تسمية من يموت . وقال اصبح بن الفرج وعبد الله بن وهب عن

عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال قال سليمان لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك قد بقيت لك سوية فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي فاتسكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوك على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله دابة الارض يعني الى منسأته فاكلتها حتى اذا اكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله (مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) . قال اصبع وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل في منسأته حتى خر وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم والله أعلم .

قال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري وغيره ان سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخسين سنة وكان ملكه أربعين سنة وقال اسحاق أنبأنا أبو روق عن عكرمة عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة والله أعلم وقال ابن جرير فكان جميع عمر سليمان بن داود عليهما السلام نيفاً وخمسين سنة وفي سنة اربع من ملكه ابتداء ببناء بيت المقدس فيما ذكر ثم ملك بعده ابنه رجحام مدة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن جرير وقال ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل .

عن ابن عباس بن أبي السراة وقبل زكريا ومحيي عليهم السلام

فمنهم شعيا بن امصيا قال محمد بن اسحاق وكان قبل زكريا ومحيي وهو من بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام وكان في زمانه ملك اسمه حزقيا على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس وكان سامعاً مطيعاً لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح وكانت الاحداث قد عظمت في بني إسرائيل فرض الملك وخرجت في رجله قرحة . وقصد بيت المقدس ملك بابل في ذلك الزمان وهو سنحاريب قال ابن اسحاق في ستمائة الف راية وفرغ الناس فزعاً عظيماً شديداً وقال الملك للنبي شعيا ماذا أوحى الله اليك في أمر سنحاريب وجنوده فقال لم يوح الي فهم شيء بعد . ثم نزل عليه الوحي بالأمر للملك حزقيا بأن يوصي ويستخلف على ملكه من يشاء فانه قد اقترب أجله فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله عز وجل قلب مخلص وتوكل وصبر (اللهم رب الأرباب وإله الأكفلة يا رحمن

يارحم يامن لاتأخذه سنة ولا نوم اذكرني بملئى وفلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل وذلك كله كان منك فانت أعلم به من نفسى مرى واعلاى لك) قال فاستجاب الله له ورحمه واوحى الله الى شعيا أن جيشه بانه قد رحم بكاءه وقد آخر فى أجله خمس عشر سنة واتجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك ذهب منه الوجع واقطع عنه الشر والحزن وخر ساجداً وقال فى سجوده (اللهم أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والاخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين) فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعيا أن يأمره أن يأخذ ماء التين فيجعل على قرخته فيشفى ويصبح قد برئ . ففعل ذلك فشفى وارسل الله على جيش سنحاريب الموت فاصبحوا وقد هلكوا كلهم سوى سنحاريب وخمسة من اصحابه منهم نحت نصر فارسل ملك بنى إسرائيل فجاء بهم فجعلهم فى الاغلال وطاف بهم فى البلاد على وجه التنكيل بهم والاهانة لهم سبعة يوما ويطعم كل واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم أودعهم السجن واوحى الله تعالى الى شعيا أن يأمر الملك برسالم الى بلادهم لينذروا قومهم ما قد حل بهم فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه واخبرهم بما قد كان من امرهم فقال له السحرة والكهنة انا اخبرناك عن شأن ربهم وانبيائهم فلم تطلعنا وهى أمة لا يستطيعها احد من ربهم فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به . ثم مات سنحاريب بعد سبعين . قال ابن اسحاق ثم لما مات حزقيا ملك بنى اسرائيل مرجع امرهم واختلطت احوالهم وكثر شرهم فاوحى الله تعالى الى شعيا قدام فيهم فوعظهم وذكرهم واخبرهم عن الله بما هو اهلهم وانذرهم بأسه وعقابه ان خالفوه وكذبوه . فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم فرب شجرة فانفلقت له فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالبنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها فان الله وإنا اليه راجعون

ومنهم ارسيا بن علفيا من سبط الدوى بن يعقوب

وقد قيل إنه انضر رواء الضحاك عن ابن عباس وهو غريب وليس بصحيح * قال ابن عساکر جاء فى بعض الآثار أنه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يفور بدمشق فقال أيها الدم فتنت الناس فانكفن فسكن ورسب حتى غاب * وقال أبو بكر بن ابى الدنيا حدثنى على بن أبى مریم عن احمد بن حنبل عن عبد الله بن عبد الرحمن قال قال أرميا أى رب أى عبادك احب اليك قال اكثرهم . لى ذكرأ الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الاخلاق . الذين لا تعرض لهم وسادس الفناء ولا يتحدثون انفسهم بالبقاء . الذين اذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه واذا زوى عنهم سروا بذلك . أولئك انحلهم محبتي واعطيتهم فوق غايتهم .

غريب بيت المقدس

وقوله تعالى (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكورا . وقضينا الى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تنبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) وقال وهب بن منبه أوحى الله الى نبي من أنبياء بنى إسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي أن قم بين ظهري قومك فاخبرهم أن لهم قلوباً ولا يفقهون وأعيناً ولا يبصرون وأذاناً ولا يسمعون وإنى تذكرت صلاح آبائهم فمطفتنى ذلك على أبنائهم فسلمهم كيف وجدوا غب طاعنى وهل سعد أحد ممن عصانى بمصيتى وهل شقى أحد ممن أطاعنى بطاعنى إن الدواب تذكر أوطانها فتنزح اليها وإن هولاء القوم تركوا الأمر الذى أكرمت عليه آبائهم والمتسوا للكرامة من غير وجهها أما أحبارهم فانكروا حقى وأما قراؤهم فعبدوا غيرى وأما نساكم فلم ينتفعوا بما علموا وأما ولاتهم فكذبوا على وعلى رسلى . خزنوا المكر فى قلوبهم وعودوا الكذب ألسنتهم . وإنى أقسم بجلالى وعزتى لا هيجن عليهم جيولا لا يفقهون ألسنتهم ولا يعرفون وجوههم ولا يرحون بكاهم ولا يمشن فيهم ملكاً جباراً قاسياً له عساكر كقطع السحاب ومواكب كأمثال الفجاج كان خفقان راياته طيران النسور وكان حمل فرسانه كرمقالبان يعيدون العمران خراباً ويتركون القرى وحشة فيأويل أيليا وسكاتها كيف أذلهم للقتل وأسلط عليهم السبا واعيد بعد لجب الاعراس صراخا وبعد صهيل الخيل عواء الذآب وبعد شرافات القصور مساكن السباع وبعد ضوء السرج وهج العجاج وبالغزلا وبالنعمة العبودية وأبدان نساءهم بعد الطيب التراب . وبالمنشئ على الزرابى الخجب ولاجلن أجسادهم زبلا للأرض وعظامهن ضاحية للشمس ولأدوسنهم بالوان العذاب ثم لا مرن السماء فتكون طبقة من حديد والأرض سبيكة من نحاس فان أمطرت لم تنبت الارض وان أنبتت شيئا فى خلال ذلك فبرحتى للبهائم . ثم أحبسه فى زمان الزرع وأرسله فى زمان الحصاد فان زرعوا فى خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة فان خلص منه شئ نزعته منه البركة فان دعونى لم أجبههم وان سألوا لم أعطهم وان بكوا لم أرحمهم وان قضرعوا صرفت وجهى عنهم . رواه ابن عساكر بهذا اللفظ .

وفال اسحاق بن بشر أنبئنا إدريس عن وهب بن منبه قال ان الله تعالى لما بعث أرميا الى بنى إسرائيل وذلك حين عظمت الاحداث فيهم فعملوا بالمعاصي وقتلوا الانبياء طمع بخت نصر فيهم وقذف

الله في قلبه وحدث نفسه بالمسير اليهم لما أراد الله أن ينتقم به منهم فأوحى الله إلى أرميا إني مهلك بني إسرائيل ومنتقم منهم ققم على صخرة بيت المقدس ياتيك أمرى ووحى ققام أرميا فشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وخر ساجداً وقال يارب وددت أمتى لم تلدني محبين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أجل ققال له ارفع رأسك فرفع رأسه فبكى ثم قال يارب من تسلط عليهم فقال عبدة النيران لا يخافون عقابي ولا يرجون ثوابي ققم يا أرميا فاستمع وحي أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل. من قبل أن أخلقك اخترتك. ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قدسنتك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ نبأك ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ولا أمر عظيم أجبتك ققم مع الملك تسدده وترشده فكان مع الملك يسدده ويأتيه الوحي من الله حتى عظمت الأحداث ونسوا ما نجاهم الله به من عدوهم سنحاريب وجنوده فأوحى الله إلى أرميا ققم فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم أحداثهم فقال أرميا (يارب إني ضعيف إن لم تقو عاجز إن لم تبلغني مخطئ إن لم تسدني مخذول إن لم تنصرني ذليل إن لم تعزني) فقال الله تعالى (أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي وأن الخلق والأمر كله لي وأن القلوب والألسنة كلها بيدي فاقبلها كيف شئت فطعني فانا الله الذي ليس شيء مثلي. قامت السموات والأرض وما فيهن بكأمتي. وانه لا يخلص التوحيد ولم تتم القدرة إلا لي ولا يعلم ما عندي غيري وأنا الذي كلمت البحار ففهمت قولي وأمرتها ففعلت أمرى وحددت عليها حدوداً فلا تمدو حدى وتأتي بأمواج كالجبال فاذا بلغت حدى ألبستها مذلة لطاعتي وخوفاً واعتزافاً لأمرى وإني مملك ولن يصل اليك شيء معي وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي فتستوجب لذلك أجر من اتبعك ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً انطلق إلى قومك ققم فيهم وقل لهم ان الله قد ذكركم بصلاح آبائكم فلذلك استبقاكم باممشر أبناء الأنبياء وكيف وجد آبائكم مغبة طاعتي وكيف وجدتم مغبة معصيتي وهل وجدوا أحداً عصاني فمعد بمعصيتي وهل علموا أحداً أطاعني فشق بطاعتي ان الدواب اذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت إليها وان هؤلاء القوم رجعوا في مروج المهلكة وتركوا الأمر الذي به أكرمت آبائهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها أما أحبارهم ورجالهم فاتخذوا عبادي خولا يتبعونهم ويعملون فيهم بغير كتابي حتى أجهلهم أمرى وأنسوم ذكرى وسنتي وعزوم غنى فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبني إلا فيهم يطعمونهم في معصيتي *

وأما ملوكهم وأمراؤهم فبطروا نعمتي وآمنوا مكبري وغرهم الدنيا حتى نبذوا كتابي ونسوا عهدى فهم يحرقون كتابي ويقترون على رسل جرأة منهم على وغرة بي فسبحان جلالى وعلو مكافى وعظمة شأنى هل ينبغى أن يكون لي شريك في ملكي وهل ينبغى لبشر أن يطاع في معصيتي وهل ينبغى لي

أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دوني أو آذن لأحد بالطاعة لأحد وهي لا تنبغي إلا لي *

وأما قراؤهم وقتهاؤهم فيد رسون ما يتخيرون فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التي يتدعون في ديني ويطيعونهم في معصيتي ويوفون لهم بالمهود الناقضة لمهدي فهم جهلة بما يعملون لا ينتفعون بشئ مما علموا من كتابي *

وأما أولاد النبيين فقهورون ومفتونون يخوضون مع الخائضين يتمنون مثل نصري آباءهم والكرامة التي أكرمهم بها ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولا فكر ولا يذكرون كيف كان صبر آباءهم وكيف كان جهدهم في أمري حين اغتر المغترون وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا وصدقوا حتى عز أمرى وظهر ديني فتأيت هؤلاء القوم لهم لمهم يستحيون مني ويرجعون فتطولت عليهم وصدفت عنهم فأكثرت ومددت لهم في العمر وأعدت لهم لهم يتذكرون * وكل ذلك أمطر عليهم السماء وأبنت لهم الأرض وأبسه العافية وأظهرهم على العدو ولا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني مفتي متى هذا . أبي يسخرون أم بي يتحرشون أم إياي يخادعون أم على يمحترثون فاني أقسم بعتي لا تفيح عليهم فتنة يتحير فيها الحكيم ويضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم ثم لاسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتباً ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرأفة والرحمة وآليت أن يتبعه عدد وسواد مثل الليل المظلم . له فيه عساكر مثل قطع انسحاب ومواكب مثل المجاج وكأن حفيف راياته طيران النسور وحمل فرسانه كسرب العقبان يمدون العمران خراباً والقرى وحشاً ويمشون في الأرض فساداً ويتبرون ماعلوا تنديراً قاسية قلوبهم لا يكثرثون ولا يرفبون ولا يرحمون ولا يبصرون ولا يسمعون يمحولون في الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زئير الاسد تقشع من هيتها الجلود وتطيش من سمعها الاحلام بالسنة لا يتقربونها ووجوه ظاهر عليها المنكر لا يعرفونها . فوعزتي لاعطان يوتهم من كتبى وقديسى ولاخين بحالهم من حديثها ودروسها ولاوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بمارتها لغيرى ويتمجدون فيها ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين ويتعقون فيها لغير الدين ويعلمون فيها لغير العمل لا بدلن ملوكها بالزئير والذل والأمن الخوف والنفى الفقر وبالنعمة الجوع وبطول العافية والزخاء أنواع البلاء ولباس الديباج والحرير مدارع الوير والمباء وبالارواح الطيبة والادهان جيف القتل ولباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والاغلال . ثم لاعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب وبعد البروح المشيدة مساكن السباع وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب وبعد ضوء السراج دخان الحريق وبعد الانس الوحشة والقفار * ثم لا بدلن نساءها بالاسورة الاغلال وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد وبالوان الطيب والادهان النقع والغبار وبالمشى على الزرابى عبور الاسواق والانهار وانحلب الى الليل في بطون الاسواق وبالحدود والستور المحسور عن الوجوه والسوق والاسفار

والأرواح السوم . ثم لادوسنهم بأنواع العذاب حتى لو كان السكان منهم في حائق لوصل ذلك اليه
انى إنمأ أكرم من أكرمنى وانما أهين من هان عليه أمرى . ثم لآمرن السماء خلال ذلك فلتكون
عليهم طبقا من حديد ولاآمرن الارض فلتكون سبيكة من نحاس فلا سماء تمطر ولا أرض تنبت . فان
أمطرت خلال ذلك شيئا سلطت عليهم الآفة فان خلص منه شئ نزعته منه البركة وان دعوتى لم أجبه
وان سألتنى لم أعظمهم وان بكوا لم أرحمهم وان تضرعوا الى صرفت وجهى عنهم . وان قالوا اللهم أنت
الذى ابتدأتنا وآباءنا من قبلنا برحمتك وكرامتك وذلك بانك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا نبوتك
وكتابك ومساجدك ثم مكنت لنا في البلاد واستخلفتنا فيها وريثتنا وآباءنا من قبلنا بنعمتك صفاراً
وحفظتنا وإياهم برحمتك كبارا فانت أوفى المنعمين وان غيرنا . ولا تبدل . وان بدلنا وان تم فضلك ومنك
وطولك واحسانك فان قالوا ذلك قلت لهم انى ابتدئ عبادى برحمتى ونعمتى * فان قبلوا اتهمت وان
استزادوا زدت وان شكروا ضاعفت وان غيروا غيرت واذا غيروا غضبت * واذا غضبت عذبت وليس
يقوم شئ بنفضي .

قال كعب فقال أرميا برحمتك أصبحت أقلم بين يديك وهل ينبغي ذلك لى وأنا أذل وأضعف
من أن ينبغي لى أن أقلم بين يديك ولكن برحمتك أجتنبى لهذا اليوم وليس أحد أحق أن يخاف
هذا العذاب وهذا الوعيد منى بما رضيت به منى طولا والاقامة فى دار الخاطئين وم يعصونك حولى
بغير نكر ولا تغيير منى فان تعذبى فبذنبى وان ترحنى فذلك ظلى بك * ثم قال يارب سبحانك وبمحمدك
وتباركت ربنا وتعاليت أنهلك هذه القرية وماحولها وهى مساكن أنبيائك ومنزل وحيك يارب سبحانك
وبمحمدك وتباركت ربنا وتعاليت لحرب هذا المسجد وماحوله من المساجد ومن البيوت التى رفعت لذكرك
يارب سبحانك وبمحمدك وتباركت وتعاليت لمقتل هذه الامة وعذابك ايام وم من ولد ابراهيم
خليك وأمة موسى نبيك وقوم داود صفيك يارب أى القرى تأمن عقوبتك بد وأى العباد يأمنون
سوطوك بد ولدخيلك ابراهيم وأمة نبيك موسى وقوم خليفتك داود تسلط عليهم عبدة النيران قال
الله تعالى (ياأرميا من عصانى فلا يستنكر همتى فانى انما أكرمت هؤلاء القوم على طاعنى ولو أنهم عصونى
لازلهم دارالعاصين الا أن أندأركم برحمتى .

قال أرميا يارب اتخذت ابراهيم خليلا وحفظتنا به . وموسى قربته نجيا فقسألك أن تحفظنا ولا تسخطنا
ولا تسلط علينا عدونا فاوحى الله اليه (ياأرميا انى قدستك فى بطن أمك وأخرتك الى هذا اليوم فلو
أن قومك حفظو اليتامى والارامل والمساكين وابن السبيل لمكنت الداعم لهم وكأوا عندى بمنزلة جنة
ناعم شجرها طاهر مأوها ولا يبور ثمارها ولا تنقطع ولكن سأشكو اليك بنى اسرائيل إلى
كنت لهم بمنزلة الداعى الشفيق أجنبهم كل قحط وكل عسرة واتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشا ينطح

بعضها بعضا فياويلهم ثم ياويلهم انما اكرم من اكرمى وأهين من هان عليه امرى ان من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمصيتى وان هؤلاء القوم يتبرعون بمصيتى تبرعا فيظهرونها في المساجد والاسواق وعلى رؤس الجبال وظلال الاشجار حتى عجت السماء الى منهم وعجت الارض والجبال وفرت منها الوحوش باطراف الارض وأقاصيها وفي كل ذلك لا ينتهون ولا يتنفون بما علموا من الكتاب . قال فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب عصوه وكذبوه وأتهموه وقالوا (كذبت وأعظمت على الله الفرية قترعنا أن الله معطل أرضه ومساجده من كتابه وعبادته وتوحيده فمن يعبده حين لا يبقى له في الارض عابد ولا مسجد ولا كتاب لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون) فأخذوه وقيدوه وسجنوه فعند ذلك بعث الله عليهم نخت نصر فاقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصرم فكان كقَالَ تعالى (فحاصروا خلال الديار) قال فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمه ففتحوا الابواب وتخللوا الازقة وذلك قوله (فحاصروا خلال الديار) وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين قتل منهم الثلث وسبى الثلث وترك الزمنى والشيخ والعجائز ثم وطئهم بالخيول وهدم بيت المقدس وساق الصبيان وأوقف النساء في الاسواق حاسرات وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة وسأل عن دانيال الذى كان قد كتب له الكتاب فوجدوه قدماء وأخرج أهل بيته الكتاب اليه وكان فيهم دانيال بن حزقيل خلافا من دانيال الاكبر ودخل بخت نصر بجنوده بيت المقدس ووطئ الشام كلها وقتل بنى إسرائيل حتى أفنهم * فلما فرغ منها انصرف راجعا وحمل الأموال التى كانت بها وساق السبايا فبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الاحبار والملوك تسعين الف غلام وقذف الكنائسات فى بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود واحد عشر الفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط ايشى بن يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط زبالون وفتالى ابنى يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يستاخر بن يعقوب والفين من سبط زبالون بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى واثنى عشر الفا من سائر بنى إسرائيل وانطلق حتى قدم أرض بابل .

قال اسحاق بن بشر قال وهب بن منبه فلما فعل ما فعل قيل له كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم ويصفك وخبرك لهم ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كنائسهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدوه وحبسوه فأمر بخت نصر فلخرج أرميا من السجن فقال له أ كنت تحذر هؤلاء القوم قال نعم قال فاني علمت ذلك قال أرسلنى الله اليهم فكذبونى قال كذبوك وضربوك وسجنوك قال نعم قال (بس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم فهل لك أن تلحق

بنى فأكرمك وأواسيك وإن أحببت أن تقيم في بلادك فقد أمتك) قال له أرميا إني لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قط ولو أن بنى إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان فلما سمع بخت نصر هذا القول منه تركه فأقام أرميا مكانه بأرض أينا . وهذا سياق غريب . وفيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة وفيه من جهة التعريب غرابة .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلابي كان بخت نصر أصفهنا لما بين الاهواز الى الروم للملك على الفرس وهو لهراسب وكان قد بنى مدينة بلخ التي تلقب بالنساء وقاتل الترك والجأثم الى أضيق الاماكن وبث بخت نصر قتال بنى إسرائيل بالشام فلما قدم الشام صالحه أهل دمشق وقديل إن الذي بث بخت نصر إنما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لهراسب وذلك لتعدى بنى إسرائيل على رسله اليهم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن بن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب أن بخت نصر لما قدم دمشق وجد بها دما يغلى على كبا يعنى التمامه فسألهم ما هذا الدم فقالوا أدر كنا آباءنا على هذا وكلا ظهر عليه الكبا ظهر قال قتل على ذلك سبعين الفاً من المسلمين وغيرهم فسكن . وهذا إسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وقد تقدم من كلام الحافظ بن عساكر ما يدل على أن هذا دم يحيى بن ذكريا وهذا لا يصح لأن يحيى بن ذكريا بعد بخت نصر بمدة والظاهر أن هذا دم بنى متقدم أو دم لبعض الصالحين أو لمن شاء الله من الله أعلم به . قال هشام بن الكلابي ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عن بنى إسرائيل وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع . فلما بلغ طبرية بلغه أن بنى إسرائيل ثاروا على ملكهم قتلوه لاجل أنه صالحه ففرب رقاب من ماله من الرهائن ورجع اليهم فآخذ المدينة عنوة . وقتل المقاومة وسبى الذرية . قال وبلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبي فالخرجه وقص عليه ما كان من أمره ايامه وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه فقال بخت نصر بش القوم قوم عصوا رسول الله وخلى سبيله وأحسن اليه واجتمع اليه من تقي من ضمناه بنى إسرائيل فقالوا إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب الى الله عز وجل مما صنعنا فادع الله أن يقبل توبتنا فدعا ربه فأوحى الله اليه أنه غير فاعل فان كانوا صادقين فليقيموا ملك هذه البلدة فاخبرهم ما أمره الله تعالى به فقالوا كيف تقيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها فأبوا أن يقيموا .

قال ابن الكلابي ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في البلاد فقتلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادى القرى وذهبت شردمة منهم الى مصر فكتب بخت نصر الى ملكها يطلب منه من شرد منهم اليه فأبى عليه فركب في جيشه قاتله وقهره وغلبه وسبى ذراريهم . ثم ركب الى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية . قال ثم انصرف بسبى كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت

المقدس وأرض فلسطين والأردن وفي السبي دانيال * قلت والظاهر أنه دانيال بن حزقيال الاصغر لا
الاكبر على ما ذكره وهب بن منبه والله أعلم *

سُبْحَى مَنْ خَبِرَ دَانِيَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال ابن أبي الدنيا حدثنا احمد بن عبد الاعلى الشيباني قال إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان
لخُذْتُني بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكندي عن عبد الله بن أبي الهذيل قال ضرا بخت نصر أسدين
فالتقاهما في جب وجاء دانيال فالتقاه عليهما فلم يهيجاه فكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون
من الطعام والشراب فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام أن أعد طعاما وشرابا لدانيال فقال يارب أنا بالأرض
المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله إليه أن أعد ما أمرتك به فانا سنرسل من يحملك
ويحمل ما أعددت ففعل وأرسل إليه من حملة وحمل ما أعدده حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال
من هذا قال أنا أرميا فقال ما جاء بك فقال أرسلني إليك ربك . قال وقد ذكرني ربي قال نعم فقال
دانيال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره . والحمد لله الذي يجيب من رجاه . والحمد لله الذي من وثق
به لم يكاه إلى غيره . والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا . والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة . والحمد
لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كربنا . والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذي
هو رجاؤنا حين ينقطع الحيل عنا

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن أبي خلد بن دينار حدثنا أبو العالية قال لما افتتحنا
تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فلخذنا المصحف فحملناه
إلى عمر بن الخطاب فمسأله كعبا فنسخه بالعربية . فانا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ما قرأ القرآن
هذا قلت لأبي العالية ما كان فيه قال سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعت
بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس
فلا ينبشونه . قلت فما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون قلت من
كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال قلت منذ كم وجدتموه قد مات قال منذ ثلثمائة سنة قلت
ما تغير منه شيء قال لا الا شعرات من قفاه إن لحوم الانبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع . وهذا
استناد صحيح إلى أبي العالية ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلثمائة سنة فليس ينبغي بل هو رجل صالح
لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله (ص) نبى بنص الحديث الذي في البخاري والفترة التي
كانت بينهما أربع مائة سنة * وقيل ستمائة وقيل ستمائة وعشرون سنة وقد يكون تلويع وفاته من ثمانمائة سنة
وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الامر فانه قد يكون رجلا آخر

إما من الأنبياء أو الصالحين ولكن قربت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً كما تقدم . وقد روى بإسناد صحيح إلى أبي العالقة أن طول اغه شير . وعن أنس ابن مالك بإسناد جيد أن طول اغه ذراع فيحتمل على هذا أن يكون رجلاً من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد والله أعلم .

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب أحكام القبور حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله عن أبي الأشعث الأحمري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن دانيال دعا ربه عز وجل أن يدفنه أمة محمد فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجدة في تابوت تضرب عروقه ووريدة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دل على دانيال فبشره بالجنة فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر أن ادفعه وأبش إلى حرقوص فإن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظاً نظر والله أعلم .

ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو بلال حدثنا قاسم بن عبد الله عن عنبسة بن سعيد وكان عالماً قال وجد أبو موسى مع دانيال مصحفاً وجرة فيها ودك ودرهم وخاتمه فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر أما المصحف فابش به إلينا وأما الودك فابش إلينا منه وصر من قبلك من المسلمين يستشفون به واقسم الدرهم بينهم وأما الخاتم فقد قلنا كـ * وروى عن ابن أبي الدنيا من غير وجه أن أبا موسى لما وجدته وذكروا له أنه دانيال التزمه وعاقبه وقبله . وكتب إلى عمر يذكر له أمره وأنه وجد عنده مالا موضوعاً قريباً من عشرة آلاف درهم وكان من جاء اقترض منها فإن ردها والأمراض وإن عنده ربة فامر عمر أن يفصل بماء وسدر ويكفن ويدفن ويخفى قبره فلا يعلم به أحد وامر بالمال أن يرد إلى بيت المال وبالربعة فتحمل إليه وغله خاتمه . وروى عن أبي موسى أنه أمر أربعة من الأسراء فسكروا نهرًا وحفروا في وسطه قبراً فدفنه فيه ثم قدم الأربعة الأسراء فضرب أعناقهم فلم يعلم موضع قبره غير أبي موسى الأشعري رضي الله عنه * وقال ابن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن عبد الله حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال رأيت في يد ابن بردة بن أبي موسى الأشعري خاتماً نقش فيه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل قال أبو بردة هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال أخذه أبو موسى يوم دفنه . قال أبو بردة فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له أنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعمر ملكك ويفسده فقال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته إلا أنهم أخذوا دانيال فلقوه في أجحة الأسد فبات

الاسد ولبوته يلحسانه ولم يضراه فجاءت أمه فوجدهما يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ
قال أبو بردة قال أبو موسى قال علماء تلك القرية فتش دانيل صورته وصورة الاسدين يلحسانه
في فص خاتمه ثلثا ينسى نعمة الله عليه في ذلك . استناد حسن .

عمارة بيت المقدس بعد خربها ورجوع بني اسرائيل بعد نفرزهم في بفساء للدرص

قال الله تعالى في كتابه المبين وهو أصدق القائلين (أو كما الذي مر على قرية وهي خاوية على
عروشها . قال اني يحبني هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس
وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير) قال
هشام بن الكلبي ثم أوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام فيما بلغني اني عامر بيت المقدس فاخرج
اليها فانزلها فخرج حتى قدمها وهي خراب فقال في نفسه سبحان الله أمرني الله أن أنزل هذه البلدة
واخبرني انه عامرها فتى يصرها ومتى يحياها الله بعد موتها ثم وضع رأسه فنام ودمه حماره وسلة من
طعام فمكث في نومه سبعين سنة حتى هلك بخت نصر والملك الذي فوقه وهو لهراسب وكان ملكه
مائة وعشرين سنة وقام بعده ولده بشتاسب بن لهراسب وكان موت بخت نصر في دولته قبله عن بلاد
الشام انها خراب وان السباع قد كثرت في ارض فلسطين فلم يبق بها من الانس احد فنأدى في ارض
بابل في بني اسرائيل ان من شاء ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود واسمه ان
يسمر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجعوا فصروها وفتح الله لارميا عينه فنظر الى المدينة كيف تبني
وكيف تعمير ومكث في نومه ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لا يظن انه نل اكثر من ساعة وقد
عهد المدينة خرابا فلما نظر اليها عامرة أهلة قال أعلم أن الله على كل شيء قدير . قال فأقام بنو اسرائيل
بها ورد الله عليهم اسرهم فمكثوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف . ثم لم يكن
لهم جماعة ولا سلطان يعني بعد ظهور النصراني عليهم . هكذا حكاه ابن جرير في تلويحه عنه . وذكر ابن
جرير ان لهراسب كان ملكا عادلا سائسا لملكه قد دانت له العباد والبلاد والملوك والقواد وانه كان
ذا رأى جيد في عمارة الامصار والانهار والمافل . ثم لما ضف عن تدبير المملكة بعد مائة سنة ونيف
نزل عن الملك لولده بشتاسب فكان في زمانه ظهور دين الجوسية^(١) وذلك ان رجلا كان اسمه زردشت

(١) (قوله وذلك أن رجلا كان اسمه زردشت الخ) هذه الحكاية خلاف الواقع . بل الواقع أن
زردشت هو ابراهيم الزردشت احد الانبياء الذين ظهوروا في وادي نهر الأرمس بقرقازيا المشار اليهم في

كان قد صحب ارميا عليه السلام فاغضبه فدعا عليه ارميا فبرص زردشت فذهب فلحق بارض
آذربيجان وصحب بشتاسب فلقتنه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاء نفسه قبله منه بشتاسب وحمل
الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ممن اباه منهم * ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب
وهو من ملوك الفرس المشهورين والابطال المذكورين وقد نل بخت نصر لكل واحد من هؤلاء
الثلاثة وعمر دهرأ طويلا قبجه الله * والمقصود ان هذا الذي ذكره ابن جرير من أن هذا المار على
هذه القرية هو ارميا عليه السلام * قال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرها وهو قوى من
حيث السباق المتقدم وقد روى عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقناة والسدي وسليمان
ابن بريدة وغيرهم أنه عزيز . وهذا اشتهر عند كثير من السلف والخلف والله أعلم .

ولهذه قصّة العزيز

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر هو عزيز بن جروة ويقال بن سوريق بن عديا بن أيوب بن
درزبان عري بن تقي بن اسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران * ويقال عزيز بن سروخا
جاء في بعض الآثار ان قبره بدمشق . ثم ساق من طريق أبي القاسم البغوي عن داود بن عمرو عن
حبان بن علي عن محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس مرفوعا لا أدري العيين بيع أم لا ولا أدري
أكان عزيز نيا أم لا ثم رواه من حديث مؤمل بن الحسن عن محمد بن اسحاق السجزي عن عبدالرزاق
عن معمر عن ابن أبي ذؤيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعا نحوه . ثم روى من طريق
اسحاق بن بشر وهو متروك عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس ان عزيزاً كان ممن سباه
بخت نصر وهو غلام حدث فلما بلغ اربعين سنة اعطاه الله الحكمة قال ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم
بالتوراة منه قال وكان يذكّر مع الانبياء حتى محي الله اسمه من ذلك حين سأل ربه عن القدر وهذا ضعيف

قوله تعالى (وأصحاب الرس) فان الرس تخفيف ارس . وله الى الآن اتباع تمد بالملايين في الهند ويران
وله كتاب باللغة الفارسية القديمة مشتمل على المبادئ والتعاليم والاحكام والبشارات بالامور الآتية على
نهج سائر الكتب . منها بشاراته بظهور الرسول عليه السلام بقوله سيظهر في العرب نبي عظيم وبعد
أن يمضي من ظهور شريعته ألف سنة وكسور اذا جاء ثانيا لا يعرف أن هذه كانت شريعته اه ترجمته
بالمعنى . ويتصد بذلك أن شريعته عليه السلام بمضي الزمان يدخل فيها من البدع والاهواء ما لم يكن منها
. بحيث اذا رآها بعد ألف سنة لا يعرفها لسكرة ما دخل فيها من البدع . فانظر أنه لم يكتف بالبشارة بظهوره
بل أخبر ايضا بما يقع في المستقبل في شريعته فهذا من جملة الأدلة على صدق نبوته كما لا يخفى على من
تتبع تواريخ الأديان والمذاهب اه (فرج الله زكي الكردي)

ومتقطع ومنكر والله أعلم .

وقال اسحاق بن بشر عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عبد الله بن سلام ان عزيراً هو العبد الذي أمّنه الله مائة عام ثم بعثه . وقال اسحاق بن بشر انبأنا سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب وسعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن الحسن ومقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس وعبد الله بن اسماعيل السدي عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس وادريس عن جده وهب بن منبه قال اسحاق كل هؤلاء حديث عن عزير وزاد بعضهم على بعض قالوا باسنادهم ان عزيراً كان عبداً صالحاً حكماً خرج ذات يوم الى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف آتى الى خربة حين قامت الظهيرة واصابه الحر ودخل الخربة وهو على حماره قنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب فنزل في ظل تلك الخربة واخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ثم اخرج خبزاً يابساً معه فلقاه في تلك القصعة في العصير ليلتلاً لياً كاه ثم استلقى على قفاه واسند رجليه الى الحائط فنظر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظاما بالية فقال (أنى يحى هذه الله بعد موتها) فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجباً فبعث الله ملك الموت قبض روحه فلما نه الله مائة عام. فلما انت عليه مائة عام وكانت فيما بين ذلك في بنى اسرائيل أمور واحداث قال فبعث الله الى عزير ملكاً فخلق قلبه ليعقل قلبه وعينه لينظر بهما فيعقل كيف يحيى الله الموتى . ثم ركب خلقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم فتح فيه الروح كل ذلك وهو يرى ويمتل فاستوى جالساً فقال له الملك كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبعث في آخر النهار والشمس لم تهب فقال أو بعض يوم ولم يتم لي يوم فقال له الملك بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك يعنى الطعام الخبز اليابس وشرابه العصير الذى كان اعتصره في القصعة فاذا هما على حالهما لم يتغير العصير والخبز يابس فذلك قوله (لم يتسنه) يعنى لم يتغير وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شيء من حالهما فكان أنه انكر في قلبه فقال له الملك انكرت ما قلت لك انظر الى حمارك فنظر الى حماره قد بليت عظامه وصارت فخرة فنادى الملك عظام الحمار فاجابت واقبلت من كل ناحية حتى ركبها الملك وعزير ينظر اليه ثم البسها العروق والعصب ثم كساها اللحم ثم انبت عليها الجلد والشعر ثم فتح فيه الملك قمام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه الى السماء فلهذا يظن القيامة قد قامت فذلك قوله (وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً) يعنى وانظر الى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضاً في أوصالها حتى اذا صارت عظاماً مصوراً حماراً بلا لحم ثم انظر كيف نكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره قال فركب حماره حتى آتى محله فانكره الناس وانكر الناس وانكر منزله فانطلق على وهم منه حتى آتى منزله فاذا هو

بمجاز عياد مقعدة قد آتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمهاتهم فخرج عنهم عزيز وهي بنت عشرين سنة كانت عرفت وعقلته فلما أصابها السكر أصابها الزمانة . فقال لها عزيز يا هذه اهذه منزل عزيز قالت نعم هذا منزل عزيز فبكت وقالت ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزيز كان الله إمامي مائة سنة ثم بعثني قالت سبحان الله فان عزيزاً قد قُتِلَ منه مائة سنة فلم نسمع له بذلك قال فاني أنا عزيز قالت فان عزيزاً رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالماوية والشفاء فادع الله أن يرد علي بصري حتى أراك فان كنت عزيزاً عرفتك . قال فدعا ربه ومسح بيده على عينها فصحت وأخذ بيدها وقال قومي بأذن الله فاطلق الله ربهما فقامت صحيحة كأنما كُشِطت من عقاب فنظرت فقالت اشهد أنك عزيز وانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانين عشر سنة وبني بنيه شيوخ في المجلس فنادتهم فقالت هذا عزيز قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلاة مولاتكم دعالي ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال قهض الناس فاقبلوا اليه فنظروا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزيز فقالت بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا احد حفظ التوراة فيما حدثنا غير عزيز وقد حرق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شيء الا ما حفظت الرجال فاكبتها لنا وكان أبوه سروخا وقد دفن التوراة أيام بخت نصر في موضع يعرفه احد غير عزيز فاطلق بهم الى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة وكان قد غفن الورق ودرس الكتاب قال وجلس في ظل شجرة وبنو اسرائيل حوله فجدد لهم التوراة ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه فتذكر التوراة فجدها لبني اسرائيل . فمن ثم قالت اليهود عزيز بن الله للذي كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بأمر بني اسرائيل وكان جدد لهم التوراة بأرض السواد بدير حزقييل . والقرية التي مات فيها يقال لها سايراباذ * قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى (ولنجعلك آية للناس) يعني لبني اسرائيل . وذلك انه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لانه مات وهو ابن اربعين سنة فبعثه الله شاباً كهنة يوم مات قال ابن عباس بعث بعد بخت نصر وكذلك قال الحسن وقد أنشد ابو حاتم السجستاني في معنى ما قاله

ابن عباس .	واسود رأس شاب من قبله ابنه	ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر
يرى ابنه شيخاً يدب على عصا	ولحيته سوداء والرأس أشقر	
وما لابنه حيل ولا فضل قوة	يقوم كما يمشي الصبي فيمثر	
يعد ابنه في الناس تسعين حجة	وعشرين لا يجري ولا يبتخر	
وعمر أيسر اربعون عاماً	ولان ابنه تسعون في الناس عبر	
فما هو في المقول ان كنت دارياً	وان كنت لا تدري فبالجمل تُعذر	

قصة عزير

المشهور ان عزيراً نبى من أنبياء بنى اسرائيل وانه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى وانه لما لم يبق في بنى اسرائيل من يحفظ التوراة اهتم الله حفظها فسردها على بنى اسرائيل كما قال وهب بن منبه أمر الله ملكاً قتل بمفرقة من نور قذفها في عزير فتسخ التوراة حرفاً بحرف حتى فرغ منها . وروى ابن عساكر عن ابن عباس انه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله لم قالوا ذلك فذكر له ابن سلام ما كان من كتبه لبنى اسرائيل التوراة من حفظه وقول بنى اسرائيل لم يستطع موسى أن يأتيها بالتوراة الا في كتاب وان عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب فرماه طوائف منهم وقالوا عزير ابن الله . ولهذا يقول كثير من العلماء ان تواتر التوراة انقطع في زمن العزير . وهذا متجه جدا اذا كان العزير غير نبى كما قاله عطاء بن أبى رباح والحسن البصرى وفيما رواه اسحاق ابن بشر عن مقاتل بن سليمان عن عطاء وعن عثمان بن عطاء انخراساني عن أبيه ومقاتل عن عطاء بن أبى رباح قال كان في الفترة تسعة اشياء بخت نصر وجنة صنعاء وجنة سبا وأصحاب الاخدود وامر حاصورا (١) واصحاب الكهف واصحاب الفيل ومدينة انطاكية وامر تبع . وقال اسحاق بن بشر انبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان امر عزير وبخت نصر في الفترة . وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله (ص) قال ان أولى الناس بابن سريم لاننا إنه ليس بيني وبينه نبى () . وقال وهب ابن منبه كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام . وقد روى ابن عساكر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيراً كان في زمن موسى بن عمران وانه استأذن عليه فلم يأذن له يعنى لما كان من سؤاله عن القدر وانه انصرف وهو يقول مائة مائة أهون من ذل ساعة وفي معنى قول عزير مائة مائة أهون من ذل ساعة قول بعض الشعراء

قد يصبر الحرُّ على السيفِ وبأنف الصبرِ على الحيفِ
ويؤثر الموتُ على حاله يعجزُ فيها عن قرى الصَّيفِ

فاما ما روى ابن عساكر وغيره عن ابن عباس ونوف البكالى وسفيان الثوري وغيرهم من أنه سأل عن القدر فحجى اسمه من ذكر الانبياء فهو منكرو في صحته نظر وكأنه مأخوذ عن الاسرائيليات وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالى قال قال عزير فيما يناجى ربه (يارب تخلق خلقاً أفضل من تشاء وتهدى من تشاء) فقيل له أعرض عن هذا فماد فقيل له لتعرض عن هذا أولاً محو اسمك من الانبياء إني لأسأل عما افعل وهم يسألون وهذا لا يقتضى وقوع ما توعد عليه لو عاد فما يحيا اسمه والله أعلم .

وقد روى الجماعة سوى الترمذى من حديث يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد وابى سلمة

(١) هكذا في النسخة الحلبية . وفي النسخة المصرية (وأمر جاسور)

عن أبي هريرة وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) نزل في من الأنبياء تحت شجرة فلذغته نملة فامر بجبازته فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه مهلا نملة واحدة . فروى اسحاق بن بشر عن ابن جريج عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه عزير . وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري أنه عزير فآله أعلم .

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم (كعبص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيئا ولم أكن بدعا لك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورأى وكانت امرأتى عاقرا فهبلى من لدنك وليا يرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تنك شيئا . قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا . فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا . يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وقال تعالى (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا صريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فناده الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحضورا ونبيا من الصالحين . قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقرا قال كذلك الله يفعل ما يشاء . قال رب اجعل لى آية . قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذ كر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) وقال تعالى فى سورة الانبياء (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدنى فردا وانت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين . وقال تعالى وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) . قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى كتابه التاريخ المشهور الحافل . زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان يقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن دواد بن سليمان بن مسلم بن صدقة بن برخيا بن بلعانة بن ناحور بن شلوم بن بهناشاط بن ايتا من بن رحبام بن سليمان بن داود أبو يحيى النبى عليه السلام من نبي اسرائيل . دخل البثينة من أعمال دمشق فى طلب ابنه يحيى . وقيل انه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى والله أعلم . وقد قيل غير ذلك فى نسه

ويقال فيه زكريا بالمد وبالقصر ويقال زكري ايضاً .

والمقصود ان الله تعالى أمر رسوله (ص) أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر وكانت امرأته عاقراً في حال شيبتهما وقد اسنت ايضاً حتى لا يئس احد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى وقدس فقال تعالى (ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفياً) . قال قتادة عند تفسيرها ان الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي . وقال بعض السلف قام من الليل فنادى ربه مناداة اسرها عن كان حاضراً عنده مخافته فقال (يا رب يا رب فقال الله ليبيك ليبيك ليبيك) (قال رب انى وهن العظم منى) أى ضعف وخار من الكبر (واشتعل الرأس شيباً) استعارة من اشتعال النار في الحطب أى غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد في مقصورته .

أما ترى رأيي حاكى لونه طرة صبح نحت أذبال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جمر الغضا
وأض عود اللهو يساً ذواياً من بغير ماقده كان مجاج الترى

يذكر ان الضعف قد استحوذ عليه باطنا وظاهراً وهكذا قال زكريا عليه السلام (انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً) وقوله (لم أكن بدعائك رب شقياً) أى ما عودتنى فيما أسألك الا الاجابة وكان الباعث له على هذه المسئلة انه لما كفل سرهم بنت عمران بن ماثان وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير إوانها ولا في آوانها وهذه من كرامات الاولياء فلم أن الرازق للشئ في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً وان كان قد طعن في سنه (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) وقوله (وانى خفت الموالى من ورأى وكانت امرأتى عاقراً) قيل المراد بالموالى العصبية وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بنى اسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون براً تقياً مرضياً ولهذا قال (فهب لى من لدنك) أى من عندك بحولك وقوتك (ولياً برئى) أى فى النبوة والحكم فى بنى اسرائيل (ويرث من آل يعقوت واجمله رب رضا) يعنى كما كان آبؤه واسلافه من ذرية يعقوب انبياء فاجمله مثلهم فى السكامة التى أكرمهم بها من النبوة والوحى وليس المراد ههنا وراثه المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة وواقهم ابن جرير ههنا وحكاه عن ابي صالح من السلف لوجوه . احدها ما قدمنا عند قوله تعالى (وورث سليمان داود) أى فى النبوة والملك كما ذكرنا فى الحديث المتفق عليه بين العلماء ان روى فى الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة ان رسول الله (ص) قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة فهذا نص على أن رسول الله لا يورث ولهذا منع الصديق ان يصرف ما كان يختص به فى حياته الى احد من وراثه الذين لولا هذا

النص لصرف اليهم وهم ابته فاطمة وأزواجه التسع وعنه العباس رضى الله عنهم واحتج عليهم الصديق في منعه أيام بهذا الحديث وقد واقفه على روايته عن رسول الله (ص) عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضى الله عنهم . الثاني ان الترمذى رواه بلفظ يعم سائر الانبياء نحن معاشرا الانبياء لانورث وصححه . الثالث ان الدنيا كانت احقر عند الانبياء من أن يكتزوا لها أو يلتفتوا اليها أو يهتمهم أمرها حتى يسألوا الاولاد ليحوزوها بدمهم فان من لا يصل الى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثاً له فيها . الرابع أن زكريا عليه السلام كان نجاراً يعمل يده ويأكل من كسبها كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده والغالب ولا سيما من مثل حال الانبياء أنه لا يجهد نفسه في العمل اجهاًد آيستفضل منه ما لا يكون ذخيرة له يخلفه من بعده وهذا أمرين واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهم ان شاء الله .

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بنى ابن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال كان زكريا نجاراً . وهكذا رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن حماد بن سلمة به . وقوله (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجمل له من قبل سمياً) . وهذا مفسر بقوله (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحسباً ونبياً من الصالحين) فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه له (قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) أى كيف يوجد ولد من شيخ كبير قبل كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة والاشبه والله أعلم أنه كان أسن من ذلك (وكانت امرأتى عاقراً) يعنى وقد كانت امرأتى فى حال شبيبتها عاقراً لاتلد والله أعلم . كما قال الخليل (أبشركموى على أن مسنى الكبرفيم تبشرون) وقالت سارة (ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بلى شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) وهكذا أجيب زكريا عليه السلام قال له الملك الذى يوحى اليه بأمر ربه (كذلك قال ربك هو على هين) أى هذا سهل يسير عليه (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) أى قدرته أوجدتك بعد ان لم تمكن شيئا مذكورا أفلا يوجد منك ولداً وان كنت شيخنا . وقال تعالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انها كانت لا تحيض يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا واكلوا لنا خاشعين) ومعنى اصلاح زوجته انها كانت لا تحيض فحاضت . وقبل كان فى لسانها شيء أى بذاعة (قال رب اجعل لى آية) أى علامة على وقت تعلق منى المرأة بهذا الولد المبشر به (قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا) يقول علامة ذلك أن يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام الارمزا وانت فى ذلك سوى الخلق صحيح المزاج معتدل البنية وأمر

بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده بالمشي والابكار فلما بشر بهذه البشارة خرج مسروراً بها على قومه من محرابه (فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا) * والوحى هنا هو الامر الخفي اما بكتابه كما قاله مجاهد والسدى أو إشارة كما قاله مجاهد أيضاً ووهب وقتادة . قال مجاهد وعكرمة ووهب والسدى وقتادة اعتقل لسانه من غير مرض . وقال ابن زيد كان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع كلام احد . وقوله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) ، يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الالهية لآتيه زكريا عليه السلام وأن الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه * قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال ما لعب خلقنا قال وذلك قوله (وآتيناه الحكم صبياً) وأما قوله (وحناناً من لدنا) فروى ابن جرير عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا أدري ما الحنان . وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك (وحناناً من لدنا) أى رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد * وعن عكرمة (وحناناً) أى محبة عليه ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ولا سيما على أبويه وهو محبتهم والشقة عليهما وبره بهما . وأما الزكاة فهو طهارة الخلق وسلامته من النقائص والذائل . والتقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره ، ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمراً ونهيّاً وترك عقوقهما قولاً وفلاً فقال (وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً) ثم قال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) هذه الأوقات الثلاثة أشد ماتكون على الانسان فانه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيعقد الأول بعد ما كان الفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الاحشاء وفارق لينها وضما وينقل إلى هذه الدار ليكابدها ومومها وغمها وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الاموات سكان القبور وانظر هناك النفخة في الصور ايوم البعث والنشور فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومثبور وما بين جبير وكبير وفريق في الجنة وفريق في السعير . ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :

وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِئاً مُسْتَهْرَجاً وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُوراً
فَلَحِمْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكَوْا فِي يَوْمٍ مَوْتِكَ ضُلْهَكاً مُسْرُوراً

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة اشق ماتكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن منها فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) وقال سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال إن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى استغفر لى أنت خير منى فقال له الآخر استغفر لى أنت خير منى فقال له عيسى أنت خير منى سلمت على نفسى وسلم الله عليك فرفق والله فضلهما ، وأما قوله في الآية الاخرى (وسيداً وحسوراً ونبيّاً من الصالحين) فتبيل المراد بلحضور الذى لا يأتى النساء

وقيل غير ذلك وهو أشبه لقوله (هب لي من لدنك ذرية طيبة) وقد قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال ما من أحد من ولد آدم إلا وقد اخطأ أو لم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد يقول أنا خير من يوسف بن متى . علي بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الأئمة وهو منكر الحديث وقد رواه ابن خزيمة والدارقطني من طريق أبي عاصم العباداني عن علي بن زيد بن جدعان به مطولا ثم قال ابن خزيمة وليس على شرطنا . وقال ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب قال خرج رسول الله (ص) على أصحابه يوما وهم يتذكرون فضل الانبياء قال قاتل (موسى كليم الله وقال قاتل عيسى روح الله وكتبه وقال قاتل ابراهيم خليل الله فقال ابن الشهيد ابن الشهيد بليس الجبر وباكل الشجر مخافة الذنب قال ابن وهب يريد يحيى بن زكريا . وقد رواه محمد ابن اسحاق وهو مدلس عن يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع رسول الله (ص) يقول كل ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا . فهذا من رواية ابن اسحاق وهو من المدلسين رقد عنعن ههنا . ثم قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسل . ثم رأيت ابن عساكر ساقه من طريق أبي أسامة عن يحيى بن سعيد الانصارى ثم قد رواه ابن عساكر من طريق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق حدثنا محمد بن الصباحاني حدثنا أبو خالد الاحمر عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال ما أحد الا يلقى الله بذنب الا يحيى بن زكريا . ثم تلا (وسيدا وحصورا) ثم رفع شيئا من الارض فقال ما كان معه الا مثل هذا ثم ذبح ذبحا وهذا موقوف من هذه الطريق وكونه موقوفا اصح من رفعه والله أعلم . واورده ابن عساكر من طرق عن معمر من ذلك ما اورده من حديث اسحاق بن بشر وهو ضعيف عن عثمان بن سباح عن ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان عن معاذ عن النبي (ص) بنحوه . وروى من طريق أبي داود الطيالسي وغيره عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن ابيه عن أبي سعيد قال قال رسول (ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة الا ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام . وقال أبو نعيم الحافظ الصباحاني حدثنا اسحاق بن احمد حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا احمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول خرج عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا يتماشيان فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى يا ابن خالة لقد اصببت اليوم خطيئة ما اظن أنه ينفرك ابدا قال وما هي يا ابن خالة قال امرأة صدمتها . قال والله ماشرت بها . قال سبحان الله بدنك معي فان روحك قال ملق بالمرشول وان قلبي الممتن الى جبريل لظننت أني ما عرفت الله طرفة عين . فيه غرابة وهو من الامرائيليات * وقال اسرئيل عن ابي حصين عن خيشمة قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف وكان يحيى يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا

عبد ولا أمة ولا مأوى يا ويان اليه ابن ماجهما الليل أويا فلما ارادا أن يتفرقا قال له يحيى اوصنى قال لا تنضب قال لا استطيع الا أن اغضب قال لا تقتن مالا قال أما هذه فعسى .

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه هل مات زكريا عليه السلام موتاً أو قتل قتلاً على روايتين فروى عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال هرب من قومه فدخل شجرة فجازا فوضعوا المنشار عليهما فلما وصل المنشار الى أضلاعه أن فأوحى الله اليه لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الارض ومن عليها فسكن أنينه حتى قطع بانهتين . وقد روى هذا في حديث مرفوع سنوده بعد أن شاء الله * وروى اسحق بن بشر عن ادريس بن سنان عن وهب أنه قال الذي انصدعت له الشجرة هو شعيا فأما زكريا فمات موتاً فله اعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان أن أباً بؤ خلف موسى بن خلف وكان يمد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده مطور عن الحارث الاشعري أن النبي (ص) قال ان الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وان يأمر بني اسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطل فقال له عيسى عليه السلام إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن . فلما أن تبلفهن وإما أن ابلفهن فقال يا أخى إلى اخشى إن سبقتنى أن أعذب أو يخسف بي قال فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فعد على الشرف فحمد الله واثنى عليه ثم قال إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم ان تعملوا بهن . واولهن أن تعبدوا الله لا تشرکوا به شيئاً فان مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته الى غير سيده فايكم يسره أن يكون عبده كذلك وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً وأمرکم بالصلاة فان الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلبثت فاذا صليتم فلا تلتفتوا * وامرکم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصاة كلهم يجدرج المسك وان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك * وامرکم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال هل لكم أن أفتدى نفسي منكم فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه * وأمرکم بذكر الله عز وجل كثيراً فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اثره فاتي حصناً حصيناً فمحصن فيه وأن البعد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان في ذكر الله عز وجل قال وقال رسول (ص) وأنا آمرکم بخمس الله امرني بهن بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فان من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ريق الاسلام من عنقه الا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من حثا جهنم قال يا رسول الله وان صام وصلى قال وان صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل .

وهكذا رواه أبو يعلى عن هدية بن خالد عن ابان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير به . وكذلك رواه

الترمذى من حديث أبي داود الطيالسى وموسى بن اسماعيل كلاهما عن أبان بن يزيد العطار به * ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب بن سابور عن معاوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الاشعري به . ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطرى عن معاوية بن سلام عن اخيه به . ثم قال تفرد به مروان الطاطرى عن معاوية بن سلام . قلت وليس كما قال ورواه الطبرانى عن محمد بن عبدة عن أبي نوبة الربيع بن يافع عن معاوية بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الاشعري فذكر نحوه فسط ذكر زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الاشعري فذكر نحوه هذه الرواية ثم روى الحافظ بن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازى عن أبيه عن الربيع بن انس قال ذكر لنا عن اصحاب رسول الله (ص) ، فيما سمعوا من علماء بنى اسرائيل أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كلمات وذكروا نحوه ما تقدم . وقد ذكروا أن يحيى عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس انما كان يانس الى البرارى وياكل من ورق الاشجار وبرد ماء الانهار ويتغذى بالجراد فى بعض الاحيان ويقول من انعم منك يا يحيى * وروى ابن عساكر أن أبويه خرجا فى طلبه فوجداه عند بحيرة الاردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل ، وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طعام يحيى بن زكريا العشب وانه كان ليبيكى من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لخرقه

وقال محمد بن يحيى الذهلى حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال جلست يوما الى أبي ادريس الخولانى وهو يقص فقال الا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا اليه قال إن يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاما انما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس فى معاشهم * وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال قد زكريا ابنه يحيى ثلاثة أيام فخرج يلتمسه فى البرية فاذا هو قد احتفر قبرا وأقام فيه يبكى على نفسه فقال يا بنى أنا أطلبك من ثلاثة أيام وانت فى قبر قد احتفرت قائم تبكى فيه فقال يا أبت الست أنت أخبرتنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطع الا بدموع البكاين فقال له ابك يا بنى فبكيا جميعا . وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بنحوه وروى ابن عساكر عنه أنه قال إن أهل الجنة لا ينامون للذة مالم فيه من النعيم فكذا يبنى للصديقين أن لا يناموا لما فى قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل * ثم قال كم بين النعيمين وكم بينهما وذكروا أنه كان كثير البكاء حتى أضر البكاء فى خديه من كثرة دموعه *

بيان حبس قتل يحيى عليه السلام

وذكروا فى قتله أسبابا من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه او من لا يحل له تزويجها فقهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقى فى نفسها منه . فلما كان بينها وبين الملك

ما يجب منها استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعثت اليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طشت الى عندها فيقال انها هلكت من فورها وساعتها وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فابى عليها فلما يئست منه تحيلت في أن استوهبت من الملك فتسنع عليها الملك ثم أجابها الى ذلك فبعث من قتله وأحضر اليها رأسه ودمه في طشت . وقد ورد معناه في حديث رواه اسحاق بن بشر في كتابه المبتدا حيث قال أنبأنا يعقوب الكوفي عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله (ص) ليلة أسرى به رأى زكريا في السماء فسلم عليه وقال له يا أبا يحيى خبرني عن قتلك كيف كان ولم قتلك بنو اسرائيل. قال يا محمد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكان أجملهم وأصبحهم وجها وكان كما قال الله تعالى (سيداً وحسوراً) وكان لا يحتاج الى النساء فهوته امرأة ملك بنى اسرائيل وكانت بنية فأرسلت اليه وعصمه الله وامتنع يحيى وأبى عليها فاجتمعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون في كل عام وكانت سنة الملك أن يوعده ولا يخلف ولا يكذب . قال فخرج الملك الى العيد فقامت امرأته فشيخته وكان بها معجبا ولم تكن تفعله فيما مضى فلما أن شيعته قال الملك سألني فما سألتني شيئا الا أعطيتك قالت أريد دم يحيى بن زكريا قال لها سألني غيره قالت هو ذاك قال هو لك قال فبعثت جلاوزتها الى يحيى وهو في محرابه يصلى وأما الى جانبه أصلى قال فذبح في طشت وحمل رأسه ودمه اليها . قال فقال رسول الله (ص) فما بلغ من صبرك قال ما اغتلت من صلاتي قال فلما حمل رأسه اليها فوضع بين يديها فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشيه فلما أصبحوا قالت بنو اسرائيل قد غضب الله زكريا ففعلوا حتى تقضب للملكنا فنقتل زكريا قال فخرجوا في طلب ليقتلوني وجاءني النذير فهربت منهم وابليس أمامهم يدلهم على فلما تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت الى الى وانصدعت لي ودخلت فيها . قال وجاء ابليس حتى أخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقى طرف ردائي خارجا من الشجرة وجاءت بنو اسرائيل فقال ابليس أما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف ردائه دخلها بسجره فقالوا نهرق هذه الشجرة فقال ابليس شقوه بالمنشار شقا . قال فشقت مع الشجرة بالمنشار قال له النبي (ص) هل وجدت له مسا أو وجبا قال لا إنما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روحى فيها . هذا سياق غريب جدا وحديث عجيب ورفه منكر وفيه ما ينكر على كل حال ولم يرفى شئ من أحاديث الاسراء ذكر زكريا عليه السلام الا في هذا الحديث وإنما المحفوظ في بعض الفاظ الصحيح في حديث الاسراء فررت بابنى الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث فان أم يحيى أشيع بنت عمران أخت مريم بنت عمران . وقيل بل أشيع وهى امرأة زكريا أم يحيى . هى أخت حنة امرأة عمران أم مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم فانه أعلم *

ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان في المسجد الاقصى أم بنيره على قولين فقال الثورى

عن الاعمش عن شمر بن عطية قال قتل على الصخرة التي ببית المقدس سبعون نبياً منهم يحيى بن زكريا عليه السلام وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قدم بخت نصر دمشق فاذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي فسأل عنه فاخبروه قتل على دمه سبعين الفا فسكر. وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وهو يقتضى أنه قتل بدمشق وان قصة بخت نصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصرى فأنه أعلم.

وروى الجاهظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال رأيت رأس يحيى ابن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشارة والشعر على حاله لم يتغير وفي رواية كأنما قتل الساعة. وذكر في بناء مسجد دمشق أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة فأنه أعلم.

(١) وقد روى الجاهظ ابن عساكر في المستقصى في فضائل الاقصى من طريق العباس بن صبح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قاسم مولى معاوية قال كان ملك هذه المدينة يعني دمشق هداد ابن هذلول وكان قد زوجه ابنة بانية أخيه أرييل ملكة صيدا وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة قال وكان قد حلف بطلاقها ثلاثاً. ثم انه اراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا فقال لا تحل لك حتى تنسكح زوجا غيرك فخذت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا وذلك بإشارة أمها فإني عليها ثم أجابها الى ذلك وبعث اليه وهو قائم يصلي بمسجد جيرون من أنه برأسه في صينية فجعل الرأس يقول له لا تحل له لا تحل له حتى تنسكح زوجا غيره فاخذت المرأة الطبق فخلته على رأسها وأتت به أمها وهو يقول كذلك فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها الى قدميها ثم الى حقوبها وجعلت أمها تولول والجوارى يصرخن ويلطن وجوههن ثم خسف بها الى منكبها فامرت أمها السياف أن يضرب عنقها لتتسل برأسها ففعل فلفظت الارض جثتها عند ذلك ووقعوا في الذل والفناء ولم يزل دم يحيى يفور حتى قدم بخت نصر فقتل عليه خمسة وسبعين الفا * قال سعيد بن عبد العزيز وهي دم كل نبي ولم يزل يفور حتى وقف عنده أرميا عليه السلام قال أيها الدم أفيتت بني اسرائيل فاسكن بلذن الله فسكر فرفع السيف وهرب من هرب من أهل دمشق الى بيت المقدس فبعضهم اليها قتل خلقا كثيراً لا يحصون كثرة وسبا منهم ثم رجع عنهم.

قصة عيسى بن مريم عليه السلام والفضل الصلوة والسلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصارى عليهم لعائن الله الذين زعموا أن الله ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان قد قدم وفد نجران منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يذكرون مأم عليه من الباطل من التثليث في الألقاب ويدعون بزعمهم أن الله ثلاث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم على اختلاف فرقهم فانزل الله عز وجل صدر هذه السورة بين فيها أن عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وقال له كن فكان سبحانه وتعالى . وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من أمرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما ستكلم على ذلك كما بعون الله وحسن توفيقه وهدايته فقال تعالى وهو اصدق القائلين (أن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وانى سميتها مريم وانى اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها من المحراب وجدها رزقا قال يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)

يذكر تعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام واخلص من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته ثم خصص فقال وآل إبراهيم فدخّل فيهم بنو اسماعيل وبنو اسحاق . ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام وقال محمد بن اسحاق وهو عمران بن بشم بن أمون ابن ميثا بن حزقيا بن احريق بن موثم بن عزازيا بن امصيا بن ياوش بن احريه بن يازم بن يهافاشاط بن ايشا بن ايان بن رجعم بن سليمان بن داود وقال ابو القاسم بن عساكر مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن اخير بن صادق بن عيازوز بن اليقيم بن ايبود بن زريابيل بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن امون بن ميثا بن حزقا بن احاز بن موثم بن عزريا بن يورام بن يوشافاط ابن ايشا بن ايبا بن رجعم ابن سليمان بن داود عليه السلام وفيه مخالفة كما ذكره محمد بن اسحاق ولا خلاف انها من سلالة داود عليه السلام وكان ابوها عمران صاحب صلاة بنى اسرائيل في زمانه وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات وكان زكريا بنى ذلك الزمان زوج أخت مريم اشيع في قول الجمهور وقيل زوج خالتها اشيع قاله أعلم وقد ذكر محمد بن اسحاق وغيره أن أم مريم كانت لا تهبل فرأت يوماً طائراً يزق فرخاً له فاشتت

الولد فذرت لله ان حملت لتجعلن ولدها محرراً أى حبيساً في خدمة بيت المقدس قالوا فخاضت من فورها فلما طهرت واقمها بعلها فحملت بمريم عليها السلام (فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) وقرئ بضم التاء (وليس الذكر كالأُنثى) أى في خدمة بيت المقدس وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خداماً من أولادهم وقولها (وانى سميتها مريم) استدل به على تسمية المولود يوم يولد وكما ثبت في الصحيحين عن أنس في ذهابه باخيه الى رسول الله (ص) فحكى اخاه وسماه عبد الله . وجاء في حديث الحسن عن سمرة مرفوعاً « كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه » رواه احمد وأهل السنن وصححه الترمذى وجاء في بعض ألفاظه ويدعى بدلى ويسمى وصححه بعضهم والله أعلم . وقولها (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرحيم) قد استجيب لها في هذا كما قبل منها نذرها فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مامن مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان اياه إلا مريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة وقرأوا ان شئتم (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرحيم) أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن احمد بن الفرج عن بقية عن عبد الله بن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وقال احمد أيضاً حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذؤيب عن عجلان مولى المشعل عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (كل مولود من بني آدم يمسه الشيطان باصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى) . تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وقال احمد حدثنا هشيم حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن ابيه عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال (كل انسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضينه إلا ما كان من مريم وابنها ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ قالوا بلى يا رسول الله قال ذلك حين يلكزه الشيطان بحضينه وهذا على شرط مسلم ولم يخرجوه من هذا الوجه ورواه قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (مامن مولود إلا وقد عصمه الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم) ثم قرأ رسول الله (ص) (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرحيم) وكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي (ص) باصل الحديث . وقال الامام احمد حدثنا عبد الملك حدثنا المغيرة هو ابن عبد الله الخزاعي عن ابى الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (كل بنى آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب) . وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقوله (فتقبلها ربها بقبول حسن وابنتها نبأاً حسناً وكفلها زكريا) ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها في خروجها ثم خرجت بها

الى المسجد فسلمتها الى العباد الذين هم مقيمون به وكانت ابنة امامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها . والظاهر انها انما سلمتها اليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها . ثم لما دفعتها اليهم تنازعوا في أيهم يكفلها وكان زكريا فيهم في ذلك الزمان وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل أن زوجته اختها أو خالتها على القولين فشاحوه في ذلك وطلبوا أن يقترح معهم فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبية لهم وذلك أن الخالة بمنزلة الأم . قال الله تعالى (وكفلها زكريا) أى بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) . قالوا وذلك أن كلا منهم ألقى قلبه معروفا به ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمروا غلاما لم يبلغ الحنث فخرج واحدا منها وظهر قلم زكريا عليه السلام فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر فأبهم جرى قلبه على خلاف جريه في الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذى جرى على خلاف جريه الماء وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترعوا فآلته فابهم جرى قلبه مع الماء ويكون بقية الاقلام قد انعكس سيرها صعدا فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها اذ كان احق بها شرعا وقدراً لوجوه عديدة . قال الله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) قال المفسرون اتخذها زكريا مكانا شريفاً من المسجد لا يدخله سواه فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سداة البيت اذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بنى اسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال السكرية والصفات الشريفة حتى انه كان نبى الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غريباً في غير أوانه فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها (أنى لك هذا فتقول هو من عند الله) أى رزق رزقيه الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وان كان قد اسن وكبر (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) . قال بعضهم قال يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه هب لى ولداً وان كان في غير أوانه فكان من خبره وقضيته ما قدمنا ذكره في قصته . (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين . ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون . إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون . ويعلم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد

جسكم بآية من ربكم أنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فافخ فيه فيكون طيراً بلذن الله وأبرى.
الأنكه والأبرص وإحيى الموتى بلذن الله وأنبشكم بما نأكلون وما تدخرون فى يوتكم ان فى ذلك لآية
لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجسكم
بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها بأن اختارها
لايجاد ولد منها من غير أب وبشرت بان يكون نبياً شريعياً (يكلم الناس فى المهد) أى فى صغره يدعوهم
الى عبادة الله وحده لا شريك له وكذلك فى حال كهولته فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو الى الله فيها
وأمرت بكثرة العبادة والتقوى والسجود والركوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة فيقال
إنها كانت تقوم فى الصلاة حتى تغطرت قدمها رضى الله عنها ورحمها وأبها فقول الملائكة
(يا مريم ان الله اصطفاك) أى اختارك واجتباك (وطهرك) أى من الاخلاق الرذيلة واعطاك الصفات الجميلة
(واصطفاك على نساء العالمين) . يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى انى اصطفيتك على
الناس وكقوله عن بنى اسرائيل (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) ومعلوم أن ابراهيم عليه السلام افضل
من موسى وان محمداً (ص) افضل منهما وكذلك هذه الامة افضل من سائر الامم قبلها وأكثر
عدداً وافضل علماً وازكى عملاً من بنى اسرائيل وغيرهم . ويحتمل أن يكون قوله (واصطفاك على نساء
العالمين) محفوف المصوم فتكون افضل نساء الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها لانها إن كانت نبيه على
قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم اسحاق ونبوة أم موسى محتجاً بكلام الملائكة والوحى الى أم
موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره فلا يمتنع على هذا أن يكون مريم افضل من سارة وأم موسى
لمصوم قوله (واصطفاك على نساء العالمين) إذ لم يارضه غيره والله أعلم هو أما قول الجمهور كما قد حكاه أبو
الحسن الاشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس فى النساء نبيه فيكون
أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد دخلت من قبله الرسل وامه صديقة)
فلى هذا لا يمتنع أن تكون افضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها ومن يكون بعدها والله أعلم .
وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضى الله عنهن
وأرضاهن .

وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عديدة عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله (ص) خير نسائها
مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن
متادة عن انس قال قال رسول الله (ص) (حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية

امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) ورواه الترمذى عن ابى بكر بن زانجويه عن عبد الرزاق به وصححه ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن ابى جعفر الرازى وابن عساكر من طريق تميم بن زياد كلاهما عن ابى جعفر الرازى عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله (ص)، خير نساء العالمين اربع (مریم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رسول الله) وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قال كان أبو هريرة يحدث أن النبي (ص) قال خير نساء ركنين الابل صالح نساء قريش احناه على ولد في صغره وارعاه لزوج في ذات يده قال أبو هريرة ولم ترك مریم بعيراً قط . وقد رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به . وقال احمد حدثنا زيد بن الجلباب حدثني موسى بن علي سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص)، خير نساء ركنين الابل نساء قريش احناه على ولد في صغره وأرافه بزواج على قلة ذات يده قال أبو هريرة وقد علم رسول الله (ص)، أن ابنة عمران لم ترك الابل تفرد به وهو على شرط الصحيح * ولهذا الحديث طرق اخر عن أبي هريرة * وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن ابى الفرات عن علباء بن احمر عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله (ص)، في الارض أربع خطوط فقال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم فقال رسول الله (ص)، أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومریم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ورواه النسائي من طرق عن داود أبي هند . وقد رواه ابن عساكر من طريق ابى بكر عبد الله بن ابى داود سليمان بن الاشعث حدثنا يحيى بن حاتم العسكري نبأنا بشر بن مهران بن حمدان حدثنا محمد بن دينار عن داود بن بى هند عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص)، حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم ومریم بنت عمران . وقال أبو القاسم البغوي حدثنا وهب بن منبه حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة انها قالت لفاطمة أرأيت حين اكبتت على رسول الله (ص)، فبكيت ثم ضحكت قالت اخبرني انه ميت من وجهه هذا فبكيت ثم اكبتت عليه فاخبرني اني أسرع أهله لحوقه واني سيدة نساء أهل الجنة إلا مریم بنت عمران فضحكت واصل هذا الحديث في الصحيح . وهذا اسناد على شرط مسلم وفيه انهما أفضل الاربع المذكورات . وهكذا الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن يزيد هو ابن ابى زياد عن عبد الرحمن بن ابى نعيم عن ابى سعيد قال قال رسول الله (ص)، فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان من مریم بنت عمران اسناد حسن وصححه الترمذى ولم يخرجوه وقد روى نحوه من حديث على بن ابى طالب ولكن في اسناده ضعف * والمقصود أن هذا يدل على أن مریم وفاطمة أفضل هذه الاربع . ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مریم أفضل من فاطمة ويحتمل أن يكونا على السواء .

في الفضيلة لكن ورد حديث ان صح عين الاحتمال الأول فقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر انبأنا أبو الحسن بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابننا البنا قالوا انبأنا أبو جعفر بن المسعدة انبأنا أبو طاهر المخلص حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون فان كان هذا اللفظ محفوظاً بهم التي للترتيب فهو مبين لاحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء وتقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بواو العطف التي لا تمتضي الترتيب ولا تنفيه والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي عن داود الجعفي عن عبد العزيز بن محمد وهو الدرر وردي عن ابراهيم بن عقبة عن كريب عن ابن عباس مرفوعاً فذكره بواو العطف لاثم الترتيبية مخالفه اسناداً ومتناً فالله أعلم . فاما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله (ص)، كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة الا أبو داود من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله (ص)، كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . فانه حديث صحيح كما ترى اتفاق الشيخان على اخراجه ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية ولعل المراد بذلك في زمانها فان كلا منهما كفلت نبيّاً في حال صغره فآسية كفلت مومى السكيم ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله فلا ينفي كمال غيرها في هذه الأمة كخديجة وفاطمة وخديجة خدمت رسول الله (ص)، قبل البعثة خمسة عشر سنة وبعدها ازيد من عشر سنين وكانت له وزير صدق بنفسها وماله رضى الله عنها وارضاهها وأما فاطمة بنت رسول الله (ص)، فانها خصت بمزيد فضيلة على اخواتها لانها اصيبت برسول الله (ص)، وبقية اخواتها متن في حيات النبي (ص)، وأما عائشة فانها كانت أحب أزواج رسول الله (ص)، اليه ولم يتزوج بكر غيرها ولا يعرف في سائر النساء في هذه الامة بل ولا في غيرها أعلم منها ولا أهم وقد غار الله لها حين قال لها أهل الافك ما قالوا فانزل برائتها من فوق سبع سموات وقد عمرت بعد رسول الله (ص)، قريباً من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة وتفتي المسادين وتصلح بين المختلفين وهي أشرف أمهات المؤمنين حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين والاحسن الوقف فيهما رضى الله عنهما وما ذاك الا لأن قوله (ص)، بوفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام يحتمل أن يكون عاما بالنسبة الى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عاما بالنسبة الى ماعدى المذكورات والله أعلم

والمقصود ههنا ذكر ما يتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام فإن الله طهرها واصطفاهَا على نساء عالمي زمانها ويمجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا . وقد ورد في حديث أنها تكون من أزواج النبي (ص) في الجنة هي واسية بنت مزاحم . وقد ذكرنا في التفسير عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله ثيبات وابكارا قال فالتيب اسية ومن الابكار مريم بنت عمران . وقد ذكرناه في آخر سورة التحريم فافقه أعلم .

قال الطبراني حدثنا عبد الله بن نجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثنا أبي أن أبا عبيد الله الحسين حدثنا يونس بن قبيع عن سعد بن جندادة هو العوفي قال قال رسول الله (ص) إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن عرعرة حدثنا عبد النور بن عبد الله حدثنا يونس بن شبيب عن أبي أمامة قال قال رسول الله (ص) أشمرت أن الله زوجني مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلم أخت موسى رواه ابن جعفر العقيلي من حديث عبد النور به وزاد قلت هنياً لك يا رسول الله . ثم قال العقيلي وليس بمحفوظ . وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن يعلى بن المغيرة عن ابن أبي داود قال دخل رسول الله (ص) على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها بالكه منى ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكه خيراً كثيراً أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين * وروى ابن عساكر من حديث محمد بن زكريا الغلابي حدثنا العباس بن بكار حدثنا أبو بكر الهزلي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) دخل على خديجة وهي في مرض الموت فقال يا خديجة إذا لقيت ضرائك فاقترهن منى السلام قالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلم أخت موسى وروى ابن عساكر من طريق سويد بن سعيد حدثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال نزل جبريل إلى رسول الله (ص) بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله (ص) إذ مرت خديجة فقال جبريل من هذه يا محمد قال هذه صديقة أمتي قال جبريل منى إليها رسالة من الرب عز وجل يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بهيد من الذهب لا نصب فيه ولا صخب قالت الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ما ذلك البيت الذي من قصب قال لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم وهما من أزواج يوم القيامة . وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب في الصحيح ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جداً . وكل من هذه الأحاديث في أسانيدنا خطر . وروى ابن عساكر من حديث أبي زرعة الدمشقي حدثنا عبد الله بن صالح

حدثني معاوية عن صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان عن كعب الاحبار أن معاوية سأل عن الصخرة
يعني صخرة بيت المقدس قال الصخرة على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة مريم
بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظران سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة. ثم رواه من طريق اسماعيل
عن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن مسعود عن عبد الرحمن عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت عن
النبي (ص) بمثله وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع قد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح
عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن عن ابن عابد أن معاوية سأل كعبا عن صخرة بيت المقدس
فذكره قال الحافظ بن عساكر وكونه من كلام كعب الاحبار أشبه. قلت وكلام كعب الاحبار هذا انما
تلقاه من الاسرائيليات التي منها ما هو مكذوب مقنع وضمه بعض زنادقهم أو جهالهم وهذا منه والله أعلم *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى (واذ كر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فانخذت من دونهم
حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرآ سويا. قالت انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال انما أنا
رسول ربك لا هب لك غلاما زكيا. قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال
ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا. فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها
المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مات قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد
جعل ربك تحتك سريا. وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك ريبا جنيا فكلى واشربى قرى عينا فاه
ترين من البشر أحداً قولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا. فانت به قومها تحمله قالوا
يامريم لقد جئت شيئا فريا. ياأخت هرون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أمك بغيا فاشارت اليه قالو
كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا. وجعلنى مباركا ابنا كنت
وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بالدينى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم
أموت ويوم أبعث حيا. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه
اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربه وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فاختلف الاحزاب
من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم.)

ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي مى كالمقدمة لها والتوطئة فيها كما ذكر فى سورة آل عمران
قرن بينهما فى سياق واحد وكما قال فى سورة الانبياء (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تدركنى فردا وانت خير
الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا
ورهباً وكانوا لنا خاشعين. والى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابناً آية للعالمين)

وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس وأنه كفنها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام وأنه اتخذ لها محراباً وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه وإنما لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام وأنها خاطبتها الملائكة بالشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولداً زكياً يكون نبياً كريماً طاهراً مكرماً مؤيداً بالمعجزات فتعجبت من وجود ولد من غير والد لأنها لا زوج لها ولا هي ممن تزوج فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون فاستكانت لذلك وانابت وسمت لأم الله وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها فإن الناس يتكلمون فيها بسببه لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر. وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فينبأ هي يوماً قد خرجت لبعض شؤونها (وانتبهت) أي انفردت وحدها شرق المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سوياً) فلما رآته (قالت إني أعوذ بالرخن منك إن كنت تقياً). قال أبو العالية علمت أن التقي ذونيةة وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقي فان هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الأقوال (قال إنما أنا رسول ربك) أي خاطبها الملك قائلاً إنما أنا رسول ربك لست بيشر ولكني ملك بشى الله اليك (ليهب لك غلاماً زكياً) أي ولداً زكياً (قالت إني يكون لي غلام) أي كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد (ولم يمسنى بشر ولم أك بقياً) أي ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي فاجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلاً (كذلك قال ربك) أي وعد أنه سيخلق منك غلاماً ولست بذات بعل ولا تسكونين ممن تبغين (هو على هين) أي وهذا سهل عليه ويسير لديه فانه على ما يشاء قدير. وقوله (ولنجعله آية للناس) أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كل قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى. وقوله (ورحمه منا) أي نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفولته وكهولته بأن يفرّدوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ صاحبة والاولاد والشركاء والنظراء والاضداد والانداد. وقوله (وكان أمراً مقضياً). يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها يعني أن هذا أمر قد قضاه الله وحتمه وقدره وقرره وهذا معنى قول محمد بن اسحاق واختاره ابن جرير ولم يحك سواه والله أعلم. ويحتمل أن يكون قوله (وكان أمراً مقضياً) كناية عن فسخ جبريل فيها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا). فذكر غير واحد من السلف أن جبريل فسخ في جيب درعها فتزلت

النفخة الى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها. ومن قال انه فنفخ في فيها أو ان الذي كان يحاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فيها قوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن فان هذا السياق يدل على أن الذي أرسل اليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام وانه إنما فنفخ فيها ولم يواجهه الملك الفرج بل فنفخ في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا) يدل على أن النفخة ولجت فيه لافي فيها كما روى عن أبي بن كعب ولا في صدرها كما رواه السدي بإسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى (فحملته) أي حامت، ولدها (فانتبذت به مكناً قصياً) وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعاً وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقها فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه انها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بنى اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً وذلك لما يعلم من دياتها وزايتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبل وليس لها زوج ففرض لما ذات يوم في الكلام فقال يا مريم هل يكون زرع من غير بذر قالت نعم فمن خلق الزرع الأول . ثم قال فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر قالت نعم فمن خلق الشجر الاول ثم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ان الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال لها فأخبريني خبرك فقالت إن الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجبها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سألها فأجابته بمثل هذا والله أعلم *

وذكر السدي بإسناده عن الصحابة أن مريم دخلت يوماً على أختها فقالت لها أختها اشعرت أنى حبل فقالت مريم وشعرت أيضاً أنى حبل فاعتنقتهما وقالت لهما أم يحيى إنى أرى ما في بطنى يسجد لما في بطنك وذلك قوله (مصداقاً بكلمة من الله) ومعنى السجود ههنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم * وقال أبو التمام قال مالك بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاً فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم انى أرى ما في بطنى يسجد لما في بطنك قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله تعالى جعله يحيى الموتى ويبرى الأكمه والأبرص. رواه ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد قال قالت مريم كنت إذا خلوت حدثني وكلني وإذا كنت بين الناس سبح في بطنى *

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن إذ لو كان خلاف ذلك لذكر . وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعت قال بعضهم حملت به تسع ساعات واستأنسوا لذلك بقوله (فحملته فانتبذت به مكناً قصياً فاجاءها

المخاض الى جذع النخلة) والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه لقوله (فتصبح الأرض مخضرة) وكقوله (فخلقنا النطفة علقه فخلقنا الملقحة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) * ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه .

قال محمد بن اسحاق شاع واشتهر في بني اسرائيل أنها حامل فادخل على أهل بيت ملاخل على آل بيت زكريا . قال واتهما بعض الزنادقة يوسف الذي كان يتعبد . منها في المسجد وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت مكافأ قصيا وقوله (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) أي فاجأها واضطرها الطلق الى جذع النخلة وهو بنص الحديث الذي رواه النسائي بإسناد لا بأس به عن أنس مرفوعاً والبيهقي بإسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً بيت لحم الذي بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ما سنده . هذا البناء المشاهد المائل (قالت باليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتن وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيمهم بسلام على يدها مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات اليه المتكفات فيه ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمننت ان لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت (نسياً منسياً) أي لم تخلق بالكلية . وقوله (فناداها من تحتها) وقرىء من تحتها على الخفض وفي المضمر قولان أحدهما أنه جبريل قاله العوفي عن ابن عباس قال ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم وهكذا قال سعيد بن جبير وعمر بن ميمون والضحاك والسدي وقناة . وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير . وقوله (أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً) قبل النهر واليه ذهب الجمهور . وجاء فيه حديث رواه الطبراني لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والريعي بن أنس وابن اسلم وغيرهم أنه ابنها والصحيح الأول لقوله (وهزى اليك بمجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) فذكر الطعام والشراب ولهذا قال (فكلى واشربى وقرى عينا) . ثم قيل كان جذع النخلة يابساً وقيل كانت نخلة مشرة فله أعلم . ويحتمل أنها كانت نخلة لكنها لم تكن مشرة إذ ذاك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتثال (تساقط عليك رطباً جنياً) قال عمرو بن ميمون ليس شيء أجود لانتفاء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسروق بن سعيد التميمي حدثنا محمد بن عمرو بن الانصاري عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله (س) : (أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله (س) : (أطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها

مریم بنت عمران . وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن شيبان بن فروخ عن مسروق بن سعيد وفي رواية مسرور بن سعد . والصحيح مسرور بن سعيد التميمي أورد له ابن عدى هذا الحديث عن الأوزاعي به ثم قال وهو منكر الحديث ولم اسمع بذكره إلا في هذا الحديث . وقال ابن حبان يروى عن الأوزاعي المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها . وقوله (فلما ترين من البشر أحداً تقولى إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) . وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قل (كلى واشربى وقرى عينا فلما ترين من البشر أحداً) أى فإن رأيت أحداً من الناس (تقولى) له أى بلسان الحال والاشارة (إني نذرت للرحمن صوماً) أى صمتاً وكان من صومهم فى شريعتهم ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدى وابن اسلم ويدل على ذلك قوله (فلن أكلم اليوم إنسياً) فلما فى شريعتنا فكره للصائم صمت يوم إلى الليل . وقوله تعالى (فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً . يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا فى طلبها فمروا على محلتها والأنوار حولها فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها (يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) أى امرأ عظيماً منكراً . وفى هذا الذى قالوه نظر مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملت بنفسها وامت به قومها وهى تحمله * قال ابن عباس وذلك بعد ما تمت من نفاسها بعد أربعين يوماً *

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها (قولوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) والفريه هى الفعلة المنكرة العظيمة من الفعّال والمقال ثم قالوا لها (يا أخت هرون) قيل شبهوها بما بد من عباد زمامهم كانت تساميه فى العبادة وكان اسمه هرون وقيل شبهوها برجل فاجر فى زمامهم اسمه هرون . قاله سعيد بن جبير وقيل أرادوا بهرون أخا موسى شبهوها به فى العبادة . واخطأ محمد بن كعب القرظى فى زعمه أنها أخت موسى وهرون نسباً فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يبرده عن هذا القول الفظيع وكأنه غره أن فى التوراة أن مريم أخت موسى وهرون ضربت بالدف يوم نجا الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملأه فاعتقد أن هذه هى هذه وهذا فى غية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن فى قرئانه فى التفسير مطولاً والله الحمد والمنة . وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لما أخ اسمه هرون وليس فى ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن ادريس سمعت أبى يذكره عن سفيان عن عتبة ابن وائل عن المغيرة بن شعبه قال بشئ رسول الله (س) . إلى نجران فقالوا أرأيت ما تقرأون (يا أخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله (س) فقال (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم) وكذا رواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث

عبد الله بن إدريس وقال الترمذى حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه وفي رواية (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء صالحهم وأنبيائهم) وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثر من التسمية بهرون حتى قيل إنه حضر بعض جنازتهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهرون أربعون ألفاً فله أعلم *

والمقصود أنهم قالوا (يا أخت هرون) ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسي اسمه هرون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير ولهذا قالوا (ما كان أبوك امرأة سوء وما كانت أمك بغياً) أى است من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالذاهية الدهياء فذكر ابن جرير في تاريخه أنهم اتهموا بها زكراً وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك أبليل بطرف رذاته فقتلوه فيها كما قدمنا ، ومن المناقنين من اتهمها بآبى خالها يوسف بن يعقوب النجار فداضق الحال وانحصر الحال وامتنع المقال عظم التوكل على ذى الجلال ولم يبق إلا الاخلاص والاتكال (فأشارت إليه) أى خاطبوه وكلموه فان جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه . فعندها (قالوا) من كان منهم جباراً شقياً (كيف نكلم من كان فى المهد صيباً) أى كيف تحبيلنا فى الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع فى مهده ولا يميز بين محض وزبده وما هذا منك إلا على سبيل التهمك بنا والاستهزاء والتقص لنا والازدراء إذ لا تردن علينا ولا نطقيا بل تحبيلن فى الجواب على من كان فى المهد صيباً فعندها (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبراً بالذي لم يجعلني جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) . هذا أول كلام تنفوه به عيسى بن مريم فكان أول ما تكلم به أن (قال انى عبد الله) اعترف لربه تعالى بالعبودية وأن الله ربه فتره جناب الله عن قول الظالمين فى زعمهم انه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته ثم برأ أمه مما نسبها اليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبياً) فان الله لا يعلى النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم كما قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) وذلك أن طائفة من اليهود فى ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنا فى زمن الحيض لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة وأخذ ولدها نبياً مرسلأ أحد أولى العزم الحسة الكبار ولهذا قال (وجعلني مباركا أينما كنت) وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وتره جنابه عن التقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) وهذه وظيفة العبيد فى التيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والاحسان إلى الخليفة بالزكاة وهى تشتمل على طهارة النفوس من الاحلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالمعاطية للمعاصي على اختلاف الاصناف وقرى الاضياف القنات على الزوجات والارقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات . ثم قال (وبراً بالذي

ولم يجعلني جباراً شقياً) أي وجباني برأ بالذات وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والد له سواها فسبحان من خلق الخلقية وبرأها وأعطى كل نفس هداها . (ولم يجعلني جباراً شقياً) أي لست بفظ ولا غليظ ولا يصدر مني قول ولا فعل يناق أمر الله وطاعته * (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) . وهذه الأماكن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام . ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضعه وشرحه قال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمراً فاتماً يقول له كن فيكون) كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران (ذلك تلووه عليك من الآيات والذكر الحكيم) * إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسأكم وأنفسكم ثم نبهل لئنا الله على الكاذبين * إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم * فان تولوا فان الله عليهم بالفسدين) * ولهذا لما قدم وفد نجران وكاثوا ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة فجعلوا يناظرون في أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله وأمر رسوله بأن يباهلهم أن لم يستجيبوا له ويتبعوه فلما رأوا عينيها واذننها نكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسألة والموادعة وقال نائلهم وهو العاقب عبد المسيح يامعشر النصارى لقد علمتم أن محمداً لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم أنه مالا عن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانها للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد آيتم الا الف - ينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فطلبوا ذلك من رسول الله (ص) وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلاً أميناً فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك في تفسير آل عمران وسببنا في بسط هذه القضية في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى وبه الثقة *

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح قال لرسوله (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) يعني من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ولهذا قال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمراً فاتماً يقول له كن فيكون) أي لا يعجزه شيء ولا يكثره ولا يؤوده بل هو القدير الفاعل لما يشاء (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقوله (إني الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هو من تمام كلام عيسى لهم في المنهد أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلههم والههم وأن هذا هو الصراط المستقيم . قال الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

أى فاختلف أهل ذلك الزمان ومن بدم فيه فن قاتل من اليهود إنه ولد ذية واستمروا على كفرهم وعنادهم وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكلته ألقاها إلى مريم ، وروح منه وهؤلاء هم الناجون المئابون المؤيدون المنصورون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم العلى العظيم الحكيم العليم بقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

قال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل أنبأنا الوليد حدثنا الاوزاعى حدثنى عمير بن هانىء حدثنى جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت عن النبى (ص) قال (من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) قال الوليد حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير عن جنادة وزاد من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء . وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن جابر به ومن طريق أخرى عن الاوزاعى به *

باب بيان لق الله تعالى منزلة عن الولد

قال تعالى في آخر هذه السورة (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادّاءً) أى شيئاً عظيماً ومنكراً من القول وزوراً (تكاد السوات ينفطرون منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأً . أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والارض إلا آتى الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدم عدأً * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) فبين أنه تعالى لا يبنى له الولد لانه خالق كل شيء ومالكة وكل شيء قدير اليه ، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والارض عبيده وهو ربهم لا إله الا هو ولا رب سواه كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * يدعى السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) * فبين أنه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين والله تعالى لا نظير له ولا شبه له ولا عدل له فلا صاحبة له فلا يكون له ولد كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) تقرر أنه الاحد الذى لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله (السمد) وهو السيد الذى كل في علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته (لم يلد) أى لم يوجد منه ولد

(ولم يولد) أى ولم يتولد عن شئ قبله (ولم يكن له كفواً أحد) أى وليس له عدل ولا مكافئ. ولا مساو قطع النظر المدانى الأعلى والمساوى فاتفق أن يكون له ولد إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين شيئين متعادلين أو متقارنين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً * وقال تبارك وتعالى وتقدس (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تهولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكنهه ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تهولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكنى بالله وكلاماً * لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم وبزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً).

ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والاطراء في الدين وهو مجاوزة الحد فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله وابن أمته العذراء البتول التي أحصنت فرجها فبعث الله الملك جبريل إليها فنفخ فيها عن أمر الله نفخة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة الى الله اضافة تشريف وتكريم وهي مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال بيت الله وثاقة الله وعبد الله وكذا روح الله أضيفت إليه تشريفاً لها وتكريماً. وسمى عيسى بها لانه كان بها من غير أب وهي الكلمة أيضاً التي عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون). وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فأتى ما يقول له كن فيكون). وقال تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون). فآخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله كل من الفريقتين ادعوا على الله شططا وزعموا أن له ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما اتفقوا عليه الا مجرد القول ومثابهة من سبقهم الى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم وذلك أن الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا أن العقل الاول صدر عن واجب الوجود الذي يميزون عنه بطله الملل والمبدأ الاول وأنه صدر عن العقل الاول عقل ثن ونفس وفلك ثم صدر عن الثاني كذلك حتى تنهات العقول الى عشرة والنفس الى تسعة والافلاك الى تسعة باعتبارات فاسدة ذكرها واختيارات باردة أوردوها ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع آخر. وهكذا طوائف من مشركي العرب زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله وأنه صاهر سرورات الجن فتولد منهما الملائكة تعالى الله عما

يقولون وتنزه عما يشركون كما قال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا شهدوا خلقهم
 مستكتبين شهادتهم ويسألون) وقال تعالى (فاستقموا ربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا
 وهم شاهدون الا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم
 كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابتكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين
 الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) . وقال تعالى
 (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرهون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم
 وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك
 نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) . وقال تعالى في أول سورة الكهف وهي مكية (الحمد لله الذي
 أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قبيها لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
 الصالحات أن لهم أجرا حسنا ما كثين فيه أبدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا
 لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) . وقال تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
 هو الغفى له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل
 إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم ألينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد
 بما كانوا يكفرون) فهذه الايات المسكيات الكريمات تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسنة
 ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن الله ولدا سبحانه وتعالى عما يقول
 الظالمون المتدنون علوا كبيرا .

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا
 في القرآن كثيرا لرد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم وقد تنوعت اقوالهم في كفرهم
 وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض « وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب . قال الله
 تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) . فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل
 يختلف ويضطرب . فطائفة من ضلالهم وجهلهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى وطائفة قالوا هو ابن الله
 عز الله وطائفة قالوا هو ثالث ثلاثة جل الله . قال الله تعالى في سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن
 الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في
 الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) . فآخبر
 تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه انما القادر على كل شيء المتصرف في كل شيء وأنه رب كل شيء
 ومليكه واله . وقال في أواخرها (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح
 بغير اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين

من أنصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد وان لم ينهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يا كلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يؤفكون) (حكم تعالى بكفرهم شرعا وقدرا فلخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول اليهم هو عيسى بن مريم قد بين لهم أنه عبد مربوب مخلوق مصور في الرحم داع الى عبادة الله وحده لا شريك له وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والغزى في الدار الآخرة والهوان والعار ولهذا قال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ثم قال (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد) قال ابن جرير وغيره المراد بذلك قولهم بالاقانيم الثلاثة . أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الاب الى الابن على اختلافهم في ذلك ما بين الملائكة واليعقوبية والنسطورية عليهم لعائن الله كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك وجماعهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطنس وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة ولهذا قال تعالى (وما من إله الا إله واحد) أى وما من إله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولا كفوء له ولا صاحبة له ولا ولد ثم توعدهم وتهديم فقال (وان لم ينهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) ثم دعاهم برحمته ولطفه الى التوبة والاستغفار من هذه الامور السكبار والعظام التي توجب النار فقال (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم بين حال المسيح وامه وانه عبد رسول وأمه صديقة أى ليست فاجرة كما يقوله اليهود لنهم الله وفيه دليل على أنها ليست بنبيه كما زعمه طائفة من عدائنا وقوله (كانا يا كلان الطعام) كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما اى ومن كان بهذه المثابة كيف يكون لها تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا * وقال السدى وغيره المراد بقوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة زعمهم في عيسى وأمه أنها الالهان مع الله يعنى كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة (واذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى الهين من دون الله . قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد عفته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد . لمن تعذبهم فأتهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) . يخبر تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم يوم القيامة على سبيل الاكرام له والتفريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله أو أنه الله أو أنه شريكه تعالى الله عما يقولون فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى الهين من دون الله قال سبحانك) أى تعاليت أن يكون معك شريك

(ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي ليس هذا يستحقه أحد سواك (وإن كنت قتله قد علمت
تعليم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أنت علام الغيوب) . وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب
(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) حين أرسلتني إليهم وأنزلت على الكتاب القى كان يتلى عليهم ثم فسر
ما قال لهم بقوله (أن أعبدوا الله ربي وربكم) أي خالتي وخالفكم ورازقي ورازقكم (وكنت عليهم
شهيذاً ملأمت فيهم فلما توفيتني) أي رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلبي فرحتني وخلصتني منهم
والقيت شهيبي على أحدهم حتى اتفقوا به فلما كن ذلك (كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء
شهيد) . ثم قال على وجه التفويض إلى الرب عز وجل والتبري من أهل النصرانية (إن تعذبهم فاعذبهم
عبادك) أي وهم يستحقون ذلك (وإن تغفر لهم فإني أنا الغفور الرحيم) . وهذا التفويض والاستناد
إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك ولهذا قال (فإني أنا الغفور الرحيم) ولم يقل الغفور الرحيم
وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الإمام أحمد عن أبي ذر أن رسول الله (ص) قام بهذه الآية السريفة
ليلة حتى أصبح (إن تعذبهم فاعذبهم عبادك وإن تغفر لهم فإني أنا الغفور الرحيم) وقال إني سألت
ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً . وقال (وما
خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لآخذناهم من أدناهم وإن كنا فاعلين بل خذف
بالحق على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . وله من في السموات والأرض ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وقال تعالى (لو
أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والأرض
بالحق يكرر الليل على النهار ويكرر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو
العزيز الغفار) . وقال تعالى قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحانه رب السموات والأرض
رب العرش عما يصفون) وقال تعالى (وقيل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الدن ولا من الدين) وقال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفواً أحد) وثبت في الصحيح عن رسول الله (ص) أنه قال يقول الله تعالى (شئتني ابن آدم
ولم يكن له ذلك يزعم أن لي ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد) وفي
الصحيح أيضاً عن رسول الله (ص) أنه قال لا أحد أصبر على أختي سمع من الله لهم يملكون له ولداً
وهو يرزقهم ويصافهم ولكن ثبت في الصحيح أيضاً عن رسول الله (ص) أنه قال إن الله يبلي لظالم
حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليه شديد)
وعكذا قوله تعالى (وكان من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخفيتها على المصير) وقال تعالى (نتهمهم
قليلاً ثم فضطرم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)

متاع في الدنيا ثم البنا مرجهم ثم قد يقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (فهل للكافرين
أهلهم دويدا) *

منشأ عيسى بن مريم عليهما السلام وسيلان بروا إلى الله تعالى

قد تقدم أنه ولد بيت لحم قريبا من بيت المقدس وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وان مريم
سافرت هي ويوسف بن يعقوب التجار وهي را كبة على حمار ليس بينهما وبين الا كاف شئ وهذا
لا يصح والحديث الذي تقدم ذكره دليل على أن مولده كان بيت لحم كما ذكرنا ومهما عارضه فباطل
وذكر وهب بن منبه أنه لما ولد خرت الاصنام يومئذ في مشارق الارض ومقارها وان الشياطين
حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم ايليس الكبير أمر عيسى فوجدوه في حبرامه والملائكة محدة
به وانه ظهر نجم عظيم في السماء وأن ملك الفرس اشفق من ظهوره فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا هذا
لمولد عظيم في الارض فبعث رساله ومعهم ذهب ومرويلان هدية الى عيسى فلما قدموا الشام سألهم ملكهم
عما أقدمهم فذكروا له ذلك فقال عن ذلك الوقت فاذا قد ولد فيه عيسى بن مريم بيت المقدس واشتهر
أمره بسبب كلامه في المهد فارسلهم اليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليحوصل الى قتله اذا افتروا
عنه فلما وصلوا الى مريم بالمدينا ورجعوا قبل لما ان رسل ملك الشام اتما جاؤا ليقتلوا ولذك فاحتمته
فذهبت به الى مصر فاقامت به حتى بلغ عمره اثنتي عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات في
حال صفه * فذكر منها أن الدهقان الذي تزوا عنده افتقد مالا من داره وكانت داره لا يسكنها الا انفقراء
والضعفاء والمحاويج فلم يدر من أخذه وهر ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل
وأعيام أسرها فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد الى رجل اعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع
اليه فقال للاعمى إحمل هذا المقعد واتمسك به فقال إني لا أستطيع ذلك فقال لي كاهلت أنت وهو حين
أخذ تما هذا المال من تلك السكوة من الدار فلما قل ذلك صدقاني قال وأتيا بالمال فظم عيسى في أعين
الناس وهو صغير جليلاً

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب ظهور أولاده فلما اجتمع الناس وأطعمهم
ثم أراد أن يسقيهم شرابا يعني خمرًا كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في جواره شيئاً فشق ذلك
عليه فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويمر يمد على أفواهها فلا يفضل بجرة منها
ذلك إلا امتلأت شرابا من خيار الشراب * فتعجب الناس من ذلك جداً وعظموه وعرضه اعلمه

وعلى أمه مالا جزيلاً فلم يقبله وارتحلاً قاصدين بيت المقدس والله أعلم *

وقال اسحاق بن بشر أنبأنا عثمان بن ساج وغيره عن موسى بن وردان عن أبي فضرة عن أبي سميد وعن مكحول عن أبي هريرة قال إن عيسى بن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفل فحمد الله تمجيداً لم تسمع إلا أن يمثله لم يدع شمساً ولا قمرًا ولا جبلاً ولا نهراً ولا عبناً إلا ذكره في تمجيدته فقال (اللهم أنت القريب في علوك المتعال في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك . أنت الذي خلقت سبعاً في الهواء بكلماتك مستويات طباقاً اجبن وهن دخان من فرقك فاتين طائفات لا مرك فيهن ملائكتك يسبحون قدسك لتقديسك وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالنهار وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد فبعزتكم يحلوا ضوء ظلمتكم وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بهن في الظلمات الحيران فتباركت اللهم في مفطور سمواتك وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار الموج الفامر فاذلتها اذلال التظاهر فذل لطاعتك صعبها واستحي لا مرك أمرها وخضعت لمركتكم أمواجها ففجرت فيها بعد البحور الانهار ومن بعد الانهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الفزار . ثم أخرجت منها الانهار والاشجار والثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال فوئدتها أو قلدا على ظهر الماء فاطاعت أطوارها وجلودها فتباركت اللهم فمن يبلغ نعمته نعتك أمن يبلغ بصفته صفتك تفشر السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين لإله إلا أنت سبحانك أمرت أن نستغفرك من كل ذنب لا إله إلا أنت سبحانك سترت السموات عن الناس لا إله إلا أنت سبحانك إنما يشاك من عبادك إلا كياس نشهد أنك لست بالله استحدثناك ولا رب يبيد ذكره ولا كان معك شركاء فندعوم ونذكرك ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك نشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفوا أحد)

وقال اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس إن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلاً حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم انطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان فكثر اليهود فيه وفي أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البغية وذلك قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) قال فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب فجعل لا يملأه العلم شيئاً إلا بدده إليه فعلمه أباجاد فقال عيسى ما أبوجاد فقال المعلم لأدرى فقال عيسى كيف تعلمي ما لا تدري فقال المعلم إذا فعلني فقال له عيسى قم من مجلسك فقام فجلس عيسى محله فقال سلمني فقال المعلم ما أبوجاد فقال عيسى (ألاف آلا . الله . والباء بهاء الله والجيم بهجة الله وجماله) فمجبب المعلم من ذلك فكان أول من فسر أباجاد . ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله (ص) عن ذلك فأجابه على كل كلمة بمحدث طويل موضوع

لا يسأل ولا يتأدى وهكذا روى ابن عدى من حديث اسماعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عن حده عن ابن مسعود وعن مسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد رفع الحديث في دخول عيسى الى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرح به * ثم قال ابن عدى وهذا الحديث باطل بهذا الاسناد لا يرويه غير اسمعيل وروى ابن لميعة عن عبد الله بن هبيرة قال كان عبد الله بن عمر يقول (كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لاحدكم تريد أن أخبرك ماخبأت لك أمك فيقول نعم فيقول خبأت لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم الى أمه فيقول لها أطمعيني ماخبأت لي فتقول وأى شئ خبأت لك فيقول كذا وكذا فتقول له من أخبرك فيقول عيسى بن مريم فتأولوا والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم تجعومهم في بيت وأغلقوا عليهم فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا إنما هؤلاء قرودة وخنازير فقال اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه ابن عساکر .

وقال اسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى العجائب في صباه الهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو اسرائيل لخافت أمه عليه فلوحي الله الى أمه أن تنطلق به الى أرض مصر فذلك قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) *

وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الربوة التي ذكر الله من صفتها أنها ذات قرار ومعين وهذه صفة غريبة الشكل وهى أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذى أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع ومع علوه فيه عيون الماء معين وهو الجارى السارح على وجه الأرض قليل المراد المكان الذى ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ولهذا (ناداها من تحتها الا تمحزنى قد جعل ربك تحتك سرى) وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف * وعن ابن عباس باسناد جيد أنها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق * وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم . وقيل هى الرملة . وقال اسحق بن بشر قال لنا ادريس عن جده وهب بن منبه قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمر الله أن يرجع من بلاد مصر الى بيت ايليا قال قدم عليه يوسف بن خال أمه فحملها على حمار حتى جاء بهما إلى ايليا وأقام بها حتى أحدث الله له الانجيل وعلمه التوراة وأعطاه احياء الموتى وبراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم ونحدث الناس بقدمه وفزعوا لما كان يأتي من العجائب فجلوا يحبون منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم أمره .

بيان نزول الكتب الثلاثة ومولفاتها

قال أبو زرعة الدمشقي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن حنن بن حذاف (أنزل التوراة على موسى في ست ليل خلون من شهر رمضان * ونزل الزبور على داود في اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وذلك بعد التوراة بربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة . وأنزل الانجيل على عيسى بن مريم في ثمانية عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بثلثمائة عام وخسين عاما وأنزل الفرقان على محمد (ص) في أربع وعشرين من شهر رمضان وقد ذكرنا في التفسير عند قوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الأحاديث الواردة في ذلك وفيها أن الانجيل أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام في ثمانية عشرة ليلة خلت من شهر رمضان *

وذكر ابن جرير في تأريخه أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما سيأتي بيانه أن شاء الله تعالى . وقال اسحاق بن بشر وأبناؤا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم (يا عيسى جدد في أمري ولا تهين واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول انك من غير خل وأنا خلقتك آية للعالمين إياي فأعبد وعلى فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر لاهل السريانية بلغ من بين يديك إنى أنا الحق الحى اقامم الذى لا يزول صدقوا النبى الامى العربى صاحب الجبل والتاج (وهى العلامة) والمدرة والتعلين والمرارة (وهى القضيبة) الانجيل المبين الصلت الجبين الواضح الخدين الجحد الرأس الكت اللحية المقرون الحاجبين الاتقى الانف المفلج الثنايا البادى المنقعة التى كان عنته ابريق فضة وكان الذهب يجرى فى تراقيه له شمرات من لبته الى ممرته تجرى كقضيب ليس على بطنه ولا على صدره شمر غيره شثر الكف وأقدم إذا التفت التفت جيماً وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب عركه فى وجهه كالؤلؤ وريح المسك تنفخ منه ولم ير قبله ولا بعده مثله ، الحس القامة الطيب الريح نكاح النساء ذا النسل القليل انما نسله من مباركة لما يت معنى فى الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب تكفله يا عيسى فى آخر الزمان كما كفل زكريا أمك له منها فرخان مستهدان وله عندى منزلة ليست لأحد من البشر . كلامه القرآن ودينه الاسلام وانا السلام طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه *

بيان شجرة طوبى صلى

قال عيسى يارب وما طوبى قال (غرس شجرة أنا غرسها يدي فى الجنان كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها بزد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم

يظناً بمدى أبدأ) قال عيسى يارب اسقني منها قال (حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبي) قال يا عيسى أرفك إلى قال رب ولم ترهني قال (أرضك ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ولتؤمنهم على قتال المؤمنين السجال أهبطك في وقت صلاة ثم لا تصلي بهم لأنها مرحومة ولا نبي بمد فيهم) وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى قال يارب انبثني عن هذه الأمة المرحومة قال أمة أحمد هم علماء حكماء كأنهم أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضني منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله . يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذل السن قوم قط بلا إله إلا الله كاذل السنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم) (رواه ابن عساكر وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن بديل العقيلي عن عبد الله بن عوسجة قال أوحى الله إلى عيسى ابن مريم) أنزلني من نفسك كهلك واجلني ذخراً لك في معادك وتقرب إلى النوافل أحببك ولا تول غيري فأخذك اصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن لمسرتي فيك فإن مسرتي أن أطاع فلا أعصى وكن مني قريباً وأحى ذكرى بساكنك ولتكن مودتي في صدرك تيقظ من ساعات الغفلة واحكم في لطيف الفطنة وكن لي راغباً راهباً وأمت قلبك في الخشية لي وراع الليل لحق مسرتي واطم نهارك ليوم الرى عندى نفس في الخيرات جهلك واعترف بلخير حيث توجهت وقم في الخلاق بنصيحتي واحكم في عبادي بدلي قد أنزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الابصار من غشاء الكلال ولا تكن حلساً كأنك مقبوض وأنت حي تنفس * يا عيسى بن مريم ما آمنت بي خليفة إلا خشت ولا خشت لي إلا رجيت ثوابي فاشهدك أنها امانة من عقابي ما لم تقصير أو تبدل سنتي * يا عيسى ابن مريم البكر البتول ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقلاد الدنيا وترك اللذات لاهلها وارتفعت رغبته فيما عند الله وكن في ذلك تلبين الكلام وتفشى السلام وكن يقظان إذا نمت عيون الابرار حذار ما هو ات من أسر المعاد وزلازل شدايد الاحوال قبل أن لا ينفع أهل ولا مال واكمل عينك بملول الحزن إذا ضحك البطالون وكن في ذلك صابراً محتسباً وطوبى لك ان تلك ما وعدت الصابرين رج من الدنيا بالله يوم ويوم وذوق مذاقة ما قد حرب منك أين طعمه وما يأتك كيف لذته فرح من الدنيا بلبلغة وليكفك منها الخشن الجيب قد رأيت الى ما يصير اعمل على حساب فانك مسؤول لو رأيت عينك ما أعدت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك *

وقال أبو داود في كتاب القدر حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن طاووس عن أبيه قال لقي عيسى بن مريم ابليس فقال أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك قال ابليس فارق بذروة هذا الجبل فتردى منه فانظر هل تعيش أم لا قال ابن طاووس

عن أبيه . فقال عيسى أما علمت أن الله قال (لا يجربني عبدى فاني أفضل ماشئت) وقال الزهري إن العبد لا يتبلى ربه ولكن الله يتبلى عبده . قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبدة أنبأنا سفيان عن عمرو عن طاووس قال أتى الشيطان عيسى بن مريم فقال أليس تزعم أنك صادق فأت هوة فأتى نفسك قال وبلك أليس قال يا ابن آدم لا تسألني هلاك نفسك فاني أفضل ما أشاء * وحدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا حسين بن طلحة سمعت خالد بن يزيد قال تعبد الشيطان مع عيسى عشرين أو ستين اقام يوماً على شفير جبل فقال الشيطان ارأيت أن القيت نفسي هل يصيبني إلا ما كتب لي قال اني لست بالذي ابتلى ربي ولكن ربي إذا شاء ابتلاني وعرفه أنه الشيطان فقارقه . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا شريح بن يونس حدثنا علي بن ثابت عن الخطاب بن القاسم عن أبي عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه ابليس فقال أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر قال نعم قال ألق نفسك من هذا الجبل وقل قدر على فقال يا لعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عز وجل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الفضل بن موسى البصري حدثنا إبراهيم بن بشار سمعت سفيان بن عيينة يقول لقي عيسى بن مريم ابليس فقال له ابليس يا عيسى بن مريم الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبياً . ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل الربوبية للاله الذي اطلقني ثم يميتني ثم يحييني قال فأت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحي الموتى قال بل الربوبية لله الذي يحي ويميت من أحييت ثم يحييه قال والله إنك لاله في السماء والآه في الارض قال فصكه جبريل صكة بجناحيه فسا بها دون قرون الشمس ثم صكه اخرى بجناحيه فسا بها دون العين الحامية ثم صكه اخرى فادخله بحار السابعة فاساخه وفي رواية فاسلكه فيها حتى وجد طعم الحاة فخرج منها وهو يقول ما لقي احد من احد ما لقيت منك يا ابن مريم * وقد روى نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر قال الحافظ أبو بكر الخطيب اخبرني أبو الحسن بن رزقويه أنبأنا أبو بكر أحمد بن سبدي حدثنا أبو محمد الحسن بن علي القطان حدثنا اسماعيل ابن عيسى المطار أنبأنا علي بن عاصم حدثني أبو سلمة سويد عن بعض أصحابه قال صلى عيسى بيت المقدس فانصرف فلما كان يمشى القبة عرض له ابليس فاحتبه فجعل يمرض عليه ويكلمه ويقول له انه لا ينبغي لك ان تكون عبداً فأكثر عليه وجعل عيسى يحرص على ان يتخلص منه فجعل لا يتخلص منه فقال له فيما يقول لا ينبغي لك يا عيسى ان تكون عبداً قال فاستغاث عيسى بربه فاقبل جبريل وميكائيل فلما رآهما ابليس كف فلما استقر معه على القبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل ابليس بجناحه فذهب في بطن الوادي قال فماد ابليس معه وعلم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك فقال لعيسى قد اخبرتك انه لا ينبغي ان تكون عبداً ان غضبك ليس بغضب عبد وقد رأيت ما لقيت منك حين غضبت ولكن ادعوك لا امر هو لك أمر الشياطين فليطيعوك فإذا رأى البشر أن الشياطين اطاعوك عبدوك اما اني لا اقول ان تكون

إلها ليس معه إله ولكن الله يكون إلها في السماء وتكون أنت إلها في الأرض فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه وصرخ صرخة شديدة فاذا اسرافيل قد هبط فنظر إليه جبريل وميكائيل فكف ابليس فلما استقر معهم ضرب اسرافيل ابليس بجناحه فصك به عين الشمس ثم ضربه ضربة أخرى فاقتل ابليس يهوى ومر عيسى وهو بمكانه فقال يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تمعباً شديداً فرمى به في عين الشمس فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية قال فظطوه فحمل كما صرخ غطوه في تلك الحماة قال والله ما عاد إليه بعد . قال وحدثنا اسماعيل المطار حدثنا أبو حذيفة قال واجتمع إليه شياطينه فقالوا سيدنا قد لقيت تمعباً قال إن هذا عبده مصوم ليس لي عليه من سبيل وسأضل به بشراً كثيراً واثبت فيهم أهواء مختلفة واجعلهم شيعاً ويجعلونه وأمه الهين من دون الله قال وأنزل الله فيما أيده عيسى وعصمه من إبليس قرآناً ناطقاً يذكر نعمته على عيسى فقال (يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) يعني اذ قويتك بروح القدس يعني جبريل (نسكلم الناس في المهد وكهلاً واذا علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذا نخلق من الطين كهيئة الطير) الآية كلها واذا جعلت المساكين لك بطانة وصحابة واعواناً ترضى بهم وصحابة واعواناً يرضون بك هادياً وقائداً إلى الجنة فذلك فاعلم خلقان عظيمان من لقيني بهما فقد لقيني بأزكى الخلائق وارضاهما عندي وسيقول لك بنو اسرائيل صمنا فلم يتقبل صيامنا وصلينا فلم يقبل صلاتنا وتصدقنا فلم يقبل صدقاتنا وبكينا بمثل حنين الجمل فلم يرحم بكاؤنا قتل لهم ولم ذلك وما الذي يمنعني إن ذات يدي قلت أوليس خزائن السموات والأرض يدي أففق منها كيف أشاء وإن البخل لا يعتريني أولست أجود من سأل وأوسع من أعطى أو أزرحتي ضاقت وإنما يتراحم المتراحمون بفضل رحمتي ولو لأن هؤلاء القوم يا عيسى بن مريم عدوا أنفسهم بالحكمة التي تورث في قلوبهم ما استأثروا به الدنيا أثره على الآخرة لعرفوا من أين أوتوا وإذا لا يقنوا أن أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم وكيف أقبل صيامهم وهم يتقوون عليه بالأطعمة الحرام وكيف أقبل صلاتهم وقلوبهم تركن إلى الذين يحاربوني ويستحلون محارمي وكيف أقبل صدقاتهم وهم يفصبون الناس عليها فيأخذونها من غير حلها * يا عيسى إنما أحزى عليها أهلها وكيف أرحم بكاهم وأيديهم تقطر من دماء الأنبياء ازددت عليهم غضبا * يا عيسى وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنه من عبدني وقال فيكما بقولي أن أجعلهم جيرانك في الدار ورقائك في المنازل وشركاء في السكينة وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنه من اتخذك وأمك الهين من دون الله أن أجعلهم في الدرك الأسفل من النار وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أني مثبت هذا الأمر على يدي عبدي محمد وأختم به الأنبياء والرسل ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يزر بالفحش ولا قوال بلحننا أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل التقوى ضميره والحكم معقوله والوفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والاسلام ملته اسمه أحمد أهدي به بعد

الضلالة وأعلم به بعد الجهالة واغنى به بعد المائلة وارفع به بعد الضيعة أهدي به وافتح به بين آذان صم وقلوب غلف وأهروا مختلفة متفرقة أجمل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر اخلاصا لاسمى وتصديقا لما جاءت به الرسل المهم انتسبح والتقدس والتهيل في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم وشواهم يصحون لى قياما وتعودا وركعا وسجودا ويقفون في سبيل صفوفا وزحوبا قرباتهم دماؤهم وانا جيلهم في صدورهم وقرباتهم في بطونهم رهبان بليل ليوث في النهار ذلك فضلى أوتيته من اشاء وانا ذو الفضل العظيم .

وسند كرم ما يصدق كثيرا من هذا السياق ما سورد من سورتي المائدة والصف إن شاء الله وبه الثقة وقد روى أبو حذيفة اسحق بن بشر باسانيد عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وابن عباس وسدان الفارسي دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جل المناقون والكافرون من بنى اسرائيل يعجبون منه ويسمرون به فيقولون ما أكل فلان الباردة وما ادخر في منزله فيخيرهم فيزداد المؤمنون ايمانا والكافرون والمناقون شككا وكفرانا وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوى اليه انما يسبح في الارض ليس له قرار ولا موضع يعرف به فكان أول ما أحيا من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهي تبكي فقال لها مالك أيتها المرأة قتلت مائت ابنة لى لم يكن لى ولد غيرها وانى عاهدت ربى أن لأبرح من موضعى هذا حتى أذوق مذاقت من الموت أو يحببها الله لى فانظر اليها فقال لها عيسى أرأيت إن نظرت اليها أراجعة أنت قالت نعم قالوا فصلى ركعتين ثم جاء مجلس عند القبر فنادى يا فلانة قومى باذن الرحمن فاخرجى قل فتحرك القبر ثم نادى الثانية فلفصدع القبر باذن الله ثم نادى الثالثة فخرجت وهى تنفض رأسها من التراب قتال لها عيسى ما أباطأ بك عنى فقالت لما جاءتنى الصيحة الأولى بعث الله لى ملكا فركب خلقى ثم جاءتنى الصيحة الثانية فرجم الى روحى ثم جاءتنى الصيحة الثالثة فحقت أنها صيحة القيامة فشاب رأسى وحاجباى واشغار عيني من مخافة القيمة ثم أقبلت على أمها فقالت يا أماء ما حاك على أن أذوق كرب الموت مرتين يا أماء أصبرى واحتسبى فلا حاجة لى فى الدنيا ياروح الله وكلته سل ربى أن يردنى الى الآخرة وان يهون على كرب الموت فدعا ربه فقبضها اليه واستوت عليها الارض فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبا

وقد منا فى عقيب قصة نوح أن بنى اسرائيل سألوه أن يحبى لهم سام بن نوح فدعا الله عز وجل وصلى الله فأحياء الله لهم فحشهم عن السفينة وأمرها ثم دعا فنادى ترابا . وقد روى السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس فى حبر ذكره وفيه أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام فدعا الله عز وجل فأحياء الله عز وجل فرأى الناس أمرا هائلا ومنظرا عجيبا قال الله تعالى وهو أصدق القائلين [اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذ كر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك

روح القدس تسلم الناس في المهد وكهلا واذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهية الطير بذني فتفتح فيها فسكون طيراً بذني وتبرئ الاكه والابرس بلذني واذ تخرج الموتى بلذني واذ كفت بني اسرائيل عنك اذ جثتهم بالينبات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) يذكره تعالى بنعمته عليه واحسانه اليه في خلقه اياه من غير آب بل من أم بلا ذكر وجعله له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ثم ارسله بعد هذا كله (وعلى والدتك) في اصطفاها واختيارها لهذه النعمة العظيمة واقامة البرهان على برائتها مما نسبها اليه الجاهلون ولهذا قال (اذ يدنك بروح القدس) وهو جبريل بالقاء روحه الى أمه وقرنه معه في حال رسالته ومدافسته عنه لمن كفر به (تسلكم الناس في المهد وكهلا) أي تدعو الناس الى الله في حال صغرهم في مهدك وفي كهولتك (واذ علمت الكتاب والحكمة) أي الخط والفهم نص عليه بعض السلف (والتوراة والانجيل) وقوله (واذ تخلق من الطين كهية الطير بذني) أي تصوره وتشكله من الطين على هيئته عن أمر الله له بذلك (فتفتح فيه فسكون طيراً بذني) أي يأمري يؤكد تعالى بذكر الاذن له في ذلك لرفع التوهم وقوله (وتبرئ الاكه) قل بعض السلف وهو الذي يولد أعمى ولا سبيل لاحد من الحكماء الى مداواته (والابرس) هو الذي لا طب فيه بل قد مرض بالابرس وصار داؤه عضالاً (واذ تخرج الموتى) أي من قبورهم أحياء بلذني وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مراراً متعددة مما فيه كفاية . وقوله (واذ كفت بني اسرائيل عنك اذ جثتهم بالينبات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين) وذلك حين أرادوا صلبه فرمى الله اليه واقذه من بين أظهرهم صيانة لجناحه الكريم عن الاذى وسلامة له من الردى وقوله (واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) قيل المراد بهذا الوحي وحى الهام أي أرشدهم الله اليه ودلهم عليه كما قال (وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم مؤى أن أرضعها فاذا خفت عليه فالتقي في اليم) وقيل المراد وحى بواسطة الرسول وتوفيق في قلوبهم لقبول الحق ولهذا استجابوا قائلين (آمنا واشهد باننا مسلمون)

وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم أن جعل له أنصاراً واعواناً ينصرونه ويدعون معه الى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى لبيده محمد (ص) (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والاف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله اف بينهم إنه عزيز حكيم) وقال تعالى (ولم يله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل أنى قد جثتكم بأية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهية الطير فافتح فيه فيكون طيراً بذني الله وابرئ الاكه والابرس واحي الموتى بلذني الله وانبتكم بما تأكلون ومتدخرون في بيوتكم ان في

ذلك لا آية لهم إن كنتم مؤمنين ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعوا الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد أنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزة مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكيا فبعث بآيات بهرت الابصار وخضعت لها الرقاب ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه وعانوا ما عانوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره إلا بعيد الله وأجرى الخارق على يديه تصديقه له أسلموا سراعاً ولم يتلصخوا وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء فارسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها وإني لحكيم إبراء الأكاه الذي هو أسوأ حالا من الأعشى والبرص والمجدوم ومن به مرض مزمن وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله وهكذا محمد (ص) وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلقاء فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلفظه معجز تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بمثل سور من مثله أو بسورة وقطع عليهم بأنهم لا يقدرُونَ لا في الحال ولا في الاستقبال فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا وما ذاك إلا لأنه كلام الخالق عز وجل والله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

والمقصود أن عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمرأ كثيرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطفائهم فانتدب له من بينهم طائفة صالحة فكانوا له أنصاراً وأعواناً قاموا بمناصبته ونصرته ومناصبته وذلك حين هم به بنو إسرائيل ودشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان فمزموه على قتله وصلبه فآخذ الله منهم ورفعه إليه من بين أظهرهم والقي شبهه على أحد أصحابه فاخذوه وقتلوه وصلبوه وهم يمتقدونه عيسى وهم في ذلك غالطون وللحق مكابرون وسلم لهم كثير من النصاري ما دعوه وكلا الفريقين في ذلك مخطئون قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وقال تعالى (وإذ قل عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم بمصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى للإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) إلى أن قال بعد ذلك (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة فآيدنا الذين آمنوا على عدوم

فأصبحوا ظاهرين) فمضى عليه السلام هو خاتم الأنبياء بنى إسرائيل وقد قام فيهم خطيباً فبشرهم بخاتم
الأنبياء الآتى بعده ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه إقامة للحجة عليهم واحساناً
من الله إليهم كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهم مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال
التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)
قال محمد بن اسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص)
أنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت
بي كانه خرج منها نور أضاءت له قصور بصري من أرض الشام . وقد روى عن الرضا بن سارية وأبي
امامة عن النبي (ص) نحو هذا وفيه دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى وذلك أن إبراهيم لما بنى الكعبة قال
(ربنا وابث فيهم رسولا منهم الآية) ولما انتهت النبوة في بنى إسرائيل الى عيسى قام فيهم خطيباً فآخبرهم
أن النبوة قد انقطعت عنهم وانها بعده في النبي العربي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق احد وهو محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم السلام قال الله
تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرة بين) يحتمل عود الضمير الى عيسى عليه السلام ويحتمل
عوده الى محمد (ص) ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصرة الاسلام واهله ونصرة نبيه ومؤازرته
ومعاونته على اقامة الدين ونشر الدعوة فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم
للحواريين من أنصارى الى الله أى من يساعدنى في الدعوة الى الله) قال الحواريون نحن انصار الله وكان
ذلك في قرية يقال لها الناصرة فسموا بذلك النصارى قال الله تعالى (فأممت طائفة من بنى إسرائيل
وكفرت طائفة) يعنى لما دعا عيسى بنى إسرائيل وغيرهم الى الله تعالى منهم من آمن ومنهم من كفر
وكان من آمن به أهل انطاكية بكاملهم فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير بمش
اليهم رسلا ثلاثة أحدهم شمعون الصفا فآمنوا واستجابوا وليس هؤلاء هم المذكورون في سورة يس لما
تقدم تقريره في قصة أصحاب القرية وكذا آخرون من بنى إسرائيل وهم جمهور اليهود فايد الله من آمن به
على من كفر فيما بعد وأصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك
ورافقك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة الآية)
فكل من كان اليه أقرب كان عالياً فن دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لا شك فيه من
أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه وأطروه وأنزلوه فوق ما أنزله الله به
ولما كان النصارى أقرب في الجملة مما ذهب اليه اليهود عليهم لعائن الله كان النصارى قاهرين لليهود في أزمان
الفترة الى زمن الاسلام واهله .

ذكر خبر المائدة

قال الله تعالى (اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وأطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا واية منك وادزقنا وانت خير الرازقين . قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين) قد ذكرنا في التفسير الآثار الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من السلف ومضمون ذلك أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً فلما أنتوها سألوا من عيسى انزال مائدة من السماء عليهم لئلا كانوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم ان الله قد تقبل صيامهم واجابهم الى طلبتهم وتكون لهم عيداً يفتطرون عليها يوم فطرم وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيتهم وقثيرهم فوعظهم عيسى في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يزدوا حق شروطها فأبوا عليه الا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل فلما لم يقلعوا عن ذلك قام الى مصلاه وليس مسحا من شعر وصف بين قدميه وأطرق راسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع الى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا الى ما طلبوا فانزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون اليها تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنو قليلاً قليلاً وكما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا قهمة وان يجعلها بركة وسلامة فلم تنزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول (بسم الله خير الرازقين) فاذا عليها سبعة من الخبثان وسبعة أرغفة . ويقال وخل . ويقال ورماني وثمار ولها رائحة عظيمة جدا قال الله لها كوني فكنات ثم أمرهم بالاكل منها فقالوا لا نأكل حتى تأكل فقال إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء فامر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا اقربيا من الف وثلاثة فأكوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزم من فندم الناس على ترك الاكل منها لما رأوا من اصلاح حال أولئك . ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فأككل الناس منها يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف . ثم كانت تنزل يوماً بعد يوم كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم . ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الاغنياء . فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك فرفقت بالكلية ومسوخ الذين نكلموا في ذلك خنازير .

وقد روى ابن ابي حاتم وابن جرير جميعاً حدثنا الحسن بن قرعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاص عن عمار بن ياسر عن النبي (ص) قال نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا يبخنوا ولا يدخروا ولا يرفقوا لئلا يفسدوا ولا يبدخروا وادخروا ورفضوا ففسخوا قرعة

وخنازير ثم رواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن خلاص عن عمار موقوفا وهذا أصح وكذا رواه من طريق سماك عن رجل من بني عجل عن عمار موقوفا وهو الصواب والله أعلم. وخلاص عن عمار منقطع فلو صح هذا الحديث مرفوعا لكان فيصلا في هذه القصة فان العلماء اختلفوا في المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولا سيما قوله (أني منزلها عليكم) كما قرره ابن جرير والله أعلم. وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري أنها قالوا لم تنزل وإنهم أبو اتزولها حين قال (فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين). ولهذا قيل إن النصاري لا يعرفون خبر المائدة وليس مذكورا في كتابهم مع أن خبرها مما يتوفر الدواعي على نقله والله أعلم. وقد قصصنا الكلام على ذلك في التفسير فليكتب من هناك * ومن أراد مراجعته فلينظره من ثم والله الحمد والمنة

قصة نزل المائدة

قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا رجل سقط اسمه حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني قال قد حدثنا الحواريون بنوهم عيسى قفيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هر يمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتد بنصفه ومؤثر بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم قال أبو هلال ظنت أنه من أفاضلهم ألا أجى إليك يا بني الله قال بلى قال فوضع إحدى رجله على الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال أوه غوقت يا بني الله فقال أرني يذك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء. ورواه أبو سعيد ابن الأعرابي عن إبراهيم بن أبي الجحيم عن سليمان بن حرب عن أبي هلال عن بكر بنحوه. ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان حدثنا إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم يا عيسى بأي شئ تمشي على الماء قال بالإيمان واليقين. قالوا فإنا آمننا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت قال فامشوا إذا قال فمشوا معه في الموج ففرقوا فقال لهم عيسى ما لكم فقالوا خفنا الموج قال ألا خفتم رب الموج قال فأخرجهم ثم ضرب يده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر أو حصي فقال أيها أحلى في قلوبكم قالوا هذا الذهب قال فانهما عندي سواء وقد مناني قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوي إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئا لعد. قال بعضهم كان يأكل من غزل أمه صلوات الله وسلامه عليه.

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت وعن عبد الملك ابن سعيد بن بحر أن عيسى كان

إذا سمع الموعظة صرح صراخ الشكلى . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر حدثنا جعفر بن بلقان أن عيسى كان يقول (اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتيناً بعلى فلا فقير أقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسوئ بى صديق ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تسلط على من لا يرحمنى) . وقال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد كان عيسى يقول لا نصيب حقيقة الايمان حتى لا نبالى من أكل الدنيا . قل الفضيل وكان عيسى يقول فكرت فى الخلق فوجدت من لم يخلق اغبط عندى ممن خلق . وقال اسحاق بن بشر عن هشام ابن حسان عن الحسن قال إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة . قال وإن الفرارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى قال وبينما عيسى يوما نائم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم إذ مر به ابليس فقال (يا عيسى ألسنت تزعم أنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقال فأخذ الحجر ورمى به اليه وقال هذا لك مع الدنيا . وقال معتمر بن سليمان خرج عيسى على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء وتبان حافيا با كيا شعثاً مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش فقال السلام عليكم يا بنى اسرائيل أنا الذى أنزلت الدنيا منزلتها باذن الله ولا عجب ولا فخر أنذرون أين يلقى قالوا أين يلقى يا روح الله قال يلقى المساجد وطبيى الماء وإدامى الجوع وسراجى القمر بالليل وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وريحانى بقول الأرض ولباسى الصون وشعارى خوف رب العزة وجلساتى الزمنى والمساكين أصبح وليس لى شئ وأمسى وليس لى شئ وأنا طيب النفس غير مكترث فن أغنى منى وأريج رواء بن عساكر ^(١) وروى فى ترجمة محمد بن الوليد بن ابان بن حبان أبى الحسن العقيلي المصرى حدثنا هانىء بن المتوكل الاسكندراني عن حيوة بن شريح حدثنى الوليد بن أبى الوليد عن سفي بن نافع عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال أوحى الله تعالى إلى عيسى أن يا عيسى انتقل من مكان الى مكان لثلاث تعرف فتؤذى فوعزتى وجلالى لأزواجك ألف حوراء ولأولن عليك أربعائة عام . وهذا حديث غريب رفعه وقد يكون موقوفاً من رواية سفي بن نافع عن كعب الاحبار أو غيره من الاسرائيليين والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال قال عيسى للحواريين كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فتركوا لهم الدنيا . وقال قتادة قال عيسى عليه السلام سلوني فاني لئن القلب وانى صغير عند نفسي وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال عيسى للحواريين كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ما أقول لكم أن خلاوة الدنيا مرارة الآخرة وأن مرارة الدنيا خلاوة الآخرة وأن عباد الله ليسوا بالمتنعين بحق ما أقول لكم ان شركم عالم يؤثر هواه على علمه يود أن الناس كلهم مثله .

وروى نحوه عن أبي هريرة وقال أبو مصعب عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول (يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل الأبري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره) وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول اعبروا الدنيا ولا تمروها وكان يقول حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة * وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة أودت أهلها حرنا طويلا وعن عيسى عليه السلام (يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت وكن في الدنيا ضيقاً واتخذ المساجد بيتاً وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فاقم خطيئة) وعنه عليه السلام أنه قال كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً فلا يتخذ الدنيا قراراً وفي هذا يقول سابق البربري *

لَكُمْ بَيْتٌ بِمَسَنِّ السُّيُوفِ وَهَلْ * يُفْنَى عَلَى الْمَسَارِيفِ أَمَّه مَدْرُ

وقال سفیان الثوري قال عيسى بن مريم (لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء). وقال ابراهيم الحربي عن داود بن رشيد عن أبي عبد الله الصوفي قال قال عيسى (طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله) وعن عيسى عليه السلام (إن الشيطان مع الدنيا وفكره من المال وتزيته مع الهوى واستمكانه عند الشهوات) وقال الأعمش عن خزيمة كان عيسى يضع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول هكذا فاصنعوا بالقرى وبه قالت امرأة لعيسى عليه السلام طوبى لحجر حملك ولثدي أرضعك. فقال: طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه. وعنه طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته. وعنه طوبى لمن لم يتحدث نفسها بالمعصية واتبعت إلى غير أمم * وعن مالك بن دينار قال مر عيسى وأصحابه بجيفة فقالوا ما أنتن ربها فقال ما أبيض أسنانها لينها هم عن الغيبة. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن زكريا بن عدي قال قال عيسى بن مريم يا مشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا. قال زكريا وفي ذلك يقول الشاعر.

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضىوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال أبو مصعب عن مالك قال عيسى بن مريم عليه السلام (لا تكثرُوا الحديث بغير ذكر الله فتفسد قلوبكم فإن القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعملون. ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد فأنما الناس رجالان معافى ومبتلى فارحوا أهل البلاد واحذروا الله على العافية) وقال الثوري سمعت أبي يقول عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى لأصحابه (بحق أقول لكم من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير). وقال

مالك بن دينار قال عيسى إن أكل الشمر مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب قليل في طلب الفردوس . وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم انظروا إلى هذه الطير تندو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فإن قلم نحن اعظم بطوناً من الطير فانظروا إلى هذه الأبقار من الوحوش والحمر فاتها تندو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها . وقال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبد الله عن يزيد بن ميسرة قال قال الحواريون للمسيح يا مسيح الله انظر إلى مسجد الله ما أحسنه قال آمين آمين بحق ما أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الأحجار التي تعجبكم شيئاً أن أحب إلى الله منها القلوب الصالحة وبها يعمر الله الأرض وبها يخرب الله الأرض إذا كانت على غير ذلك . وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه أخبرنا أبو منصور أحمد ابن محمد الصوفي أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركاني قالت حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن هشيم أملاء حدثنا الوليد بن ابان أملاء حدثنا أحمد بن جعفر الرازي حدثنا سهيل بن إبراهيم الحنظلي حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز عن المعتز عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (ص) قال مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه البنيان فقال أي رب مر هذه المدينة أن تحببني فأوحى الله إلى المدينة أيتها المدينة الخربة جاوبي عيسى قال فنادت المدينة عيسى حيبي وما تريد مني قال ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك ؟ قالت حيبي جاء وعد ربك الحق فيست أشجاري ونشت أنهارى وخربت قصودي ومات سكانى . قال فأين أمراهم قالت جموها من الحلال والحرام موضوعة في بطنى . لله ميراث السموات والأرض . قال فنادى عيسى عليه السلام (فصبجت من ثلاث أناس طالب الدنيا والموت يطلبه وباقى القصور والقبر منزله ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تنقنع تجمع مالك لمن لا يحملك وتقدم على رب لا يهينك إنما أنت عبد بطنك وشهوتك وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك وانت يا ابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك) هذا حديث غريب جداً وفيه موعظة حسنة فكتبناه لذلك .

وقال سفيان الثوري عن أبيه عن إبراهيم التيمي قال قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين اجعلوا كنوزكم في السماء فن قلب الرجل حيث كنزه وقال ثور بن يزيد عن عبد العزيز بن غليان قال قال عيسى بن مريم من قلم وعلم وعمل دعى عظيماً في ملكوت السماء . وقال أبو كريب روى أن عيسى عليه السلام قال لا خير في علم لا يبرمك الوادى ويمبرك النادى . وروى ابن عساكر بإسناد غريب عن ابن عباس مرفوعاً أن عيسى قام في نبي إسرائيل فقال (يا معشر الحواريين لا تحذثوا بلحكم غير أهلها فظلموها ولا تمنعوها أهلها فظلمهم والأمور ثلاثة . أمر تبين رشده فاتبوه وأمر تبين غيه

فاجنبوه وأمر، اختلف عليكم فيه فردوا عليه إلى الله عز وجل). وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن رجل عن عكرمة قال قال عيسى (لا تطرحوا الذلوث إلى الخنزير فإن الخنزير لا يصنع بالذلوث شيئاً ولا قطوا الحكمة من لا يريد بها فإن الحكمة خير من الذلوث ومن لا يريد بها شر من الخنزير). وكذا حكى وهب وغيره عنه وعنه أنه قال لأصحابه (أنتم ملح الأرض فإذا فدمتم فلا دواء لكم وإن فيكم خصلتين من الجهل الضحك من غير عجب والصبحة من غير سهر) وعنه أنه قيل له من أشد الناس فتنة قال زلة العالم فإن العالم إذا زل يزل بزلته عالم كثير. وعنه أنه قال (يا علماء السوء جلتكم الدنيا على رؤسكم والاخرة تحت أقدامكم قولكم شفاء وعلمكم داء مثلكم مثل شجرة الدفلى تعجب من رآها وقتل من أكلها) وقال وهب قال عيسى (يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلوها ولا تدعون المساكين بدخلونها إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بلمسه. وقال مكحول (التقى يحيى وعيسى فصاحفه عيسى وهو يضحك فقال له يحيى يا ابن خالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قدأمنت) فقال له عيسى (مالي أراك عابساً كأنك قد ينست) فأوحى الله اليهما (ان أجبكما إلى أبشكما بصاحبه) وقال وهب بن منبه وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يدلى فيه فجعلوا يذكرون القبر وضيقه فقال (قد كنتم فيما هو أضيق منه من أرحام امهاتكم فإذا احب الله أن يوسع وسع) وقال أبو عمر الضرب بلغنى أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دما. والاثار في مثل هذا كثيرة جداً. وقد أورد الحافظ بن عساكر منها طرفاً صالحاً اقتصرنا منها على هذا القدر والله الموفق للصواب *

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

﴿ في حفظ الرب وبيان كذب اليهود والنصارى في دعوى الصلب ﴾

قال الله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافئك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) وقال تعالى (فبا قضهم ميثاقهم وكفرهم بآيت الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم اانا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رده الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً. وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) فأخبر تعالى أنه رده الله إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه عن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان *

قال الحسن البصري ومحمد بن اسحاق كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه فحصره في دار بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم التي شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روضة ذلك البيت الى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه اهانة له وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وصلوا بسبب ذلك ضلالا مبنيا كثيرا فاحشاً بعيداً وأخبر تعالى بقوله (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اي بعد نزوله الى الارض في آخر الزمان قبل قيام الساعة فانه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الاسلام كما بينا ذلك بما ورد فيه من الاحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء وكما سنورد ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الدجال فنذكر ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذى الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي الى الضلال وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه الى السماء قال ابن ابي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اراد الله أن يرفع عيسى الى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي ثم قال أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي فقام شاب من احدهم سناً فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال أنت هو ذاك فالتى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روضة في البيت الى السماء . قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه قتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت طائفة كان الله فينا ما شاء ثم صمد الى السماء وهؤلاء البعويية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فظاهرت الكافران على المسئلة فقتلوا فلم يزل الاسلام طامساً حتى بعث الله محمداً (ص) . قال ابن عباس وذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائي عن ابي كريب عن ابي معاوية به نحوه ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن ابي معاوية وهكذا ذكر غير واحد من السلف ومن ذكر ذلك مطولاً محمد بن اسحق بن يسار قال وجل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر اجله يعني ليلبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله قبل وكان عنده من الحواريين اثني عشر رجلاً بطرس ويعقوب بن زبدا ويحنس اخو يعقوب واندراوس وفليس وابرثما ومتى وتوماس ويعقوب بن

حلقيا وتداوس وفتاتيا ويودس كريا يوطا وهذا هو الذى دل اليهود على عيسى * قال ابن اسحق
 وكان فيهم رجل اخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذى القى شبه المسيح عليه فصلب عنه قال
 وبعض النصارى يزعم ان الذى صلب عن المسيح والذى عليه شبهه هو يودس بن كريا يوطا والله اعلم .
 وقال الضحاك عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذى القى عليه الشبه
 وقال احمد بن مروان حدثنا محمد بن الجهم قال سمعت الفراء يقول فى قوله (ومكروا ومكر الله والله
 خير الماكرين) قال ان عيسى غاب عن خالته زمانا فأتاها ققام رأس الجالوت اليهودى فضرب على عيسى
 حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن
 عيسى ثم خرج الى أصحابه فقال لم أره ومعه سيف مسلول فقالوا أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه
 فاخذوه قتلوه وصلبوه فقال جل ذكره (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقال ابن جرير حدثنا
 ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنتره عن وهب بن منبه قال أتى عيسى ومعه سبعة عشر من
 الحوارين فى بيت فلاحطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتونا
 ببرزنا الينا عيسى أولتقتلنكم جميعاً فقال عيسى لأصحابه من يشتري منكم نفسه اليوم بلجنة فقال رجل
 أنا أخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صورته الله على صورة عيسى فاخذوه قتلوه وصلبوه فن ثم شبه لهم
 وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى فظنت النصارى مثل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك

قال ابن جرير وحدثنا المثني حدثنا اسحاق حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل
 أنه سمع وهباً يقول ان عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا
 الحوارين وصنع لهم طعاماً فقال احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل
 عشام وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بتيابه فتعاضطوا
 ذلك وتكادوه فقال ألا من رد على شيتا الليلة مما أصنع فليس منى ولأنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من
 ذلك قال أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بى أسوة فانكم
 ترون أنى خيركم فلا يتعظم بعضكم على بعض وليبدل بعضكم لبعض نفسه كما بذلت نفسى لكم وأما حاجتى
 التى استعنتكم عليها فتدعون الله وتجتهدون فى الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا
 أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله أما تصبرون لى ليلة
 واحدة تعينونى فيها فقالوا والله ما ندرى مالنا والله لقد كنا نسمر فتكثر السمر وما نطيق الليلة سمرأ وما
 نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعى وتتفرق الغنم وجعل يأتى بكلام نحو هذا ينمى به
 نفسه . ثم قال الحق ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبغى أحدكم بدراهم يسيرة
 وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحوارين فقالوا هذا من

صحابه فجدد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه . ثم أخذوه آخرون فجدد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه . فلما أصبح أتى أحد الخواريين إلى اليهود فقال ما تبجلون لى إن ذلكم على المسيح فجلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستترهوا منه ودربطوه بالحبل وجعلوا يقدونه ويقولون أنت كنت نجي الموتى وتتهر الشيطان وتبرىء المجنون أفلا تنجى نفسك من هذا الحبل ويصقون عليه ويقولون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفضه الله اليه وصلبوا ما شبه لهم فكث سباً . ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأراها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب فجاءها عيسى فقال على م تبكيان قلنا عليك فقال إني قد رفضني الله اليه ولم يصبنى إلا خير وإن هذا شئ شبه لهم فأمر الخواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وقد الذي كان بلعه ودل عليه اليهود فسأل عنه أصحابه فقالوا إنه ندم على ما صنع فلتحق وقيل نفسه فقال لو قلب لتاب الله عليه * ثم سألم عن غلام يتبعهم يقال له يحمي قال هو معكم فاضلقوا فله سيصبح كل انسان منكم يحدث بلفه قوم فليندرم وليدعهم * وهذا اسناد غريب عجيب وهو أصح مما ذكره النصارى من أن المسيح جاء إلى مريم وهى جالسة تبكى عند جذعه فأراها مكان المسامير من جسده وأخبرها أن روحه رقت وأن جسده صلب وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة بطله في الانجيل على خلاف الحق ومقتضى النقل .

وحكى الحافظ بن عساكر من طريق يحيى بن حبيب فيما بلغه أن مريم سألت من بيت الملك بعد ماصلب المصلوب بسبعة أيام وهى تحسب أنه ابنها أن ينزل جسده فأجابهم الى ذلك ودفن هنالك قالت مريم لأم يحيى ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح فذهبتا فلما دنا من القبر قالت مريم لأم يحيى ألا تستترين قالت ومن استتر قالت من هذا الرجل الذى هو عند القبر قالت أم يحيى انى لا أرى أحدا فرجت مريم أن يكون جبريل وكانت قد بد عهدها به فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل وعرفته يا مريم أين تريد من قالت أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث عهداً به قال يا مريم ان هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الفتى الذى الذى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه . وعلامة ذلك أن أهله قد قدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يكون عليه فلذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا فأتك تلقين المسيح قل فرجت الى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة . فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى فى الغيضة فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها وقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل وقال يا أمه إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفضني اليه وأذن لى فى لقاءك والموت يأتىك قريباً فاصبرى واذكرى الله كثيراً ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت . قال وبلغنى أن مريم بقيت بعد

عيسى خمس سنين وماتت ولما ثلاث وخمسون سنة رضى الله عنها وأرضاها .

وقال الحسن البصرى كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أرباباً وثلاثين سنة وفي الحديث (إن أهل الجنة يدخلونها جرداً سرداً مكحطين أبناء ثلاث وثلاثين) . وفي الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة * .

فأما الحديث الذى رواه الحاكم فى مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوى فى تلويحه عن سعيد بن أبى سريم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزيرة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن أمه قاطبة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتنى فاطمة أن رسول الله (س) أخبرها أنه لم يكن نبى كمن بعده نبى إلا عاش الذى بعده نصف عمر الذى كان قبله وأنه أخبرنى أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أرانى إلا ذاهب على رأس ستين * هذا لفظ الفسوى فهو حديث غريب .

قال الحافظ بن عساكر والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر وإنما أراد به مدة مقامه فى أمته كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال قالت فاطمة قال لى رسول الله (س) أن عيسى بن مريم مكث فى بنى إسرائيل أربعين سنة وهذا منقطع . وقال جرير والثورى عن الأعمش أن إبراهيم مكث عيسى فى قومه أربعين عاماً وروى عن أمير المؤمنين على أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثانى والعشرين من رمضان وتلك الليلة فى مثلها توفى على بد طعنه بخمسة أيام وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءتته سحابة فذنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهى تنظر والتى إليها عيسى برداً له وقال هذا علامة ما بينى وبينك يوم القيامة والتى عامته على شمعون وجلت أمه تودعه باصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها وكانت تحبه حباً شديداً لأنه توفر عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له وكانت لا تفارقه سفرراً ولا حضراً . قال بعض الشعراء

وكنْتُ أرى كالموت من بين ساعته فكيف يبين كان موعده الحشر

وذكر اسحاق بن بشر عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذى شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بمجهلهم ذلك تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق فى ذلك الزمان قبيل له إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحبى المرقى ويبرى الأكمة والأبرص ويضل البجائب فدوا عليه قتلوه وأهاتوا أصحابه وجسومهم فبث فجئ بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجعاعة فأنهم عن أمر المسيح فأنبروه عنه فبايعهم فى دينهم وأعلى كلمهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم وبث إلى المصلوب فوضع عن جذعه وجئ بالبلذع الذى صلب عليه ذلك الرجل فمطاه

فمن ثم عظمت النصراني الصليب ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم وفي هذا نظر من وجوه .
 أحدها ان يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى فانه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق .
 الثاني أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلثمائة سنة وذلك في زمان قسطنطين بن قسطنطى
 المدينة المنسوبة اليه على ما سنذكره . الثالث أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم القوه بخشبتة جعلوا
 مكانه مطرحاً للقيامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين
 المذكور فصدت أمه هيلانة الحارانية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة
 التي صلب عليها المصلوب فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة الا عوفى فالله أعلم أ كان هذا أم لا وهل كان
 هذا لان ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلاً صالحاً أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصراني في ذلك
 اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللاكي ومن ثم اتخذوا الصليبات وتبركوا بشكلها
 وقبلوها . وأمرت أم الملك هيلانة فازيلت تلك القيامة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة
 فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها القيامة باعتبار ما كان عندها ويسمونها القيامة
 يعنون التي يقوم جسد المسيح منها . ثم أمرت هيلانة بأن توضع قيامة البلد وكناسته وقاذوراته على
 الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكسفن عنها القيامة
 بردائه وطهرها من الاخبث والانجاس ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله
 (ص) ليلة الاسراء بالأنبياء وهو الاقصى .

صفة عيسى عليه السلام وشأله وفضائله

قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) قيل سمي
 المسيح لمسحه الارض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود له
 واقتراهم عليه وعلى أمه عليهما السلام . وقيل لانه كان مسموح القدمين . وقال تعالى (وقفينا على آثارهم
 برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) وقال تعالى (وآتيناه عيسى بن مريم
 البينات وأيدناه بروح القدس) والآيات في ذلك كثيرة جداً وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين (ما من مولود إلا
 والشيطان يطمئن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها ذهب يطمئن فطمئن في الحجاب)
 وتقدم حديث عمر بن هانئ عن جنادة عن عبادة عن رسول الله (ص) أنه قال (من شهد أن لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته التي القاها الى
 مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) رواه البخاري (وهذا
 لفظه ومسلم)

وروى البخارى ومسلم من حديث الشعبي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله (ص): (إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلّمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها كان له أجران وإذا آمن يمسى بن مريم ثم آمن بي فله أجران والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران) هذا لفظ البخارى . وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى أنبأنا هشام عن معمر (ح) وحدثني محمود حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال النبي (ص): (ليلة أسرى بي لقيت موسى قال فنته فاذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنؤة قال ولقيت عيسى فنته النبي (ص) فقال ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعنى الحمام ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به الحديث) وقد تقدم فى قصتي ابراهيم وموسى ثم قال حدثنا محمد بن كثير أنبأنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن بن عمر قال قال النبي (ص): (رأيت عيسى وموسى و ابراهيم . فأما عيسى فأحر جمد عريض الصدر . وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط تفرد به البخارى . وحدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن نافع قال قال عبد الله بن عمر ذكر النبي (ص): (يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال ان الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية وأراني الليلة عند الكعبة فى المنام فاذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبيه رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح بن مريم . ثم رأيت رجلاً وراءه جعد قطط أعور عين اليمنى كاشبه من رأيت ب ابن قطن واضعاً يده على منكبيه رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح الدجال . ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة . ثم قال البخارى تابعه عبد الله بن نافع ثم ساقه من طريق الزهرى عن سالم بن عمر قال الزهرى وابن قطن رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية . فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيح المهدى ومسيح الضلالة ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له أسرقت قال كلا والذى لا إله إلا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني) وكذا رواه محمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن الحسن وغيره عن أبي هريرة قال ولا أعلمه إلا عن النبي (ص) قال (رأى عيسى رجلاً يسرق فقال يا فلان أسرقت فقال لا والله ما سرق فقال آمنت بالله وكذبت بصرى) . وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحداً لا يحلف بمظلمة الله كاذباً على مشاهدته منه عياناً قبل عذره ورجع على نفسه فقال آمنت بالله أى صدقت وكذبت بصرى لأجل حلفك . وقال البخارى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن

المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (س) (تمشرون حفاة عراة غرلا . ثم قرأ) كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) فأول الخلق يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم (و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فاعذبهم عبادك . وإن تغفر لهم فإنا نحن الغفران) تفرد به دون مسلم من هذا الوجه . وقال أيضا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفیان سمعت الزهري يقول أخبرني عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله (س) يقول (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فاتما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله *)

وقال البخارى حدثنا ابراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (س) قال (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج يصلى إذ جاءته أمه فدعته فقال أجبها أو أصلى فقالت اللهم لاتمته حتى تراه وجوه المومسات وكان جريج في صومعة فرضت له امرأة وكلته فأبى فأنت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقيل لها من قالت من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فترواً وصلى ثم أتى الغلام قال من أبوك يا غلام قال فلان الراعى قالوا أنبئ صومعتك من ذهب قال لا إلا من طين . وكانت امرأة ترضع ابناً لها في بني اسرائيل فربها رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تنجلى مثله . ثم أقبل على ثديها يمصه . قال أبو هريرة كأتى أنظر إلى النبي (س) يمص أصبعه ثم مر بأمة فقالت اللهم لا تنجلى ابني مثل هذه فترك ثديها فقال . اللهم اجعلني مثلها فقالت لم ذلك قال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقت وزنت ولم تفعل * وقال البخارى حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله (س) يقول (أنا أولى الناس بابن مريم والانبيا . أولاد علات ليس بيني وبينه نبي تفرد به البخارى من هذا الوجه . ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي داود الحفري ^(١) عن الثوري عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) (أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام والانبيا . أخوة أولاد علات وليس بيني وبين عيسى نبي . وهذا أسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجه من هذا الوجه وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن مصر عن همام عن أبي هريرة عن النبي (س) بنحوه وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه . وقال أحمد

حدثنا يحيى عن ابن أبي عروبة حدثنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة عن النبي (س) قال (الانبياء اخوة لسلات . ودينهم واحد وأمهاتهم شتى . وآقاؤلى الناس عيسى بن مريم لأنه لم يكن ينفى ويثنه نبي وإنما نزل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحرة والبياض سبط كأن رأسه يطر وان لم يصبه بلل بين محصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويطل الملل حتى يهلك في زمانه كلها غير الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال والكذاب وتقع الأمانة في الارض حتى ترتفع الابل مع الأسد جميعا والنمر مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً فيمكث ماشاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه . ثم رواه احمد عن عفان عن همام عن قتادة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة فذكر نحوه وقال فيمكث أربعين سنة . ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون . ورواه أبو داود عن هبة بن خالد عن همام بن يحيى به نحوه . وروى هشام بن عروة عن صالح مولى أبي هريرة عنه أن رسول الله (س) قال (فيمكث في الأرض أربعين سنة . وسيأتي بيان نزوله عليه السلام في آخر الزمان في كتاب الملاحم كما بسطنا ذلك أيضاً في التفسير عند قوله تعالى في سورة النساء (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) وقوله (وأنه لعلم للساعة الآية) وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له امام المسلمين تقدم يا روح الله فصل فيقول لا بمضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة . وفي رواية فيقول له عيسى انما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلفه . ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة . وذكرنا أنه قوى الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض وقد بنيت أيضاً من اموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها فينزل عليها عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من أحد إلا الاسلام وأنه يخرج من فج الروحاء حاجاً أو مستمراً أو لثنتينهما ويقيم أربعين سنة ثم يموت فيدفن فيما قبل في الحجرة النبوية عند رسول الله (س) وصاحبه . وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً أنه يدفن مع رسول الله (س) وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن لا يصح اسناده وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا زيد بن اخزم الطائى حدثنا أبو قتية مسلم بن قتيبة حدثني أبو مودود المدنى حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم عليهم السلام يدفن معه . قال أبو مودود وقد بقي من البيت موضع قبر . ثم قال الترمذى هذا حديث حسن كذا قال . والصواب الضحاك بن عثمان المدنى . وقال البخارى هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه وروى البخارى عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن عاصم الأحول عن أبي عثمان التهذلي عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد (س) ستمائة سنة وعن قتادة خمسمائة

وستون سنة . وقيل خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة . والمشهور ستمائة سنة * ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقدرية لتكون ستمائة بالشمسية والله أعلم *

وقال ابن حبان في صحيحه (ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه) حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو همام حدثنا الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضين بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (ص) : (لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتي سنة) . وهذا حديث غريب جداً وإن صححه ابن حبان . وذكر ابن جرير عن محمد بن اسحاق أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصي الحوارين بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا أنه أصبح كل اثنان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح اليهم . وذكر غير واحد أن الانجيل نقله عنه أربعة لوقا ومتى ومرقس ويوحنا وبين هذه الانجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة وقص بالنسبة إلى الأخرى وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما متى ويوحنا ومنهم اثنان من أصحاب أصحابه (١) وهما مرقس ولوقا وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له ضينا وكان مختفياً في مغارة داخل الباب الشرقي قريباً من الكنيسة المصلبة خوفاً من بولس اليهودي وكان ظالماً غاشماً مبغضاً للمسيح ولما جاء به . وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد * ثم رجمه حتى مات رحمه الله * ولما سمع بولس أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جهز بغاله وخرج ليقتله فتلقاه عند كوكبا فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه . فلما رأى ذلك وقع (١) من هنا إلى قوله (كتاب اخبار الماضين الخ) لم يوجد بالنسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية ووجد بها بدله هذه العبارة . وهي وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافي في كتابه الرد على النصارى بعضهم يرد عليهم في قولهم بصلب المسيح وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم أنه ابن الله تعالى الله عز قولهم علواً كبيراً *

عجبا للمسيح بين النصارى * وإلى الله ولداً نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا * لأنهم بعد قتله صلبوه
فالذا كان ما تقولون حقاً * وصحيحاً فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعادي * أترام أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضياً بأذاهم * فاعذروهم لأنهم رافقوه
ولئن كان ساخطاً فتركوه * واعبدوهم لأنهم غلبوه

في نفسه تصديق المسيح فجاء اليه واعتذر مما صنع وآمن به قبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره فقال اذهب الى ضينا عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعوك فجاء اليه فدعا فرد عليه بصره وحسن ايمان بولص بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وبنت له كنيسة باسمه فهي كنيسة بولص المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة رضى الله عنهم حتى خربت في الزمان الذي سنورده إن شاء الله تعالى .

فصل في

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه الى السماء فيه على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف كما أوردناه عند قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوم فأصبحوا ظاهرين) قال ابن عباس وغيره قال قائلون منهم كان فينا عبد الله ورسوله فرغ الى السماء وقال آخرون هو الله وقال آخرون هو ابن الله فالأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم كما قال (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) وقد اختلفوا في قل الأنجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة وقصان وتحريف وتبديل ثم بعد المسيح بثلاثة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى . اختلف البطاركة الاربعة وجميع الاساقفة والقساوسة والشمامسة والرهايين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب واجتمعوا ونحوا كموا إلى الملك قسطنطين بن القسطنطينة وهم الجميع الاول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا الملائكة ودحض من عدام وأبدم وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن اديوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البرارى والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات وقنعوا بالعيش الزهيد ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل وبنت الملائكة الكنائس الهائلة عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان فحولوا محاريبها الى الشرق وقد كانت إلى الشمال الى الجدى *

سيرة بناء بيت لحم والعمامة

وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنت أمه هيلانة القمامة بنى على قبر المصلوب وهم يسمون لليهود أنه المسيح . وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء ووضعوا القوانين والأحكام . ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك الخنزير وصلوا إلى الشرق ولم يكن المسيح صلى إلا الى صخرة بيت المقدس وكذلك جميع الانبياء بعد موسى . ومحمد خاتم النبيين صلى اليها بعد هجرته الى المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ثم حول الى الكعبة التي بناها ابراهيم الخليل . وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونسازم

ورجالهم التي يسمونها بالامانة . وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخيانة وجميع الملكية والنسبورية أصحاب
نسطورس أهل الجمع الثاني واليعقوبية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث يعتقدون هذه
العقيدة ويختلفون في تفسيرها وهأنا أحكيها وحاكي الكفر ليس بكافر لاثبت على ما فيها ركة الالفاظ
وكثرة الكفر والجلال المفضى بصاحبه الى النار ذات الشواظ فيقولون تؤمن بالله واحد ضابط الكل
خالق السموات والارض كل ما يرى وكل ما لا يرى ورب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من
الاب قبل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر الذي كان
به كل شيء من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجد من روح القدس ومن
مريم العذراء وتانس وضلب على عهد ملاطس النبطي وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب
وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الاب وأيضاً فسيأتي بجسده ليدير الاحياء والاموات الذي لا فناء
لملكه وروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب مع الابن والابن مسجود له وبمجد الناطق
في الانبياء كنيسة واحدة جامعة مقدسة يهودية واعترف بعمودية واحدة لغفرة الخطايا وأنه حي قيامة
الموتى وحياة الدهر العتيد كونه آمين

كتاب الخبر الحافضين

من بني اسرائيل وغيرهم الى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم فانا سنورد ذلك بعد
فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى قال الله تعالى (كذلك قص عليك من أبناء ماقد سبق وقد
أتيناك من لدنا ذكراً) . وقال (نحن قص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن
كنت من قبله لمن الغافلين) .

خبر ذي القرنين

قال الله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . انا مكنا له في الارض
وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد
عندها قوما . قلنا إذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قل أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد
إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وستقوله له من أمرنا يسراً . ثم
أتبع سبباً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أحننا
بما لديه خبراً . ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً .
قالوا إذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم
سداً . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً أتوفى زبر الحديد حتى إذا ساوى

بين الصدفين قال اغنخوا حتى إذا جملة فلما قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما استطاعوا أن يظهروه وم استطاعوا له قبا . قال هذا رحمة من ربي فلذا جاء وعد ربي جملة دكا . وكان وعد ربي حقا . ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأنتى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الاقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالمدة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقتسط . والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين وقيل كان نبيا . وقيل رسولا . وأغرب من قال ملكا من الملائكة . وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فانه سمع رجلا يقول لا آخر إذا القرنين فقال مه ما كنتم أن تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة ذكره السهلي . وقد روى وكيع عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو قال كان ذو القرنين نبيا . وروى الحافظ بن عساكر من حديث أبي محمد بن أبي نصر عن أبي اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب حدثنا محمد بن حماد أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذؤيب عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا أدري أتبع كان لبيثا أم لا ولا أدري الحدود كفارات لاهلها أم لا ولا أدري ذو القرنين كان نبيا أم لا) . وهذا غريب من هذا الوجه . وقال اسحاق بن بشر عن عثمان بن الساج عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ذو القرنين ملكا صالحا رضى الله عمله وأنتى عليه في كتابه وكان منصورا وكان الخضر وزيره . وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في اصلاح الناس اليوم . وقد ذكر الازرقى وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدى ابراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو واسماعيل عليه السلام ^(١) وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشيا وأن ابراهيم لما سمع قدومه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد والله أعلم .

واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين قيل لانه كان له في رأسه شبه القرنين . قال وهب بن منبه كان له قرن من نحاس في رأسه وهذا ضعيف وقال بعض أهل الكتاب لانه ملك فارس والروم وقيل لانه بلغ قرنى الشمس غربا وشرقا . وملك ما بينهما من الارض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري وقال ^(٢) الحسن البصري كانت له غديرتان من شعر يطافهما فسوى ذا القرنين وقال اسحاق ابن بشر عن عبد الله بن زياد بن سمعان عن عمر بن شبيب عن أبيه عن جده أنه قال دعا ملكا جبارا إلى الله فضره على قرنه فكسره ورضه . ثم دعا فدفق قرنه الثاني فكسره فسعى ذا القرنين وروى الثوري عن جيبه بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال

(١) من هنا الى قوله قال وهب بن منبه الخ لم يوجد بالنسختين المصريتين .

(٢) من هنا الى قوله وروى الثوري لم يوجد بهما أيضا

كان عبداً ناصحاً الله فناصحه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه ذات فأجابه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات فسمى ذا القرنين . وهكذا رواه شعبة القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي به * وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل عن علي قال لم يكن نبياً ولا رسولا ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً .

وقد اختلف في اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون^(١) بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن قحطان .

وقد جاء في حديث أنه كان من حمير وأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله . وقد أنشد بعض الحميريين^(٢) في ذلك شعراً يفخر بكونه أحد أجداده فقال :

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ جَدِّي^(٣) مُسْلِمًا مَلِكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكَ وَتُحْشِدُ^(٤)

(١) كذا في المعنى على البخاري بالعين المهملة والتون وهو خطأ والصواب غوث بالعين المعجمة والثاء المثلثة كما في أنساب السمعاني . (٢) قوله بعض الحميريين هو تتبع على ما في المرائس للتلحي وهو تبع أبو كرب كما في التيجان في ملوك حمير والشعر من قصيدة هي أحد وخمسون بيتاً (٣) قوله جده جدى كذا في التيجان ورواه صاحب المرائس في قصص الانبياء والفخر الرازي في تفسيره قبل . (٤) قوله ملكاً تدين له الملوك وتحشد كذا بالأصل بالشين المعجمة بعد الحاء المهملة ورواية المرائس وتسجد بالميم بدل السين المهملة وعلى كلتا الروايتين يكون في البيت عيب من عيوب القوافي وهو الاكفاء وهو اختلاف القوافي بالضم والكسر فان الشعر مكسور الروى وهو الدال قال الشاعر في أول القصيدة

نحن الملوك ذوو الملا والسودد نحن الحماة بنو الهمام الامجد
سميت أسعد والسعود طوالع لا بد أن ترقى النحوس لأسعد
أفبعد واثل والمقعقع بسده ترجو الخلود وأنت غير مخلد

إلى آخره وأنشد الفخر الرازي في تفسيره هذا الشعر هكذا

قد كان ذو القرنين قبل مسلماً ملكاً علا في الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتنى اسباب ملك من كريم سيد

وعليه فلا إكفاء واقتصر في المرائس على الايات الثلاثة وترك البيت الأخير هنا وأنشدها كما أنشدها المؤرخ هنا غير أنه قال قبل بدل جدى وقال تسجد بدل تحشد كما علمت والشعر في التيجان هكذا وليس فيه البيت الأخير أيضاً مع ذكره القصيدة كلها قال الشاعر في مكة

بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب أمر من حكيم مُرشِد
 فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب ونأط حرمَد
 من بعده بليقيس كانت عتي مَلَكْتُهُمْ حتَّى أتاها الهددُ

قال السهيلي وقيل كان اسمه مرزبان بن مرزبة . ذكره ابن هشام ^(١) وذكر في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مراند وهو أول التباينة وهو الذي حكم لابراهيم في بئر السبع . وقيل إنه أفريدون ابن أسفيان الذي قتل الضحاك وفي خطبة قس يا معشر اياد بن الصعب ذو القرنين ملك الخاقين وأذل الثقلين وعمر الفين . ثم كان ذلك كالحظة عين ثم اشد ابن هشام للاعشى .

والصعب ذو القرنين أصبح ناوياً بالجنو في جدتٍ أشم مقيماً

وذكر الدارقطني وابن ما كولا أن اسمه هرمس ^(٢) ويقال هرويس بن قيطون بن رومي بن لنطى ابن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح فآله أعلم . وقال اسحق بن بشر عن سعيد بن بشر عن قتادة قال اسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام . فلما ذو القرنين الثاني فهو اسكندر بن فيلبس بن مصرم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطى بن يونان بن يافث ابن يونة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومي بن الاصفر بن يقز بن العيص بن اسحق ابن ابراهيم الخليل كذا نسبه الحافظ ابن عساكر في تاريخه . المقدوني اليوناني المصري باقى اسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخراً عن الاول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان ارطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذى قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم .

وأقام ذو القرنين فيها حجة خوفا يطوف على اللظى المتوقد
 إذ كان ذو القرنين جدى مسلماً فمضى تراه له المقاولُ تسجد
 طاف المشارق والمغارب عالماً يبغي علوماً من كريم مرشد
 ورأى مسير الشمس عند غروبها في عين ذي خلب ونأط حرمَد
 فلقد أذل الصعب صعب زمانه وأنط قوة عزه بالفرقد

ثم قال في التيجان قال معاوية يا ابن عباس فما الخلب والنأط والحرمد قال الخلب الحساء والنأط ما تحتها من الطين والحرمد ما تحته من الحصى والحجر .

(١) قوله ذكره ابن هشام أى في السيرة وقوله وذكر في موضع آخر أى في التيجان في ملوك حمير روايته عن وهب بن منبه اه محمود الامام .

(٢) والذي في العرائس عن اكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبس بن بطريوس بن هرمس ابن هردوس بن منتون بن رومي بن لطين بن يونان بن يافث . اه محمود الامام

واتما نهنا عليه لان كثيرا من الناس يمتد أنها واحد وان المذكور في القرآن هو التي كان اوطا طابيس
 وزيره فقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير فان الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً
 عادلاً وكان وزيره الخضر وقد كان نبياً على ما قرناه قبل هذا . وأما الثاني فكان مشركاً وكان وزيره
 فيلسوفاً وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة . فأن هذا من هذا لا يستويان ولا يشتهان إلا على غي
 لا يعرف حقائق الامور * قوله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين) كان سببه أن قريئاً سألوا اليهود
 عن شئ يمتحنون به علم رسول الله (ص) فقالوا لهم سلوه عن رجل طواف في الأرض وعن خية
 خرجوا لا يدري ما فعلوا فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين . ولهذا قال (قل
 سألتوا عليكم منه ذكراً) أى من خبره وشأنه (ذكرآ) أى خيراً ثلثاً كلفياً في تعريف امره وشرح
 حاله فقال (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شئ سبياً) أى وسعنا مملكته في البلاد وأعطيناه
 من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاربه من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة . قال
 قتبية عن أبي عوانة عن سمالك عن حبيب بن حماد قال كنت عند علي بن أبي طالب وسأله رجل عن
 ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال له (سخر له السحاب وملئت له الأسباب وبسط له في
 النور) وقال أزيدك فسكت الرجل وسكت على رضى الله عنه . وعن أبي اسحاق السبيعي عن عمرو بن
 عبد الله الوادعي سمعت معاوية يقول : ملك الأرض أربعة . سليمان بن داود النبي عليهما السلام . وذو
 القرنين ورجل من أهل حلوان . ورجل آخر . قيل له الخضر قال لا * وقال الزبير بن بكار حدثني
 ابراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفیان الثوري قال بلغني أنه ملك الأرض كلها
 أربعة (مؤمنان وكافران سليمان النبي وذو القرنين ونمرود وبخت نصر) وهكذا قال سعيد بن بشير
 سواء وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال (كان ذو القرنين ملك
 بعد النمرود وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب مد الله له في الاجل
 ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الاموال وفتح المدائن وقتل الرجال وجال في البلاد والقلاع
 فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قول الله (ويسألونك عن ذى القرنين قل سألتوا عليكم منه
 ذكرآ) أى خيراً (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شئ سبياً) أى علماً بطلب اسباب المنازل *
 قال اسحاق وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز فمن اتبعه على دينه واتبه عليه وإلا
 قتله . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقاتدة والضحاك
 (وآتيناه من كل شئ سبياً) يعنى علماً وقال قتادة ومطر الوراق معالم الأرض ومنازلها واعلامها وآثارها
 وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعنى تعلم اللسانة كان لا يفرز قوماً إلا حشدتهم بلقنهم والصحيح أنه
 يعم كل سبب يتوصل به الى نيل مقصوده في المملكة وغيرها فانه كان يأخذ من كل اقليم من الامتعة

والمطاعم والزاد ما يكفيه ويمينه على اهل الاقليم الآخر *

وذكر بعض اهل الكتاب أنه مكث ألفا وستائة سنة يجوب الارض ويدعو أهلها الى عبادة الله وحده لا شريك له وفي كل هذه المدة نظر والله أعلم . وقد روى البيهقي وابن عساكر حديثاً متعلقاً بقوله (وآيتناه من كل شيء سيباً) مطولاً جداً وهو منكر جداً . وفي اسناده محمد بن يونس الكندي وهو منهم فلماذا لم نكتبه لسقوطه عندنا والله أعلم وقوله (فأتبع سيباً) أى طريقاً (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) يعنى من الارض انتهى الى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له أوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالديات التى هى مبدأ الاطوال على أحد قولى اربلب الهيثة والثانى من ساحل هذا البحر كما قدمنا . وعنده شاهد مقبب الشمس فيما رآه بالنسبة الى مشاهدته (تغرب فى عين حمئة) والمراد بها البحر فى نظره فان من كان فى البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولهذا قال (وجدها) أى فى نظره ولم يقل فإذا هى تغرب فى عين حمئة أى ذات حمأة . قال كمب الاحبار وهو الطين الاسود . وقرأه بعضهم حامية . فقيل يرجع إلى الاول . وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها . وقد روى الامام احمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثنى مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله . قال نظر رسول الله ص : إلى الشمس حين غابت فقال (فى نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لاحت ما على الارض) فيه غرابة وفيه رجل مبهم لم يسم ورفعه فيه نظر وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو فانه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها والله أعلم * ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشى بمجيوشه فى ظلمات مدداً طويلة فقد أخطأوا بعد النجمة . وقال ما يخالف العقل والنقل .

سِيَّاحُ طَلَبَ فِي الْقَرْنَيْنِ عَيْنَ الْحَيَاةِ

وقد ذكر ابن عساكر من طريق وكيع عن أبيه عن معتمر بن سليمان عن أبي جعفر الباقر عن أبيه زين العابدين خيراً مطولاً جداً فيه أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رفاقيل فسأله ذو القرنين هل تعلم فى الأرض عيناً يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين فى طلبها وجعل الخضر على مقدمته فاتمى الخضر إليها فى وادى فى أرض الظلمات فشرب منها ولم يهتد ذو القرنين إليها . وذكر اجتماع ذى القرنين ببعض الملائكة فى قصر هناك وأنه اعطاه حجراً فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضوه فى كفة ميزان وجعلوا فى مقابلته ألف حجر مثله فوزنها حتى سأل الخضر فوضع قبالة حجراً وجعل عليه حفنة من تراب فوجج به . وقال هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى

فالتراب فسجد له العلماء تكريماً له واعظاماً والله اعلم * ثم ذكر تعالى أنه حكم في أهل تلك الناحية (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فبعذه عذاباً نكراً) أى فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة وبدأ بعذاب الدنيا لانه أضر عند الكافر (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسراً) فبدأ بالأم وهو ثواب الآخرة . وعطف عليه الاحسان منه اليه وهذا هو العدل والعلم والايمان قال الله تعالى (ثم أتبع سييئاً) أى سلك طريقاً راجعاً من المغرب الى المشرق فيقال إنه رجع في ثنتي عشر سنة (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) أى ليس لهم بيوت ولا اكنان يستترون بها من حر الشمس . قال كثير من العلماء ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر الى اسراب قد اتخذوها في الارض شبه القبور قال الله تعالى (كذلك وقد احطنا بما لديه خبراً) أى ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكأوه بمراسنتنا في مسيره ذلك كله من مغارب الارض الى مشارقها .

وقد روى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف أن ذرا القرنين حج ماشياً فلما سمع ابراهيم الخليل بقدمه تلاقه فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا ويقال انه جرى بفرس ليركبها فقال لا أركب في بلد فيه الخليل فسخر الله له السحاب وبشره ابراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد . وقوله تعالى (ثم أتبع سييئاً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) يعنى عشياً . يقال انهم هم الترك ابنا عم يأجوج ومأجوج فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم وأفسدوا في بلادهم وقطعوا السبل عليهم وبذلوا له حملاً وهو الخراج على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول اليهم فامتنع من أخذ الخراج اكفاء بما أعطاه الله من الاموال الجزيلة (قال ما مكنتي فيه ربي خير) ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالاً وآلات ليبنى بينهم وبينهم سداً وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج اليهم إلا من بينهما وبقيّة ذلك بحار مفرقة وجبال شاهقة فبناء كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب . وقيل الرصاص والصحيح الاول فحصل بدل اللين حديداً وبديل الطين نحاساً ولهذا قال تعالى (فما استطاعوا أن يظهروه) أى يملوا عليه بسلام ولا غيرها (وما استطاعوا له قبلاً) أى بماول ولا فؤس ولا غيرها قتابل الاسهل بالاسهل والاشد بالاشد (قال هذا رحمة من ربي) أى قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم في تلك المحلة (فاذا جاء وعد ربي) أى الوقت الذى قدر خروجهم على الناس في آخر الزمان (جعله دكاء) أى مساوياً للارض ولا بد من كون هذا ولهذا قال (وكان وعد ربي حقاً) كما قال تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق الآية) ولذا قال همنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) يعنى يوم فتح السد على الصحيح (ونفخ في

الصور فجمعناهم جماعاً) وقد أوردنا الاحاديث المروية في خروج يأجوج ومأجوج في التفسير وسنوردها ان شاء الله في كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا إذا انتهينا اليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعوته وهدايته .

قال أبو داود الطيالسي عن الثوري بلغنا أن أول من صانح ذو القرنين . وروى عن كعب الاحبار انه قال لماوية إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو مات أن تصنع طعاماً وتجمع نساء أهل المدينة واتضعه بين أيديهن وتأذن لمن فيه إلا من كانت ثمكلى فلا تأكل منه شيئاً فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه فقالت لمن سبحان الله كلكن ثمكلى قتلن أى والله ما منا إلا من اتمكلت فكان ذلك تسلياً لأمه . وذكر اسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذى القرنين وموعظة أمه موعظة بليغة طويلة فيها حكم وأمور نافعة وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة وهذا غريب .

قال ابن عساكر وبلغني من وجه آخر أنه عاش ستاً وثلاثين سنة . وقيل كان عمره ثنتين وثلاثين سنة . وكان بعد داود بسبعائة سنة وأربعين سنة . وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة وأحدى وثمانين سنة . وكان ملكه ست عشرة سنة . وهذا الذي ذكره انما ينطبق على اسكندر الثاني لا الأول وقد خلط في أول الترجمة وآخرها بينهما والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداءً بجماعة من الحفاظ والله أعلم * ومن جعلهما واحداً الامام عبد الملك بن هشام راوى السيرة وقد أنكر ذلك عليه الحافظ أبو القاسم السهيلي رحمه الله انكاراً بليغاً ورد قوله رداً شنيعاً وفرق بينهما تفرقاً جيداً كما قدمنا قال ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذى القرنين تشبهاً بالاول والله اعلم *

فكر لىبى بأجوج ومأجوج

وصفاتهم وما ورد من أخبارهم وصفة السد

هم من ذرية آدم بلاخلاف فعلمه ثم الدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله (ص) يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فابث بئث النار من ذريتك فيقول يارب وما بئث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد * قالوا يا رسول الله أينما ذلك الواحد فقال رسول الله (ص) (ابشروا فان منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً) وفي رواية فقال ابشروا فان فيكم أمتين ما كاتتا في شئ إلا كثرته أى غلبته كثرة وهذا يدل على كثرتهم وانهم اضعاف الناس مراراً عديدة . ثم هم من ذرية نوح لان

الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) وقال تعالى (فأنجيناها وأصحاب السفينة) وقال (وجعلنا ذريته هم الباقين) وتقدم في الحديث المروى في المسند والسنن أن نوحاً ولد له ثلاثة وهم سام وحام وياث فسام أبو العرب وحام أبو السودان وياث أبو الترك فأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مثل المغول وهم أشد بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء. ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم. وقد قيل إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد والجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا من ورائه * فلهذا قيل لهم الترك.

ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نقطة آدم حين احتلم فاخططت بقراب فخلقوا من ذلك وأنهم ليسوا من حواء فهو قول حكاة الشيخ أبو زكريا النوازي في شرح مسلم وغيره وضعفوه وهو جدير بذلك إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن * وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً. فمنهم من هو كالنخلة السحوق. ومنهم من هو غاية في القصر. ومنهم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالآخرى فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيث بغير برهان. والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وقد قال النبي (س) (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن. وهذا فيصل في هذا الباب وغيره. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً فإن صح في خبر قلنا به والا فلا نزده إذ يحتله العقل والنقل أيضاً قد يرشده إليه والله أعلم. بل قد ورد حديث مصرح بذلك أن صح قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصبهاني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المنيرة عن مسلم عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي (س) قال (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فضاغداً. وإن من ورائهم ثلاث أمم (تأويل وتاريس ومنسك). وهو حديث غريب جداً وإسناده ضعيف. وفيه زكارة شديدة * وأما الحديث الذي ذكره بن جرير في تاريخه أن رسول الله (س) ذهب إليهم ليلة الأسراء فدعاهم إلى الله فامتنعوا من إجابته ومتابته وأنه دعا تلك الأمم التي هناك (تاريس وتأويل ومنسك) فاجابوه فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصباح أحد الكذابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله اعلم.

فإن قيل فكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فداه المؤمنين يوم القيامة وأنهم في النار ولم يبعث إليهم رسل. وقد قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالجواب أنهم لا يعذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والاعذار إليهم كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فإن كانوا في زمن

الذي قبل بث محمد (س)، قد أتتهم رسل منهم قد قامت على أوزلك الحجة وان لم يكن قد بث الله اليهم رسلا فهم في حكم أهل الفترة . ومن لم تبلغه الدعوة وقد دل الحديث المروي من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله (س)، (ان من كان كذلك يمتحن في عرصات القيامة فمن أجلب الداعي دخل الجنة ومن أبي دخل النار) وقد أوردنا الحديث بطرقة وألفاظه وكلام الائمة عليه عند قوله (وما كنا معذنين حتى نبث رسولا) وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري اجماعاً عن أهل السنة والجماعة وامتاحتهم لا يقتضى نجاتهم ولا ينافى الأخبار عنهم بأنهم من أهل النار لأن الله يطلع رسوله (س) على ما يشاء من أمر الغيب وقد اطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء وأن سجاياهم تأتي قبول الحق والاعتقاد فهم لا ينجون الداعي الى يوم القيامة فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكذيباً للحق في الدنيا لو بلغهم فيها لأن في عرصات القيامة يقتل خلق من كل مكنب في الدنيا فايقاع الايمان هناك لما يشاهد من الأحوال أولى وأحرى منه في الدنيا والله أعلم . كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمنا فارجعلنا فمهل صالحاً إنا وقنون) وقال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) * وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله (س) دعاهم ليلة الاسراء فلم يجيبوا فنه حديث منكر بل موضوع وضعه عمرو بن العاص .

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناء من الحديد والنحاس وسأوى به الجبال الصم الشاخات الطوال فلا يعرف على وجه الارض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم . قال البخاري وقال رجل للنبي (س) رأيت السد قال وكيف رأيته قال مثل البرد المحبر قال رأيته هكذا . ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم واره مسنداً من وجه متصل أرخصه غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسلًا فقال حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلاً قال (يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال افتهلى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته .

وقد ذكر أن الخليفة الوائق بث رسلا من جهته وكتب لهم كتباً إلى الملوك بوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناء ذو القرنين على أي صفة فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيماً وعليه أقفال وأنه بناء محكم شاهق منيف جداً وأن بقية اللين الحديد والآلات في برج هناك وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المناخنة لتلك البلاد ومحلته في شرقي الارض في جهة الشمال في زاوية الارض الشرقية الشمالية ويقال ان بلادهم متسعة جداً وأنهم يقتاتون باصناف من المعاش من حراثة وزراعة واصطياد من البر ومن البحر وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم . فان قيل فما الجمع بين قوله تعالى (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له قبياً) وبين الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها قالت استيقظ رسول الله (س) .

من نوم محرراً وجهه وهو يقول (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم
يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق تسمين) قلت يا رسول الله أنهلك وفيما الصالحون قال نعم إذا كثرت
الخبث . وأخرجاه في الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال قال
رسول الله (ص) (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد تسمين) . فلبواب أما على قول
من ذهب الى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن وان هذا استعارة محضه وضرب مثل فلا
اشكال . واما على قول من جعل ذلك اخباراً عن امر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا اشكال أيضاً
لان قوله (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له قبلاً) أى في ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر
ماض فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل باذن الله لهم في ذلك قدراً وتسليطهم عليه بالتدرج قليلاً قليلاً حتى يتم
الاجل وينتفى الامر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى (وهم من كل حذب ينسلون) ولكن الحديث
الآخر اشكل من هذا وهو ما رواه الامام أحمد في مسنده قاتلاً حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة
عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) قال (ان يأجوج ومأجوج ليحفرون
السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون
اليه كاشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يعيهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون
شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله ويستنفى فيعودون اليه وهو كهيمة يوم
تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستون المياه وتتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم الى
السماء فترجع وعليها كهيمة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نفاقاً في
اقفائهم فيقتلهم بها . قال رسول الله (ص) (والذى نفس محمد بيده إن دواب الارض لتسمن وتشكر
شكراً من لحومهم ودمائهم) ورواه احمد أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به وهكذا رواه
ابن ماجه من حديث سعيد عن قتادة الا أنه قال حديث أبو رافع ورواه الترمذى من حديث أبي
عوانة عن قتادة به . ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه فقد أخبر في هذا الحديث أنهم كل
يوم يلحسونه حتى يكادوا يندرون شعاع الشمس من ورائه لرقته فان لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً
وانما هو مأخوذ عن كعب الاحبار كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤنة وان كان محفوظاً فيكون
محمولاً على أن ضيغهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروى عن كعب الاحبار
أو يكون المراد بقوله (وما استطاعوا له قبلاً) أى نافذاً منه فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم
وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن أبي هريرة فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
مثل هذه وعقد تسمين أى فتح فتحاً نافذاً فيه والله أعلم *

قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى (أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ثم بشناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة لولا يأتون عليهم سلطان بين فتن أعظم من افترى على الله كذبا. وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ونحسبهم أبقاظاً وهم رقود وقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملكت منهم رعباً. وكذلك بشناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم. قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فاجثوا احدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فلدأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا. انهم ان يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا. وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لأربب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بيانا ربههم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً. سيقولون ثلاثة رابهم كاهم ويقولون خمسة سادسهم كاهم رجاً بالغيث. ويقولون سبعة وثامنهم كاهم. قل ربى أعلم بملتهم ما يملهم إلا قليل فلانما ربههم إلا مرء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً. ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وإذا كر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً. ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصره واسمع ما لم يسمع من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه أحداً)

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين ما ذكره محمد بن اسحاق في السيرة وغيره ان قريشاً بشوا إلى اليهود يسألونهم عن اشياء يتمتعون بها رسول الله (ص). ويسألونه عنها ليختبروا ما يجيب به فيها فقالوا سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدرى ما صنعوا وعن رجل طواف في الأرض وعن الروح فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن الروح. ويسألونك عن ذى القرنين) وقال ههنا (أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أى ليسوا بمعجب عظيم بالنسبة إلى ما اطلعناك عليه من الاخبار العظيمة والآيات الباهرة والمجائب الغريبة. والكهف هو الغار في الجبل. قال شعيب الجباني

واسم كهفهم حيزم وأما الرقيم فمن ابن عباس أنه قال لا أدري ما المراد به . وقيل هو الكتاب المرقوم فيه
اسماؤهم وما جرى لهم كتب من بعدهم اختاره ابن جرير وغيره . وقيل هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم .
قال ابن عباس وشعيب الجبائي واسمه بناجلوس . وقيل هو اسم واد عند كهفهم وقيل اسم قرية هنالك
والله أعلم

قال شعيب الجبائي واسم كابهم حمران واعتناء اليهود بهم ومعرفة خبرهم يدل على أن زمانهم
متقدم على ما ذكره بعض المفسرين انهم كانوا بعد المسيح وانهم كانوا نصارى . والظاهر من السياق أن
قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام . قل كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم كانوا في زمن
ملك يقال له دقيانوس وكانوا من أبناء الأكر . وقيل من أبناء الملوك واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم
فرأوا ما يتعاطاه قومهم من السجود للأصنام والتعظيم للآوثان فنظروا بين البصيرة وكشف الله عن
قلوبهم حجاب الغفلة والهمهم رشدهم فلعوا أن قومهم ليسوا على شيء فخرجوا عن دينهم واتسوا إلى
عبادة الله وحده لا شريك له . ويقال إن كل واحد منهم لما أوقع الله في نفسه ما هداه إليه من التوحيد
أنحاز عن الناس واتفق اجتماع هؤلاء الفتية في مكان واحد كما صح في البخاري (الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) فكل منهم سأل الآخر عن امره وعن شأنه فاخبره
ما هو عليه واتفقوا على الانحياز عن قومهم والتبصر بهم والخروج من بين أظهرهم والفرار بدينهم
منهم وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور . قال الله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم
فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا قتالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي
بدليل ظاهر على ما ذهبوا إليه وصاروا من الامر عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلقوم وما
يعبدون الا الله) أي واذ فارقتهم في دينهم وتبرأتم مما يعبدون من دون الله وذلك لانهم كانوا يشركون
مع الله كما قال الخليل (انني براء مما يعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين) وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم
اذ قد فارقتهم قومكم في دينهم فاعتزلوهم بايديكم لتسلموا منهم أن يوصلوا اليكم شرارا فأووا إلى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أي يسبل عليكم سترة وتكونوا تحت حفظه
وكنفه ويجعل عاقبة أمركم إلى خير كما جاء في الحديث (اللهم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا
من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة) ثم ذكر تعالى صفة الغار الذي آووا إليه وانبأه موجه إلى
نحو الشمال واعماقه إلى جهة القبلة وذلك انهم الاماكن أن يكون المسكن قبليا وبابه نحو الشمال فقال (وترى
الشمس اذا طلعت تزاود) وقرىء تزود (عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فاخبر
ان الشمس يعني في زمن الصيف وأشبابه تشرق أول طلوعها في الغار في جانبه الغربي ثم تشرع في

الخروج منه قليلا قليلا وهو ازورارها ذات اليمين فترتفع في جو السماء وتتخلص عن باب النار ثم اذا تضيفت للغروب تشرع في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلا قليلا الى حين الغروب كما هو المشاهد بمثل هذا المكان والحكمة في دخول الشمس اليه في بعض الاحيان أن لا يفسد هواؤه (وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله) أي بقاؤهم على هذه الصفة دهرًا طويلا من السنين لا يأكون ولا يشربون ولا تتخذى اجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة (من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن نجده له وليا مرشداً وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) قال بعضهم لان اعينهم مفتوحة لئلا تفسد بطول الغمض (وقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل في كل عام يتحولون مرة من جنب الى جنب ويحتل أكثر من ذلك فأنه أعلم (وكلهم باسط ذراعيه بالصيد) قال شعيب الجبائي اسم كلهم حمران وقال غيره الوصيد اسكفة الباب . والمراد أن كلهم الذي كان معهم وصحبهم حال افرادهم من قومهم لم يتركهم ولم يدخل معهم في الكهف بل رضى على بابه ووضع يديه على الوصيد وهذا من جملة أدبه ومن جملة ما اكرموا به فان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولما كانت التبعية مؤثرة حتى كان في كلب هؤلاء صار باقيا معهم ببقائهم لأن من أحب قوماً ساعد بهم فاذا كان هذا في حق كلب فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل الاكرام . وقد ذكر كثير من القصص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبراً طويلاً أكثره متعلق من الاسرائيليات وكثير منها كذب وما لا فائدة فيه كاختلافهم في اسمه ولونه .

واما اختلاف العلماء في محلة هذا الكهف فقال كثيرون هو بارض ايلة . وقيل بارض نينوى . وقيل بالبقاء . وقيل ببلاد الروم وهو اشد شبه والله أعلم . ولما ذكر الله تعالى ما هو الا نفع من خبرهم والاهم من أمرهم ووصف حالهم حتى كأن السامع راء والمخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف وتقلبهم من جنب الى جنب وان كلهم باسط ذراعيه بالصيد . قال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً) أي لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا اليه ولعل الخطاب ههنا لجنس الانسان المخاطب لا بخصوصية الرسول (ص) كقوله (فما يكذبك بعد بالدين) أي أيها الانسان وذلك لان طبيعة البشرية تفر من رؤية الاشياء المهيبة غالباً ولهذا قال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً) ودل على أن الخبر ليس كالعائنة كما جاء في الحديث لان الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب . ثم ذكر تعالى انه بعثهم من رقدتهم بعد نومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين فلما استيقظوا قال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابشروا احكم بورقكم هذه الى المدينة) أي بدراهمكم هذه يعني التي معهم الى المدينة ويقال كان اسمها دفسوس (فلينظر ايها أركى طاماً) أي أطيب مالا (فلينظر ايها أركى طاماً) أي بطعام تأكلونه وهذا من زهدهم

وورعهم (وليتلطف) أى فى دخوله اليها (ولا يشعرون بكم أحدا منهم ان يظهر او عليكم برجومكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا) أى ان عدتم فى ملتهم بعد اذ اهذكم الله منها وهذا كله لظنهم أنهم رقدوا يوماً أو بعض يوم أو أكثر من ذلك ولم يحسبوا أنهم قدرقدوا أزيد من ثلثائة سنة وقد تبدلت الدول أطوارا عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم وجاء غيرهم وذهبوا وجاء غيرهم ولهذا لما خرج أحدهم وهو تيدوسيس (١) فيما قيل وجاء الى المدينة متسكرا لثلا يعرفه أحد من قومه فيما يحسبه تنكرت له البلاد واستنكره من يراه من اهلها واستغربوا شكله وصفته ودراهمه فيقال أنهم حملوه الى متوليهم وخافوا من أمره أن يكون جاسوساً أو تكون له صولة يخشون من مضرته فيقال انه هرب منهم ويقال بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم فانطلقوا معه ليبريهم مكانهم فلما قربوا من الكهف دخل الى اخوانه فآخبرهم حقيقة أمرهم ومقدار ما رقدوا فعلموا أن هذا أمر قدرة الله فيقال أنهم استمروا راقيدين ويقال بل ماتوا بعد ذلك .

وأما أهل البلدة فيقال أنهم لم يهتدوا الى موضعهم من الغار وعى الله عليهم أمرهم ويقال لم يستطيعوا دخوله حسا (٢) ويقال مهابة لهم .

واختلفوا فى أمرهم فقائلون يقولون (ابنوا عليهم بنياناً) أى سدوا عليهم باب الكهف لثلا يخرجوا أو لثلا يصل اليهم ما يؤذيهم وآخرون وهم الغالبون على أمرهم قالوا (لنتخذن عليهم مسجداً) أى معبداً يكون مباركا لجوارته هؤلاء الصالحين . وهذا كان شائعا فيمن كان قبلنا فلما فى شرعنا قد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (لئن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا نبياهم مساجد) يحذر ما فعلوا وأما قوله (وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها) فمعنى أعتزنا أطلعنا على أمرهم الناس . قال كثير من المفسرين ليعلم الناس أن الموعد حق وان الساعة لا ريب فيها اذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلثائة سنة ثم قاموا كما كانوا من غير تغير منهم فان من أقامهم كما هم قادر على اعادة الابدان وان أكتها الابدان وعلى إحياء الاموات وان صارت اجسامهم وعظامهم رقانا وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون (إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) . هذا ويحتمل عود الضمير فى قوله ليعلموا الى أصحاب الكهف إذ علمهم بذلك من أنفسهم ابلغ من علم غيرهم بهم ويحتمل أن يعود على الجميع والله أعلم . ثم قال تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فذكر اختلاف الناس فى كميتهم فحكى ثلاثة أقوال وضعف الاولين وقرر الثالث فدل على انه الحق اذ لو قيل غير ذلك لحكاه ولولم يكن هذا الثالث هو الصحيح

(١) كذا بالاصول والذي فى ابن خنبر أن اسمه يملينا وان تيدوسيس فهو اسم الملك الذى كان

(٢) كذا بالاصول ولعله جينا

على المدينة حين قيامهم

لوهاه فدل على ماقلناه ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده أرشد نبيه (ص) الى الادب في مثل هذا الحال اذا اختلف الناس فيه أن يقول الله أعلم . ولهذا قال (قل ربى أعلم بعتهم) وقوله (ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً) أى سهلاً ولا تتكلف اعمال الجدال في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم احداً من الرجال ولهذا أبهم تعالى عتتهم في أول القصة فقال (إنهم فتية آمنوا بربهم) ولو كان في تعين عتتهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة وقوله تعالى (ولا تقولن لشيء أنى فاعل ذلك غداً إلا ان يشاء الله) واذا ذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً) ادب عظيم أرشده الله تعالى اليه وحث خلقه عليه وهو ما اذا قال احدهم انى سأفعل في المستقبل كذا فيشرع له ان يقول ان شاء الله ليكون ذلك تحقيقاً لعزمه لان العبد لا يعلم ما فى غد ولا يدري اهذا الذى عزم عليه مقدر ام لا وليس هذا الاستثناء تعليقاً وانما هو الحقيقى ولهذا قال ابن عباس يصح الى سنة ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا ولهذا كما تقدم في قصة سليمان عليه السلام حين قال لا طوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله قيل له قل ان شاء الله فلم يقل فطاف فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف انسان قال رسول الله (ص) . والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لم يحث وكان دركاً لحاجته . وقوله (واذا ذكر ربك اذا نسيت) وذلك لان النسيان قد يكون من الشيطان فذكر الله يطرده عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه . وقوله (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً) أى اذا اشتبه أمر واشكل حال والتبس أقوال الناس في شيء فارغب إلى الله ييسره لك ويسهله عليك ثم قال (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تساً) . لما كان في الاخبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة ذكرها تعالى وهذه التسع المزیدة بالقمرية وهى لتكميل ثلثمائة شمسية فان كل مائة قرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين (قال الله أعلم بما لبثوا) أى اذا سئلت عن مثل هذا وليس عندك في ذلك قل فرد الامر في ذلك الى الله عز وجل (له غيب السموات والارض) أى هو العالم بالغيب فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه أبصر به واسمع) يعنى أنه يضع الاشياء في محالها بعلمه التام بخلقها وبما يستحقونه ثم قال (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه أحداً) أى ربك المنفرد بالملك والمنصرف وحده لا شريك له .

قصة الرجلين المؤمنين والكافر

قال الله تعالى في سورة الكهف بعد قصة أهل الكهف (واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً كننا الجنة آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وجرنا خلاهما نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ودخل جنته

وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها متقبلاً (إلى قوله (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقاباً) . قال بعض الناس هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعاً والجمهور أنه أمر قد وقع وقوله (واضرب لهم مثلاً) يعني لكفار قريش في عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء وازدراؤهم بهم وافتخارهم عليهم كما قال تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) كما قدمنا الكلام على قصتهم قبل قصة موسى عليه السلام والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً ويقال إنه كان لكل منهما مال فافق المؤمن ماله في طاعة الله ومرضاته ابتغاء وجهه * وأما الكافر فانه اتخذ له بساتين وهما الجنتان المذكورتان في الآية على الصفة والنعت المذكور. فهما اعتاب ونخيل تحف تلك الاعتاب والزروع في ذلك والانهار سارحة ههنا وههنا للسقي والتنزه وقد استوتقت فهما الثمار واضطربت فهما الانهار وابتهجت الزروع والثمار وافخر مالكهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلاً (أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا) أي أوسع جناناً . ومراده انه خير منه ومعناه ماذا أغنى عنك اغناؤك ما كنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه كان الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلي فافخر على صاحبه (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي وهو على غير طريقة مرضية قال (ما أظن أن تبيد هذه أبداً) وذلك لما رأى من اتساع أرضها وكثرة ماؤها وحسن نبات أشجارها ولو قد بدلت كل واحدة من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها وزروعها دائرة لكثرة مياهها . ثم قال (وما أظن الساعة قائمة) فوقع بزهره الحياة الدنيا الفانية وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة . ثم قال (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها متقبلاً) أي ولئن كان ثم آخره ومعاد فلا أجدن هناك خيراً من هذا وذلك لانه اغتر بديناه واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لجهه له وحظوته عنده كما قال العاص بن وائل فيما قص الله من خبره وخبر خباب بن الارت في قوله (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) وقال (لا وتين مالا وولداً . أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) وقال تعالى اخباراً عن الانسان إذا أُنعم الله عليه (ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) قال الله تعالى (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) وقال قارون (إنما أوتيته على علم عندى) أي لم الله بي أنى أستحقه قال الله تعالى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جماعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وقد قدمنا الكلام على قصته في اثناء قصة موسى . وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تهربكم عندنا زلنى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الفرقات آمنون) . وقال تعالى (أيمحسون أنما تمدهم به من مال وبينن نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) . ولما اغتر هذا الجاهل بما خول به في الدنيا فحسد الآخرة وادعى أنها ان وجدت لي جند عند ربه خيراً مما هو فيه وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له

(وهو يحاوره) أى يجادله (أ كفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) أى أوجدت
المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب . ثم من نطفة ثم صورك أطواراً حتى صرت رجلاً سوياً سميماً
بصيراً تعلم وتبسط وقهم فكيف أنكرت المعاد والله قادر على البداءة (لكننا هو الله ربى) أى لكن أنا
أقول بخلاف ما قلت وأعتقد خلاف معتقدك (هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً) أى لا أعبد سواه واعتقد
أنه يبعث الاجساد بعد فنائها ويميد الاموات ويجمع العظام الرفات وأعلم أن الله لا شريك له فى خلقه ولا
فى ملكه ولا إله غيره ثم أرشده إلى ما كان الاولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال (ولولا إذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ولهذا يستحب لكل من أعجبه شئ من ماله أو أهله أو حاله أن
يقول كذلك وقد ورد فيه حديث مرفوع فى صحته نظر * قال أبو يعلى الموصلى حدثنا جراح بن مخلد حدثنا
عمرو بن يوسف حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارَةَ عن أنس قال قال رسول الله (ص)
(ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فيرى فيه أنه دون
الموت وكان يتأول هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) قال الحافظ
أبو الفتح الأزدى عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارَةَ عن أنس لا يصح ثم قال المؤمن للكافر
(ففى ربى أن يؤتى خيراً من جنتك) أى فى الدار الآخرة (وبرسل عليها حساباً من السماء) قال
ابن عباس والضحاك وقادة أى عذاباً من السماء . والظاهر أنه المطر المزجج الباهر الذى يقتلع زروعها
وأشجارها فتصبح صعيداً زلقاً) وهو التراب الأملس الذى لا نبات فيه (أو يصبح مأوها غوراً)
وهو ضد المعين السارح (فان تستطيع له طلباً) يعنى فلا تقدر على استرجاعه قال الله تعالى (وأحيط بشمره)
أى جاءه أمر أحاط بجميع حواصله وخرب جنته ودمرها (فأصبح يقلب كفيه على ما أفاق فيها وهى
خاوية على عروشها) أى خربت بالسكينة فلا عودة لها وذلك ضد ما كان عليه أمل حيث قال (وما أظن
أن تبيد هذه أبداً) وندم على ما كان سلف منه من القول (الذى كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول بالينى لم
أشرك بربى أحداً) . قال الله تعالى (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً هنالك)
أى لم يكن أحد يتدارك ما فرط من أمره وما كان له قدرة فى نفسه على شئ من ذلك كما قال تعالى (فأله
من قوة ولا ناصر) وقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يبتدىء بقوله (هنالك الولاية لله الحق) وهو
حسن أيضاً لقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً) فالحكم الذى لا يرد ولا
يمنع ولا يبالغ فى تلك الحال وفى كل حال الله الحق . ومنهم من رفع الحق جملة صفة للولاية وهما
متلازمان وقوله (هو خير ثواباً وخير عقاباً) أى معاملته خير لصاحبها ثواباً وهو الجزاء وخير عقاباً وهو
العاقبة فى الدنيا والآخرة . وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يغتر

بها ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه. وليكن بما في يد الله أوفق منه بما في يديه. وفيها أن من قدم شيئاً على طاعة الله والافتقار في سبيله عذب به وربما سلب منه معاملة له بتقيض قصده. وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وإن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة. وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر وفقد الأمر الحتم بالله المستعان وعليه التكلان *

فَصْنَةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ

قال الله تعالى ﴿إِنَّا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذَا أَقْسَمُوا لِيَصْرَمُنَّ مَصْبِحِينَ. وَلَا يَسْتَنُونَ. فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ. فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ. فَتَنَادُوا مَصْبِحِينَ. أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ. فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ. أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ. وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ. فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ. قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ. قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامِيهِمْ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ. * عَسَى رَبَّنَا أَنْ يَدُلَّنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم اليهم فقابلوه بالكذب والمخالفة كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار). قال ابن عباس هم كفار قريش فضرَبَ تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنة المشتملة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستحقت أن تجدد وهو الصرام ولهذا قال (إذا أقسموا) فيما بينهم (ليصرمونها) أي ليجدنها وهو الاستغلال (مصباحين) أي وقت الصبح حيث لا يراهم فقير ولا محتاج فيعطوه شيئاً خلفوا على ذلك ولم يستنوا في يمينهم فعجزهم الله وسلط عليها الآفة التي أحرقتها وهي السفعة التي اجتاحتها ولم تبق بها شيئاً ينتفع به ولهذا قال (طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم أي كالليل الأسود المنصرم من الضياء وهذه معاملة بتقيض المقصود (فتنادوا مصباحين) أي فاستيقظوا من نومهم فنادى بعضهم بعضاً قائلين (أعدوا على حركم إن كنتم صارمين) أي باكروا إلى بستانكم فأصرموه قبل أن يرتفع النهار ويكثر السؤال (فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتحدثون فيما بينهم خفية قائلين (لا يدخلها اليوم عليكم مسكين) أي اتفقوا على هذا واشتدوا عليه (وغدوا على حرد قادرين) أي انطلقوا مجدين في ذلك قادرين عليه مضرين على هذه النية الفاسدة. وقال عكرمة والشعبي (وغدوا على حرد) أي غضب على المساكين وأبعد السدى في قوله أن اسم حركهم حرد (فلما رأوها) أي وصلوا إليها ونظروا ما حل بها وما قد ضارت إليه من الصفة المنكرة بعد تلك النفرة والحسن والبهجة فاهلقت بسبب النية الفاسدة فعند ذلك (قالوا انا لضالون) أي قد نهينا عنها وملكنا غير طريقها ثم قالوا (بل نحن محرومون) أي بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا وحرماننا بركة حركنا (قال أوسطهم). قال ابن عباس

ومجاهد وغير واحد هو أعد لهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) قيل تستنثون قاله مجاهد والسدى وابن جرير وقيل تقولون خيراً بدل ما قلتم من الشر (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) . فندموا حيث لا ينفع الندم واعترفوا بالذنب بعد العقوبة وذلك حيث لا ينجج وقد قيل ان هؤلاء كانوا آخرة وقد ورثوا هذه الجنة من أبيهم وكان يتصدق منها كثيراً فلما صار أمرها إليهم استهجنوا أمر أبيهم وأرادوا استغلالها من غير أن يعطوا الفقراء شيئاً فعاقبهم الله أشد العقوبة ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار وحث على ذلك يوم الجداد كما قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أنثر وأنوا حقه يوم حصاده) ثم قيل كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها ضروان . وقيل من أهل الحبشة والله أعلم قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى هكذا فعذب من خالف أمرنا ولم يعطف على المحابيح من خلقنا (ولعذاب الآخرة أكبر) أى أعظم وأحكم من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) . وقصة هؤلاء شبيهة بقوله تعالى (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئة يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) قيل هذا مثل مضروب لأهل مكة وقيل هم أهل مكة أنفسهم ضربهم مثلاً لأنفسهم ولا ينافي ذلك والله أعلم اهـ

قصّة أصحاب ليلة الذبح اعترضوا في سببهم

قال الله تعالى في سورة الاعراف (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سببتهم شرعاً ويوم لا يستطيعون ولا تأتيتهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون . واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا مدبرة الى ربكم ولعلمهم يقتون . فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وقال تعالى في سورة البقرة (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) وقال تعالى في سورة النساء (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً) . قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم هم أهل ايلة . زاد ابن عباس بين مدين والطور . قالوا وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان فكانت الحيتان قد ألقت منهم السمكة في مثل هذا اليوم وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غشيانها لحظهم من البحر فتأتي من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة فلا يهيجونها ولا يذعرونها (ويوم لا يستطيعون ولا تأتيتهم) وذلك لأنهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت

قال الله تعالى (كذلك نبلوهم) أى نختبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المتقدم فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيدائها في يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التى يجرى معها الماء الى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها ففعلوا ذلك في يوم الجمعة فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقبت بهذه المصايد فإذا خرج سبتهم أخذوها فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره وانتهكوا محارمه بالحيل التى هى ظاهرة للنظر وهى فى الباطن مخالفة محضة فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين . فرقة أنكروا عليهم صديهم هذا واحتياهم على مخالفة الله وشرعه فى ذلك الزمان . وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا (لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) يقولون ما الفائدة فى نهيكهم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا (معذرة إلى ربكم) أى فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنقوم به خوفاً من عذابه (ولعلهم يتقون) أى ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيمهم الله عذابه ويعفو عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا . قال الله تعالى (فلما فسوا ما ذكروا به) أى لم يلتفتوا الى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع (انجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفرقة الآسرة بالمعروف والنهاية عن المنكر (وأخذنا الذين ظلموا) وهم المرتكبون الفاحشة (بمذاب بئيس) وهو الشديد المؤلم الموجع (بما كانوا يفسقون) . ثم فسر العذاب الذى أصابهم بقوله (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) . وسنذكر ماورد من الآيات فى ذلك . والمقصود هنا أن الله اخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين وسكت عن الساكتين . وقد اختلف فيهم العلماء على قولين قليل إنهم من الناجين وقيل إنهم من المالكين والصحيح الأول عند المحققين وهو الذى رجح اليه ابن عباس أمام المفسرين وذلك عن مناظرة مولاة عكرمة فكساه من أجل ذلك حلة سنية تكreme . قلت وانما لم يذكروا مع الناجين لأنهم وإن كرهوا يواطئهم تلك الفاحشة إلا أنهم كان ينبغي لهم أن يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الانكار القولى الذى هو أوسط المراتب الثلاث التى أعلاها الانكار باليد ذات البنان وبمدها الانكار القولى باللسان وثالثها الانكار بالجنان فلما لم يذكروا نجوا مع الناجين إذ لم يفعلوا الفاحشة بل أنكروها . وقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس وحكى مالك عن ابن رومان وشيبان عن قتادة وعطاء الخراساني ما يضمنونه أن الذين ارتكبوا هذا الصنع اعتزلهم بقية أهل البلد ونههم من نههم فلم يقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم ويفلقون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم فاصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضياء فأمر بقية أهل البلد رجلاً أن يصعد على سلم ويتصرف عليهم من فوقهم فلما أشرف عليهم إذاهم قردة لها أذنب يتماوون ويتعادون ففتحوا عليهم الابواب

لجملة القردة تعرف قراياتهم ولا يعرفهم قراياتهم فجلسوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون ألم نهكم عن صنعكم فتشير القردة برؤسها أن نعم . ثم بكى عبدالله بن عباس وقال إنا لئرى منكرا كثيرة ولا ننكرها ولا نقول فيها شيئا . وقال العوفي عن ابن عباس صار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير . وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس أنهم لم يعيشوا إلا فواقا ثم هلكوا ما كان لهم ذيل وقال الضحاك عن ابن عباس أنه لم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينسلوا وقد استقصينا الآثار في ذلك في تفسير سورة البقرة والاعراف . والله الحمد والمنة . وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وخنازير وإنما هو مثل ضربه الله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) وهذا صحيح إليه وغريب منه جداً ومخالف لظاهر القرآن ولما نص عليه غير واحد من السلف والخلف والله أعلم * ﴿ قصة أصحاب القرية ﴾ (إذ جاءها المرسلون) تقدم ذكرها قبل قصة موسى عليه السلام ﴿ قصة سنا ﴾ سياتي ذكرها في أيام العرب إن شاء الله تعالى وبه الثقة * ﴿ قصة قارون وقصة بلعام ﴾ تقدمتا في قصة موسى وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة) كلها في ضمن قصة موسى و (قصة البقرة) تقدمت في قصة موسى وقصة (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) في قصة حزقييل وقصة (الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى) في قصة شمويل وقصة (الذي مر على قرية) في قصة عزير *

﴿ قصة لقمان ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد .) وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير . وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أفلب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتى بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ونه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصمر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختار فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لعنت الحمار) . هو لقمان بن عتقاء بن سددون . ويقال لقمان بن ثمران حكاه السهيلي عن ابن جرير والقتبي . قال السهيلي وكان نوبيا من أهل أيلة . قلت وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبرة وحكمة عظيمة . ويقال كان قاضياً في زمن داود عليه السلام فأنه أعلم . وقال سنن الثوري عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان

عبدًا حبشيًا نجارًا . وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم في شأن لقمان قال كان قصيرا افطس من النبوة . وقال يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة . وقال الأوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل انك أسود فانه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر . وقال الاعمش عن مجاهد كان لقمان عبدًا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وفي رواية مصفح القدمين . وقال عمر بن قيس كان عبدًا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأنه رجل وهو في مجلس أناس يتحدثهم فقال له ألسنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعني رواه ابن جرير عن ابن حميد عن الحكم عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن ابن أبي يزيد بن جابر قال إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألسنت عبد بن فلان الذي كنت ترعى غنمي بالأمس قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال قدر الله وإداه الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعني وقال ابن وهب أخبرني عبد الله بن عياش الغنوي عن عمر مولى عفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بن النحاس قال نعم قال فأنت راعي الغنم الأسود قال أما سوادى فظاهر فما الذي يعجبك من أصرى قال وطء الناس بساطك وغشيم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال ماهو قال لقمان غضى بصرى وكفى لسانى وعمة مطمى وحفظى فرجى وقبائى بعدنى ووفائى بهمدى وتكرمتى ضيفى وحفظى جارى وتركى ما لا يعني فذاك الذى صيرنى كما ترى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة ابن رباح عن ربيعة عن أبي الدرداء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتى عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا ضمضامة سكينًا طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهارًا قط ولم يره أحد يبرز ولا يتنحنح ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يبعث ولا يضحك وكان لا يميد منطلقًا قط إلا أن يقول حكمة يستعدها إياه أحد وكان قد تزوج وولد له أولاد فأتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتى الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتى ما أوتى * ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقوم بآبائها فاختار الحكمة لأنها أسهل عليه وفي هذا نظر والله أعلم . وهذا مروى عن قتادة كما سنذكره . وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق وكيع عن اسرائيل عن جابر الجعفي عن عكرمة أنه قال كان لقمان نبيا وهذا ضعيف لحال الجعفي .

والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً وقد ذكره الله تعالى في القرآن قائمى عليه
وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذى هو أحب الخلق اليه وهو أشفق الناس عليه فكان من أول
ما وعظ به أن قال (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . فتهاه عنه وحذره منه . وقد قال البخارى
حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله (ص) وقالوا أينما لم يلبس ايمانه بظلم فقال رسول
الله (ص) إنه ليس بذلك ألم تسمع الى قول لقمان (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) رواه مسلم
من حديث سليمان بن مهران الاعمش به ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين وبينان حقهما على الولد وتأكده
وأمر بالاحسان اليهما حتى ولو كانا مشركين ولكن لا يطاعان على الدخول في دينهما الى أن قال مخبراً عن
لقمان فيما وعظ به ولده (يا بنى أنها ان تك مثقال حبة من خردل فتسكن في صخرة أو في السموات أو
في الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) ينهيه عن ظلم الناس ولو بحجة خردل فان الله يسأل عنها
ويحضرها حوزة الحساب ويضعها في الميزان كما قال تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) وقال تعالى (ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)
وأخبره أن هذا الظلم لو كان في الحفارة كالخردلة ولو كان في جوف صخرة صماء لا باب لها ولا كوة أو لو
كانت ساقطة في شيء من ظلمات الارض أو السموات في اتساعها وامتداد أرجائها لم يعلم الله مكانها
(إن الله لطيف خبير) أى علمه دقيق فلا يخفى عليه قدر مما تراى للنواظر أو توارى كما قال تعالى (وما
تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) وقال
(ومامن غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) وقال (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) وقد زعم السدى في خبره
عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة الصخرة التى تحت الارضين السبع وهكذا حكى عن عطية العوفى
وأبى مالك والثورى والمتهال بن عمر وغيرهم وفى صحة هذا القول من أصله نظر . ثم ان في هذا هو
المراد نظر آخر فان هذه الآية نكرة غير معرفة فلو كان المراد بها ما قالوه لقال فتسكن في الصخرة وانما
المراد فتسكن في صخرة أى صخرة كانت كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة
حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله (ص) قال لو أن أحدكم يعمل في صخرة
صماء ليس لها باب ولا كوة فخرج عمله للناس كئثما ما كان ثم قال (يا بنى أقم الصلاة) أى أدها بجميع
واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطأئنتها وخشوعها وما شرع فيها واجتنب
ما ينهى عنه فيها . ثم قال (واسر بالمعروف وانه عن المنكر) أى ببجهدك وطاقتك أى ان استطعت
باليد وباليه والا فبلسانك فان لم تستطع فبقلبك ثم أمره بالصبر فقال (واصبر على ما أصابك) وذلك ان

الآسر بالمعروف والناهي عن المنكر في مظنة أن يعادي وينال منه ولكن له العاقبة ولهذا أمره بالصبر على ذلك ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج وقوله (أن ذلك من عزم الأمور) التي لا بد منها ولا محيد عنها . وقوله (ولا تصبر خذك للناس) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك ويزيد بن الاصم وأبو الجوزاء وغير واحد معناه لا تتكبر على الناس وتميل خذك حال كلامك لهم وكلامهم لك على وجه التكبر عليهم والازدراء لهم . قال أهل اللغة وأصل الصبر داء يأخذه الابل في أعناقها فتلتوى رؤسها فتشبه به الرجل المتكبر الذي يميل وجهه إذا كلم الناس أو كلموه على وجه التعظم عليهم قال أبو طالب في شعره

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُهَرِّ ظِلَامَةً إِذَا مَا تَوَاضَعَرِ الْخُدُودِ قُصِيمَا

وقال عمرو بن حبي التغلبي وكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا

وقوله (ولا تمس في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور) ينهاه عن التبختر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس كما قال تعالى (ولا تمس في الارض مرحا انك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) . يعني لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه ولست بدقك الارض برجلك تحرق الارض بوطئك عليها ولست بتشاخك وتعاطمك وترفعك تبلغ الجبال طولا فاقم على نفسك فلست تعدو قدرك . وقد ثبت في الحديث ينما رجل يمشى في برديه يتبختر فيها اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفي الحديث الآخر (اياك واسبال الازار فاتها من الخيلة لا يحبها الله) كما قال في هذه الاية (ان الله لا يحب كل مختال فخور) ولما نهاه عن الاختيال في المشي أمره بالقصد فيه فانه لا بد له أن يمشى فنهاه عن الشر وأمره بالخير فقال واقصد في مشيك أي لا تتباطأ مفراطا ولا تسرع اسراعا مفراطا ولكن بين ذلك قواما كما قال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) ثم قال (وأغضض من صوتك) يعني اذا تكلمت لا تتكلم برفع صوتك فان أرفع الاصوات وأنكرها صوت الحمير . وقد ثبت في الصحيحين الامر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير بالدليل فاتها رأت شيطانا ولهذا نهى عن رفع الصوت حيث لا حاجة اليه ولا سيما عند العطاس فيستحب خفض الصوت وتخفيف الوجه كما ثبت به الحديث من صنيع رسول الله (ص) فاما رفع الصوت بالاذان وعند الدعاء الى الفتن للقتال وعند الاهلاك ونحو ذلك فذلك مشروع فهذا مما قصه الله تعالى عن لقمان عليه السلام في القرآن من الحكم والوصايا النافعة الجامعة للخير المأمنة من الشر وقد وردت آثار كثيرة في أخباره ومواعظه وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله تعالى .

قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا سفيان أخبرني نهيك بن يجمع الضبي

عن قزعة عن ابن عمر قال أخبرنا رسول الله (ص)، قال إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الازداعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله (ص)، قال قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع فانه مخونة بالليل مذمة بالنهار وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عمار حدثنا ضمرة حدثنا السري بن يحيى قال لقمان لابنه (يا بني إن الحكمة أجملت المساكين مجالس الملوك) وحدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن السعدي عن عون بن عبد الله قال قال لقمان لابنه يا بني إذا أتيت نأدي قوم فادهم بهم الاسلام يعني السلام ثم اجلس بناحيهم فلا تنطق حتى ترام قد نطقوا فان أفاضوا في ذكر الله فاجل سهمك معهم وان أفاضوا في غير ذلك فحول عنهم الى غيرهم وحدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جراباً من خردل الى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظته ويخرج خردلة حتى قد الخردل فقال يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جيل تقدر قال فنظف ابنه. وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن ابن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، (اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن قال الطبراني يعني الحبشي وهذا حديث غريب منكر وقد ذكر له الامام أحمد في كتاب الزاهد ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة حجة فقال حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال الفقه والاصابة في غير نبوة. وكذا روى عن وهب بن منبه وحدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشياً وحدثنا اسود حدثنا حماد عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطاً وحدثنا سياد حدثنا جعفر حدثنا مالك يعني بن دينار قال قال لقمان لابنه يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة. وحدثنا يزيد حدثنا أبو الاشهب عن محمد بن واسع قال كان لقمان يقول لابنه يا بني اتق الله ولا ترى الناس أنك تحشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر. وحدثنا يزيد بن هرون وو كيع قال حدثنا أبو الاشهب عن خالد الربيعي قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له سيده اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال ائتني بأطيب مضغتين فيها فأناه باللسان والقلب فقال اما كان فيها شيء أطيب من هذين قال لا قال فسكت عنه ماسكت ثم قال له اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال له وأنت أخبرها مضغتين فرمى باللسان والقلب فقال أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تلقى أخبرها مضغتين فألقيت اللسان والقلب فقال له إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا. وحدثنا داود بن رشيد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر عن أبي عثمان رجل من أهل البصرة يقال له الجعد أبو عثمان قال قال لقمان لابنه لا ترغب في ود الجاهل

فيرى أنك ترضى عمله ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهد فيك . وحدثنا داود بن أسيد حدثنا اسماعيل ابن عياش عن ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد الخفري عن عبد الله بن زيد قال قال لقمان ألا أن يد الله على أفواه الحكماء لا يتكلم أحدهم إلا ما هيأ الله له . وحدثنا عبد الرزاق سمعت بن جريج قال كنت أقنع رأسي بالليل فقال لي عمر أما علمت أن لقمان قال القناع بالنهار مذلة معذرة أو قال معجزة بالليل فلم تقنع رأسك بالليل قال قلت له إن لقمان لم يكن عليه دين . وحدثني حسن بن الجنيد حدثنا سفيان قال لقمان لابنه يا بني ما ندمت على السكوت قط وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وحدثنا عبد الصمد ووكيم قالا حدثنا أبو الاشهب عن قتادة أن لقمان قال لابنه يا بني اعتزل الشر يعتزلك فإن الشر للشر خلق . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يا بني إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لقواد الحكيم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد بن عمير قال قال لقمان لابنه وهو يعظه (يا بني اختر المجالس على عينك فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالما يتنعمك علمك وإن تك غيباً يملوك وإن يظلم الله عليهم برحمة تصيبك معهم . يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه فانك إن تك عالما لا يتنعمك علمك وإن تك غيباً يزيدوك غيباً وإن يظلم الله إليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم يا بني لا تقبضوا أصراراً ربح الذراعين يسفك دماء المؤمنين فإن له عند الله قاتلاً لا يموت . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة (بنى لتكون كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يطمطم المعطاء) وقال مكتوب في الحكمة أو في التوراة (الرفق رأس الحكمة) وقال مكتوب في التوراة كما ترحمون ترحمون وقال مكتوب في الحكمة (كما تزرعون تحصدون) وقال مكتوب في الحكمة أحب خليلك أو خليل أهلك . وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال (قيل للقمان أي الناس أصبر قال صبر لا يتبعه أذى . قيل فأى الناس أعلم قال من ازداد من علم الناس إلى علمه . قيل فأى الناس خير قال الغنى . قيل الغنى من المال قال لا ولكن الغنى الذي إذا تمس عنده خير وجد والا أغنى نفسه عن الناس .

وحدثنا سفيان هو ابن عيينة قال قيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيطراً . وحدثنا أبو الصمد عن مالك بن دينار قال وجدت في بعض الحكمة يبدد الله عظام الذين يتكلمون باهواء الناس ووجدت فيها لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم وما تعمل بما قد علمت فإن مثل ذلك مثل رجل اختطبت حطباً فخرم حزمة ثم ذهب يحملها فعبز عنها فظم إليه أخرى . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا الحكم بن أبي زهير وهو الحكم بن موسى حدثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد قال قال لقمان لابنه

(يا بني لا يأكل طعامك إلا الاتقياء وشاور في أمرك العلماء . وهذا مجموع ما ذكره الامام أحمد في هذه المواضع وقد قدمنا من الآثار كثيرًا لم يروها كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو قائم فدر عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها . قال سعد سمعت قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزيمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولكن خيرني فخت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي . وهذا فيه نظر لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلموا فيه والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال يعني الفقه والاسلام ولم يكن نبياً ولم يوح اليه . وهكذا نص على هذا غير واحد من السلف منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس والله أعلم *

فصل في أصحاب الله المفلحين

قال الله تعالى (والسما ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما قموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) . قد تكلمنا على ذلك مستقصى في تفسير هذه السورة والله الحمد . وقد زعم محمد بن اسحاق أنهم كانوا بدمبعث المسيح وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله . وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكرر في العالم مراراً في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين ولكن هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع واثر أورده ابن اسحاق وهما متعارضان وها نحن نورد هما لتقف عليهما . قال الامام أحمد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله (ص) قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال لملك اني قد كبرت سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاماً فلأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً فكان يعلمه السحر وكان بين الملك وبين الساحر راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه فحواه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك قتل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربك قتل حبسني الساحر قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب قال فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب

أحب اليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورميها فقتلها ومضى فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وانتك ستبلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرىء الاكمه والابرص وسائر الاثواء ويشفيهم الله على يديه وكان جليس الملك فسمى فسمع به قائله بهدايا كثيرة فقال اشقي ولك ماهنا اجمع فقال ما أنا اشقي أحدا إنما يشفي الله عز وجل فان آمنت به ودعوت الله شفاك فأمن فدعا الله فشفاه . ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك فقال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال ولك رب غيري قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يذب حتى دل على الغلام فأتى به فقال أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الاكمه والابرص وهذه الادواء قال ما أشقى أنا أحداً إنما يشفي الله عز وجل قال أنا قال لا قال أولئك رب غيري قال ربي وربك الله قال فآخذني أيضا بالمذاب ولم يزل به حتى دل على الراهب فأتى الراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه وقال للاعمى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر الى جبل كذا وكذا وقال اذا بلغت ذروته فان رجع عن دينه والا فدهدوه فذهبوا به فلما علوا الجبل قال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدوهوا أجمعون وجاء الغلام يتلس حتى دخل على الملك فقال ماضل أصحابك فقال كفانيهم الله فبعث به مع نفر في قرقرة فقال اذا لججتم البحر فان رجع عن دينه والا فاغرقوه في البحر فلبججوا به البحر فقال الغلام (اللهم اكفنيهم بما شئت ففرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ماضل أصحابك فقال كفانيهم الله . ثم قال للملك انك لست بتأبى حتى فصل ما أسرك به فان أنت فعلت ما أسرك به قتلتي والا فأنك لا تستطيع قتلي قال وما هو قال نجيم الناس في صعيد واحد ثم تصلي على جذع وتأخذ سهما من كنتا . ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قتلتي فصل ووضع السهم في كبدة القوس ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوق السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام هيل الملك أرايت ما كنت تمحذ فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فامر بالقواه السكك فحرق فيها الاخايد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه والا فاقحموه فيها وقال فكاثوا يتعادون فيها ويتواقصون فجاءت امرأة بن لها ترضه فكاثها فاعست أن تم في النار فقال الصبي اصبري يا أمه فانك على الحق كذا رواه الامام احمد ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن سلمة زاد النسائي وحماد بن زيد كلاهما عن ثابت به ورواه الترمذي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت بإسناده نحوه وجرى ابراهه كما بطننا ذلك في التفسير وقد أورد محمد ابن اسحاق هذه القصة على وجه آخر فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان في

قرية من قراها قرياً من نجران (ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد) ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيموت ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا رجل نزلها فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فيبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبدته وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى إذا قه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكنته اياه وقال له يا ابن أخي انك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر لا يظن الا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى قداح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه الا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أو قد نراهم جعل يقدفها قدحاً قدحاً حتى إذا مر بالاسم الاعظم قدف فيها بقدره فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئاً فأخذته ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الاعظم الذي قد كتبه فقال وما هو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال أي ابن أخي قد أصبت فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر الا قال يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيما فيك عما أنت فيه من البلاء ودعا له فموتى حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لا مثن بك قال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الارض مابه بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء الا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر والله لا تقدر على قتلي حتى توحيد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت سلطت على قتلتي قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ثم ضربه بصفا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحزاب فن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر قاله أعلم أي ذلك كان قال فسار اليهم ذو نواس بمجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاخاروا القتل فخذوا الاخدود وحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم قتل منهم قرياً من عشرين الفا في ذى نواس وجنده أنزل الله على رسوله (قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات) وهذا يقتضي أن هذه القصة غير ما وقع في سياق مسلم وقد زعم بعضهم أن الاخدود وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم. حدثنا أبي حدثنا أبو اليان أفيان ناصفوان عن عبد الرحمن ابن جبير قال كانت الاخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصاري

قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد وأخذ أتونا والقي فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد وفي العراق في أرض بابل في زمان بخت نصر حين صنم الصنم وأمر الناس فسجدوا له فامتنع دانيال وصاحبه عزريا ومشاييل فأوقد لهم أتونا والقي فيها الحطب والنار ثم القاها فيه فجعلها الله عليهم برداً وسلاماً وهزم منها والقي فيها الذين بقوا عليه وهم تسعة رهط فاكتتهم النار وقال اسباط عن السدى في قوله (قتل أصحاب الاخدود) قال كان الاخدود ثلاثة خد بالشام وخذ بالعراق وخذ باليمن رواه بن أبي حاتم . وقد استقصيت ذكر أصحاب الأخدود والكلام على تفسيرها في سورة البروج والله الحمد والمنة *

سِيَّاحٌ لِلدُّوْعَةِ فِي الرَّدِيَةِ عَنْ الْخَبَارِ بَنِي الرَّسُولِ

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا زيد عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال قال (حدثوا عني ولا تكذبوا علي) ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وحدثنا عن بني اسرائيل ولا حرج) . وقال أيضاً حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال قال (لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحاه وقال حدثنا عن بني اسرائيل ولا حرج حدثوا عني ولا تكذبوا علي) قال ومن كذب علي قال همام احسبه قال متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وهكذا رواه مسلم والنسائي من حديث همام ورواه أبو عوانة الاسفراييني عن أبي داود السجستاني عن هبة عن همام عن زيد بن أسلم به ثم قال قال أبو داود اخطأ فيه همام وهو من قول أبي سعيد كذا قال وقد رواه الترمذي عن سفيان عن وكيع عن سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم ببعضه مرفوعاً قاله أعلم قال الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الاوزاعي حدثنا حسان بن عطية حدثني أبو كبشة السلولي أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدثه أنه سمع رسول الله (ص) يعني بقول بلنوا عني ولو آية وحدثنا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ورواه أحمد أيضاً عن عبد الله بن نمير وعبد الرزاق كلاهما عن الاوزاعي به وهكذا رواه البخاري عن أبي عاصم النبيل عن الاوزاعي به وكذا رواه الترمذي عن بNDAR عن أبي عاصم ثم رواه عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف العرياني عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية وقال حسن صحيح وقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى حدثنا هشام بن معاوية حدثنا أبي عن قتادة عن أبي حسان عن عبد الله بن عمرو قال كان نبي الله (ص) يحدثنا عامة ليلة عن بني اسرائيل حتى نصبح ما هموم فيها الا لمعظم صلاة ورواه أبو داود عن محمد بن مثنى ثم قال البزار حدثنا محمد بن مثنى حدثنا عفان حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أبي حسان عن عمران بن حسين قال كان رسول الله (ص) يحدثنا

عامة ليلة عن بني اسرائيل لا يقوم الا لمعظم صلات قال البزار وهشام احفظ من أبي هلال يعني أن الصواب
 عن عبد الله بن عمرو لا عن عمران بن حصين والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى هو القطان عن
 محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) . قال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اسناد صحيح
 ولم يخرجه . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا وكيع حدثنا ديعب بن سعد الجمعي عن عبد الرحمن
 ابن سابط عن جابر قال قال رسول الله (ص) . حدثوا عن بني اسرائيل فانه قد كان فيهم الاعاجيب ثم
 أنشأ يحدث (ص) . قال خرجت طائفة من بني اسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لوصيلنا ركعتين
 ودهونا لله عز وجل فيخرج لنا رجلا قد مات نسأله بحدثنا عن الموت ففعلوا فينبأهم كذلك اذ أطلع
 رجل رأسه من قبر من تلك القبور بين عينيه أثر السجود فقال باهؤلاء ما أردتم الى قد مدت منذ مائة
 عام فما سكنت عن حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت وهذا حديث غريب
 اذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا فلما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته
 الحق الذي يابديننا عن المعصوم فذاك متروك مردود لا يرجع عليه ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز
 روايته أن تعتقد صحته لما رواه البخاري قائلا حدثنا محمد بن يسار حدثنا عثمان بن عمر حدثنا علي بن المبارك
 عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها
 بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله (ص) . (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا أمط بالله
 وما أنزل لنا وما أنزل اليكم وإلها وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) تفرد به البخاري من هذا الوجه .
 وروى الامام أحمد من طريق الزهري عن أبي نملة الانصاري عن أبيه أنه كان جالسا عند رسول
 الله (ص) . فقال اذا جاء رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنابة فقال رسول الله (ص) .
 الله أعلم فقال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله (ص) . (اذا حدثكم أهل الكتاب فلا
 تصدقوهم ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم
 تصدقوهم) تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن
 جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي (ص) . بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على
 النبي (ص) . قال فنضب وقال امتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي به لقد جئتكم به بيضاء قية
 لا تسألون عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو يبطل فتصدقوا به والذي نفسي به لو أن موسى كان
 حيا ما وسعه الا أن يتبعني . تفرد به أحمد واسناده على شرط مسلم فهذه الاحاديث دليل على أنهم قد
 بدلوا ما بأيديهم من الكتب السماوية وحرّفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها ولا سيما ما يدونه
 من المعربات التي لم يحيطوا بها علما وهي بلغتكم فكيف يعبرون عنها بتدويرها ولاجل هذا وقع في
 تمريرهم خطأ كبير ووم كثير مع ما لهم من المقاصد الفاسدة والآراء الباردة وهذا يتحققه من نظر في

كتبهم التي بأيديهم وتأمل ما فيها من سوء التعبير وقبيح التبديل والتغيير والله المستعان وهو فهم المولى ونعم النصير . وهذه التوراة التي يبدونها ويخفون منها كثيرا فيما ذكروه فيها تحريف وتبديل وتغيير وسوء تعبير يعلم من فطر فيها وتأمل ما قالوه وما أبدوه وما أخفوه وكيف يسوغون عبارة فاسدة البناء والتركيب باطلة من حيث معناها وألفاظها . وهذا كعب الإخبار من أجود من يقتل عنهم وقد أسلم في زمن عمر وكان ينقل شيئا عن أهل الكتاب فكان عمر رضى الله عنه يستحسن بعض ما ينقله لما يصدقه من الحق وتأليفا لقلبه فتوسع كثير من الناس في أخذ ما عنده وبالغ أيضا هو في قل تلك الأشياء التي كثير منها ما يساوى مداده . ومنها ما هو باطل لا محالة . ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق الذي بأيدينا . وقد قال البخارى وقل أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رجلا من قریش بالمدينة . وذكر كعب الأخبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب يعنى من غير قصد منه . وروى البخارى من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال . كيف يسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله تقرأونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً الا إنها كم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بإطل والله أعلم *

فَصَّةُ جَرِيحِ أَحْمَرَ حَبَّاءَ بْنِ إِسْرَئِيلَ

قال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثني أبي سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) . لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم قال وكان في بني اسرائيل رجل عابد يقال له جريج فابنى صومعة وقعد فيها قال فذكر بنو اسرائيل عبادة جريج فقالت بنى منهم لئن شتم لافتننه فقالوا قد شتمنا ذاك قال فاته فتمرضت له فلم يلتفت اليها فلمكنت نفسها من راع كان يودى غنمه الى أصل صومعة جريج فحملت فولدت غلاماً فقالوا ممن قالت من جريج فاتوه فاستنزله فشتموه وضربوه وهدموا صومعته فقال ما شأنكم قالوا انك زنت بهذه البنى فولدت غلاماً فقال وأين هو قالوا هو هذا قال فقام فصلى ودعا ثم انصرف الى الغلام فطعنه باصبعه فقال بالله يا غلام من أبوك فقال انا ابن الراعى فوثبوا الى جريج فجعلوا يجلونه وقالوا بنى صومعتك من ذهب قال لا حاجة لى في ذلك ابنوها من طين كما كانت قال وبينما امرأة في حجرها ابن لما ترضعه اذ مر بها ركب ذو شارة فقالت

اللهم اجعل ابني مثل هذا قال فترك نديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله قال ثم عاد الى نديها فصه . قال أبو هريرة فكأنني أنظر الى رسول الله (ص) يحكي صنيع الصبي ووضع أصبعه في فيه يمصها . ثم مرت بأمة تضرب فقالت اللهم لا تجعل ابني مثلها قال فترك نديها وأقبل على الأمة فقال اللهم اجعلني مثلها قال فذاك حين تراجع الحديث فقالت خلتى مر الراكب ذو الشارة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومررت بهذه الأمة فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال يا أمتاه ان الراكب ذو الشارة جبار من الجبارة وان هذه الأمة يقولون زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله وهكذا رواه البخاري في أحاديث الانبياء وفي المظالم عن مسلم بن ابراهيم ومسلم في كتاب الادب عن زهير بن حرب عن يزيد بن هرون كلاهما عن جرير بن حازم به طريق أخرى وسياق آخر .

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال كان جريج يتعبد في صومته قال فأتته أمه فقالت يا جريج أنا أمك وكلني قال وكان أبو هريرة يصف كيف كان رسول الله (ص) وضع يده على حاجبه الايمن قال وصادفته يصلي قال يارب أمي وصلاتي فاختار صلاته فرجعت ثم أتته فصادفته يصلي فقالت يا جريج أنا أمك فكلني قال يارب أمي وصلاتي فاختار صلاته فقالت اللهم هذا جريج وانه ابني واتى كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا نمته حتى تريحه المومسات . ولو دعت عليه أن يقتل لافتنن قال وكان راع يأوى إلى دبره فخرجت امرأة فوقع عليها الراعي فولدت غلاماً قبيلاً من هذا فقالت هو من صاحب الدبر فأقبلوا بنؤسهم ومساحيهم وأقبلوا إلى الدبر فنادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون دبره فقتل اليهم فقالوا حل هذه المرأة قال أراه تبسم قال ثم مسح رأس الصبي فقال من أبوك قال راعي الضأن قالوا يا جريج بنى ما هدمنا من دبرك بالذهب والفضة قال لا ولكن أعيدوه كما كان فعلوا ورواه مسلم في الاستيذان عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة به .

سياق آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال (كان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج كان يتعبد في صومته فأتته أمه ذات يوم فنادته فقالت أي جريج أي بني أشرف على أكلك أنا أمك أشرف على قتال أي ربي صلاتي وأمي فأقبل على صلاته ثم عادت فنادته مراراً فقالت أي جريج أي بني أشرف على قتال أي ربي صلاتي وأمي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا نمته حتى تريحه المومسة وكانت راعية ترعى غنماً لأهلها ثم تأوى إلى ظل صومته فأصابها فاحشة فحملت فأنجبت . وكان من زنى منهم قتل قالوا ممن قالت من جريج صاحب الصومعة فجأوا بالنؤس والمرور فقالوا أي جريج أي مرأى اتزل فأبى وأقبل على صلاته يصلي فأخذوا في هدم صومته

فلما رأى ذلك نزل فجعلوا في عنقه وعنقها حبلاً فجعلوا يطوفون بهما في الناس فوضع أصبعه على بطنها فقال اى غلام من أبوك فقال أبى فلان راعى الضأن قبلوه وقالوا إن شئت بنينا لك صومعتك من ذهب وفضة قال أعيدها كما كانت وهذا سياق غريب واسناده على شرط مسلم ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

فهؤلاء ثلاثة تكلموا في المهد عيسى بن مريم عليه السلام . وقد تقدم الكلام على قصته وصاحب جريج بن البغى من الراعى كما سمعت واسمه يابوس كما ورد مصرحاً به في صحيح البخارى والثالث ابن المرأة التى كانت ترضعه فتمنت له أن يكون كهصاحب الشارة الحسنة فتمنى أن يكون كذلك الأمة المتهمومة بما هى بريئة منه وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل كما تقدم فى رواية محمد بن سيرين عن أبى هريرة مرفوعاً . وقد رواه الامام أحمد عن هوزة عن عوف الاعرابى عن خلاص عن أبى هريرة عن النبى (ص) بقصة هذا الغلام الرضيع وهو اسناد حسن .

وقال البخارى حدثنا أبو الهيثم حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الاعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله (ص) قال بينا امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهى ترضعه فقالت اللهم لا تمت ابنى حتى يكون مثل هذا فقال اللهم لا تجملنى مثله ثم رجع فى الثدى ومر بأمرأة تخر ويلعب بها فقالت اللهم لا تجمل ابنى مثل هذه فقال اللهم اجملنى مثلاً فقال أما الراكب فانه كافر . وأما المرأة فانهم يقولون إنها تزنى وتقول حسبى الله ويقولون تسرق وتقول حسبى الله . وقد ورد فى من تكلم فى المهد أيضاً شاهد يوسف كما تقدم وابن ماشطة آل فرعون والله أعلم *

قصة برصيصا

وهى عكس قضية جريج فان جريجاً عصم وذلك فتن . قال ابن جرير حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى أنبأنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية ﴿كَيْفَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّ بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فكان عاقبتهم أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين . قال ابن مسعود وكانت امرأة ترضع الغنم وكان لها اخوة أربعة وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأنه الشيطان فقال له اقلها ثم ادقها فانك رجل تصدق ويسمع قولك قتلها ثم دقها قال فأتى الشيطان اخوتها فى المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أجلبها قتلها ثم دقها فى مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما درى اقصها عليكم أم أترك قالوا لا بل قصها علينا قال قصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت

ذلك قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه . ثم انطلقوا به فاتاه الشيطان فقال انى أنا وأوقتك فى هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وأنجيك مما أوقتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ قتل . وهكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك .

وقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بسياق آخر فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر بن شميل أنبأنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت عبد الله بن نهيك سمعت علياً يقول ان راهباً تعبد ستين سنة وان الشيطان أراد أن يعبد الى امرأة فأجبتها ولها اخوة فقال لاختها عليكم بهذا القس فیداوياً قال فجأوا بها اليه فداواها وكانت عنده فينما هو يومئذها إذ أعجبته فاتاه فحملت فعبد اليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب انا صاحبك انك اعيتنى انا صفت هذا بك فاطعنى أنجك مما صنعت بك اسجد لى سجدة فسجد له قال انى برى منك انى أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان ا كفر فلما كفر قال انى برى منك انى أخاف الله رب العالمين)

قصة السلسلة الزنى لولد لى الغار فاطموا عليهم

فتوسلوا الى الله تعالى بصالح اعمالهم ففرج عنهم . قال الامام البخارى حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا على بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال بينا ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ اصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله ياهؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم (اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل لى على فرق من أزر فذهب وتركه وانى عمدت الى ذاك الفرق فزرعته فصار من أمره انى اشتريت منه بقرأً وانه أتانى يطلب أجره فقلت اعد الى تلك البقر فسقها فقال لى انما لى عندك فرق من ارز فقلت له اعد الى تلك البقر فاتها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا) فانساخت عنهم الصخرة * فقال الآخر (اللهم ان كنت تعلم كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بالبن غنم لى فابطأت عنهما ليلة فحمت وقد رقدوا وأهلى وعبالى يتضاغون من الجوع وكنت لاسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت أن اوقفهما وكهرت ان ادعما فيستكنا الشر بهما فلم ازل انتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء * فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم أنه كانت لى ابنة عم من احب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيتها بها فدفعها اليها فامكنتنى من نفسها فلما عمدت بين رجلها قالت اتق الله ولا تنقض الخاتم الا بحقه فقامت وتركت المائة دينار فان كنت

تعلم انى قلت ذلك من خشيتك فخرج عنا فخرج الله عنهم فخرجوا ، رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وقد رواه الامام احمد منفردا به عن مروان بن معاوية عن عمرو بن حمزة بن عبدالله بن عمر عن سالم عن ابيه عن النبي (ص) بنحوه . ورواه الامام احمد من حديث وهب بن منبه عن النعمان بن بشير عن النبي (ص) بنحو من هذا السياق وفيه زيادات ورواه البزار من طريق ابى اسحاق عن رجل من بجليه عن النعمان بن بشير مرفوعا مثله ورواه البزار في مسنده من حديث ابى حنيس عن علي بن ابي طالب عن النبي (ص) بنحوه

خبر السدنة للحمى والبرص والذفرع

روى البخارى ومسلم من غير وجه عن همام بن يحيى عن اسحاق بن عبدالله بن ابي طلحة حدثني عبد الرحمن بن ابي عمرة ان ابا هريرة حدثه انه سمع رسول الله (ص) يقول ان ثلاثة في بنى اسرائيل ابرص واعمى واقرع بدا الله ان يتليهم فبعث الله اليهم ملكا فأتى الابرص فقال له أى شئ أحب اليك فقال لون حسن وجلد حسن قد قدرنى الناس قال فمسحه فذهب عنه فاعطى لونا حسنا وجلدا حسنا. فقال اى المسال أحب اليك قال الابل أو قال البقر (هوشك في ذلك ان الابرص والاقرع قال احدهما الابل وقال الاخر البقر) فاعطى ناقه عشراء فقال يبارك لك فيها . قال واتى الاقرع فقال له أى المال أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا قد قدرنى الناس فمسحه فذهب واعطى شعرا حسنا قال فأتى المال أحب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها قال وأتى الأعمى فقال أى شئ أحب اليك قال يرد الله الى بصرى فابصر به الناس قال فمسحه فرد الله اليه بصره قال فأتى المال أحب اليك قال الغنم فاعطاه شاة والدا فاتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ثم انه أتى الابرص في صورته وهيشته فقال رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيرا اتبلغ عليه في سفرى فقال له ان الحقوق كثيرة فقال له كأنى اعرفك لم تكن ابرص يقدرك الناس فقيرا فاعطاك الله عز وجل فقال لقد ورثت لكبرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت وآتى الاقرع في صورته وهيشته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ملود عليه هذا فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . وأتى الاعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها في سفرى فقال قد كنت اعمى فرد الله الى بصرى فقيرا فقد أغثنى فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشئ اخذته الله عز وجل فقال أمسك مالك فانما ابتليتم قد رضى الله عنك وسخط على صاحبك هذا لفظ البخارى في احاديث بنى اسرائيل

حديث النبي السلف من أصحابه الف دينار فأقروا

قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) انه ذكر أن رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يسلفه الف دينار فقال اتنى بشهداء اشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال اتنى بكفيل قال كفى بالله كفيلاً قال صدقت فدفعها اليه الى اجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للاجل الذي اجله فلم يجد مركبا فاخذ خشبة فقصرها وادخل فيها الف دينار وصحيفة معها الى صاحبها ثم رجع موضعها ثم اتى بها البحر ثم قال اللهم انك قد علمت اني استسلفت فلانا الف دينار فسالني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضى بذلك وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بذلك واني قد جهدت ان أجد مركبا أبعث اليه بالذي أعطاني فلم أجد مركبا واني استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لمل مركبا يحميه بماله فاذا بالخشبة التي فيها المال فاخذها لاهله حطباً فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فاتاه بالف دينار وقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فا وجدت مركبا قبل الذي اتيت فيه قال هل كنت بعثت الى بشي قال لم اخبرك اني لم أجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه قال فان الله ادى عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بالملك راشداً هكذا رواه الامام احمد مسندا وقد علقه البخاري في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد واسنده في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه والعجب من الحفاظ ابى بكر البزار كيف رواه في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن عمر بن سلمة عن ابيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه ثم قال لا يروى الا من هذا الوجه بهذا الاسناد

فقته افرى كسبه بهمة بهمة الفقصة في الصدقة والامانة

قال البخاري حدثنا اسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني انما اشتريت منك الارض ولم اتبع منك الذهب وقال الذي له الارض انما بعتك الارض وما فيها فتحاك الى رجل فقال الذي تحاك اليه الكيلاد قال احدهما الى غلام وقال الآخر لي جارية قال انكحوا الغلام الجارية وافقوا على انفسهما منه وتصدق هكذا روى البخاري هذا الحديث في اخبار بني اسرائيل واخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقد

روى ان هذه القصة وقعت في زمن ذى القرنين . وقد كان قبل بنى اسرائيل بدهور متطاولة والله اعلم
قال اسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ عن سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن الحسن ان ذا القرنين
كان يتقدم امور ملوكه وعماله بنفسه وكان لا يطلع على احد منهم خيانة الا انكر ذلك عليه وكان لا يقبل
ذلك حتى يطلع هو بنفسه . قال فبينما هو يسير متنكرا في بعض المدن جلس الى قاض من قضاتهم اياما
لا يختلف اليه احد في خصومة فلما ان طال ذلك بذى القرنين ولم يطلع على شئ من أمر ذلك القاضى وهم
بالانصراف اذا هو برجلين قد اخنصا اليه فادعى احدهما فقال أيها القاضى انى اشتريت من هذا داراً
عمرها ووجدت فيها كنزا وانى دعه الى اخذه فابى على قتال له القاضى ما تقول قال مادفنت وما علمت
به فليس هو لى ولا أقبضه منه قال المدعى أيها القاضى مر من يقبضه فتضمه حيث احببت فقال القاضى
تفر من الشر وتدخلنى فيه ما أنصفتنى وما ظن هذا في قضاء الملك فقال القاضى هل لك امرأ نصف
مما دعوتمانى اليه قال نعم قال للمدعى لك ابن قال نعم وقال للآخر لك ابنة قال نعم قال اذهب فزوج
ابنتك من ابن هذا وجهرهما من هذا المال وادفما فضل ما بقى اليهما يعيشان به فتكونا مليا بخيره وشره
فمجب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضى ما ظننت ان فى الارض احدا يفعل مثل هذا أو قاضٍ
يقضى بمثل هذا فقال القاضى وهو لا يعرفه وهل احد يفعل غير هذا قال ذو القرنين نعم قال القاضى
فهل يطرؤن فى بلادهم فمجب ذو القرنين من ذلك وقال بمثل هذا قامت السموات والارض

قصة اخرى

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن قتادة عن أبى الصديق
الناجى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ص) قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين
انسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال هل من توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا
وكذا فادركه الموت ففناه يصدره نحوها فلخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فادعى الله الى
هذه ان تقربنى واوحى الى هذه ان تباعدنى وقال قيسوا ما بينهما فوجدانى هذه اقرب بشبر فغفر له هكذا
رواه ههنا مختصراً وقد رواه مسلم عن بنى عدي بنى عن شعبة ومن وجه آخر عن قتادة به ، طولا

حديث آخر

قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفیان حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن أبى سلمة عن أبى
هريرة قال صلى رسول الله (ص) صلاة الصبح ثم اقبل على الناس فقال بينما رجل يسوق بقرة إذ
ركبها فضر بها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنا خلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال فأتى أو
من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما كتم (قال) وبينما رجل فى غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب

حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب (١) هذا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لاراعى لها غيرى
 فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم قال فاني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم (قال) وحدثنا
 علي قال حدثنا سفيان عن مسعر عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بمثله .
 وقد أسنده البخاري في المزارعة عن علي بن المديني ومسلم عن محمد بن عباد كلاهما عن سفيان بن عيينة
 وأخرجاه من طريق شعبة كلاهما عن مسعر به . وقال الترمذي حسن صحيح وأخرج مسلم الطريق الأول
 من حديث سفيان بن عيينة وسفيان الثوري كلاهما عن أبي الزناد .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم عن سعد عن أبيه
 عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن
 كان في أمتي هذه منهم فانه عمر بن الخطاب) لم يخرجهم مسلم من هذا الوجه وقد روى عن إبراهيم بن
 سعد عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن
 عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج على المنبر فتناول قصة من شعر كانت في يدي حرسي
 فقال يا أهل المدينة أين علماكم سمعت رسول الله (ص) ينهى عن مثل هذه ويقول إنما هلكت بنو
 إسرائيل حين اتخذوها نسأؤم . وهكذا رواه مسلم وأبو داود عن حديث مالك وكذا رواه معمر ويونس
 وسفيان بن عيينة عن الزهري بنحوه وقال الترمذي حديث صحيح . وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا
 شعبة حدثنا عمرو بن مرة قال سمعت سعيد بن المسيب قال قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة آخر قدمه
 قدمها فخطبنا فأخرج من كه كبة شعر وقال ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود إن النبي (ص)
 سماه الزور يعنى الوصال في الشعر تألمه غندر عن شعبة والعجب أن مسلماً رواه من غير وجه عن غندر
 عن شعبة ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا سعيد بن تليد حدثنا ابن وهب قال أخبرني جرير بن
 حازم عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) ينما كلب يطيف
 بركة كاد يقتله العطش إذ رأته بنى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها فسقته ففقر لها به . ورواه
 مسلم عن أبي الطاهر بن السرح عن ابن وهب به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد الله بن أسماء حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله بن عمر
 أن رسول الله (ص) قال عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار فلا هي أطمعتها ولا سقتها
 إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . وكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به .

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا المستمير بن الريان حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال كان في بني اسرائيل امرأة قصيرة فصنعت رجلين من خشب فكانت تمشي بين امرأتين قصيرتين واتخذت خاتماً من ذهب وحشت تحت فسه أطيب الطيب والمسك فكانت إذا مرت بالمجلس حر كته فنفتح ديمجه رواه مسلم من حديث المستمير وخليفة بن جعفر كلاهما عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً قريباً منه وقال الترمذي حديث صحيح .

﴿حديث آخر﴾ قال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور سمعت ربي بن حراش يحدث عن ابن مسعود قال قال النبي (ص) إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) تفرد به البخاري دون مسلم وقد رواه بعضهم عن ربي بن حراش عن حذيفة مرفوعاً وموقوفاً أيضاً والله أعلم .

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد يعني بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب قال قال أبو هريرة قال رسول الله بينا رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائئاً قد أصابته سغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء قالت نعم ابشر أنك رزق الله فاستحها فقال ويحك ابتغي أن كان عندك شيء قالت نعم هنيئة ترجو رحمة الله حتى إذا طال عليه المطال قال ويحك قومي فابتغي أن كان عندك شيء فأتيتني به فأتى قد بلغت الجهد وجهدت فقالت نعم الآن ينضج التنور فلا تعجل فلما أن سكنت عنها ساعة وتحييت أيضاً أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قت فنظرت الى تنوري فقامت فوجدت تنورها ملأناً من جنوب الغنم ورعاها تطحن فقامت إلى الرحي فنفضتها واستخرجت مائتي تنورها من جنوب الغنم قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد (ص) لو أخذت مائتي رحيها ولم تنفضها لطحنت إلى يوم القيامة . وقال أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ملبهم من الحاجة خرج إلى البيرة فلما رأت امرأته مائتي قامت الى الرحي فوضعتها الى التنور فسجرت ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فاذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت الى التنور فوجدته ممتلئاً قال فرجع الزوج قال اصبرم بعد شيئاً قالت امرأته نعم من ربنا فرفعها إلى الرحي ثم قامت فذكر ذلك للنبي (ص) قال (اما أنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة) قال شهدت النبي (ص) وهو يقول (والله لأن يأتي أحدكم بحزمة حطب ثم يحمله فيديه فيستغف منه خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله .

قصة الملكيين والتائبين

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن سمالك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته ففكر فلم أن ذلك منقطع عنه

وأن ماهو فيه قد شغله عن عبادة ربه فانساب ذات ليلة من قصره وأصبح في مملكة غيره وأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللبن بالآجر فيأكل ويتصدق بالفضل ولم يزل كذلك حتى رقى أمره إلى ملكهم فأرسل اليه فأبى أن يأتيه فركب اليه الملك فلما رآه ولي هارباً فركض في أثره فلم يدركه فناداه يا عبد الله انه ليس عليك منى بأس فقام حتى أدركه فقال له من أنت رحمتك الله فقال أنا فلان بن فلان صاحب مملكة كذا وكذا ففكرت في أمري فعدت انما أنا فيه منقطع وأنه قد شغلني عن عبادة ربي عز وجل فتركته وجئت ههنا أعبد ربي فقال له ماأنت بأحوج لما صنعت منى قل قتل عن دابته فسيبها وتبعه فكأننا جميعاً يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يعيتهما جميعاً فأتا . قل عبد الله فلو كنت برملية مصر لأريتكم قبورهما بانتمت الذي نعمت لنا رسول الله (ص) .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن عتبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي (ص) . إن رجلاً كان قبلكم رغبه الله مالا فقال لبيذه لما حضر أي أب كنت لكم قالوا خير أب قال فاني لم أعمل خيراً قط فاذا مت فاخرجوني ثم اسحقوني ثم اذروني في يوم عاصف ففعلوا بجمه الله عز وجل فقال ما حملك فقال مخافتك فتلقاه برحمته ورواه في مواضع أخر ومسلم من طرق عن قتادة به . ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ربيع بن حراش عن حذيفة عن النبي (ص) بنحوه ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة عن النبي (ص) . قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا قال فلقى الله فتجاوز عنه وقد رواه في مواضع أخر ومسلم من طريق الزهري به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني مالك عن محمد بن المنكدر عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله (ص) . في الطاعون قال أسامة قال رسول الله (ص) . الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . قال أبو النضر لا يخرجكم الا فراراً منه ورواه مسلم من حديث مالك ومن طرق أخر عن عامر بن سعد به حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة قالت سألت رسول الله (ص) . عن الطاعون أخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء من عباده وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لن يصيبه الا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد تفرد به البخاري عن مسلم من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن الحزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله (ص) فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله (ص) فكلمه أسامة فقال أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب ثم قال إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقدموا عليه الحد . وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وأخرجه بقية الجماعة من طرق عن الأيث بن سعد به .

﴿ حديث آخر ﴾ وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت النزال بن سبرة الخلالى عن ابن مسعود قال سمعت رجلاً قرأ وسمعت رسول الله (ص) يقرأ خلفها فحُت به إلى رسول الله (ص) فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال كلا كما يحسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا . تفرد به البخارى دون مسلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم عن صالح عن ابن شهاب قال قال أبو سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال إن رسول الله (ص) قال إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم تفرد به دون مسلم وفي سنن أبي داود صلوا في نعالكم خالفوا اليهود .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن طاووس عن ابن عباس سمعت عمر يقول قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن رسول الله (ص) قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجيّلوها . فباعوها رواه مسلم من حديث ابن عيينة . ومن حديث عمرو بن دينار به ثم قال البخارى تابعه جابر وأبو هريرة عن النبي (ص) ولهذا الحديث طرق كثيرة وسيأتى في باب الحيل من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا عبد الوارث حدثنا خالد عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمر بلال أن يشفع الاذان وأن يوتر الإقامة وأخرجه بقية الجماعة من حديث أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي به . والمقصود من هذا مخالفة أهل الكتاب في جميع شعارهم فإن رسول الله (ص) لما قدم المدينة كان المسلمون يتحجبون وقت الصلاة بغير دعوة إليها . ثم أمر من ينادى فيهم وقت الصلاة (الصلاة جامعة) ثم أرادوا أن يدعوا إليها بشئ يعرفه الناس فقال قائلون نضرب بالناقوس وقال آخر نوردى نارا فكروها ذلك لمشابهة أهل الكتاب فأرى عبد الله بن زيد بن عبدربه الانصارى في منامه الاذان قفصها على رسول الله (ص) فأمر بلالاً فنادى كما هو مبسوط في موضعه من باب الاذان في كتاب الاحكام .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا بشر بن محمد أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر ويونس عن

الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قالا لما نزل برسول الله (ص)، طفق يطرح خيصة على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وهكذا رواه في غير موضع ومسلم من طرق عن الزهري به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان قال حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن النبي (ص) قال لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قتلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال النبي (ص) فمن وهكذا رواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به .

والمقصود من هذا الاخبار عما يقع من الأقوال والأفعال المنهى عنها شرعاً مما يشابه أهل الكتاب قبلنا أن الله ورسوله ينهيان عن مشابهتهم في أقوالهم وأفعالهم حتى ولو كان قصد المؤمن خيراً لكنه تشبه فعله في الظاهر فلهم وكانهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لثلاث تشابه المشركين الذين يسجدون للشمس حينئذ وإن كان المؤمن لا يخطر بباله شيء من ذلك بالكيفية وهكذا قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) . فكان الكفار يقولون للنبي (ص) في كلامهم معه راعنا أى انظر إلينا ببصرك واسمع كلامنا ويقصدون بقولهم راعنا من العونة فهمي المؤمنين أن يقولوا ذلك وإن كان لا يخطر ببال أحد منهم هذا أبداً . فقد روى الامام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمر عن النبي (ص) أنه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم فليس للمسلم أن يتشبه بهم لافى أعيادهم ولا مواسمهم ولا في عباداتهم لأن الله تعالى شرف هذه الأمة بخاتم الأنبياء الذي شرع له الدين العظيم القويم الشامل الكامل الذي لو كان موسى بن عمران الذي أنزلت عليه التوراة وعيسى بن مريم الذي أنزل عليه الانجيل حين لم يكن لهما شرع متبع بل لو كانا موجودين بل وكل الأنبياء لما ساع لواحد منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرفة المكرمة الممظمة فإذا كان الله تعالى قد منّ علينا بأن جعلنا من أتباع محمد (ص) فكيف يليق بنا أن تشبه بقوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل قد بدلوا دينهم وحرفوه وأولوه حتى صار كأنه غير ما شرع لهم أولاً . ثم هو بعد ذلك كله منسوخ والتسك بالمنسوخ حرام لا يقبل الله منه قليلاً ولا كثيراً ولا فرق بينه وبين النبي لم يشرع بالكيفية والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا الثيث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله (ص) قال إنما أجلكم في أجل من خلا من قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس

وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى المغرب على قيراطين قيراطين الا لكم الأجر مرتين فغضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال الله تعالى (هل ظلمتكم من حكم شيئاً فقالوا لا قال فانه فضلى أوتيته من أنشاء) وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الأمة قصيرة بالنسبة إلى ماضى من مدد الأمم قبلها لقوله إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس فالماضى لا يعلمه إلا الله كأن الآتى لا يعلمه إلا هو ولكنه قصير بالنسبة إلى ماضى ولا اطلاع لأحد على تحديد مابقى إلا الله عز وجل كما قال الله تعالى (لا يجلبها لوقتها إلا هو) وقال (يسأونك عن الساعة أبان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها). وما تذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من أنه عليه السلام لا يؤلف تحت الأرض فليس له أصل فى كتب الحديث وورد فيه حديث أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة وفى صحته نظر. والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم وأن ذلك ليس منوطاً بكثرة العمل وقتله بل بأمور أخر معتبرة عند الله تعالى وكَم من عمل قليل أجدى مالا يجديه العمل الكثير هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة الف شهر سواها وهؤلاء أصحاب محمد (ص) اتفقوا فى أوقات لو أفق غيرهم من الذهب مثل أحد مابلغ من أحدم ولا نصيفه من تمر وهذا رسول الله (ص) بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز فى هذه المدة التى هى ثلاث وعشرون سنة فى العلوم النافعة والاعمال الصالحة على سائر الانبياء قبله حتى على نوح الذى لبث فى قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويعمل بطاعة الله ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء أجمعين فهذه الأمة انما اشرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبينا وشرفه وعظمته كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويفرز لكم والله غفور رحيم * لتلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرّون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم) *

فَضْلُ اللَّهِ

وأخبار بنى اسرائيل كثيرة جداً فى الكتاب والسنة النبوية ولو ذهبنا تنقضى ذلك لطال الكتاب ولكن ذكرنا ما ذكره الامام أبو عبد الله البخارى فى هذا الكتاب ففيه مقنع وكفاية وهو تذكرة وانموذج

لهذا الباب والله أعلم * وأما الاخبار الاسرائيلية فيما يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جداً ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع وكثير منها بل أكثرها مما يذكره القصاص مكذوب مفترى وضعه زنادقهم وضلالهم وهي ثلاثة أقسام منها ما هو صحيح لموافقته ما قصه الله في كتابه أو أخبر به رسول الله (ص) ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وستة رسوله ومنها ما يحتمل الصدق والكذب فهذا الذي أمرنا بالتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه كما ثبت في الصحيح إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم . ونجوز روايته مع هذا الحديث المتقدم (وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج)

تحريف أهل الكتاب وسيرهم روايتهم

أما اليهود فقد أنزل الله عليهم التوراة على يدى موسى بن عمران عليه السلام وكانت كما قال الله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن وتفصيلاً لكل شئ) وقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجملونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) وقال تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين) وقال تعالى (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوا ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها برهة من الزمان ثم شرعوا في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتأويلها وإبداء ما ليس منها كما قال الله تعالى (وان منهم لفرقة يلون الستهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) فأخبر تعالى أنهم يفسرونها ويتأولونها ويضعونها على غير مواضعها وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء وهو أنهم يتصرفون في معانيها ويحملونها على غير المراد كما بدلوا حكم الرجم بالجلد والتحميم مع بقاء لفظ الرجم فيها وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد مع أنهم مأمورون بأقامة الحد والقطع على الشريف والوضيع . فأما تبديل الفاظها فقال قائلون بأنها جميعها بدلت وقال آخرون لم تبدل واحتجوا بقوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندكم التوراة فيها حكم الله) وقوله (الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات الاية) وقوله (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) وبقصة الرجم فانهم كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وفي السنن عن أبي هريرة

وغيره لما تحاكوا إلى رسول الله (ص) في قصة اليهودى واليهودية الذين زنيا فقال لهم ما يجدون في التوراة في شان الرجم فقالوا فضحهم ويجلدون فأمرهم رسول الله (ص) باحضار التوراة فلما جاؤا بها وجعلوا يقرؤنها ويكتمون آية الرجم التي فيها ووضع عبد الله بن صور يايده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له رسول الله (ص) ارفع يدك يا أعور فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فأمر رسول الله (ص) برجمها وقال (اللهم إني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه) وعند أبي داود أنهم لما جاؤا بها نزع الوسادة من تحته فوضعها تحتها وقال انت بك وبمن انزلك وذكر بعضهم انه قام لها ولم اتف على اسناده والله اعلم . وهذا كله يشكل على ما يقوله كثير من المتكلمين وغيرهم ان التوراة اقطع تواترها في زمن نخت نصر ولم يبق من يحفظها الا العزيز ثم العزيز ان كان نبياً فهو معصوم والتواتر الى المعصوم يكفي اللهم الا أن يقال انها لم تتواتر اليه لكن بعده زكريا ويحيى وعيسى وكلهم كانوا متمسكين بالتوراة فلم تكن صحيحة معمولة بها لما اعتمدوا عليها وهم انبياء معصومون . ثم قد قال الله تعالى فيما انزل على رسوله محمد خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الانبياء منكرنا على اليهود في قصد الفاسد اذ عدلوا عما يستقدون صحته عندهم وانهم مأمورون به حتما الى التحاكم الى رسول الله (ص) وهم يعاندون ما جاء به لكن لما كان في زعمهم ما قد يوافقهم على ما بدعوه من الجلد والتحيم المصادم لما امر الله به حتما وقالوا ان حكم لكم بالجلد والتحيم فاقبلوه وتكونون قد اعتذرتم بحكم نبي لكم عند الله يوم القيمة وان لم يحكم لكم بهذا بل بالرجم فاحذروا ان قبلوا منه فانكر الله تعالى عليهم في هذا القصد الفاسد الذي انما حملهم عليه الفرض الفاسد ومواقفة الهوى لا الدين الحق فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله الاية) ولهذا حكم بالرجم قال اللهم اني اول من احيا امرك اذ أماتوه وسالمهم ما حملهم على هذا ولم تركوا امر الله الذي بأيديهم فقالوا ان الزنا قد كثر في اشرافنا ولم يمكننا ان نقيبه عليهم وكنا نرجم من زنى من ضعفائنا قتلنا نعالوا الى أمر نصف فعله مع الشريف والوضيع فاصطالحنا على الجلد والتحيم فهنا من جملة تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم وتأويلهم الباطل وهذا انما فعلوه في المعاني مع بقاء لفظ الرجم في كتابهم كادل عليه الحديث المتفق عليه فلماذا قال من قال هذا من الناس انه لم يقع تبديلهم الا في المعاني وان الالفاظ باقية وهي حجة عليهم اذ لو أقاموا ما في كتابهم جميعه لتقدم ذلك الى اتباع الحق ومتابعة الرسول محمد (ص) كما قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدهم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم الاية) وقال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا تكلوا من فوقهم ومن

نحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة الآية) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم الآية) وهذا المذهب وهو القول بأن التبديل إنما وقع في معانيها لا في الفاظها حكاه البخاري عن ابن عباس في آخر كتابه الصحيح وقرر عليه ولم يردده وحكاه العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره عن أكثر المتكلمين .

ليس للجنب مس التوراة

وذهب فقهاء الحنفية إلى أنه لا يجوز للجنب مس التوراة وهو محدث وحكاه الحنطاي في فتاويه عن بعض أصحاب الشافعي وهو غريب جداً . وذهب آخرون من العلماء إلى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الامام العلامة أبو العباس بن تيمية رحمه الله قال أما من ذهب إلى أنها كلها مبدلة من أولها إلى آخرها ولم يبق منها حرف إلا بدلوه فهذا بعيد وكذا من قال لم يبدل شيء منها بالكيفية بعيد أيضاً والحق أنه دخلها تبديل وتغيير وتصرفوا في بعض الفاظها بالزيادة والنقص كما تصرفوا في معانيها وهذا معلوم عند التأمل ولبسطه موضع آخر والله أعلم كما في قوله في قصة الذبيح اذبح ابنك وحيدك وفي نسخة برك اسحاق فلنظرة اسحاق مقحمة مزيدة بلا مزية لأن الوحيد وهو البكر اسماعيل لأنه ولد قبل اسحاق بأربع عشر سنة فكيف يكون الوحيد البكر اسحاق . وإنما حملهم على ذلك حسد العرب أن يكون اسماعيل غير الذبيح فأرادوا أن يذهبوا بهذه الفضيلة لهم فزادوا ذلك في كتاب الله افتراء على الله وعلى رسوله (ص) . وقد اغتر بهذه الزيادة خلق كثير من السلف والخلف وواقفهم على أن الذبيح اسحاق والصحيح الذبيح اسماعيل كما قدمنا والله أعلم وهكذا في تورات السامرة في العشر الكلمات زيادة الأمر بالتوجه إلى الطور في الصلاة وليس ذلك في سائر نسخ اليهود والنصارى .

وهكذا يوجد في الزبور المأثور عن داود عليه السلام مختلفاً كثيراً وفيه أشياء مزيدة ملحقة فيه وليست منه والله أعلم . قلت وأما ما بأيديهم من التوراة المعربة فلا يشك عاقل في تبديلها وتحريف كثير من الفاظها وتغيير القصص والالفاظ والزيادات والنقص البين الواضح وفيها من الكذب البين والخطأ الفاحش شيء كثير جداً فأما ما يتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا اطلاع لنا عليه والمظنون بهم أنهم كذبة خونة يكثرون الفرية على الله ورسوله وكتبه .

وأما النصارى فأنجيلهم الأربعة من طريق مرقس ولوقا ومتى ويوحنا أشد اختلافاً وأكثر زيادة وقصاً وأغش تفاوتاً من التوراة وقد خالفوا أحكام التوراة والإنجيل في غير ما شيء قد شرعوه لأنفسهم فن ذلك صلاتهم إلى الشرق وليس منصوباً عليها ولا مأموراً بها في شيء من الأنجيل الأربعة وهكذا تصومهم كنائسهم وتركهم اختلافاً وقلهم صيامهم إلى زمن الربيع وزيادته إلى خمسين يوماً وأكلهم

الخنزير ووضعهم الأمانة الكبيرة وإنما هي الخيانة الخفية والرهبانية وهي ترك التزويج لمن أراد التعبد
 وتحريره عليه وكتبهم القوانين التي وضعها لهم الاساقفة الثلاثة والثانية عشر فكل هذه الاشياء ابتدعوها
 وروضوها في أيام قسطنطين بن قسطن بن القسطنطينية وكان زمنه بعد المسيح بثلاثمائة سنة وكان أبوه
 أحد ملوك الروم وتزوج أمه هيلانة في بعض أسفاره للصيد من بلاد حران وكانت نصرانية على دين
 الرهايين المتقدمين فلما ولد لها منه قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة وبهر فيها وصار فيه ميل بعض الشيء
 إلى النصرانية التي أمه عليها فعظم القائلين بها بعض الشيء وهو على اعتقاد الفلاسفة فلما مات أبوه
 واستقل هو في المملكة سار في رعيته سيرة عادلة فأجبه الناس وسأد فيهم وغلب على ملك الشام بأسره
 مع الجزيرة وعظم شأنه وكان أول القياصرة * ثم اتفق اختلاف في زمانه بين النصارى ومنازعة بين
 بترك الاسكندرية اكسندروس وبين رجل من علمائهم يقال له عبد الله بن أريوس فذهب اكسندروس
 إلى أن عيسى بن الله تعالى الله عن قوله وذهب ابن أريوس إلى أن عيسى عبد الله ورسوله واتبعه
 على هذا طائفة من النصارى واتفق الاكثرون الاخسرون على قول بتركهم ومنع ابن أريوس من
 دخول الكنيسة هو وأصحابه فذهب يستعدي على اكسندروس وأصحابه إلى ملك قسطنطين فسأله
 الملك عن مقالته ففرض عليه عبد الله بن أريوس ما يقول في المسيح من أنه عبد الله ورسوله واحتج على
 ذلك فقال اليه وجنح إلى قوله فقال له قائلون فينبغي أن تبعث إلى خصمه فتسمع كلامه فأمر الملك باحضاره
 وطلب من سائر الأقاليم كل أسقف وكل من عنده في دين النصرانية وجمع البتارقة الاربعة من
 القدس وانطاكية ورومية والاسكندرية فيقال لهم اجتمعوا في مدة سنة وشهرين ما يزيد على التي أسقف
 لجمعهم في مجلس واحد وهو المجمع الاول من مجامعهم الثلاثة المشهورة وهم مختلفون اختلافاً متبايناً
 منتشرأ جداً . فمنهم الشرذمة على المقالة التي لا يوافقهم أحد من الباقين عليها فهؤلاء خمسون على مقالة .
 وهؤلاء ثمانون على مقالة أخرى . وهؤلاء عشرة على مقالة وأربعون على مقالة ومائتان على
 مقالة وطائفة على مقالة ابن أريوس وجماعة على مقالة أخرى فلما تفاقم أمرهم وانتشر اختلافهم حار فيهم
 الملك قسطنطين مع أنه سعى الظن بما عدا دين الصابئين من اسلافه اليونانيين فصد إلى أكثر جماعة منهم
 على مقالة من مقالاتهم فوجدهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً قد اجتمعوا على مقالة اكسندروس ولم يجد
 طائفة بلغت عدتهم فقال هؤلاء أولى بنصر قولهم لأنهم أكثر الفرق فاجتمع بهم خصوصاً ووضع سيفه
 وخاتمه اليهم وقال اني رأيكم أكثر الفرق قد اجتمعتم على مقالتيكم هذه فاما انصرها واذهب اليها فاجعلوا
 له وطلب منهم أن يضعوا له كتاباً في الاحكام وأن تكون الصلاة إلى الشرق لأنها مطلع الكواكب
 النيرة وأن يصوروا في كنائسهم صوراً لها جث فصالحوه على أن تكون في المحيطان فلما توافقوا على
 ذلك أخذ في نصرهم واظهار كلمتهم واقامة مقالاتهم وابعاد من خالفهم وتضييف رأيه وقوله فظهر أصحابه

منا ضرة
 بيم النصارى

بجاهه على مخالفهم واتصروا عليهم وأمر ببناء الكنائس على دينهم وهم الملكية نسبة إلى دين الملك
 فبنى في أيام قسطنطين بالشام وغيرها في المدن والقرى أزيد من اثنتي عشر ألف كنيسة واعتنى الملك
 ببناء بيت لحم يعني على مكان مولد المسيح وبنت أمه هيلانة قامة بيت المقدس على مكان المصلوب
 الذي زعمت اليهود والنصارى بجهلهم وقلة علمهم أنه المسيح عليه الصلاة والسلام ويقال إنه قتل من أعداء
 أولئك وخذلهم الأخاديد في الأرض وأجج فيها النار وأحرقهم بها كما ذكرناه في سورة البروج وعظم
 من النصرانية وظهر أمره جداً بسبب الملك قسطنطين وقد أفسده عليهم فساداً لا إصلاح له ولا نجاح
 معه ولا فلاح عنده وكثرت أعيادهم بسبب عظمائهم وكثرت كنائسهم على أسماء عبادهم وتفاقم
 كفرهم وغلظت مصيبتهم وتخلد ضلالهم وعظم وبالهم ولم يهد الله قلوبهم ولا أصلح بالهم بل صرف
 قلوبهم عن الحق وأمال عن الاستقامة ثم اجتمعوا بعد ذلك مجمعين في قضية النسطورية واليعقوبية وكل
 فرقة من هؤلاء تكفر الأخرى وتعتقد تخليدهم في نار جهنم ولا يرى مجامعتهم في المبادئ والكنائس وكلهم
 يقول بالاقانيم الثلاثة أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة ولكن بينهم اختلاف في الحلول
 والاتحاد فيما بين اللاهوت والناسوت هل تدرعه أو حل فيه أو اتحاد به واختلافهم في ذلك شديد
 وكفرهم بسببه غليظ وكلهم على الباطل إلا من قال من الاربوسية أصحاب عبد الله بن أريوس إن
 المسيح عبد الله ورسوله وابن أمته وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه كما يقول المسلمون فيه سواء ولكن
 لما استقر أمر الاربوسية على هذه المقالة تسلط عليهم الفرق الثلاثة بالابادة والطرده حتى قلوا فلا يعرف
 اليوم منهم أحد فيما يعلم والله أعلم.

كتاب الجامع لخيار الله بنبأ والمتقرب

قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كالم الله ورفع بعضهم درجات
 وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس الآية) وقال تعالى (أنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى
 نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء وعيسى وأيوب
 ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم
 عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان
 الله عزيزاً حكيماً) . وقد روى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره وغيرها من طريق
 إبراهيم بن هشام عن يحيى بن محمد الصائغ الشامي وقد تكلموا فيه حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس عن
 أبي ذر قال (قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قلت يا رسول الله كم
 أرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم قلت يا رسول الله

نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبل أن يخلق قال يا أبا ذر أربعة مريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونيك يا أبا ذر وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نيك . وقد أورد هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة قال قلت لرسول الله كم الانبياء (قال مائة الف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جاً غيراً) . وهذا أيضاً من هذا الوجه ضعيف فيه ثلاثة من الضعفاء معان وشيخه وشيخه وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن اسحاق أبو عبد الله الجوهرى البصرى حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) . (بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس) موسى وشيخه ضعيفان أيضاً وقال أبو يعلى أيضاً حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت العبدى حدثنا معبد بن خالد الانصارى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) . (كان فيمن خلا من اخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ثم كنت أنا . يزيد الرقاشى ضعيف . وقد رواه الحافظ أبو بكر الاسماعيلي عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) . (بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل وهذا اسناد لا بأس به لكننى لأعرف حال أحمد بن طارق هذا والله أعلم .

﴿حديث آخر﴾ قال عبد الله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه . حدثني عبد المتعالى ابن عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الاموى حدثنا مجاهد عن أبي الوداك قال قال أبو سعيد هل تقرأ الخوارج بالدجال قال قلت لا فقال قال رسول الله (ص) . (إني خاتم ألف نبي أو أكثر وما بعث الله نبياً يتبع إلا وحذر أمته منه وإنى قد بين لى فيه ما لم يبين لاحد منهم وأنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخماة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب درى معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن) وهذا حديث غريب وقد روى عن جابر بن عبد الله فقال الحافظ أبو بكر النزار حدثنا عمرو بن على حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا مجاهد عن الشعبي عن جابر قال قال رسول الله (ص) . (إني لخاتم ألف نبي أو أكثر وأنه ليس منهم بنى الا وقد أئذر قومه الدجال وأنه قد تبين لى فيه ما لم يبين لاحد منهم وأنه أعور وأن ربكم ليس بأعور . وهذا اسناد حسن وهو محمول على ذكر عدد من أئذر قومه الدجال من الانبياء لكن فى الحديث

الآخر مامن نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال فآله أعلم .

وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فرات قال سمعت أبا حازم قال قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعت يتحدث عن النبي (ص) قال (كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلها هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال فوا بيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم . وكذا رواه مسلم عن بNDAR ومن وجه آخر عن فرات به نحوه .

وقال البخاري حدثنا عمرو بن حفص حدثنا أبي حدثني الأعمش حدثني شقيق قال قال عبد الله هو ابن مسعود كآني أنظر إلى رسول الله (ص) يحكي نبياً من الانبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون رواه مسلم من حديث الأعمش به نحوه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال وضع رجل يده ليمس على النبي (ص) فقال والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي (ص) (إنا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الاجر ان كان النبي من الانبياء ليتلى بالقلم حتى يقتله وان كان النبي من الانبياء ليتلى بالقر حتى يأخذ العباء فيجوبها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء) هكذا رواه الامام أحمد من طريق زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد وقد رواه ابن ماجه عن دحيم عن ابن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد فذكره . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان بن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الانبياء . ثم الصالحون . ثم الأمثل فالأمثل من الناس يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلاة زيد في بلائه وان كان في دينه رقة خفف عليه ولا يزال البلاء بالمعد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود . وقال الترمذي حسن صحيح وتقدم في الحديث (نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى) والمعنى أن شرائعهم وان اختلفت في الفروع ونسخ بعضها بعضاً حتى انتهى الجميع إلى ما شرع الله لمحمد (ص) وعليهم أجمعين الا أن كل نبي بعثه الله فآتاه دينه الاسلام وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية) . فأولاد العلات أن يكون الاب واحداً والامهات متفرقات فالاب بمنزلة الدين وهو التوحيد والامهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها قال تعالى (لكل

جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال (لكل أمة جعلنا منسكاً مفسكوه) وقال (ولكل وجهة هو موليها) على أحد القولين في تفسيرها .

والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها إلا أن الجميع أسرة بعبادة الله وحده لاشريك له وهو دين الاسلام الذي شرعه الله لجميع الانبياء وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة كما قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإياه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنوه ويعقوب يابنوه إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا الآية) . فدين الاسلام هو عبادة الله وحده لاشريك له وهو الاخلاص له وحده دون ماسواه والاحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك الوقت المأمور به ولهذا لا يقبل الله من أحد عملاً بعد أن بعث محمداً (ص) على ما شرعه له كما قال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) وقال تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فلنار موعده) . وقال رسول الله (ص) (بعثت إلى الأحمر والأسود) . قيل أراد العرب والعجم . وقيل الانس والجن وقال (ص) (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم) والاحاديث في هذا كثيرة جداً * والمقصود أن اخوة العلات أن يكونوا من أب واحد وأمهاتهم شتى مأخوذ من شرب العسل بعد النحل * وأما اخوة الاخفاف فمفكس هذا أن تكون أمهم واحدة من آباء شتى . وأخوة الاعيان فهم الاشقاء من أب واحد وأم واحدة والله سبحانه وتعالى أعلم . وفي الحديث الآخر نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركنا فهو صدقة وهذا من خصائص الانبياء انهم لا يورثون وما ذاك إلا لان الدنيا أحقر عندهم من أن تكون مخلفة عنهم ولأن توكلهم على الله عز وجل في ذرائعهم أعظم وأشد وأكدر من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لورثتهم من بدمهم مالا يستأثرون به عن الناس بل يكون جميع ما تركوه صدقة لفقراء الناس ومحاولهم وذو خلعهم . وسنذكر جميع ما يختص بالانبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا (ص) . وعليهم أجمعين في أول كتاب النكاح من كتاب الاحكام الكبير حيث ذكره الأئمة من المصنفين اقتداءً بالامام أبي عبد الله الشافعي رحمه الله عليه وعليهم أجمعين . وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن أن عبد رب السكبة قال انتهيت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس في ظل الكعبة فسمته يقول يئنا نحن مع رسول الله (ص) في سفر إذ نزل منزلاً فئنا من يضرب خيابه ومنا من هو في جشره ومنا من يتفضل إذ نادى مناديه الصلاة جامعة قال فاجتمعنا قال فقام رسول الله (ص) فخطبنا فقال (إله لم يكن نبي قبلي إلا دل

أمته على خير مايعلمه لهم وحذرهم مايعلمه شرأ لهم وإن أمتكم هذه جعلت عاقبتها في أولها وإن آخرها سيصيبها بلاء شديد وأمور ينكرونها نجى فتن يريق بعضها بعضها نجى الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتى . ثم تنكشف . ثم نجى الفتنة فيقول المؤمن هذه . ثم تنكشف فمن سره منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه موته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى اليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطمعه ما استطاع فإن جاء آخر يتنازع فاضربوا عنق الآخر . قال فأدخلت رأسى من بين الناس فقلت أأشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله (ص) قال فأشار بيده إلى أذنيه وقال سمعته أذنى ووعاه قلبى قال فقلت هذا ابن عمك يعنى معاوية بأسرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيئة . ثم رفع رأسه فقال أطمعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله) ورواه أحمد أيضا عن وكيم عن الأعمش به وقال فيه أيها الناس انه لم يكن نبي قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على مايعلمه خيراً لهم وينذرهم مايعلمه شرأ لهم وذكر تمامه بنحوه . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش به ورواه مسلم أيضا من حديث الشعبي عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمر عن النبي (ص) بنحوه (١)

آخر الجزء الثامن من خط المصنف رحمه الله تعالى يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أخبار العرب وكان الفراغ من تمة هذا المجلد في سابع عشر شوال سنة سهر رهره من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بدمشق المحروسة على يد أقدر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته وعفوه وغفرانه ولطفه وكرمه اسماعيل الدرعى الشافى الانصارى غفر الله تعالى له وختم له بخير ولا حياه ولاخوانه ولما يخه ولجميع المسلمين والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين .

(١) حاشية هكذا شكل أصل النسخة الحلبية أثبتناه كما هو .

فكر أخبار العرب

قيل إن جميع العرب ينتسبون إلى اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام والتحية والاكرام * والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل اسماعيل وقد قدمنا أن العرب العاربة منهم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرم والماليق وامم آخرون لا يعلمهم إلا الله كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه أيضاً . فلما العرب المستعربة وهم عرب الحجاز فن ذرية اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام . وأما عرب اليمن وهم حمير فالشهور أنهم من قحطان واسمه مهزوم قاله ابن مأكولا وذكروا أنهم كانوا أربعة أخوة قحطان وقاحط ومقحط وقالح وقحطان بن هود . وقيل هو هود . وقيل هود أخوه وقيل من ذريته وقيل أن قحطان من سلالة اسماعيل حكاه ابن اسحاق وغيره فقال بعضهم هو قحطان بن تيسن بن قيدر بن اسماعيل . وقيل غير ذلك في نسبه إلى اسماعيل والله أعلم

وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك فقال (باب نسبة اليمن إلى اسماعيل عليه السلام) حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا سلمة رضي الله عنه قال خرج رسول الله (ص) على قوم من اسلم يتناضلون بالسيف فقال ارموا بنى اسماعيل وأنا مع بنى فلان لأحد الفريقين فأسكوا بأيديهم فقال مالك ما قالوا وكيف نرمى وأنت مع بنى فلان فقال ارموا وأنا معكم كلكم . انفرد به البخاري وفي بعض الفاظهم ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع ابن الأدرع فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم * قال البخاري وأسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سبيل العرم . كما سيأتي بيانه وكانت الأوس والخزرج منهم وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ارموا بنى اسماعيل فدل على أنهم من سلالة وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة اسماعيل وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والمدنانية شعبان أيضاً ربعة ومضرا بناتزار بن معد بن عدنان والشعب الخامس وهم قضاة مختلف فيهم قبيل إنهم عدنانيون قال ابن عبد البر وعليه الاكثرون ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وعمه مصعب الزبيري وابن هشام وقد ورد في حديث قضاة بن معد ولكنه لا يصح قاله ابن عبد البر وغيره ويقال إنهم لن يزالوا في جاهليتهم وصدر من الاسلام ينتسبون إلى عدنان فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية وكانوا أخواله انتسبوا إلى قحطان فقال في ذلك أعشى بن ثعلبة في قصيدة له :

أبلغ قضاة في القرطاس إنهم * لولا خلافت آل الله ما عتقوا
 قالت قضاة إنا من ذوي يمن * والله يعلم ما برؤوا وما صدقوا
 قد ادعوا والدأ ما نال أنهم * قد يعلمون ولكن ذلك الفرق

وقد ذكر أبو عمرو السهيلي أيضاً من شعر العرب ما فيه إبداع في تفسير قضاة في انسابهم إلى
 اليمن والله أعلم والقول الثاني أنهم من قحطان وهو قول ابن اسحاق والكلبي وطائفة من أهل النسب.
 قل ابن اسحاق وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد قال
 بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة صحابي له حديثان :

يا أيها الداعي ادعنا وأبشر * وكن قُضاعياً ولا تُنزّر
 نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر * قضاة بن مالك بن حمير
 النسب المعروف غير المنكر * في الحجر المنقوش تحت المنبر

قال بعض أهل النسب هو قضاة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن حمير وقال ابن لهيعة عن
 معروف بن سريد عن أبي عشابة ^(١) محمد بن موسى عن عقبة بن عامر قال قلت لرسول الله أما نحن
 من معد قال لا قلت فمن نحن قال أنتم قضاة بن مالك بن حمير قال أبو عمر بن عبد البر ولا يختلفون
 أن جبهة بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن إلخاف بن قضاة قبيلة عقبة بن عامر الجهمي فملى
 هذا قضاة في اليمن في حمير بن سبأ وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره
 من أن قضاة امرأة من جرم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاة ثم خلف عليها معد بن عدنان
 وابنها صغير وزعم بعضهم أنه كان حملا فنسب إلى زوج أمه كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل
 إلى زوج أمه والله أعلم *

وقال محمد بن سلام البصري النساب : العرب ثلاثة جرائم العدنانية والقحطانية وقضاة . قيل له
 فأيهما أكثر العدنانية أو القحطانية فقال ما شئت قضاة أن تيامنت فالقحطانية أكثر وإن تعددت فالعدنانية
 أكثر وهذا يدل على أنهم يتلومون في نسبهم فإن صح حديث ابن لهيعة المقدم فهو دليل على أنهم من
 القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
 لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال علماء النسب يقال شعوب . ثم قبائل ثم عمار . ثم بطون . ثم
 أفخاذ . ثم فصائل . ثم عشائر . والعشيرة أقرب الناس إلى الرجل وليس بعدها شيء . ولينبدأ أولاً بذكر

(١) قوله أبي عشابة كذا بالأصل ياء بعد الألف وليس من الرجال من تكنى بهذه الكنية
 والموجود أبو عشاة بنون بعد الألف المعافري المصري واسمه حي بن يومن بن حجيل بن جريج وهو
 الراوى عن عقبة بن عامر وعمار بن

القحطانية ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ليكون ذلك متصلاً بسيرة رسول الله (ص) إن شاء الله تعالى وبه الثقة *

وقد قال البخارى ﴿باب ذكر قحطان﴾ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن نور بن زيد عن أبي المغيث عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بمصاه وكذا رواه مسلم عن قتبية عن الدراوردي عن ثور بن زيد به * قال السهيلي وقحطان أول من قيل له أيت الأمن وأول من قيل له أنعم صباحاً . وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة عن جرير حدثني راشد بن سعد المقرئ عن أبي حنيفة عن ذى الجراح أن رسول الله (ص) قال (كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله منهم فجعله في قريش) (وسى ع وذال ي ه م) قال عبد الله كان هذا في كتاب أبي وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء يعنى وسيعود اليهم .

قصة سبأ

قال الله تعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل حطأ وأنثى وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلالنا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقنهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) قال علماء النسب منهم محمد بن اسحاق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا وكان أول من سبى من العرب فسمى سبأ لذلك وكان يقال له الرائش لأنه كان يعطى الناس الاموال من متاعه . قال السهيلي ويقال إنه أول من تتوج وذكر بعضهم أنه كان مسلماً وكان له شعر بشر فيه بوجود رسول الله (ص) فمن ذلك قوله

سيمك بَدْنَا ملكاً عظيماً	نبي لا يرخص في الحرام
ويملك بعده منهم ملوك	يدينون العباد بنير ذام
ويملك بعدهم منا ملوك	يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي	تقي جبينه خير الانام
يسمى أحداً ياليت أتي	أعز بعده مبعثه بام
فأعضده وأحبوه بنصري	بكل مدحج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه	ومن يلقاه يلقه سلاحي

حكاه ابن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير

وقال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعدة سمعت عبد الله بن العباس يقول إن رجلاً سأل النبي (ص) عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض قل بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون فذحج وكندة والازد والأشعريون وأنمار وحير . وأما الشامية فلخم وجذا وعاملة وغسان وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الفطيفي هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك والله الحمد .

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمن واحدم تبع وكان ملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمن مع الشجر وحضر موت تبعاً كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك مصر فرعون ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك الهند بطليموس وقد كان من جملة ملوك حير بأرض اليمن بلقيس وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار وزروع كثيرة وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد فلما بدلوا نعمة الله كفراً أحلوا قومهم دار البوار .

قال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً وزعم السدي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي فآله أعلم . والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضاً واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل حطوط وأثل وشي من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور)

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سد مأرب كان صنعتها ان المياه تجري من بين جبلين فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما بيناء محكم جداً حتى ارتفع الماء فحكم على اعالى الجبلين وغرسوا فيها البساتين والاشجار المثمرة الأنيقة وزرعوا الزروع الكثيرة وقال كان أول من بناء سبأ بن يعرب وسلط اليه سبعين وادياً يند اليه وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه فكلته حير بعده وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالكتل على رأسها فتمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من فضجه وكثرته وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المرذية لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى (لقد كان لسبأ في سكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وكما قال تعالى (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد)

فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته وسألوا بسد تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينها من البساتين وإن
الطرقات سألوا أن يباعد بين أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب وطلبوا أن يبدلوا بالخير شراً
كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسوى البقول والقتاء والفرم والعدس والبصل فلبوا تلك النعمة
العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم
سبل العرم) قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الغار وهو الجرذ ويقال الخلد فلما فطنوا لذلك
أرصدوا عندها السنانير فلم تقن شيئاً إذ قد حم القدر ولم ينفع الخذر كلا لا وزر فلما تحكم في أصله الفساد
سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والأنهار واقطعت تلك الثمار ومادت تلك
الزروع والأشجار وتبدلوا بعدها بردى الأشجار والأثمار كما قال العزيز الجبار (وبدلناهم بحبنتهم
جنتين ذواتى أكل خبط وأثفل) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو الأراك وثمره البربر وأثل وهو
الطرفاء . وقيل يشبهه وهو حطب لأثمر له (وشىء من سدر قليل) وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلاً
مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل لحم جمل غث على رأس جبل وعمر لا سهل
ويرتقى ولا سمين فينتقى ولهذا دل تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور) أى إنما
نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا وقال تعالى
(فجعلناهم أحاديث ومرزقناهم كل ممزق) وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن
يرتجلوا منها وينقلوا عنها ففرقوا في غور البلاد ونجدها أبدى سبأ شذر مذر فنزلت طوائف منهم الحجاز
ومنها خزاعة نزلوا ظاهر مكة وكان من أمرهم ما سنذكره ومنهم المدينة المنورة اليوم فكانوا أول من
سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فخالفوا الأوس
والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سنذكره ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا
فيما بعد وهم غسان وعاملة وبهراء ونظم وجذام وتنوخ وقلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر قنوق
الشام في زمن الشيخين رضى الله عنهما .

قال محمد بن اسحاق حدثني أبو عبيدة قال قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة وهو ميمون بن قيس .

وفي ذاك للمؤتمى أسوةً ومأرمٌ عفى عليها العرم
رُخامٌ بنته لهم حميرٌ إذا جاء مؤازره لم يرم
فأروى الزرع وأعناهما على سعة ما هم إذ قسم
فصاروا أيادي لا يقيدروا على شرب طفل إذا ما نطم

وقد ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة أن أول من خرج من اثنين قبل سيل العرم عمرو بن عامر
الخنسي ونظم هو ابن عدى بن الحارث بن مرة بن ازد بن زيد بن مهي بن عمرو بن عريب بن يشجب

ابن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ قاله ابن هشام . قال ابن اسحاق وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثني أبو زيد الانصاري أنه رأى جرذاً يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم فلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فامسرا صغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غنضة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل في ولده وولد ولده وقالت الأزدي لا تتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين برتلدون البلدان فخاربتهم عك فكانت حربهم سجلاً في ذلك قال عباس بن مرداس.

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بشنآن حتى طردوا كل مطرد

قال فارتحلوا عنهم ففرقوا في البلاد فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزل الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرآ ونزلت أزد السراة السراة ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله هذه الآيات وقد روى عن السدي قريب من هذا وعن محمد بن اسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهناً وقال غيره كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة فاخبرت بقرب هلاك بلادهم وكانهم رأوا شاهد ذلك في القار الذي سيط على سدوم ففعلوا ما فعلوا والله أعلم . وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في التفسير .

قُضِيَ أَمْرُكَ

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السد ففرقوا في البلاد وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل انما تشاء منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم مذحج وكندة وأنمار والاشعريون وأنمار هو أبو خثعم وبجيلة وحير فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم الملك والتبابعة حتى سلبهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه حجة أميره أبرهة وارباط نحواً من سبعة مائة سنة ثم استرجعه سيف ابن ذي يزن الحميري . وكان ذلك قبل مولد رسول الله (ص) بقليل كما سنذكره مفصلاً قريباً ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ثم أرسل رسول الله (ص) إلى أهل اليمن علياً وخالداً بن الوليد ثم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويدينون لهم الحجج ثم قلب على اليمن الاسود العنسي واخرج نواب رسول الله (ص) منها فلما قتل الاسود استقرت اليد الاسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما سنبين ذلك بعد البعثة ان شاء الله تعالى

قِصَّةُ رَيْعَةَ بْنِ نَصْرٍ ابْنِ حَمَارَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَمَارٍ

المتقدم ذكره اللخمي كذا ذكره ابن اسحاق وقال السهيلي ونساب اليمن قول نصر بن ربيعة ابن نصر بن الحارث بن نمارة بن نلهم وقال الزبير بن بكار ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن نلهم ونلهم أخو جذام وسمى نلما لانه نلهم أخاه أى لطمه أى لطمه فعضه الآخر فى يده فجدمه فسمى جذاما وكان ربيعة أحد ملوك حير التباينة وخبره مع شق وسطيح السكاهنين وإنذارها بوجود رسول الله (ص) أما سطيح فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان وأما شق فهو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار ومنهم من يقول أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن ثابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال إن سطيحا كان لأعضاء له وإنما كان مثل السطيحة ووجهه فى صدره وكان اذا غضب اتنفخ وجلس وكان شق نصف انسان ويقال ان خالد بن عبد الله بن القسرى كان سلالته وذكر السهيلي أنهما ولدا فى يوم واحد وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحيرية ويقال انها تفلت فى فم كل منهما فورث الكهانة عنها وهى امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره والله أعلم قال محمد بن اسحاق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين اضعاف ملوك التباينة فرأى رؤيا هائلة هالته وفضع بها فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عاتما ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضلت بها فأخبروني بها وتأويلها فقالوا اقصصها علينا فنخبرك وتأويلها فقال انى ان أخبرتكم بها لم أطمئن الى خبركم وتأويلها لانه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا فليبعث الى شق وسطيح فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأله عنه فبعث اليهما فقدم اليه سطيح قبل شق فقال له إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضلت بها فأخبرني بها فانك ان أصبتها أصبت تأويلها فقال أفل رأيت حمة خرجت من ظلمة فوقت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك فى تأويلها قال أحلف بما بين الحرتين من حنش تهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين آيين الى جرش فقال له الملك يا سطيح ان هذا لنا لغاظ موجه فتى هو كائن فى زمانى أم بعده فقال لا وايك بل بعده بخين أكثر من ستين أو سبعين . بمضين من الستين قال أفيدوم ذلك من سلطانهم أم ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين من الستين ثم يقتلون ويخرجون منها هارين قال ومن بل ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليهم أرم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم احداً باليمن . قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكى . يأتيه الوحي من قبل العلى قال ومن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر . يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر . قال وهل

لدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون. يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحق ما تخبرني قال نعم . والشق والفسق والفاق إذا اتسق إن ما أنبأتك به الحق. قال ثم قدم عليه شق فقال له كقولك لسطيح وكتبه ما قال سطيح لينظر أيتقان أم يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة . فوقت بين روضة وأكمة . فأكثت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتقيا وأن قولها واحد إلا أن سطيحاً قل وقعت بأرض ثممة فأكلت منها كل ذات جمجمة . وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فأكثت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك في تأويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من انسان . لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليمكن ما بين أين الى نجران فقال له الملك وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجه فتى هو كائن أفي زمانى أم بعده قال لا بل بعده بزمان . ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان . ويذيقهم أشد الهوان . قال ومن هذا العظيم الشأن قال غلام لبس بدنى ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذى بزن . قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم يجزى فيه الولايات يدعى فيه من السماء بدعولت تسمع منها الاحياء والاموات ويجمع الناس فيه للبيئات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول قال أى ورب السماء والارض . وما بينهما من رفم وخفض . ان ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض . قال ابن اسحق فوقع في فسر ربيعة بن نصر ما قالوا فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة قال ابن اسحق فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر يعنى الذى كان نثباً على الحيرة لملوك الاكسرة وكانت العرب تغد اليه وتمتدحه وهذا الذى قاله محمد بن اسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس . وقد روى ابن اسحاق ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جرى بسيف النعمان بن المنذر سأل جبير بن مطعم عنه من كان قتال من اشلاء فنص بن معد بن عدنان قال ابن اسحاق فالتف الله أعلم أى ذلك كان

قصة تبع النبي كرب مع أهل الحيرة

(وكيف أراد غزو البيت الحرام ثم شرفه وعظمه وكساه اللؤلؤ فكان أول من كساه)

قال ابن اسحاق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبيان اسمعدي كرب وتبيان اسمعدي تبع الآخر ابن كلب كركب بن زيد وزيد تبع الأول بن عمرو ذى الازعار بن أبرهة ذى المنابر الرائي بن عدى بن صيفى بن سبأ الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الفزث بن قطن بن عريب بن زهير

ابن أنس بن الهميسع بن العرب بحج والعرب بحج هو حير بن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان . قال عبد الملك بن هشام سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال ابن اسحاق وتبان أسعد أبو كرب هو الذي قدم المدينة وساق الخبرين من اليهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة وكان قد مر بها في بدايته فلم يهجم أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له قتل غيلة قدمها وهو مجمع لآخراها واستفصال أهلها وقطع نخلتها فجمع له هذا الخي من الانصار ورئيسهم عمرو بن طلحة أخو بني النجار ثم أحد بني عمرو بن مبدول واسم مبدول عامر بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة عمرو بن عامر

وقال ابن هشام عمرو بن طلحة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار وطلحة أمه وهي بنت عامر بن زريق الخزرجية .

قال ابن اسحاق وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له أحرع عدا على رجل من اصحاب تبع وجده يحد عذقه ففرضه بمنجله فقتله وقال انما التمر لمن أبره فزاد ذلك تبعاً حنفا عليهم فاقتلوا فترغم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا لسكران وحكى ابن اسحاق عن الانصار ان تبعاً انما كان حنقه على اليهود انهم منعوه منه .

قال السهيلي ويقال انه انما جاء لنصرة الانصار أبناء عمه على اليهود الذين نزلوا عندهم في المدينة على شروط فلم يفوا بها واستطالوا عليهم والله أعلم .

قال ابن اسحاق فبينما تبع على ذلك من قتالهم اذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالوا له أيها الملك لا تفعل فانك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم تأمن عليك جل العقوبة فقال لها ولم ذلك قالوا هي مهاجر بني يمحرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره فتنهاى ورأى أن لها علماً وأعجبه ما سمع منها فانصرف عن المدينة وأتبعهما على دينهما . قال ابن اسحاق وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يبعدونها فتوجه إلى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وامج أتاه نفر من هذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر بن بزار بن معد بن عدنان فقالوا له أيها الملك ألا نذكك على بيت مال داثر اغنته البلوك قبلك فيه اللؤلؤ والزرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وانما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراد من الملوك وبني عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الخبرين فسألها عن ذلك فقالت له ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم يتأ الله عز وجل اتخذ في الارض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً قال

فإذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتمطئه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما أنتما من ذلك قالا أما والله إنه لبيت أئينا إبراهيم عليه السلام وأنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أوكا قالا له فصرف نصحبها وصدق حديثها وقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحربها للناس ويعطهم أهلها ويستقيم العمل وأرى في المنام أن يكسوا البيت فكساء الخصف ثم أرى في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء المفاير ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء الملاء والوصائل وكان تبع فيها يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرم وأسرهم بطهيره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاً وهي المحايض وجل له باباً ومفتاحاً في ذلك قالت سبيعة بنت الأحب تذكر ابنها خالد به عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وتنهاه عن البغي بمكة وتذكر له ما كان من أمر تبع فيها .

أَبْنِي لَا تَغْلَمْ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ
وَاحْفَظْ حِمَارَهَا فِي وَلَا يَفْرُكْ الْقُرُورَ
أَبْنِي مَنْ يَظْلَمُ بِمَكَّةَ يَنْقُ أَطْرَافَ الشُّرُورِ
أَبْنِي يَضْرِبُ وَجْهَهُ وَيُلْجُ بِخَدَّيْهِ السَّعِيرِ
أَبْنِي قَدْ جَرَّهَا فَوَجَلَتْ ظَالِمًا يَبُورُ
اللَّهُ آمَنَّا وَمَا بُنِيَ بِمَكَّةَ بِمَرْصَنَهَا قُصُورُ
وَاللَّهُ آمَنَ طَيْرَهَا وَالْعَصْمُ تَامَنَ فِي تَبِيرِ
وَلَقَدْ غَزَاهَا تَبَعَ فَكَسَا بِبَيْتِهَا الْحَبِيرِ
وَأَذَنَ رَبِّي مَلَكَهُ فِيهَا فَأَوْفَى بِالنَّذُورِ
يَمْشِي إِلَيْهَا حَافِيًا بِبَنَاتِهَا أَلْفَا بَعِيرِ
وَيُظَلُّ يُطْعَمُ أَهْلَهَا لَحْمَ الْمَهَارَى وَالْجَزُورِ
يَسْقِيهِمُ الْعَسَلُ الْمَصْقَى وَالرَّحِيضُ مِنَ الشَّعِيرِ
وَالْفِيلُ أَهْلَكَ جَيْشَهُ يُرْمُونَ فِيهَا بِالصَّنُورِ
وَالْمَلِكُ فِي أَقْصَى الْبِلَا دُوفِي الْأَعَاجِمِ وَالْخَزُورِ
فَاسْمِعْ إِذَا حَدَّثَتْ وَأَنْفَهُمْ كَيْفَ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ

قال ابن اسحاق ثم خرج تبع متوجها الى اليمن بمن معه من الجنود ولجبرين حتى اذا دخل اليمن

دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن قال ابن اسحاق حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم قالوا تحاكمنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن غيا يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأخذ الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قدما للنار عند مخرجها الذي نخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فزجرهم من حضرم من الناس وأمرهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تمرق جباههما ولم تضرهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق وقد حدثني محدث أن الخبرين ومن خرج من حمير انما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لنا كاهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها فدنا منها الخبران بعد ذلك وجعلوا يتلوان التوراة وهي تنقص عنهما حتى رداها لي مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينها والله أعلم أى ذلك كان . قال ابن اسحاق وكان رثام يتناهم يظلمونه وينحرون عنده ويكلمون فيه اذ كانوا على شركهم فقال الخبران لتبع انما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود فذبحاه ثم هدمنا ذلك البيت فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي (ص) (لا تسبوا تبعاً فانه قد كان أسلم) قال السهيلي وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال (لا تسبوا أسعد الحميري فانه أول من كسى الكعبة) .

قال السهيلي وقد قال تبع حين اخبره الخبران عن رسول الله (ص) شعراً
شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل هم

قال ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الانصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الانصاري رضى الله عنه وأرضاه * قال السهيلي وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أن قبراً حفر بصنعاء فوجد فيه اسرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر ليس وحى ابنتي تبع ماتا وهما تشهدان

ألا آله إلا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما .

ثم صار الملك فيما بعد الى حسان بن تبيان أسعد وهو أخو البمامة الزرقاء التي صلبت على باب مدينة جو فسميت من يومئذ البمامة . قال ابن اسحاق فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تبيان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطاعهم أرض العرب وأرض الأعرابي حتى اذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهلهم فكلوا وأخاه يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له أقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا الى بلادنا فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا دارعين الحميري فإنه نهى عمرًا عن ذلك فلم يقبل منه فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان :

ألا من يشتري سهرًا بنوم سعيده من بيت قري عين
فأما حمير غدرت وخانت فمذرة الآله الذي رعين

ثم استودعها عمرًا . فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع الى اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فسأل الأطباء والحذاق من السحرة والعرافين عما به فقبل له أنه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رحم بغيًا إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر فعند ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه فلما خلاص إلى ذي رعين قال له إن لي عندك براءة قل وما هي قل الكتاب الذي دفعته إليك فأخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا

وقب الخنيفة في سنار على ملك اليمن

وقد ملكها سبعًا وعشرين سنة . قال ابن اسحاق فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك يقال له الخنيفة ينوف ذو سنار فقتل خيارهم وعيث بيوت أهل المملكة منهم وكان مع ذلك أمراء فاسقًا يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لثلاثين ملك بعد ذلك ثم يطلع من شربته تلك الى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله في فيه ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى يمشى الى زرعة ذي نواس بن تبيان أسعد أخى حسان وكان صبيًا صغيرًا حين قتل أخوه حسان ثم شب غلامًا جميلًا وسيا ذاهية وعقل فلبس أنه رسول له عرف ما يريد منه فأخذ سكينًا جديدًا لطيفًا فخبأ بين قدميه وناله ثم أتاه فلما خلاصه وثب اليه فوائبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حز رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس أرطب أم يباس فقال سل نحماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس (٢) فنظروا الى الكوة

(١) قوله لخنيفة بالنون وهو كذلك في سيرة ابن هشام

(٢) قال ابوذر الخثني قالوا في تفسير استرطبان ان معناه اخذته النار بالفارسية اهو قال السهيلي وقوله

فاذا رأس الخنيعة مقطوع فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحمتنا من هذا الخنيث فملكوه عليهم واجتمعت عليه حير وقبائل النين فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف فأقام في ملكه زماناً، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الانجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر. ثم ذكر ابن اسحاق سبب دخول أهل نجران في دين النصرى وان ذلك كان على يد رجل يقال له فيميون كان من عباد النصرى بأطراف الشام وكان مجاب الدعوة وصحبه رجل يقال له صالح فكان يتبدان يوم الأحد ويعمل فيميون بقية الجمعة في البناء وكان يدعوا للرضى والزمنى وأهل الماهات فيشفون ثم استأمره وصاحبه بعض الاعراب فباعوها بنجران فكان الذى اشترى فيميون يراه اذا قام في مصلاه بالبيت الذى هو فيه في الليل يمتلى عليه البيت نوراً فأعجبه ذلك من أمره وكان أهل نجران يمدون نخلة طويلة يعلقون عليها حلل نسائهم ويمكفون عندها فقال فيميون لسيده أرايت ان دعوت الله على هذه الشجرة فهلكت أتعلمون أن الذى أنتم عليه باطل. قال نعم فجمع له أهل نجران وقام فيميون الى مصلاه فدعا الله عليها فأرسل الله عليها قاصفاً فجمعها من أصلها ورمها الى الأرض فاتبعه أهل نجران على دين النصرانية وحملهم على شريعة الانجيل حتى حدثت فيهم الاحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب ثم ذكر ابن اسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصر على يد فيميون وكيف قتله واصحابه ذو نواس وخذلهم الاخدود، وقال ابن هشام وهو الحفر المستطيل في الارض مثل الخندق وأجج فيه النار وحرقهم بها وقتل آخرين حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً كما قدمنا ذلك مبسوطاً في أخبار بنى إسرائيل وكما هو مستقصى في تفسير سورة (والسما ذات البروج) من كتابنا التفسير والله الحمد.

خروج الملوك باليمن من حمير الى الحبشة (السورة)

كما أخبر بذلك شق وسطيح السكاهنان وذلك انه لم ينج من أهل نجران إلا رجل واحد يقال استرطبان الى آخر الكلام مشكل يفسره ما ذكره ابو الفرج في الاغانى قال كان الغلام اذا خرج من عند الخنيعة وقد لاط به قطعوا مشافرة فاقته وذبحها وصاحوا به ارطب ام يباس فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقة له يقال لها السراب قالوا ذا نواس ارطب ام يباس فقال ستعلم الاحراس است ذى نواس است رطب ام يباس فهذا اللفظ مفهوم والذى وقع في الاصل يريد سيرة ابن هشام هذا معناه ولفظه قريب من هذا

له دوس ذو ثعلبان على فرس له، فملك الرمل فاجزم فضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم ، وذلك لأنه نصرانى على دينهم . فقال له بدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك . فكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره . فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وامر عليهم رجلاً منهم يقال له ارباط ومعه فى جنده أبرهة الأشرم فركب ارباط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس وسار اليه ذو نواس فى حمير ومن اطاعه من قبائل اليمن . فلما التقوا انهزم ذو نواس واصحابه فلما رأى ذو نواس ماتزل به ويقومه وجه فرسه فى البحر ثم ضربه فدخل فيه فخاض به فخصخض البحر حتى افضى به الى غمره فادخله فيها فكان آخر العهد به ودخل ارباط اليمن وملكها وقد ذكر ابن اسحاق هاهنا اشعاراً للعرب فيها وقع من هذه الكائنة الغريبة وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ولكن تركنا إيرادها خشية الاطالة وخوف الملالة وبالله المستعان

خروج أبرهة الأشرم على ارباط والنجاشى

قال ابن اسحاق فاقام ارباط بارض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ثم فازعه أبرهة حتى فترقت الحبشة عليهما . فالتحاز الى كل منهما طائفة ثم سار أحدهما الى الآخر . فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى ارباط انك لن تصنع بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً شيئاً ، فبرزلى وابرزك فاينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فارسل إليه ارباط انصفت لخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً وكان ذا دين فى النصرانية وخرج إليه ارباط وكان رجلاً جميلاً طويلاً وفى يده حربة له . وخلف أبرهة غلام يقال له عنودة يمنع ظهره . فرفع ارباط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه . فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته فبذلك سمى أبرهة الأشرم . وحمل عنودة على ارباط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند ارباط إلى أبرهة . فلجتمت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة ارباط . فلما بلغ ذلك النجاشى ملك الحبشة الذى بشمهم إلى اليمن غضب غضباً شديداً على أبرهة وقال عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ثم حلف لا بدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويميز ناصيته فخلق أبرهة رأسه وملاً جراباً من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشى ثم كتب اليه : أيها الملك إنما كان ارباط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا فى أمرك وكل طاعتك لك إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة واضبط لها وأسوس منه . وقد حلفت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ليضمه تحت قدمه فيببر قسمه فى . فلما انتهى ذلك الى النجاشى رضى عنه وكتب إليه أن أثبت بارض اليمن حتى يأتيك أمرى فاقام أبرهة باليمن

سبب قصر أبرهة بالفيل مكة بخبر الكعبة

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل *
فدمهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف ما كول)

قبل أول من ذل الفيلة إفريدون بن أنفان الذي قتل الضحاك قاله الطبري وهو أول من اتخذ
للخيل السرج . وأما أول من سخر الخيل وركبها فطهمودث وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ويقال
إن أول من ركبها اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب والله تعالى أعلم
ويقال إن الفيل مع عظمة خلقه يفرق من الهر . وقد احتال بعض أسراء الحروب في قتال الهنود
بإحضار سنانير إلى حومة الوغى فنفرت الفيلة

قال ابن إسحاق ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء كنيسة لم ير مثلاً في زمانها بشيء من الأرض
وكتب إلى النجاشي إلى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلاً لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف
إليها حج العرب

فذكر السهيلي أن أبرهة استدلى أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسبية وسخرم فيها أنواعاً من
السحر . وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة . وجعل ينقل إليها من قصر
بقليس رخاماً واحجاراً وأتمته عظيمه وركب فيها صلباناً من ذهب وفضة . وجعل فيها منابر من عاج
وابنوس وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها باهراً فلما هلك بعد ذلك أبرهة وفرقت الحبشة كان من
يتعرض لأخذ شيء من بنائها وامتعتها إصابته الجن بسوء . وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين -
كيب واسرائه - وكان طول كل منهما ستون ذراعاً . فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك
إلى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس فبث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجراً
حجراً ودرست آثارها إلى يومنا هذا

قال ابن إسحاق فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من النساء من كنانة
الذين ينسبون شهر الحرام إلى الحل بمكة أيام الموسم كما قررنا ذلك عند قوله (إنما النسيء زيادة في الكفر
الآية) قال ابن إسحاق فخرج الكناني حتى أتى القليس فقدم فيه أي أحدث حيث لا يراء أحد ثم
خرج فلحق بأرضه فأخبر أبرهة بذلك . فقال من صنع هذا . فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي
تجبه العرب بمكة لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فنضب فجاء فقدم فيها
أي أنه ليس لذلك بأهل . فنضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرون إلى البيت حتى يهدمه . ثم أمر الحبشة

قهيأت ونجيزت. ثم سار وخرج معه بالليل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفضلوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر . فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريده من هدمه واخراجه . فاجابه من أجابه الى ذلك . ثم عرض له قتاله . فهزم ذو نفر واصحابه وأخذ له ذو نفر قاتلي به أسيراً . فلما أراد قتله قال له ذو نفر يا أيها الملك لا تقتلني فانه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من القتل . فتركه من القتل وجلسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له فليل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب قتاله فهزمه أبرهة وأخذ له فليل أسيراً فأتى به فلما هم يقتله قال له فليل أيها الملك لا تقتلني فأني دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم - شهران وناهس - بالسمع والطاعة . فخلى سبيله وخرج به معه يده . حتى إذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف . وليس يتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم

قال ابن اسحاق واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة . قال فبعثوا معه أبارغال يده على الطريق الى مكة . فخرج أبرهة ومعه أبارغال حتى أنزله بالمغس . فلما أنزله به مات أبارغال هنالك فوجت قبره العرب فهو القبر الذي يرحم الناس بالمغس وقد تقدم في قصة ثمود أن أبارغال كان رجلاً منهم وكان يتمتع بالحرم فلما خرج منه أصابه حجر فقتله وان رسول الله (ص) قال لاصحابه « وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب » فحفروا فوجدوها قال وهو أبو ثقيف

قلت والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن اسحاق أن أبارغال هذا المتأخر وافق اسمه اسم جده الأعلى ورجحه الناس كما رجحوا قبر الأول أيضاً والله أعلم . وقد قال جرير :

إذا مات الفرزدق فارجحوه كرجحكم لقبير أبي زغال

الظاهر أنه الثاني

قال ابن اسحاق فلما نزل أبرهة بالمغس بمث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مفضود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه أموال تهامة من قريش وغيرهم . واصاب فيها مائتي بعير لبعيد المطلب ابن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها . فهتم قريش وكنانة وهذيل وحمير كان بذلك الحرم بقتاله . ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك . وبث أبرهة حناطة الحيرى الى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم . ثم قل له ان الملك يقول إنى لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم امرضوا

لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فان هو لم يرد حربى فأتيتى به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشربنها فقيل له عبد المطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب والله ما يزيد حربه ومالنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام - أو كما قال - فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حناطة فاطلق معى اليه فانه قد أمرنى أن آتية بك . فاطلق معى عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى السكر فسأل عن ذى نضر وكان له صديقاً - حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال له يا ذا نضر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نضر وما غناء رجل أسير يبدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً؟ ما عندى غناء فى شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى . فسأرسل اليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك واسأله أن يستأذن لك على الملك فنكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك . فقال حسبي . فبعث ذو نضر الى أنيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بغير فاستأذن له عليه وانضمه عنده بما استطعت . قال افعل . فكلّم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش يبابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذى يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال فالتذن له عليك فليكلمك فى حاجته فاذن له أبرهة قال وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجلهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحتة وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه . فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ثم قال لترجانه قل له حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتى أن يرد على الملك مائتى بغير أصابها لى فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فبك حين كلمتني . أتكلمنى فى مائتى بغير أصبتها لك وتترك بيتا هودينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه لا تسكلمنى فيه؟ فقال له عبد المطلب إني أنا رب الابل وإن للبيت رياسته . فقال ما كان لم يمنع منى . قال أنت وذاك . فرد على عبد المطلب إليه

قال ابن اسحاق ويقال إنه كان قد دخل مع عبد المطلب على أبرهة يعمر بن قنافة بن عدى بن الدليل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد بى بكر وخويلد بن وائلة سيد هذيل فمرضوا على أبرهة ثلث أموال ثمامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك فآله أعلم أكان ذلك أم لا فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤوس الجبال . ثم قام عبد المطلب فاخذ بمحقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . وقال عبد المطلب - وهو آخذ بمحقة باب الكعبة - :

لَا مُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ رِحَالَكُمْ

لَا يَغْلِبُنَّ صَلَاتُكُمْ وَمَحَلُّكُمْ غَدَاً مَحَالَكُ
 أَنْ كُنْتُمْ تُلَاقِيهِمْ وَقَدْ لَقِيتُمْ مَا بَدَأَكُمْ

قال ابن هشام هذا ما صح له منها . وقال ابن اسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة واطلق هو ومن معه من قريش إلى شرف الجبال يتحزون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل . فلما أصبح أبرهة نهياً لدخول مكة وهياً فيه وعى جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل ابن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال أبرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت . فانك في بلد الله الحرام وارسل أذنه . فبرك الفيل

قال السهيلي أي سقط إلى الأرض وليس من شأن الفيلة أن تبرك وقد قيل إن منها ما يبرك كالبعير فالله أعلم وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فإني فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فإني فادخلوا محاجن لهم في سراقه فبزعوه بها ليقوم فإني فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول . ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى مكة فبرك . وارسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(١) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في متقاره وحجران في رجليه أمثال الحص والقدس لاتصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هارين ينتدرون الطريق التي منها جاءوا . ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل في ذلك :

أَلَا حَيْتَ عَنَّا يَارُدِينَا فَمِنَّا كَمَعَ الْإِصْبَاحَ عَيْنَا
 رَدِينَةُ لَوْ رَأَيْتَ فَلَا تَرِيه لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْنَا
 إِذَا لَمَذَرْتَنِي وَحَدَّثْتَ أَمْرِي وَلَمْ تَلْمِ عَلَى مَا قَاتَ بَيْنَا
 حَدَّثْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخِثْتُ حَجَارَةً تَلَقَّى عَلَيْنَا
 وَكَلَّ الْقَوْمُ يَسْأَلُ عَنْ نَفِيلٍ كَأَنَّ عَلِيَّ لِلْحَبَشَانِ دِينَا

قال ابن إسحاق فخرجوا ينساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل . وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أمثلة أمثلة كلما سقطت أمثلة اتبعتها منه مدة تمت قيعا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر . فما مات حتى أفصد صدره غن قلبه فيما يزعمون

قال ابن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب . ذلك العام ، وأنه أول مارؤى بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والمشر ذلك العام قال ابن إسحاق فلما بعث الله محمداً (ص) كان مما يمدد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله

(١) كذا في الأصل ولعله مصحف عن البلشون فانه يشبه الخطاطيف

مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أسرهم ومدتهم فقال تعالى (ألم تركب على ركبتيك بأصحاب الفيل . ألم يجعل
 كيدهم في تضييل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كصفا مأكول)
 ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتسكمان على تفسير هذه السورة والتي بمسناها وقد بسطنا القول
 في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وله الحمد والمنة

قال ابن هشام الأبابيل الجماعات ولم تتسكلم لها العرب بواحد علمناه . قال وأما السجيل فآخبرني يونس
 النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وزعم بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية
 جعلتهما العرب كلمة واحدة وأنها منبج وجل^(١) فالسج الحجر والجل الطين . يقول الحجر من هذين
 الجنسين الحجر والطين . قال والعصف ورق الزرع الذي لم يقصب . وقال الكسائي سمعت بعض النحويين
 يقول واحد الأبابيل ايل وقال كثيرون من السلف الأبابيل الفرق من الطير التي يتبع بعضها بعضاً من
 ههنا وههنا . وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير وا كف كالكف السكالب وعن عكرمة كانت
 رؤوسها كرووس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خضراً . وقال عبيد بن عمير كانت سوداً بحرية
 في مناقيرها وا كفها الحجارة . وعن ابن عباس كانت أشكالكها كعتقاء مغرب وعن ابن عباس كان أصغر
 حجر منها كراس الإنسان ومنها ما هو كالابل . وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق . وقيل كانت
 صفراء والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي شبة حدثنا أبو معاوية عن
 الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بمثل طير
 أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجله وحجراً في منقاره
 قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم . ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها . فما يقع حجر على
 رأس رجل الاخرج من دبره . ولا يقع على شيء من جسده الا خرج من الجانب الآخر . وبعث
 الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً

وقد تقدم أن ابن إسحاق قال وليس كلهم أصابته الحجارة يعني بل رجع منهم راجعون إلى اليمن
 حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من النكال وذكروا أن أبرهة رجع وهو يتساقط أمثلة أمثلة فلما وصل
 إلى اليمن انصدع صدره فمات لعنه الله . وروى ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن سمرة
 عن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل ومسانيه بمكة اعميين مقعدين يستطمان . وتقدم أن سائس الفيل
 كان اسمه أنيسا فلما قائد فلم يسم والله أعلم .

وذكر النقاش في تفسيره أن السيل احتمل جثثهم فألقاها في البحر . قال السهيلي وكانت قصة الفيل

(١) أصله (سنتك وكل) ولما لم تلفظ العرب بالكاف بدلوا بالميم فقالوا سنج وجعل وركبوا

كلمة واحدة فهي مستعربة اهـ

أول المحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة (١) من تاريخ ذي القرنين .

قلت وفي عامها ولد رسول الله (ص) على المشهور . وقيل كان قبل مولده بستين كما سنذكر إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

ثم ذكر ابن اسحاق ما قاله العرب من الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام الذي يريد أن يشرفه ويمظمه ويطهره ويوقره ببعثة محمد (ص) وما يشرع له من الدين القويم الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه وسيجل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ولم يكن مانعاً باصحاب الغيل نصرة لقريش إذ ذاك على النصاري الذين هم الحبشة : فان الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش وإيما كان النصر للبيت الحرام وارهاسا وتوطئة لبعثة محمد (ص) فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزبيري السهمي

تَنَكَّلُوا (٢) عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّمَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرَمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشَّعْرَى لِيَالِي حُرِّمَتْ	إِذْ لَا عَزِيزٌ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلُ أَمِيرِ الْخَبَشِ عَنْهَا مَا رَأَى	فَلَسَوْفَ يُبْنِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يَقْبُوا أَرْضَهُمْ	بَلْ لَمْ يَعْشُ بَعْدَ الْأَيَّامِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَرَّمُ قَبْلَهُمْ	وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا

ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت الانصاري المدني :

وَمَنْ صُنِعَ يَوْمَ قَبْلِ الْحُبُو	شَ إِذْ كَلَّمَ بِشُوءَ رَزَمَ
مَحَاجِثُهُمْ تَحْتِ أَقْرَابِهِ	وَقَدْ شَرَمُوا أَفْقَهُ فَانْخَرَمَ
وَقَدْ جَلُّوا سَوَّطَهُ مُقُولًا	إِذَا يَمْوُوهُ قَفَاهُ كَلَمَ
فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ	وَقَدْ بَاءَ بِالظَلَمِ مَنْ كَانَ ثُمَّ
فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا	فَلَفَّهِمْ مُثْلَ لَفِّ الْقَزَمِ
تَحَصَّنَ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ	وَقَدْ تَأَجَّرُوا كَتُّوْاجِ النَّفَمِ

ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقي قال ابن هشام وبروي لامية

ابن أبي الصلت :

إِنْ آيَاتِ رَبَّنَا ثَابَتَتْ	مَا يُجَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ	مُسْتَبِينٌ حَسَابُهُ مَقْدُورُ

(١) كذا بالأصل والذي في السهيلي سنة اثنتين وثمانين الخ اهـ .

(٢) قوله تنككوا كذا بالأصل وفي سيرة ابن هشام المطبوعة باللام . لكن في تفسير غريبها للخشني

تنكبوا بالباء . قال أي ارجعوا خوفا منها . تقول نكبت فلانا عن الشيء إذا صرفته عنه صرفهية وخوف

ثم يجلو النهار رب رحيم بمهارة شمعائها منشور
حبس الفيل بالخنس حتى صار يحبو كأنه مقبور
لأزماً حلقة الجران كما د من صخر ككب محدود
حوله من ملوك كندة أبطل ل ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعوا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخليفة بور
ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت أيضاً :

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا باركان هذا البيت بين الاخاشب
فبندكم منه بلاء مصدق غداة أبي يكسوم هادي الكتابب
كتيبته بالسهل تمشي ورجله على القاذفات في رؤس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردم جنود المليك بين صاف وحاصب
فولوا سراعاً هارين ولم يؤب إلى أهله ملجش غير عصائب

ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات في عظمة البيت وحمايته بهلاك من أراده يسوء :

كاده الأشرم الذي جاء بالفير ل فولى وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنة دل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس بر جمع وهو قل من الجيوش ذميم

قال ابن اسحاق وغيره فلما هلك ابرهة ملك الحبشة بده ابنه بكسوم . ثم من بده أخوه مسروق
ابن ابرهة وهو آخر ملوكهم . وهو الذي انتزع سيف بن ذي يزن الحميري الملك من يده بالجيوش الذين
قدم بهم من عند كبرى أنوشروان كما سيأتي بيانه

وكانت قصة الفيل في الحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين وهو الثاني اسكندر
ابن فلبيس المقدوني الذي يؤرخ له الروم ولما هلك ابرهة وابناه وزال ملك الحبشة عن اليمن هجر
القليس الذي كان بناء ابرهة وأراد صرف حج العرب اليه لجهله وقلة عقله . وأصبح يبأبأ لا أنيس به .
وكان قد بناء على صنمين وهما كيب وامرأته وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعاً في السماء وكانا
مصحوبين من الجن ولهذا كان لا يتعرض أحد إلى أخذ شيء من بناء القليس وأمتعته إلا أصابوه بسوء .
فلم يزل كذلك الى أيام السفاح أول خلفاء بني العباس فذكر له أمره وما فيه من الامتعة والرخام الذي
كان ابرهة قله اليه من صرح بلقيس الذي كان باليمن فبعث اليه من خربه حجراً حجراً وأخذ جميع ما
فيه من الامتعة والحواصل هكذا ذكره السهيلي والله أعلم .

خروج الملك عمر الحبشة ورجوعه إلى سيفه في يزن

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : فلما هلك ابرهة ملك الحبشة يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى فلما هلك يكسوم ملك اليمن من الحبشة أخوه مسروق بن ابرهة . قال : فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميري وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جشم بن هبند شمس بن وائل بن العوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن ابن الهبيس بن الرنحج ، وهو حمير بن سبأ - وكان سيف يكنى أبا مرة - حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى اليه ما هو فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويأبىهم هو ويخرج اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا اليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لي على كسرى وفادة في كل عام فأقم عندي حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس في ايوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل^(١) العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاق في مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه إنما يستر عليه بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه في تاجه فاذا استوى في مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك الا برك هببة له . فلما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك : إن هذا الأحق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطأ رأسه . فقيل ذلك لسيف فقال إنما فعلت هذا لعمري لأنه يضيق عنه كل شيء . ثم قال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الا غربة . قال كسرى أي الا غربة الحبشة أم السند قال بل الحبشة فجتتك لتنصرني ويكون ملك بلادك لك فقال له كسرى بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأورط جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لي بذلك ، ثم أجازته بمشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا لشأنا ثم بث اليه فقال عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس قال وما أصنع بحبائك ما جبال أرضي التي جئت منها الا ذهب وفضة يرغبه فيها ، فجمع كسرى مرازبته فقال لهم ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له . فقال قائل : أيها الملك إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو أنك بشتهم معه فانهم لم يكوا كان ذلك الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكا أزددته ، فبعت معه كسرى من كان في

(١) القنقل : هو مكيال يسم ثلاثة وثلاثين مثاقيل .

سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حساباً وبيتاً فخرجوا في ثمان سفائن ففرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلي ورجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً فقال له وهرز أنصفت وخرج إليه مسروق ابن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده فأرسل إليهم وهرز ابناً له ليقاتلهم فيخبر قتالهم ، فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقاً عليهم فلما تواقف الناس على مصافهم . قال : وهرز أدوني ملككم فقالوا له أترى رجلاً على الفيل عاقداً تلجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : نعم . قالوا ذلك ملككم فقال اتركوه قال فوقفوا طويلاً ثم قال علام هو ؟ قالوا قد تحول على الفرس . قال اتركوه فتركوه طويلاً ثم قال علام هو ؟ قالوا على البغلة قال وهرز : بنت الحمار ذل وذل ملكه ، إني سأرميه فإن رأيتم أصحابه لم يمتحروا فأثبتوا حتى أودنكم فاني قد أخطأت الرجل وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولائوا فقد أصبت الرجل فاحلوا عليهم . ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه وتلفلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته واستدارت الحبيشة ولائت به ، وحملت عليهم الفرس فانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه ، وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رايتي منكسة أبداً اهدموا هذا الباب فهدم ، ثم دخلها ناصباً رايتيه فقال سيف بن ذي يزن الحميري :

يظن الناس بالملك ن أنها قد التأما
ومن يسمع بلا مهما فان اطلب قد قما
قتلنا القيل مسروقا وروينا الكتيب دما
وإن القيل قيل النا س وهرز مقسم قما
يدوق مشعشأ حتى فنى السي والنما

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهنئونه بعود الملك إليه وامتدحوه . فكان من جملة من وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فبشره سيف برسول الله (ص) . وأخبره بما يعلم من أمره وسيأتي ذلك مفصلاً في باب البشارات به عليه الصلاة والسلام .

قال ابن اسحاق : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة التقي قال ابن هشام ويروي لامية بن أبي الصلت :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ديم في البحر للأعداء أحوالا
يم قصراً لما حان رحلته فلم يجد عنده بعض الذي سالا
ثم اتنى نحو كسرى بعد عاشره من السنين يهين النفس والمالا
حتى آتى يني الأحرار يحملهم إنك عمري لقد أسرعت قلالا

لله دَرَمٌ من عَصْبَةٍ خَرَجُوا ما لِي أَرَى لَهُم في النَّاسِ أَمَثَلا
 غَلَبًا مَرَاذِبُهُ بِمِثْلا أَشَدَّ تَرْبُّبٍ في الْغِيَضَاتِ أَشْبَلا
 بِرُمُونٍ عَنْ سُدْفٍ كَأَنَّهَا غَبَطَتْ زَعَجَرٌ يُعْجِلُ المَرِيحَى إِجْجَالَا
 أَرْسَلْتُ أَسَدًا عَلَى سَوْدِ الْكَلَابِ فَقَدْ أَنْصَحَى شَرِيدُهُم في الْأَرْضِ فَلَا لَا
 فَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ النَّاجُ مَرْتَقَا في رَأْسِ غَمْدَانِ دَارَا مِنْكَ مَحَلَا
 وَاشْرَبْ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامُهُمْ وَأَسْبَلِ الْيَوْمَ في بُرْدِيكَ إِسْبَالَا
 تِلْكَ الْمَسْكَارُ لَأَقْبَانٍ مِنْ ابْنِ شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبُولَا

يقال - إن غمدان - قصر باليمن بناء يرب بن قحطان وملكه بعده واحتله وائلة بن حمير بن سبأ
 ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة فالله أعلم .

قال ابن اسحاق : وقال عدي بن زيد الحميري وكان أحد بني تميم :

ما بَعْدَ صِنْعَةٍ كَانَ يَمُرُّهَا وَلَاةَ مَلِكٍ جَزَلٍ مَوَاهِبُهَا
 رَفَعَهَا مِنْ بَنِي لَئِي قَزَعِ الْ حَزَنٍ وَتَنَدَى مَسْكَاءَ حَارِبُهَا
 مَحْفُوقَةٌ بِالْجِبَالِ دُونَ عَرَى سَكَانِدِرٍ مَا بُرْتُقَى غَوَارِبُهَا
 يَأْنَسُ فِيهَا صَوْتُ النِّهَامِ إِذَا جَاوَبَهَا بِالْعَشِيِّ قَاصِبُهَا
 سَاقَتْ إِلَيْهَا الْأَسْبَابُ جُنْدَ بَنِي أَحْرَارٍ فَرَسَانُهَا مَوَاهِبُهَا
 وَفُوقَتْ بِالْبَغَالِ تَوْسُقُ بِالْ تَغْرِ وَتَسَى بِهَا تَوَالِبُهَا
 حَتَّى يَرَاهَا الْإِقْوَالُ مِنْ طَرَفِ الْ نَقْلٍ مَخْضَرَّةً كَتَابُهَا
 يَوْمَ يَنَادُونَ آلَ بَرَبَرٍ وَالْيَكِ سُومَ لَا يَفْلَحُنْ هَادِبُهَا
 فَكَانَ يَوْمًا بِالْحَدِيثِ وَزَا لَتْ أُمَّةً ثَابِتٌ صِرَافُهَا
 وَيَنْدِلُ الْمَيْحُجُ بِالزَّرَافَةِ وَالَا يَامَ حُؤْنٍ جَمٌّ مَجَابِهَا
 بَعْدَ بَنِي تَبَعٍ نَخَاوَرَةَ قَدْ أَظْهَرَتْ بِهَا مَرَاذِبُهَا

قال ابن هشام : وهذا الذي عني سطيج بقوله بليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
 منهم أحداً باليمن . والذي عني شق بقوله : غلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذى يزن .

قال ابن اسحاق : وأقام وهرز والفرس باليمن فن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن
 اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرباط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت
 الحبشة اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة : إرباط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق
 ابن أبرهة .

سائر أسرار الفرس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وهرز قاصر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان قاصر كسرى ابنه التينجان ثم مات قاصر ابن التينجان ، ثم عزله عن اليمن وأمر عليها باذان وفي زمنه بعث رسول الله (ص) . قال ابن هشام فبلغني عن الزهري أنه قال كتب كسرى الى باذان إنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر اليه فاستبته فلن تلب والافابت إلى برأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله (ص) فكتب اليه رسول الله (ص) ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا ، فلما أتى باذان الكتاب وقف لينظر وقال ان كان نبياً فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله (ص) . قال ابن هشام : على يدي ابنه شيرويه . قلت : وقال بعضهم بنوه ثمالوا على قتله ، وكسرى هذا هو ابرويز بن هرم بن أنو شروان بن قباذ ، وهو الذي غلب الروم في قوله تعالى : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) كما سيأتي بيانه . قال : السهيلي وكان قتله ليلة الثلاثاء لشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة . وكان والله أعلم لما كتب إليه رسول الله (ص) يدعو إلى الاسلام فغضب ومزق كتابه ، كتب الى نائبه باليمن يقول له ما قال . وفي بعض الروايات أن رسول الله (ص) قال لرسول باذان إن ربي قد قتل الليلة ربك فكان كما قال رسول الله (ص) . قتل تلك الليلة بينهما ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله بعد ما خلعوه وولوا ابنه شيرويه فلم يعيش بعد قتله أباه الا ستة أشهر أو دونها . وفي هذا يقول خالد بن حق الشيباني :

وكسرى إذ قسّمه بنوه بأسيافٍ كما اقتسم الحمام
تمحضت المنون له يوم ألا ولكل حاملٍ تمام

قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من معه من الفرس الى رسول الله (ص) فقالت الرسل : الى من نحن يا رسول الله . قال أنتم منا ولينا أهل البيت . قال : الزهري ومن ثم قال رسول الله (ص) . سلمان منا أهل البيت . قلت والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة ولهذا بعث الاسراء الى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم الى الله عز وجل ، فبعث أولا خالد بن الوليد وعلى بن أبي طالب ، ثم ابنيهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل . ودانت اليمن واهلها للإسلام ومات باذان فقام بعده ولده شهر بن باذان ، وهو الذي قتله الاسود العنسي حين تنبأ وأخذ زوجته كما سيأتي بيانه وأجلى عن اليمن نواب رسول الله (ص) فلما قتل الاسود عادت اليد الاسلامية عليها . وقال ابن هشام : وهذا هو الذي عني به سطّيح بقوله . نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي . والذي عني شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بلحق والمدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه

الى يوم الفصل .

قال ابن إسحاق : وكان في حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب بالزمان الاول : لمن ملك ذمار
الحجير الاخيار ، لمن ملك ذمار الحبشة الاشرار . لمن ملك ذمار لفارس الاحرار ، لمن ملك ذمار لقريش
التجار . وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي :

حين شئت ذمار قيل لمن ا : من فقالت لجير الاخيار
ثم سئلت من بعد ذاك فقال : انا للحبش اخبر الاشرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن ا : من فقالت لفارس الاحرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن ا : من فقالت إلى قريش التجار

ويقال إن هذا الكلام الذي ذكره محمد بن إسحاق ، وجد مكتوبا عند قبر هود عليه السلام حين
كشفت الريح عن قبره بأرض اليمن وذلك قبل زمن بلقيس يسير في أيام مالك بن ذى المنار أخى عمرو
ذى الازعار بن ذى المنار ويقال كان مكتوبا على قبر هود أيضاً وهو من كلامه عليه السلام حكاه السهيلي
والله أعلم .

قصّة الساطرون صاحب الحضرة

وقد ذكر قصته هاهنا عبد الملك بن هشام لاجل ما قاله بعض علماء النسب : إن النعمان بن المنذر
الذى تقدم ذكره في ورود سيف بن ذى يزن عليه وسؤاله في مساعدته في رد ملك اليمن اليه إنه من
سلالة الساطرون صاحب الحضرة وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن
نصر وأنه روى عن جبير بن مطعم أنه من أشلاء قيصر بن معد بن عدنان فهذه ثلاثة أقوال في نسبه
فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضرة . والحضر حصن عظيم بناه هذا الملك وهو الساطرون على
حافة الفرات وهو منيف مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دوره بقدر مدينة عظيمة وهو في غاية
الاحكام والبهاء والحسن والسناء ، واليه يهجي ماحوله من الاقطار والارحاء . واسم الساطرون الضيزن
ابن معاوية بن عبيد بن أجرم من بني سليح بن حطان بن الحاف بن قضاة كذا نسبه ابن الكلبى .
وقال غيره كان من الجراقة وكان أحد ملوك الطوائف وكان يقدمهم إذا اجتمعوا الحرب عدو من غيرهم
وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون ملك الحضرة وقال غير ابن
هشام : إنما الذى غزا صاحب الحضرة سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بنى ساسان اذل ملوك
الطوائف ورد الملك الى الأكسرة . وأما سابور ذو الأكتاف بن هرم فبعد ذلك بدهر طويل والله

أعلم ذكره السهيلي .

قال ابن هشام : فحصره سنتين وقال غيره أربع سنين ، وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته بارض العراق فاشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكمل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا ، فدمست اليه أتزوجني ان فتحت لك باب الحضر . فقال : نعم ! فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فالتفت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه وبعث بها مع مولى لها ففتح الباب ويقال بل دلهم على نهريدخل منه الماء متسع فويلوا منه الى الحضر ، ويقال بل دلهم على طلسم كان في الحضر وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتغضب رجلاها بمبيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحضر سقط ذلك الطلسم فيفتح الباب ففعل ذلك فافتتح الباب ، فدخل سابور قتل ساطرون واستباح الحضر وخر به وسار بها معه فتزوجها فينا هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تملل لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس . فقال لها سابور أهذا الذي اسهرك اقلت نعم ؟ قال فما كان أبوك يصنع بك قالت : كان يفرش لي الديباج ويلبسنى الحرير ويطعمني المخ ويسقيني الخمر . قال : أفكان جزاءك ما صنعت به . أنت الى بذلك اسرع ، فربطت قرون رأسها بذهب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ففیه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

ألم ترَ للحضرِ إذْ أهله	بنعى وهلْ خالِدٌ منْ نَعْمٍ ^(١)
أقامَ به شاهبورُ الجنو	دَحُولُينَ تضربُ فيه القدم
فلما دعا ربّه دعوةً	أُتِىَ اليه فلمْ ينتقم
فهل زادَه ربه قوّةً	ومثّل مجاورَه لم يقم
وكانَ دعا قومه دعوةً	هلموا إلى أمرِك قد صُرم
فوتوا كراماً بأسيا فكم	أرى الموتَ بجيشه من جشم

وقال عدي بن زيد في ذلك :

والحضرُ صابئٌ عليه داهيةٌ	من فوقه أيدٌ مناكبها
ريّةٌ لم توقّ والدّها	لحينها إذ أضاعَ راقبها
اذ غبته صباه صافية	والخمر وهل بهم شاربها
فألسنتُ أهلها بليتها	تظنّ أن الرئيسَ خاطبها

(١) كذا في سيرة ابن هشام والذي في معجم البلدان وهل خالد من سلم اه

فكانَ حظَّ العروسِ اذْجُثْرا
صبحَ دماءَ نَجْرى سبائِها
وخرَّبَ الحضْرَ واستَبيحَ وقد
وقال عدي بن زيد أيضا :

أَيُّهَا الشامت المـيـرُ بالدِمْ
رَأَيْتِ المِيزَةَ الموفور
أَمْ لَدَيْكَ المِهادُ الوثِيقُ مِنَ الْأَ
يَامُ بَلْ أَنْتِ جَاهِلُ مَفْرُور
مَنْ رَأَيْتِ المَنُونِ خُلْدَنَ أُمَ
مِنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى المُلُوكِ أُنُو
شُرُوانَ أُمَ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الكَرَامِ مُلُوكِ
رُومٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكَورُ
وَإِخْوَةُ الحَضْرِ اذْجُثْرا وَادْجُ
عَةِ نَجْجِي إِلَيْهِ وَالْخَلْبُورُ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجِلَّهُ كَا
سَا فُلْطَيْرُ فِي ذِرَاهِ وَكُورُ
لَمْ يَهْنِهِ رَيْبُ المَنُونِ فَبَا
نَ المَلِكِ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورُ
وَتَذَكَّرَ رَبَّ الخُورِ نَقِ إِذْ
أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَفْكِيرُ
سِرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُ
لِكِ وَالْبَحْرِ مَرْضَا وَالسَّيْدِ
فَارَعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ وَمَا يَجِدُ
طَلَّةٌ حَتَّى إِلَى المَاتَرِ بِصِيرِ
فَمُ اضْحَكُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جِ
فَقَالَتْ بِهِ الصَّبَا وَالْدَبُورُ

قلت : وزب الخورنق الذي ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه في أمره الذي كان قد أسرف فيه وعتا وتمرد فيه واتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاها فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول وكيف بادوا ولم يبق منهم أحد وأنه ما صار إليه عن غيره الا وهو منتقل عنه إلى من بعده ، فأخذته موعظته وبانت منه كل مبالغ فارعوى لنفسه ، وفكر في يومه وأمه ، وخاف من ضيق رمله . فتاب وأتوب وتزع عما كان فيه وترك الملك ولبس ذى الفقراء وساح في الغلوات وحظى بالخلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات وقد ذكر قصته مبسوطة الشيخ الامام موفق بن قدامة المقدسى رحمه الله في كتاب التواوين وكذلك أوردتها بإسناد متين الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتاب الروض الأنف المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبيين .

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضْر وهو ساطرون فقد تقدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف وكان من زمن اسكندر بن فليس المقدوني اليوناني وذلك لانه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا وأذل

مملكته وخرب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ومزق شمل الفرس شذر منذر عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس في أقاليم من أقاليم الارض ما بين عربها وأعاجمها فاستمر كل ملك منهم يحمي حوزته ويحفظ حصته ويستغل محله فاذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة حتى كان ازدشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشتاسب بن لهراسب فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ورجعت الممالك رمتها إليه وأزال ممالك ملوك الطوائف ولم يبق منهم تالد ولا طارف وكان تأخر عليه حصار صاحب الحضرة الذي كان أكبرهم وأشدهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومقدمهم فلما مات ازدشير تصدى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر نبي إسماعيل وما كان من الأمور التي هدية إلى زمان البعثة

تقدم ذكر إسماعيل نفسه عليه السلام مع ذكر الأنبياء وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فأسكنها بوادي مكة بين جبال فاران حيث لا أنيس به ولا حيس وكان إسماعيل رضيهما ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر وكاه فيه ماء فلما نفذ ذلك أنبع الله هاجر زعم التي هي طعام طعم وشفاء سقم كما تقدم بيانه في حديث ابن عباس الطويل (١) ، رواه البخاري رحمه الله . ثم نزلت جرم وهم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شيء إلا ما يشربون منه وينتفون به فاستأنست هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالم أمرهم في كل حين يقال انه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ثم لما ترعرع الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعي كانت قصة الذبيح كما تقدم بيان أن الذبيح هو إسماعيل على الصحيح ثم لما كبر تزوج من جرم امرأة ثم فارقها وتزوج غيرها وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وجاءته بالبنتين الاثني عشر كما تقدم ذكرهم وهم : نابت وقيندر ومنشا . ومسمع . وماثي . ودما . وأذر . ويطور . ونيشي . وطيا . وقينما (١) هكذا ذكره محمد

(١) كذا في الاصل احدى عشر . قال ابن جرير الطبري : وقد ينطق بأسماء أولاد إسماعيل بغير الالفاظ التي ذكرت عن ابن اسحاق وقد ضبطهم زميلنا الفاضل محب الدين افندي الخطيب في كتابه انجم الموجات البشرية في جزيرة العرب بعد بحثه عن ذلك في مختلف المصادر هكذا .
نابت ، قيندار ، يَطُور ، تبا ، دومة ، مِسْمَع ، قِدْمة ، أدبِ آيل ، نَفِيس ، مِبْسام ، المِيسع ، حداد .

ابن اسحاق وغيره عن كتب أهل الكتاب وله ابنة واحدة اسمها نوسة وهي التي زوجها من ابن أخيه
الميصوب بن اسحاق بن ابراهيم فولد له منها الروم وفارس والاشبان أيضا في أحد القولين .

ثم جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في أنسابهم الى ولديه نابت وقيدر ، وكان
الرئيس بعده والقائم بالامور الحاك في مكة والناظر في أمر البيت وزمزم نابت بن اسماعيل وهو ابن
أخت الجرهميين ، ثم قلبت جرم على البيت طعما في بني أختهم فحكوا بمكة وما والاها عوضا عن بني
اسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار اليه أسر البيت بعد نابت مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب
ابن عير^(١) بن نبت بن جرم ، وجرم بن قحطان ويقال جرم بن يقطن بن عير بن شالح بن ارفخشذ
ابن سام بن نوح الجرهمي . وكان نازلا بأعلى مكة ببعيعةكان وكان السميذع سيد قطوراء نازلا بقومه في
أسفل مكة وكل منهما يشر من مر به مجتازا الى مكة . ثم وقع بين جرم وقطوراء فقتلوا قتل
السميذع واستوثق الأسر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينازعه في ذلك ولد اسماعيل مع كثرتهم
وشرفهم وانتارهم بمكة وبغيرها وذلك لخولتهم له ولعظمة البيت الحرام . ثم صار الملك بعده الى ابنه
الحارث ثم الى عمرو بن الحارث ثم بنت جرم بمكة واكثر فيها الفساد والحدوا بالمسجد الحرام حتى
ذكر أن رجلا منهم يقال له اساف بن بني وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل اجتمعا في الكعبة فكان
منه اليها الفاحشة فسخهما الله حجرين فنصبهما الناس قريبا من البيت ليعتبرا بهما فلما طال المطال
بعد ذلك بمدد عبدا من دون الله في زمن خزاعة كما سيأتي بيانه في موضعه . فكانا صنمين منصوبين يقال
لهما إساف ونائلة . فلما اكثر جرم البغي بالبلد الحرام تملأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلا حول
الحرم وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لاجل ما توقع من سبيل الحرم كما تقدم .
وقيل ان خزاعة من بني اسماعيل فله أعلم .

والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وآذوهم بالحرب واقتتلوا واعتزل بنو اسماعيل كلا الفريقين فقلب
خزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغبشان واجلوم عن البيت فمده عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي
وهو سيدهم الى غزالي الكعبة وهما من ذهب وحجر الركن وهو الحجر الأسود والى سيوف محلاة واشياء
اخر فدفعها في زمزم وعلم زمزم وارمحل بقومه فرجعوا الى اليمن . وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث
ابن مضاض :

وفائلة والدمع سكب مبادو وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
قلت لها والقلب مني كأنما يلجلجيه بين الجناحين طائر

(١) وفي السهيلي : ابن مهي في المكانين .

بلى نحنُ كنّا أهلها فلزنا
 وكنا ولاه البيت من بعدنا
 ونحن ولينا البيت من بعدنا
 ملكنا فمرزنا فأعظم بملكنا
 ألم تنكحوا من خير شخص علمته
 فإن تنقي الدنيا علينا بحالها
 فأخرجنا منها الملك بقدره
 أقولُ إذا لم الخليلي ولم أتم
 وبكث منها أو جُهاً لا أحبا
 وصرنا أحاديثاً وكُنّا ببطلة
 فسحّت دموع العين تبكي لبلدة
 وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه
 وفيه وحوش لا ترام أيسه
 صروف البالي والجدود العوار
 فطوف بذاك البيت والخير ظاهر
 برّنا فما يحظى لدينا المكثّر
 فليس لحبي غيرنا ثم فاخر
 فابناؤه منا ونحن الأصار
 فإن لها حالاً وفيها التشاجر
 كذلك بالناس تجري المقادر
 إذا العرش لا يمدسهيل وعامر
 قبائل منها حمير ويحابر
 بذلك عصتنا السنون الفوار
 بها حرم أمت وفيها المشاعر
 يظلّ به أمتاً وفيه العصافر
 إذا خرجت منه فليست تقادر

قال ابن اسحاق: وقال عمرو بن الحارث بن مضاى أيضاً يذكر بنى بكر وغبشان الذين خلفوا بدم بمكة:

يا أيها الناس سيروا إن قُصاركم
 حُشا المطيّ وأزخوا من أزمته
 كنا أئلساً كما كنتم فخيرنا
 دهر فأقم كما صرنا تصيرونا
 أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
 قبل الممات وقصّوا ما قصّونا

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأيات أول شعر قيل في العرب وأنها وجدت مكتوبة في حجر بلخين ولم يسم قائلها وذكر السهيلي لهذه الايات أخوة وحكى عندها حكاية مصيبة وانشادات معربة. قال: وزاد أبو الوليد الأزرقي في كتابه فضائل مكة على هذه الايات المذكورة المنسوبة الى عمرو بن الحارث بن مضاى:

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا
 واستخبروا في صنيع الناس قبلكم
 كنا زماناً ملوك الناس قبلكم
 بلبنينا فينا وبرّ الناس فاسونا
 كما استبان طريقه عنده الهونا
 بمسكهم في حرام الله مسكونا

قصة خزاعة وعمر بن لحي وحجاة العرب لله

قال ابن اسحاق : ثم أن غيثان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة ، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني وقريش إذ ذاك حلول وصرم ويوقلت متفرقون في قومهم من بني كنانة . قالوا : وإنما سميت خزاعة خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فتنزلوا بمر الظهران فأقاموا به . قال عون بن أيوب الأنصاري ثم انخرجني في ذلك :

فلما هبطنا بطن مَرَّ تخزعت خزاعة منا في حلول كراكر
حمت كل وادٍ من تهامة واحتمت بضم القنا والمرهفات البواتر

وقال أبو المطهر اسماعيل بن رافع الأنصاري الأوسي :

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت خزاعة دار الآكل المتحامل
فخت أكاريسا وشتت قنابلاً على كل حي بين نجد وساحل
فواجرهما عن بطن مكة واحتبوا بمر خزاعي شديد الكواهل

فوليت خزاعة البيت بتوارثون ذلك كبراً عن كبر حتى كان آخرهم حليسل بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي الذي تزوج قصي بن كلاب ابنته حتى فولدت له بنه الأربعة عبد الدار وعبد مناف وعبد المزي وعبد ، ثم صار أمر البيت اليه كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة . واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة والله أعلم . وكانوا سوس^(١) في ولايتهم وذلك لأن في زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي لعنه الله فانه أول من دعاهم إلى ذلك وكان ذا مال جزيل جداً . يقال : أنه قفاً أعين عشرين بغيراً وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بعير وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بعير قفاً عين واحد منها لانه يدفع بذلك العين عنها . ومن ذكر ذلك الأزرقي وذكر السهيلي : أنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدنة وكس عشرة آلاف حلة في كل سنة يطعم العرب ويجبى لهم الخيس باليمن والصل ويلت لهم السويق . قالوا : وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع لشرفه فيهم ومحله عندهم وكرمه عليهم .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره

(١) كذا بالأصل ولعلها : وكانوا قوم سوس في ولايتهم .

فلما قدم مأب من أرض البلقاء وبها يومئذ المالحق وهم ولد عملاق ويقال ولد عمليق بن لاوذ بن سام ابن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا. فقال: لهم ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه. فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه

قال ابن اسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل عليه السلام أنه كان لا يظن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسبوا من الحجارة وأعيهم حتى خلفت الخلوفا ونسوا ما كانوا عليه. وفي الصحيح عن أبي رجاء الطاردي. قال: كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حشية من التراب وجئنا بالشاة فخلبناها عليه ثم طفنا بها.

قال ابن اسحاق: واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفات والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا هلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك، الا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويحملون ملسكها بيده. يقول الله تعالى لمحمد (س): (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي ما يوحدونني لمعرفة حتى الا جعلوا معي شريكاً من خلق.

وقد ذكر السهيلي وغيره: أن أول من لبى هذه التلبية عمرو بن لحي وأن ابليس تبسدى له في صورة شيخ فجعل يلغنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك.

وثبت في الصحيح أن رسول الله (س) كان إذا سمعهم يقولون لبيك لا شريك لك يقول: قد قداى حسب حسب. وقد قال البخاري ثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن آدم نا اسرائيل عن أبي حفص عن أبي هريرة عن النبي (س). قال: إن أول من سب السواائب وعبد الأصنام، أبو خزاعة عمرو ابن عامر وإني رأيته يجر امعاءه في النار. تفرد به احمد من هذا الوجه. وهذا يقتضى أن عمرو بن لحي هو أبو خزاعة الذي تنسب اليه القبيلة بكاملها كما زعمه بعضهم من أهل النسب فيما حكاه ابن اسحاق وغيره ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهراً في ذلك بل كالنص ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه فقال البخاري وقال أبو البان: أخبرنا شعيب عن الزهري. قال سمعت سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحملها أحد من الناس - والسائبة - التي كانوا يسيبونها لآلهم لا يحمل عليها

شيء . قال وقال أبو هريرة . قال النبي (ص) : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار . كان أول من سيب السوائب . وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة به . ثم قال البخاري ورواه ابن الهاد عن الزهري قال الحاكم أراد البخاري رواه ابن الهاد عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري كذا قال .

وقد رواه أحمد عن عمرو بن سلمة الخزاعي عن الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة سمعت رسول الله (ص) يقول : رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب وبحر البحيرة . ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بخت كما قال الحاكم قاله أعلم . وقال أحمد أيضاً حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ، وهو أول من سيب السوائب . وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح الزهري عن سعيد عنه كما تقدم وقوله في هذا الحديث والذي قبله الخزاعي يدل على أنه ليس والد القبيلة بل منتسب إليها مع ما وقع في الرواية من قوله أبو خزاعة نصحيح من الراوي من أخو خزاعة أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ولا يكون ذلك من باب الاخبار بأنه أبو خزاعة كلهم والله أعلم وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله (ص) يقول : لا أكتم بن الجون الخزاعي يا أكتم رأيت عمرو بن لحي ابن قعدة بن خثداف يجر قصبه في النار فمأ رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه . فقال أكتم : عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله قال : لا انك مؤمن وهو كافر ، انه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحى الحامي . ليس في الكتب من هذا الوجه وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عتبة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) : ينحوه أو مثله وليس في الكتب أيضاً . وقال البخاري حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني حدثنا الحسن بن ابراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : رأيت جهنم يحطم بعضها بعضها ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب . تفرد به البخاري . وروى الطبراني من طريق صالح عن ابن عباس مرفوعاً في ذلك . والمقصود أن عمرو بن لحي لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل فاتبعه العرب في ذلك فضلوا بذلك صلالاً بعيداً بيتاً عظيماً شنيعاً وقد انكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير ما آيه منه قتال تعالى : (ولا تقولوا لم تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية . وقال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرم لا يقولون) وقد تكلمنا على هذا كاه مبسوطاً وبيننا اختلاف السلف في تفسير ذلك فمن أراد فليأخذه

من ثم لله الحمد والمنة . وقال تعالى : (ويجعلون لما لا يملكون نصيباً مما رزقناهم والله لتستعلن عما كنتم تفترون) . وقال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها اقترأ عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) . (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصنفهم انه حكيم عليهم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله اقترأ على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

وقال البخاري في صحيحه .

باب جهل العرب

حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إذا شرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله اقترأ على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التي ظنوها كبريم عمرو بن لحي قبحه الله مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهالة الطغام فيه بل قد تابوه فيما هو اطم من ذلك واعظم بكثير وهو عبادة الاوثان مع الله عز وجل وبدلوا ما كان الله يثبت به ابراهيم خليله من الدين التوحيدي والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحریم الشرك وغيره وشعائر الحج ومعالم الدين بغير علم ولا برهان ولا دلائل صحيح ولا ضعيف واتبعوا في ذلك من كان قبلهم من الأمم المشركين وشابهوا قوم نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله اليهم نوحاً وكان أول رسول بعث ينهي عن عبادة الأصنام كما تقدم بيانه في قصة نوح (وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا ودولاً سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً) الآية قال ابن عباس كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن إعادة ههنا .

قال ابن اسحاق وغيره : ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين اسماعيل فسكان ود لبي كلب بن مرة بن قنبل بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وكان منصوباً بدومة الجندل

وكان سواع ابني هذيل بن الياس بن مدركة بن مضر . وكان منصوباً بمكان يقال له رهاط . وكان يفتو
ابني أنم من طي ولاهل جرش من مذحج وكان منصوباً بجرش . وكان يعوق منصوباً بارض همدان
من اليمن ابني خيوان بطن من همدان . وكان نسر منصوباً بارض حمير لقبيلة يقال لهم ذو الكلاع .

قال ابن اسحاق : وكان لخلولان بارضهم صنم يقال له عم أنس يقسمون له من أفاعمهم وحرورهم
قسماً بينه وبين الله فيما يزعمون فادخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه له تركوه له ومادخل في
حق الله من حق عم أنس ردوه عليه وفيهم أنزل الله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والاغنام نصيباً)
قال : وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمه بن مدركة صنم يقال له سعد صخرة بقلاة من أرضهم طويلة
فاقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليقيمها عليه الناس بركنه فيما يزعم فلما رآه الابل وكانت سرعية لا تركب
وكان الصنم يهراق عليه الدماء ففرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربها واخذ حراً فرماه به ثم قال
لا بورك الله فيك ففرت على ابي ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال :

أقينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعولني ولا رُشد

قال ابن اسحاق : وكان في دوس صنم لعمر بن حمة الدوسي . قال وكانت قريش قد اتخذت
صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام انه أول صنم نصبه عمرو بن
لحي لعنه الله .

قال ابن اسحاق : واتخذوا إسافاً وثلاثة على موضع زمزم ينحرون عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلاً
واسراً فوق عليهما في الكعبة فسخرهما الله حجرين . ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت سمعت عائشة تقول : ما زلنا نسمع أن إسافاً وثلاثة كانا رجلاً واسراً
من جرم أحدهما في الكعبة فسخرهما الله عز وجل حجرين والله أعلم . وقد قيل إن الله لم يمهلهما حتى
فجرا فيها بل سخرهما قبل ذلك فمعد ذلك نصبا عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي قلهما فوضعهما
على زمزم وطاف الناس بهما وفي ذلك يقول أبو طالب :

وحيث يُفَيخُ الأشعرون ركبهم بمفضي السيول من أسافٍ وثائل

وقد ذكر الواقدي : أن رسول الله (ص) لما أمر بكسر ثلاثة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء
تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور . وقد ذكر السهيلي : أن أبا وسلمى وهما جيلان بارض الحجاز اتما
سمياً بلسم رجل اسمه أجا بن عبد الحى فجر بلسمى بنت حام فصلبا في هذين الجبلين فرفا بهما قال : وكان
بين أجا وسلمى صنم لطي يقال له قلص .

قال ابن اسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يبدونه فلذا أراد الرجل منهم سفراً تمنح به

حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره . واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك
أول ما يبدأ به قبل ان يدخل على أهله . قال فلما بعث الله محمداً (ص) بالتوحيد قالت قريش (أَجْعَلِ
الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجيب) .

قال ابن اسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتمظيم الكعبة
لها سدة وحجاب ، وتهدي لها كما تهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها . وهي مع ذلك
تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء ابراهيم الخليل عليه السلام ومسجده . وكانت لقريش وبني كنانة
المرى بنخلة وكانت سدتها وحجابها بنو شيان من سليم حلفاء بنو هاشم وقد خربها خالد بن الوليد
زمن الفتح كما سيأتي . قال : وكانت اللات لتقيف بالطائف وكانت سدتها وحجابها بنو ممتب من
ثقيف وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد محي أهل الطائف كما سيأتي . قال : وكانت مناة للآلوس
والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو
سفيان أيضاً وقيل على بن أبي طالب كما سيأتي . قال : وكان ذو الخلصة لدوس وخشم وبجيلة ومن كان
ببلادهم من العرب بنبالة وكان يقال له الكعبة الجمانية ، وليت مكة الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن
عبد الله البجلي كما سيأتي قال . وكان قلس لطي ومن يليها بجبلى طى بين اجا وسلمى ، وهما جبلان
مشهوران كما تقدم . قال : وكان رآم بينا لحير وأهل اليمن كما تقدم ذكره في قصة تبع أحد ملوك حمير
وقصة الحبرين حين خرباه وقتل منه كليلاً أسود . قال : وكانت رضاء بيناً لبني ربيعة بن كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

ولقد شددت على رضاء شدةً فتركها قفراً بقاع اسحا
واعان عبد الله في مكروها ويمثل عبد الله أغشى المحرما

ويقال إن المستوغر هذا عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمراً وهو الذي يقول :

ولقد شئت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مثينا
مائة حنثها بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور ستينا
هل ما بقي الا كما قد فاتنا يوم يمر وليلة تحدونا

قال ابن هشام : ويروى هذه الآيات لزهير بن جناب بن هبل . قال السهيلي : ومن المعمرين الذين
جازوا المائتين والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شربة ودغفل بن حنظلة النسابة والريبع بن ضبع الفزاري
وذو الأصبع الدؤاني ونصر بن دهمان بن أشجع بن ربث بن غطفان ، وكان قد أسود شعره بعد
ابيضاضه وتقوم ظهره بعد اعوجاجه . قال : وكان ذ السكبات لبكر وقطب بن وائل وأباد بستداد وله
يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

يَنْ الْخُورْفَقِ وَالسُّدْرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
وَأَوَّلِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَأَنْ تَطَاوُلَ فِي الْمَدَى أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ
مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقِ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
تَزَلُّوا بِأَقْرَمِ سَبِيلِ عَلَيْهِمْ مَاهُ الْفَرَاتِ بِحَيٍّ مِنْ أَطْوَادِ
أَرْضِ الْخُورْفَقِ وَالسُّدْرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الْكُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِبَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِعَادِ
وَأَرَى النَّعِيمَ وَكَلَّمَ يُلْهِى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى رَيْلِي وَنَمَادِ

قال السهيلي : الخورفق قصر بناء النعمان الا كبر لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناء رجل يقال له سنار في عشرين سنة ولم يُر بناء أعجب منه فحشي النعمان أن يبنى لغيره مثله فألقاه من أعلاه فقتله ففي ذلك يقول الشاعر :

جزائي جزاء الله شرَّ جزائه جزاء سنارٍ وما كان ذا ذنبٍ
سوى رَضْفَةِ الْبَنِيَانِ عَشْرِينَ حَجَّةً يَمُدُّ عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكَبِ
فَلَمَّا أَتَمَّى الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ وَأَخْرَجَ كَيْلَ الطُّودِ وَالْبَاذِخِ الصَّغْبِ
رَمَى بَسَنَارٍ عَلَى حُقِّ رَأْسِهِ وَذَلِكَ لَمَرُّ اللَّهِ مِنْ أَقْبَحِ الْخَطْبِ

قال السهيلي : أفشده الجاحظ في كتاب الحيوان والسنار من أسماء القمر والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت . لما جاء الاسلام جهز رسول الله (س) إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه وإلى تلك الأصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعبد الله وحده لا شريك له كما سيأتي بيانه وتفصيله في مواضع إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

خبر عذنا بن حمر بن الحجاز

لا خلاف أن عدنان من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين اسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربعون أباً وهو الموجود عند أهل الكتاب أخنوخ من كتاب رخصا كاتب أرميا بن حلقيا على ما سنده ذكره وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زعمة الزمعي عن عمته عن أم سلمة عن النبي (س) أنه قال معد بن عدنان

ابن أدد بن زند بن اليرى بن اعراق الثرى. قالت: أم سلمة فرزند هو الميسع واليرى هو نابت واعراق الثرى هو اسماعيل لأنه ابن ابراهيم و ابراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى قال الدارقطني لا نفر زنداً الا في هذا الحديث وزند بن المجون وهو أبو دلالة الشاعر

قال الحافظ أبو القاسم السهيلي وغيره من الأئمة : مدة ما بين عدنان إلى زمن اسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة أباة أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتي عشرة سنة . وقد ذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى أرميا بن حلقيا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أنى قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كى لا تصيبه النعمة فيهم فأتى مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل فضل أرميا ذلك واحتل معدا على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل ممن بقى منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن من بنى دب بن جرم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتى وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرميا قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانه أرميا فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم . ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان .

قال السهيلي : وإنما تكلمنا في رفع هذه الانساب على مذهب من يرى ذلك ولم يذكره كابن اسحاق والبخارى والزبير بن بكار والطبرى وغيرهم من العلماء ، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فذكره ذلك ، وقال له من أين له علم ذلك فقيل له فلى اسماعيل فانكر ذلك أيضاً وقال ومن يخبره به وكره أيضاً أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم بن دلان بن فلان هكذا ذكره المعيطى في كتابه .

قال : وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قل ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان واسماعيل ، وعن ابن عباس أنه قل بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وروى عن ابن عباس أيضاً أنه كن إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً والأصح عن ابن مسعود مثله . وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب إلى عدنان ، وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه الانباه في معرفة قبائل الرواه روى ابن لميعة عن أبى الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان الا نحرصاً . وقال أبو لاسود: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبى خيشمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وانسابهم يقول ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا غم عالم قال أبو عمر: وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعروة بن ميعون الأزدي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلووا (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قالوا كذب النسابون .

قال أبو عمر رحمه الله : والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا والمراد أن من ادعى احصاء بني آدم قاتهم لا يعلمهم الا الله الذي خلقهم وأما انساب العرب فان أهل العلم بأيامها وانسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها واختلفوا في بعض فروع ذلك .

قال أبو عمر : والذى عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور ابن تيرح بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن اسحاق بن يسار في السيرة .

قال ابن هشام : ويقال عدنان بن أد بن أدد ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام . وأما الانساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحفوظة شهيرة جداً لا يمازى فيها اثنان والنسب النبوي اليه أظهر وأوضح من فلق الصبح وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه كما سنورده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر انسابها واتظامها في سلك النسب الشريف والأصل المتيف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم . وما أحسن ما نظم النسب النبوي الامام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ في قصيدته المشهورة المنسوبة اليه وهي قوله :

مدحت رسول الله أنبي مدحه	وفود حظوظي من كريم المآرب
مدحت امرأفاق ^(١) المديح موحداً	بأوصافه عن مبعيد ومقارب
نبياً تسامى في المشارق نوره	فلاحت هواديه لأهل المغارب
أنتنا به الأنباء قبل مجيئه	وشاعت به الأخبار في كل جانب
وأصبحت الكهان تهتف باسمه	وتنفي به رجس الظنون والكاذب
وأنطق الأصنام فطقاً تبرأت	الى الله فيه من مقال الأكاذب
وقالت لأهل الكفر قولاً مبيناً	أنا كم نبي من لؤي بن غالب
ورام استراق السمع جن فزيت	مقاعدهم منها رجوم الكواكب
هدانا الى مالم نكن نهتدي له	لطول المعى من اصحاب المذاهب
وجاء بآيات تبين أنها	دلائل جبار مثيب معاقب
فنها انشقاق البدر حين تمصت	شعوب الضيامة من الاخشاب
ومنها نبوع الماء بين بناة	وقد عديم الوراد قرب المشارب
فروى به جم غفيراً وأسهمت	باعناقير طوعاً كفت المذائب

وبشر طفت بالماء من من سهره
 وضرع سراء فاستدّر ولم يكن
 وتطقي فصيح من ذراع مينة
 ولمخبره بالأمر من قبل كرهه
 ومن تلكم الآيات وحي أني به
 تقاصرت الافكار عنه فلم يطع
 حوى كل علم واحتوى كل حكمة
 أنا به لا عن روية مرتني
 يواتيه طوراً في إجابته سائل
 واثيان برهان وفرض شرائع
 وتصريف أمثال وتثبيت حجة
 وفي مجمع النادي وفي حومة الوعى
 فيأتي على ماشئت من طرقاته
 يصدق منه البعض بعضاً كأنما
 وعجز الودي عن ان يمحوا بمثل ما
 تأتي بعبد الله أكرم والده
 وشيبة ذي الحدر النبي فخرت به
 ومن كان يستقى الفهم بوجهه
 وهاشم البائي مشيد افتخاره
 وعبد مناف وهو علم قومه اش
 وإب قصياً من كريم غرابه
 به جمع الله القبائل بعدما
 وحل كلاب من ذرى الحجد معقلاً
 وسرة لم يحلل سريرة عزمه
 وكعب علا عن طالب الحجد كبه
 وألوى لؤي بالعداة فطوعت
 وفي غالب بأمن أني البأس دونهم

ومن قبل لم تسمح بمذقة شراب
 به ذرة تصني الى كف حالب
 لكبير عدو للعداة ناصب
 وعند بواده بما في العواقب
 قريب المآتي مستجيم العجائب
 بليغاً ولم يخطر على قاب خاطب
 وفات سرام الستم الموارب
 ولا تخف مستنل ولا وصف كتاب
 وافتاء مستفت ووعظ مخاطب
 وقص أحاديث ونص مآرب
 وتعريف ذي جحد وتوقيف كاذب
 وعند حدوث المضلات الفرائب
 قويم المعاني مستدّر الضرائب
 يلاحظ معناه بين المراقب
 وصفناه معلوم بطول التجارب
 تبلج منه عن كريم المناسب
 قريش على أهل العلى والمناسب
 ويصدر عن آرائه في النوائب
 بفر المساعي وامتنان المواهب
 تطا ط الأمانى واحتكام الرغائب
 لني منهل لم يذن من كف قاضب
 تقسمها نهب الا كف السوالب
 تقاصر عنه كل دان وغائب
 سيفاه سفيه أو محوبة حائب
 فنال بأدنى السمي أعلا المراتب
 له همم الشم الانوف الأغالب
 يدافع عنهم كل قرن مغالب

وكانت لفهري في قريش خطابة
 وما زال منهم مالك خير مالك
 ولتضر طول يقصر الطرف دونه
 لعري لقد أبدى كنانة قبله
 ومن قبله أبى خزيمه تحده
 ومدركة لم يدرك الناس مثله
 وإلياس كان اليأس منه مقارناً
 وفي مضرب يستجمع الفخر كله
 وحل تزار من رياسة أهله
 وكان معدة عدة لولة
 وما زال عدنان إذا عدّ فضله
 وأد تادى الفضل منه بناية
 وفي أدب حلم تزين بلحبا
 وما زال يستعلي هميسع بالملى
 وبنت بنته دوحه العز وأبى
 وجبرت لقيذار ساحة حاتم
 هموا نسل اسماعيل صادق وعده
 وكان خليل الله أكرم من عنت
 وتاريخ ما زالت له أزيحية
 وناحور نهار البدي حفظت له
 وأشرع في الميجاه ضيغم غابة
 وأرغو ناب في الحروب حكم
 وما قلغ في فضله تلو قومه
 وشالح وارغشد وسام سميت بهم
 وما زال نوح عند ذي العرش فاضلاً
 وملك أبوه كان في الروع رائماً
 ومن قبله لك لم يزل متوشلخ

يعود بها عند اشتجار الحطاب
 وأكرم مصحوب وأكرم صاحب
 بحيث النقي ضوء النجوم الثواقب
 محاسن تأتي إن تطوع لغالب
 تليد ثراث عن حميد الأقارب
 أعت وأعلى عن ذني المكاسب
 لأعدائه قبل اعتداد الكتاب
 إذا اعتزكت يوماً زحوف المقانب
 محلاً تسامى عن عبون الرواقب
 إذا خاف من كيد المدو المحارب
 توحد فيه عن قرين وصاحب
 وأرث حواه عن قروم اشايب
 إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب
 ويتبع آمل البعير المراغب
 معاقله في مشخر الأماضب
 وحكمة لقمان وهمة حاجب
 فما بعده في الفخر مسمى لذهاب
 له الأرض من ماش عليها وراكب
 تبين منه عن حميد المضارب
 ما أثر لما يحصها عد حاسب
 يقد الطلى بالمرهفات القواضب
 ضنين على نفس المشح الغالب
 ولا عابر من دونهم في المراقب
 سجايا حمهم كل زار وعائب
 يمدده في المصطفين الاطايب
 جريثاً على نفس الكمي المضارب
 يذود العدى بالذائدات الشواذب

وكانت لادريس النجى منازل
وإبرد بحر عند آل سراه
وكانت إلهليل فهم فضائل
وقينان من قبل أقتنى محمد قومه
وكان أنوش ناش للعبد نفسه
ومازال شيد بالفضائل فاضلاً
وكلهم من نور آدم أقسوا
وكان رسول الله أكرم منجب
مقابلة أبوه أمهاته
عليه سلام الله في كل شارق
من الله لم تهرن بهمة راغب
أبي الخزايا مستدق المآرب
مهدية من فاحشات الطالب
وقاد بشاؤ الفضل وخد الركائب
وتزها عن مريدات الطالب
شريقاً بريئاً من ذميم المائب
وعن عوجه أجنوا ثمار المناقب
جری في ظهور الطيبن المناجب
مبرة من فاحشات الطالب
الأخ لنا ضوءاً وفي كل غارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه من شعر الاستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشي المعروف بابن شرشير أصله من الانبار ورد بنداد ثم ارتحل الى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين وكان متكلماً معتزلاً يحكى عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات فيما يحكى عن المعتزلة وكان شاعراً مطبقاً حتى أن من جملة اقتداره على الشعر كان يما كس الشعراء في المعاني فينظم في مخالفتهم ويبتكر ما لا يطبقونه من المعاني البديعة والالفاظ البليغة حتى نسبة بعضهم إلى التهوس والاختلاط وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدة على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وأرخ وفاته كما ذكرنا قلت: وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه وحسن لفظه وإطلاعه واضطلاعاه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره وغوصه على هذه المعاني التي هي جواهر غيبسة من قاموس بحر فرجه الله وأمله وأحسن مصيره وإياه.

أصول النسب بحريني الرحمان الى حرمنا

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان معد وعك . قال السهيلي : ولعدنان أيضاً ابن اسمه الحارث وآخر يقال له المذهب . قال وقد ذكر أيضاً في بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لعد لا ابن عدنان . قال وقيل إن عدنان الذي تعرف به مدينة عدن وكذلك أيبن كانا ابنتين لعدنان حكاه الطبري فتزوج عك في الأشعرين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لقتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزدي بن يثوث ويقال عك بن عدنان بن القديب بن عبد الله

ابن الاسد ويقال الريث بدل الذيب والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن مرداس
وعك بن عدنان الذين تلبسوا بشتان حتى طردوا كل مطرد

وأما معد فولد له أربعة نزار وقضاة وقص وإياد وكان قضاة بكرة وبه كان يكنى وقد قدمنا
الخلافاً في قضاة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن اسحاق وغيره والله أعلم .

وأما قص فيقال أنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائباً لكسرى
على الحيرة كان من سلالة على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم .

وأما نزار فولد له ربيعة ومضر واما قال ابن هشام وإياد بن نزار كما قال الشاعر :

وَقَوَّ حُنْ أَوْجَهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدٍ

قال وإياد ومضر شقيقان أمهما سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة واما شقيقة بنت عك بن
عدنان . ويقال جمعة بنت عك بن عدنان : قال ابن اسحاق فلما اتمار فهو والد خشم وبجيلة قبيلة جرير
ابن عبد الله البجلي قال وقد تيامنت فلحقت باليمن . قال ابن هشام : وأهل اليمن يقولون اتمار بن أراش
ابن لحيان بن عمرو بن الفوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قلت والحديث المتقدم في ذكر
سبأ يدل على هذا والله أعلم .

قالوا : وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوماً عن بعيره فوثبت يده
فجعل يقول وإيدياه وإيدياه فاعتقت الابل لذلك . قال ابن اسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين الياس
وعيلان وولد لالياس مدركة وطابخة وقمة وأمه خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاة قال ابن
اسحاق وكان اسم مدركة عامراً واسم طابخة عمرأ ولكن اصطاد صيداً فبناهما يطبخانه إذ فترت
الابل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أيهما ذكره ذلك
قال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما قمة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو
ابن لحي بن قمة بن الياس قلت والظاهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حمير كما تقدم والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فولد مدركة خزعة وهذيل وأمه امرأة من قضاة وولد خزعة كنانة وأسدا
وأسدة والهون وزاد أبو جعفر الطبري ^(١) في أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة عامراً والحارث والنضير

(١) قوله وزاد أبو جعفر الطبري الخ كذا بالأصول وهي عبارة مختلة لأن التعبير بزاد يقتضي
أن هذا المزيد ولد للمدركة وهو يناقض قوله في أبناء كنانة واليك عبارة أبي جعفر الطبري اسم نضر
قيس وأمه برة بنت سمر بن أد بن طابخة وأخوته لآيه وأمه نضير ومالك ومليكان وعامر والحارث
وعمر وسعد وعوف وغنم وغزوة وجروم وأخوهم من أبيهم عبد مناة وأمه فكهة
وقيل فكهة وهي الزفراء بنت هني بن لحي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ولعله سقط من النسخ

وغنما وسعداً وعوفاً وجرولاً والحدال وغزوان . قال وولد كنانة النضر وملاك وعبد مناة وملاك

فريش نسباً واستفاقاً وفضدلاً وهم بنو النضر بن كنانة

قال ابن اسحاق : وأم النضر برة بنت مرة بن أد بن طابخة وساتر بنيه لامرأة أخرى وخالفه ابن هشام فجعل برة بنت مرآم النضر وملاك وملاك . وأم عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطف من من أزد شنوءة . قال ابن هشام : النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . وقال ويقال فهر بن مالك هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزيبر بن بكار ومصعب وغير واحد . قال أبو عبيد وابن عبد البر : والذي عليه الأكثر أن النضر بن كنانة لحديث الأسعد بن قيس قلت وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلابي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه . ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك ثم حكى اختيار هذا القول عن الزبير بن بكار ومصعب الزبيرى وعلى بن كيسان قال واليهم المرجع في هذا الشأن وقد قال الزبير بن بكار وقد أجمع نساب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فهر بن مالك والذي عليه من أدركت من نساب قريش أن ولد فهر بن مالك قرشي وإن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قريش ثم نصر هذا القول نصراً عزيزاً ونحاه له بأنه ونحوه أعلم بالنساب قومهم وأحفظ لما آثرهم وقد روى البخاري من حديث كليب بن وائل قال قلت لربيعة النبي (ص) : يعني زينب في حديث ذكره أخبريني عن النبي (ص) : أكان من مضر قالت فمن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة . وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الأصماني حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجشيش^(١) الكندي قال جاء قوم من كندة إلى رسول الله (ص) فقالوا أنت منا وادعوه فقال لا ، نحن بنو النضر بن كنانة لا تحف أمنا ولا نتقي من أيننا .

وقال الامام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبي ثنا الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس

ما حكاه ابن هشام في سيرته ونصه قال ابن اسحاق فولد كنانة بن خزيمه أربعة نفر النضر بن كنانة وملاك بن كنانة وعبد مناة بن كنانة وملاك بن كنانة . وبه يظهر قوله وزاد أبو جعفر الخ ولعل قوله فيما بعد وولد كنانة الخ مؤخر من تقديم من الناسج عن محمود الامام .

(١) كذا أورده هنا وفي أسد الغابة : ان ذلك غلط وإنما هو جشيش

قال جاء رجل من كندة يقال له الجشيش الى النبي (ص)، فقال يا رسول الله إنا نزع من عبد مناف منا فاعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك ثم أعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك فقال النبي (ص) نحن بنو النضر بن كنانة لا تقف أمنا ولا ننفي من أيينا فقال الاشعث ألا كنت سكت من المرة الاولى فابطل ذلك قولهم على لسان نبيه (ص)، وهذا غريب أيضا من هذا الوجه والسكابي ضعيف والله أعلم .

وقد قال الامام احمد حدثنا بهز وعفان قالا ثنا حماد بن سلمة . قال ثقي عقيل بن أبي طلحة وقال عفان عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن الهيصم عن الاشعث بن قيس أنه قال أتيت رسول الله (ص) في وفد كندة . قال عفان لا يروني أفضلهم قال قلت يا رسول الله إنا نزع منكم منا قال فقال رسول الله (ص) نحن بنو النضر بن كنانة لا تقف أمنا ولا ننفي من أيينا . قال فقال الاشعث بن قيس فوالله لا أسمع أحداً نفي قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلده الحدة . وهكذا رواه ابن ماجه من طرق عن حماد ابن سلمة به وهذا إسناد جيد قوى وهو فيصل في هذه المسألة فلا التفات الى قول من خالفه والله أعلم والله الحمد والمنة . وقد قال جرير بن عطية التميمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأثم التي ولت قريشاً بمقرقة التجار ولا عقيم
وما رقرم بأنجب من أيكم ولا خال بأكرم من تميم

قال ابن هشام : يعنى أم النضر بن كنانة وهي برة بنت مرة أخت تميم بن مر .

وأما اشتقاق قريش فقييل من القرش وهو التجمع بسد التفرق وذلك في زمن قصي بن كلاب فانهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم كما سيأتي بيانه وقد قال حذافة بن غانم العدوي :

أبوكم قصي كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من فهر

وقال بعضهم : كان قصي يقال له قريش قيل من التجمع والقرش التجمع كما قال أبو خلدة الشكري :

أخوة قرشوا الذنوب علينا في حديثهم من دهرنا وقديم

وقيل سميت قريش من القرش وهو التكسب والتجارة حكاه ابن هشام رحمه الله . وقال الجوهري القرش السكسب والجمع وقد قرش يقرش قال الفراء وبه سميت قريش وهي قبيلة وأبوم النضر بن كنانة فـأبل من كان من ولده فهو قرشي دون ولد كنانة فما فوقه . وقيل من التفتيش قال هشام بن السكابي كان النضر بن كنانة تسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والقرش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيردونهم بما ييلغهم بلادم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشاً وقد قال الحارث بن حلزة في بيان أن القرش التفتيش :

أيها الناطق المقرش علما عند عمرو فهل له إقامه

حكى ذلك الزبير بن بكار وقيل قريش تصغير قرش وهو دابة في البحر قال بعض الشعراء :

وقريش هي التي تسكن البحر ر بها سميت قريش قريشا
قال البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة أنا أبو الحسن علي بن عيسى المالبني حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل
النسوي أن أبا كريب حدثهم حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي ركانة العامري
أن معاوية قال لابن عباس فلم سميت قريش قريشا ؟ فقال لدابة تكون في البحر تكون أعظم دوابه فيقال
له القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته . قال فأنشدني في ذلك شيئا فأنشده شعر الجمحي
إذ يقول :

وقريش هي التي تسكن البحر ر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتركن لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حتى قريش يأكلون البلاد أكل الكيشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخوشا

وقيل سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم
فكانت العرب تقول قد جاءت غير قريش قالوا وابن بدر بن قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه
التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله أعلم .

ويقال في النسبة إلى قريش قرشي وقريشي قال الجوهري وهو القياس . قال الشاعر :
لكل قريشي عليه مهابة سريع إلى داعي النداء والتكرم
قال فإذا أردت بقريش الحى صرفته وإن أردت القبيلة منعته قال الشاعر في ترك الصرف :
* وكفى قريش المضلاتر وسادها (١) *

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عمر والاوزاعي قل حدثني شداد أبو عمار حدثني وائلة
ابن الاسقع قال قال رسول الله ص : « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من
كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم » . قال أبو عمر بن عبد البر يقال بنو
عبد المطلب فصيلة رسول الله ص : وبنو هاشم فخذ وبنو عبد مناف بطنه وقريش عارته وبنو كنانة
قبيلته ومضر شعبه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .

ثم قال ابن اسحاق : فولد النضر بن كنانة مالمكا وعلمدا قال ابن هشام والصلت وأمههم جميعا
بنت سعد بن الظرب العدواني . قال كثير بن عبيد الرحمن وهو كثير عزة أحد بني مليم بن عمرو
من خزاعة :

(١) البيت لمدي بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك على ما في اللسان وأوله : غلب المساميح
الوليد سماحة عن محمود الامام .

أليس أبي بالصلت أم ليس إخواني لكل هجان من بني النضر أزهرا
رأيت ثياب المصّب مختلط السدى بنا وهم والحضرمي المحصر
فإن لم تكونوا من بني النضر فتركوا أرا كأ بأذنب الفواج أخضرا

قال ابن هشام : وبنو مليح بن عمرو يمزون إلى الصلت بن النضر .

قال ابن اسحاق : فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحارث بن مضاض الاصفر
وولد فهر غلبا ومحاربا والحارث وأسدأ وأمه ليلي بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وأختهم لأبيهم جندلة بنت فهر . قال ابن اسحاق : فولد غالب بن فهر لؤي بن
غلب وتيم بن غالب وهم الذين يقال لهم بنو الأدرم وأمه سلمى بنت عمرو الخزاعي . قال ابن هشام
وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي وهي أم لؤي قال ابن اسحاق فولد لؤي بن
غالب أربعة نفر كعبا وعامراً وسامة وعوفا . قال ابن هشام ويقال والحارث وهم جشم بن الحارث في
هزان من ربيعة وسعد بن لؤي وهما بنات في شيبان بن ثعلبة وبنات حاضنة لهم وخزيمة بن لؤي وهم
عايدة في شيبان بن ثعلبة .

ثم ذكر ابن اسحاق خبر سامة بن لؤي وأنه خرج إلى عمان فكان بها وذلك لثان كان بينه وبين
أخيه عامر فأخافه عامر فخرج عنه هاربا إلى عمان وأنه مات بها غريبا وذلك أنه كان برعى ^(١) ناقته
فعلقت حية بمشفرها فوقعت لشقها ثم نهشت الحية سامة حتى قتله فيقال إنه كتب بأصبعه على الأرض :

عين فابكي لسامة بن لؤي علق ما بسامة الملائكة
لا أرى مثل سامة بن لؤي يوم حلوا به قتيلاً لناقه
بلغا عامراً وكعباً رسولاً أن فسي اليها مشتاقه
إن تكن في عمان داري فاني غالي خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الخوف يا ابن لؤي ما لمن رام ذاك بالحنف طاقه
وخروس السرى تركت رثياً بعد جدّ وحدة ورشاقه

قال ابن هشام : وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله (ص) فالتصّب إلى سامة بن لؤي فقال له
رسول الله (ص) : « آساعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله » ؟

رب كأس هرقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه

(١) كذا بالاصول والذي في ابن اسحاق يتناهو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها ترتع فاخذت

حية بمشفرها فنهضتها حتى وقعت الناقه

قال أجل : وذكر السهيلي عن بعضهم أنه لم يعقب . وقال الزبير ولد أسامة بن لؤى غالبا والنبيت والחרث قالوا وكانت له ذرية بالعراق يفيضون عليها ومنهم على بن الجعد كان يشتم أباه لكونه سماه عليا ومن بنى سامة بن لؤى محمد بن عرعة بن البريد شيخ البخاري .

وقال ابن اسحاق : وأما عوف بن لؤى فإنه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى اذا كان بارض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبلي به فانطلق من كان معه من قومه فاتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بنى ذبيان لحبسه وزوجه والناتله وآخاه فشاع نسبه في ذبيان وثلبة فيما يزعمون .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بنى مرة بن عوف إنا نعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤى .

قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أنهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال منهم من بنى مرة إن شئتم أن ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه . قال ابن اسحاق : وكان القوم أشرا في غطفان هم سادتهم وقادتهم قوم لهم صيت في غطفان وقيس كلها فاقاموا على نسبهم قالوا وكأوا يقولون اذا ذكر لهم نسبهم ما ننكره وما ننجده وإنه لأحب النسب الينا ثم ذكر أشعارهم في انسابهم الى لؤى قال ابن اسحاق : وفيهم كان البسل وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب وكانت العرب تعرف لهم ذلك وبأمنونهم فيها وبؤمنونهم أيضا قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واختلفت ربيعة ومضر في الرابع وهو رجب فقالت : مضر هو الذي بين جمادى وشعبان وقالت ربيعة هو الذي بين شعبان وشوال وقد ثبت في الصحيحين عن أبي بكرة أن رسول الله (ص) قال في خطبة حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة وقد قال الله عز وجل « إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » فهذا رد على بنى عوف بن لؤى في جعلهم الأشهر الحرم ثمانية فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه وقوله في الحديث ثلاث متواليات رد على أهل النسيب الذين كانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر . وقوله فيه ورجب مضر رد على ربيعة . قال ابن اسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة ، مرة ، وعديا ، وهصيصا وولد مرة ، ثلاثة أيضا كلاب بن مرة ، وتيم بن مرة ، ويقظة بن مرة من أمهات ثلاث . قال وولد كلاب رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجفنة من جشمه الأسد من اليمن خلفاء بنى الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وفي أبيها يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخشا واحداً من علمناه كعبد بن ميل
 فارساً أضبط فيه عسرة وإذا ما راقف القرن نزل
 فارساً يستدرج الخيل كما استدرج الحر القطامي الحجل
 قال السهيلي : سيل اسمه خير بن جمالة وهو أول من طلعت ^(١) له السيوف بالذهب والفضة .
 قال ابن اسحاق : وإنما سمو الجدة لأن عامر بن عمرو بن خزيمة بن جشمه تزوج بنت الحارث بن
 مضاض الجرهمي وكانت جرم إذ ذاك ولاية البيت فبنى للسكبة جداراً فسمى عامر بذلك الجادر فقيل
 لولده الجدة لذلك .

خبر قيس بن كلاب وارتجاء ولده البيت القريش والتملعه فليس منه فخذعة

وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمه ربيعة بن حرام من عذرة وخرج بها وبه الى بلاده ثم
 قدم قصي مكة وهو شاب فتزوج حبي ابنة رئيس خزاعة حليل بن حبشية ^(٢) . فلما خزاعة فزعم أن
 حليلاً أوصى الى قصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته وقال أنت أحق بذلك مني . قال

(١) عبارة السهيلي وهو أول من حلى السيوف الخ :

(٢) عبارة ابن اسحاق هكذا : فولدت له عبدالدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدالمطلب فلما انتشر ولد
 قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصي أنه أولى بالسكبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر
 وان قريشا قرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلهم رجالات من قريش وبني كنانة ودعاهم الى
 اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه فلما أجابه قومه الى ما دعاهم اليه كتب الى أخيه من أمه رزاح
 ابن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح بن ربيعة ومعه أخوته حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة
 وجلهمة بن ربيعة وهم لغير أمه فاطمة فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب وهم مجمعون لنصرة قصي
 وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر
 وقال أنت أولى بالسكبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصي ما طلب ولم يسمع
 ذلك من غيره فأنه أعلم أي ذلك كان اه عبارة ابن اسحاق وبها يتبين لك ما في عبارة ابن كثير من
 الخطأ

ابن اسحاق : ولم نسمع ذلك إلا منهم وأما غيرهم فاتهم يزعمون أنه استغاث باخوته من أمه وكان رئيسهم رزاح بن ربيعة وأخوته وبنو كنانة وقضاة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فاجلأهم عن البيت واستقل هو بولاية البيت لأن اجازة الحجيج كانت الى صوفة وهم بنو القوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ولا يتغفرون من مفي حتى يتغفروا فلم يزل كذلك فيهم حتى إقترضوا فودتهم ذلك بالقعد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فكان أولهم صفوان بن الحارث ابن شحنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرهم الاسلام وهو كرب بن صفوان . وكانت الاجازة من المزدلفة في عدوان حتى قام الاسلام على آخرهم وهو أبو سيارة عميلة بن الأعزل وقبل اسمه الماص واسم الأعزل خالد وكان يجيز بالناس على أنان له عوراء مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل الدية مائة وأول من كان يقول أشرق ثبير كما تغير حكاة السهيلي .

وكان عامر بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب نثرة الاتحاكوا اليه فيرضون بما يقضى به فتحاكوا اليه مرة في ميراث خنثى فبات ليلته ساهرا يتروى ماذا يحكم به فرأته جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سخيلة فقالت له مالك لا ابلاك الايلة ساهراً ؟ فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال لعلها يكون عندها في ذلك شيء فقالت اتبع القضاء المبال قال فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك .

قال السهيلي : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالامارات والعلامات وله أصل في الشرع قال الله تعالى (وجاءوا على قيصه بدم كذب) حيث لا أثر لا نيب الذئب فيه وقال تعالى (إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) . وفي الحديث أنظروها فان جاءت به أوراق جمداً جمالياً فهو الذي رميت به . قال ابن اسحاق : وكان الذبي في بنى ققيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر . قال ابن اسحاق : وكان أول من نسا الشهور على العرب القلمس وهو حذيفة بن عبد بن ققيم ابن عدى ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس فعلى أبي ثمامة قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجبها اجتمعت اليه فخطبهم فخرم الاشهر الحرم فاذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل الحرم وجعل مكانه صفراً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيقول : (اللهم إني أحلت أحد الصفرين الصفر الأول وانسأت الآخر للعام المقبل) فتبعمه العرب في ذلك ففى ذلك يقول عمير بن قيس أحد بنى فراس بن غنم ابن مالك بن كنانة ويعرف عمير بن قيس هذا بمجدل الطمان :

لقد علمت معد أن قومي كرام الناس أن لهم كراما

فَلْيُ النَّاسِ قَاتُونَا بَوْتِرِ وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ فَعَلَكَ لِحَامَا
أَلَسْنَا النَّاسِيْنَ عَلَى مَعَدَّةٍ شَهْوَرَةِ الْحِلِّ نَجْمَلُهَا حَرَامَا

وكان قصي في قومه مسيدا رئيسا مطاعا معظما والمقصود أنه جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن اطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة واجلائهم عن البيت وتسليمه الى قصي فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة ثم تداعوا الى التحكيم فتحا كوا الى يعمر بن عوف بن كعب ابن عاصر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بان قصيا أولى ببيت من خزاعة وان كل دم أصابه قصي من خزاعة ونفى بكر موضوع بشدخه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة فقيه الدية مؤداة وأن يخلى بين قصي وبين مكة والكعبة فسمى يعمر يومئذ الشداخ . قال ابن اسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه الا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه لانه يرى ذلك ديننا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة وسرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله قال فكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا أطاع له به قومه وكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة والالواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة .

قلت : فرجع الحق الى نصابه ، ورد شارذ العدل بعد إيلابه ، واستقرت بقريش الدار ، وقضت من خزاعة المراد والالوطار ، وتسلت بينهم العتيق القديم لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الاوثان ونصبها إياها حول الكعبة ونحرم لها وقصرهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وأنزل قصي قبائل قريش أباطح مكة وأنزل طائفة منهم ظواهرها فكان يقال قريش البطاح وقريش الظواهر . فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسداته والالواء وبني داراً لازاحة الظلمات وفصل الخصومات سماها دار الندوة اذا أعضلت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فاشتدوا فيها وفصلوها ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح الا بها ولا تبلغ جارية أن تدرع فتدرع الا بها وكان باب هذه الدار الى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار فيما بعد الى حكيم بن حزام بعد بني عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية ، وقال بعت شرف قومك بمائة ألف ؟ فقال انما الشرف اليوم بالتقوى والله لقد اجتمعت في الجاهلية بزق خروها أنا قد بنتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأبنا المنيون ذكره الدارقطني في أسماء رجال الموطأ وكانت اليه سقاية الحجيج فلا يشربون الا من ماء حياته وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جرم قد تناسوا أمرها من تقدم عهدها ولا يهتدون الى موضعها قال الواقدي : وكان قصي أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدى اليها من يأتي من عرفات . والرفادة وهي إطعام الحجيج أيام الموسم الى أن يخرجوا راجعين الى بلادهم .

قال ابن اسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم فقال لهم يا معشر قريش إنكم خير أن الله وأهل مكة وأهل الحرم وأن الحجاج ضيف الله رزوار يئته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خرجا فيصدفونه اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجري ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قلت : ثم اقطع هذا بعد ابن اسحاق ثم أمر باخراج طائفة من بيت المال فيصرف في حمل زاد وماء لأبناء السبيل القاصدين الى الحج وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أحل ما فيه والاولى أن يكون من جوالي الذمة لانهم لا يحجبون البيت العتيق وقد جاء في الحديث * من استطاع الحج فلم يهجم فليت إن شاء يهوديا أو نصرانيا .

وقال قائلهم في مدح قصي وشرفه في قومه :

قصي لعمرى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من ربه
هو املاؤا البطحاء مجددا وسوددا وهم طردوا عنا غواة بني بكر

قال ابن اسحاق : ولما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه واخوته من أبيه الثلاثة وهم حن ومحمود وجملة . قال رزاح في اجابته قصيا :

ولما أتى من قصي رسول فقال الرسول أجيوا الخليل
نهضنا اليه فهو الجيا د ونطرح عنا المول التقيلا
نسير بها الليل حتى الصبا ح ونسكي النهار لثلاث زولا
فهن سراع كورد القطا يجهن بنا من قصي رسولا
جمعا من السر من اشمنين^(١) ومن كل حي جمعنا قبلا
فيالك حلبة ما ليلة تزيد على الالف سيلا
فدا مرزن على عسجر وأسهران من مستناخ سيلا
وجاوزن بالركن من ورقا ن وجاوزن بالمرج حيا حلولا
مررن على الحلي ما ذقته وعالجن من مر ليل طويلا
ندي من العوذ أفلاها ارادة أن يسترقن الصهلا
فدا انتهينا الى مكة أبجنا الرجال قبلا قبلا
فناورهم ثم حد السيوف وفي كل أوب خلطنا العقولا

(١) في السهلي : الاشمنان جيلان . ويقال اسم قبيلتين .

نخبزيم^(١) بصلاب. النسو رخبز القوي العزيز الذليل
 قتلنا خراعة في دارها وبكرأ قتلنا وجيلاً فجيلاً
 ففينا من بلاد المدي لك كما لا يحلون أرضاً سهولا
 فاصبح سيئهم في الحدي ورومن كل حي شفتينا الغليلا

قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح الى بلاده نشره الله ونشر حنا ، فهما قبيلة عذرة الى اليوم .
 قال ابن اسحاق : وقال قصي بن كلاب في ذلك :

أنا ابن العاصمين بنى لؤي بمكة منزلي وبها ربيت
 الى البطحاء قد علمت معد ومروها رضى بها رضى
 فلست لغاليل أن لم تأتل بها أولاد قيذر والنبيت
 رزاح فاصري وبه أسامي فلست أخاف ضياء ما حيت

وقد ذكر الأُموي عن الأشرم عن أبي عبيدة عن محمد بن حفص : أن رزاحا انما قدم بعدما نفي قصي
 خراعة والله أعلم .

قصي بن كلاب

ثم لما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت اليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة
 والسقاية والحجابة واللواء والندوة الى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده . وانما خصصه بها كلها لأن بقية
 أخوته عبد مناف وعبدالمس وعبدالمطلب قد شرفوا في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفاً كبيراً فأحب
 قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد فخصصه بذلك فكان أخوته لا ينازعونه في ذلك فلما اقرضوا
 تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا انما خصص قصي عبد الدار بذلك لياحقه بأخوته فنحن نستحق ما كان
 آباؤنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار هذا أمر جعله لنا قصي فنحن أحق به واختلفوا اختلافاً كثيراً
 واتقسمت بطون قريش فرقتين فرقة بايعت عبد الدار وحالفهم وفرقة بايعت بنى عبد مناف وحالفهم
 على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بركان الكعبة فسموا
 حلف المطيبين . وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبدالمزى بن قصي وبنو زهرة وبنو تيم وبنو
 الحارث بن فهر وكان مع بنى عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جحج وبنو عدى واعتزلت بنو عامر
 ابن لؤي ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منهما ثم اصطاحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة
 والسقاية لبنى عبد مناف وان تستقر الحجابة واللواء والندوة في بنى عبد الدار فانبرم الأمر على
 ذلك واستمر .

(١) قوله نخبزيم . قال السهيلي : أى نسوقهم سوقاً شديداً .

وحكى الاموى عن الاشرم عن أبى عبيدة قال: وزعم قوم من خزاعة أن قصيا لما تزوج حبي بنت حليل وقل حليل عن ولاية البيت جعلها الى ابنته حبي واستناب عنها أبا غبشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن قصي بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خرو وقعود فكان يقال (أخسر من صفقة أبى غبشان) ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصي فاستنصر أخاه قحطم بن معه وكان ما كان ثم فوض قصي هذه الجهات التي كانت اليه من السداة والحجاجة واللواء والندوة والرافدة والسقاية الى ابنته عبد الدار كما سيأتى تفصيله وايضا حقه وافر الاجازة من مزدلفة في بنى عدوان وافر النسيء في ققيم وافر الاجازة وهو النفر في صوفة كما تقدم بيان ذلك كله مما كانت بأيديهم قبل ذلك.

قال ابن إسحاق: فولد قصي أربعة نفر وامرأتين عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبدنا ونخمر وبرة، وأمهم كلهم حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وهو آخر من ولى البيت من خزاعة ومن يده أخذ البيت قصي بن كلاب. قال ابن هشام: فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشمًا وعبد شمس والمطلب وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن نوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية. قال ابن هشام: وولد لعبد مناف أيضا أبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وربطة وأم الاخثم وأم سفيان. قال ابن هشام: وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب واسدًا وأياصقي وفضلة والشغا وخالدة وضميفة ورقية وحية فأُم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليث بن خدش ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار من المدينة وذكر أمهات الباقيين قال وولد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة وهم العباس وحزمة وعبد الله وأبو طالب واسمه عبد مناف لاعمران والزبير والحارث وكان بكر أبيه وبه كان يكنى وجعل ومنهم من يقول جعل وكان يلقب بالفيذاق لكثرة خيره والمقوم وضرار وأبو لهب واسمه عبد العزى وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة وذكر أمهاتهم الى أن قال وأم عبد الله وأبى طالب والزبير وجميع النساء الاصفية فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال فولد عبد الله محمدًا رسول الله (ص) سيد ولد آدم وأمه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ثم ذكر أمهاتها فافترق الى أن قال فهو أشرف ولد آدم حسبًا وافضلهم نسبًا من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين. وقد تقدم حديث الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن وائلة بن الاسقع قال قال رسول الله (ص) إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى هاشمًا من قريش واصطفاني من بني هاشم رواه مسلم وسيأتى بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الاخبار والآثار وصنوره عند

سرد النسب الشريف فواتد آخر ليست هاهنا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر عمل من الله عز وجل في الرحمة

قد تقدم ما كان من أخذ جرم ولاية البيت من بني اساعيل طمعوا فيهم لأنهم أبناء بناتهم وما كان من ثوب خراصة على جرم وانزاعهم ولاية البيت منهم ثم ما كان من رجوع ذلك الى قصي وبنيه واستمرار ذلك في أيديهم إلى أن بعث الله رسوله (ص) فآمر تلك الوظائف على ما كانت عليه.

ذكر جماعة مشهورين في الرحمة

خير خاله بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة وقد زعم بعضهم أنه كان نبياً والله أعلم قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور الرازي حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: جاءت بنت خاله بن سنان إلى النبي (ص) فبسط لها ثوبه وقال بنت نبي ضيعة قومه . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المعلى بن منصور عن محمد بن الصلت عن قيس عن سالم عن سعيد عن ابن عباس: قال ذكر خاله بن سنان عند رسول الله (ص) فقال ذاك نبي ضيعة قومه . ثم قال ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وكان قيس بن الربيع ثقة في نفسه إلا أنه كان رديء الحفظ وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها والله أعلم .

قال البزار: وقد رواه الثوري عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير مرسلًا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا المعلى بن مهدي الموصلي قال حدثنا أبو عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إني أظن أنكم نار الحرتين فقال له رجل من قومه (١) والله يا خالد ما قلت لنا قط الا حقاً فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك تطفئها فخرج خالد ومعه أناس من (٢) قومه فيهم عمارة بن زياد فأتوها فإذا هي تخرج من شق جبل فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال إن أباطت عليكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضاً فاستقبلها خالد فجعل يضربها بمصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي بيدي حتى دخل معها الشق فأباط عليهم فقال لهم عمارة بن زياد والله إن صاحبكم لو كان حياً لقد خرج اليكم بعد قالوا فادعوه باسمه . قال فقالوا إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه فخرج وهو أخذ برأسه فقال ألم أنهيكم أن تدعوني باسمي فقد والله قتلتموني فادفوني فإذا مرت بكم الحجر فيها أبتز فأنبشوني فأنكم تجدوني حياً فدفنوه فمرت بهم الحجر فيها حمار أبتز قتلنا أنبشوه فأنه أمرنا

(١) هو عمارة بن زياد كما صرح به الحاكم في المستدرک اهـ. (٢) عدتهم ثلاثون .

أن ننبشه فقال لهم عمارة لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا وقد كان قال لهم خالد إن في عكن امرأته لوحين فإن أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فانكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يمسهما حائض فلما رجعا إلى امرأته سألوها عنهما فاخرجتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم .
قال أبو يونس : قال سماك بن حرب سئل عنه النبي (ص) فقال : ذاك نبي اضاعه قومه قال : أبو يونس : قال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي (ص) فقال : مرحباً بابن أخي فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبياً والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتاج بها هاهنا والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات فانه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله (ص) أنه قال : إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني وبينه نبي . وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال (لتنذر قوما ما أناهم من نذير من قبلك) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد اسماعيل نبياً في العرب إلا محمداً (ص) خاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل بابي الكعبة المسكونة التي جعلها الله قبلة لاهل الارض شرعاً وبشرت به الانبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له شعيب بن ذي مهزم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين وبعث الى العرب أيضاً حنظلة بن صفوان فكذبوها فسلط الله على العرب بخت نصر فنال منهم من القتل والسبي نحو ما قال من بنى إسرائيل وذلك في زمن معد بن عدنان والظاهر أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم . وقد تقدم ذكر عمرو بن لحي بن قمة بن خندف في أخبار خزاعة بعد جرم .

حاتم الطائي وأحمد بن محمد بن الحارث

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اسرى القيس بن عدى بن أحزم بن أبي أحزم (١) واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن القوث بن طي . أبو سقانة الطائي والد عدى بن حاتم الصحابي كان جواداً محمداً في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الاسلام وكانت لحاتم ما أثر وأمر وعجبية وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان قصده السمعة والذكر قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد القيسي حدثنا أبو نصر هو الناجي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبي (ص) فقال ذاك أراد أسراً فأدركه (حديث غريب) قال الدارقطني تفرد به عبيد بن واقد عن أبي نصر الناجي ويقال إن اسمه حماد قال ابن عساکر : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسم الناجي

(١) كذا بالاصول وبلوغ الارب للأوسي .

ووقع في بعض روايات الحافظ ابن عساكر عن أبي نصر شيبه الناجي والله أعلم
وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن اسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن مري بن قطري
عن عدي بن حاتم قال قلت لرسول الله (ص): ان أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له في
ذلك يعني من أجر قال ان أباك طلب شيئاً فاصابه . وهكذا رواه أبو يعلى عن القواريري عن غندر عن
شعبة عن سماك به . وقال : ان أباك أراد أمراً فادركه يعني الذكر وهكذا رواه أبو القاسم البغوي عن علي بن
الجعد عن شعبة به سواء . وقد ثبت في الصحيح في الثلاثة الذين تسع بهم جهنم منهم الرجل الذي ينفق
ليقال إنه كريم فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا وكذا في العالم والمجاهد وفي الحديث الآخر في
الصحيح أنهم سألوا رسول الله (ص) عن عبد الله بن جلعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن نيم بن مرة
فقالوا له كان يقرى الضيف ويعتق ويتصدق فهل ينفعه ذلك فقال انه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين هذا وقد كان من الاجواد المشهورين ايضاً المطعمين في السنين المحلة والاوقات
المرملة . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العماني
حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي حدثنا ضرار بن صرد حدثنا عاصم بن حميد عن
أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي قال قال علي بن أبي طالب: يا سبجان
الله ما أزهده كثيراً من الناس في خير عجباً لرجل يحبه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً
فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل
النجاح . فقام اليه رجل وقال: فذاك أنبأني يا أمير المؤمنين أمعمته من رسول الله (ص) . قال نعم! وما هو
خير منه لما أتى بسبايا طيء وقمت جارية حمراء لمساء زلفاء عطاء شفاء الأنف معتدلة القامة والهامية
درماء الكعبين خدجلة الساقين لفاء الفخذين خميسة الخصرين ضامرة الكشحين مصقولة المتنين . قال
فلما رأيها أعجبت بها وقلت لأطلبن الى رسول الله (ص) فيجعلها في فئتي فلما تكلمت أنسيت جمالها
لما رأيت من فصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد
قومي وان أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقرى الضيف ويطعم الطعام
ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط وأنا ابنة حاتم طيء . فقال النبي (ص): يا جارية هذه صفة المؤمنين
حقاً لو كان أبوك مؤمناً لرحمنا عليه خلوا عنها فان أباهم كان يحب مكارم الاخلاق والله تعالى يحب مكارم
الاخلاق . فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله ، والله يحب مكارم الاخلاق؟ فقال رسول الله (ص):
والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عمر بن بكر عن أبي عبد الرحمن الطائي - هو القاسم بن عدي -
عن عثمان بن عركي بن حليس الطائي عن أبيه عن جده وكان أخا عدي بن حاتم قال قيل لنوار امرأة

حاتم حدثنا عن حاتم قالت كل أمره كان عجباً أصابنا سنة حصت كل شئ فاقشعرت لها الأرض واغيرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الأبل حدياً حديراً ما تبض قطرة وحلقت المال وأنا لى ليلة صتير بيدة ما بين الطرفين إذ تضاعى الأصبية من الجوع عبد الله وعدى وسفانة فوالله إن وجدنا شيئاً نملهم به فقام إلى أحد الصبيان فحمله وقت إلى الصبية فملأها فوالله إن سكنا إلا بعد هدأة من الليل ثم عدنا إلى الصبي الآخر فملأناه حتى سكت وما كاد ثم افترشنا قطعة لنا شامية ذات خمل فاضجنا الصبيان عليها ونمت أنا وهو في حجرة والصبيان يبننا ثم أقبل على يملأى لأنهم وعرفت ما يريد فتناومت فقال مالك أنمت فسكت فقال ما أراها إلا قد نلمت وما بي نوم فلما أدلم الليل ونهورت النجوم وهدأت الأصوات وسكنت الرجل إذ جانب البيت قد رفع فقال من هذا؟ فولى حتى قلت إذا قد اسحرنا أو كدنا عاد فقال من هذا؟ قالت جارتك فلانة يا أبا عدى ما وجدت على أحد موعلاً غيرك أينتك من عند أصبية يتعاونون عواء الذئب من الجوع قال أعجلهم على قالت النوار فوميت قلت ماذا صنعت أضطجع والله لقد تضاعى أصيبتك فاجدت ما ملهم فكيف بهذه وبولدها قال أسكتي فوالله لأشبعنك إن شاء الله قالت فاقبلت تحمل اثنين وتمشي جنبتيها أربعة كأنها نامة حولها رملها فقام إلى فرسه فوجأ بحرته في لبته ثم قدح زنده وأورى ناره ثم جاء بمدية فكشط عن جلده ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال دونك ثم قال ابني صبيانك فبعتهم ثم قال سورة أتأكلون شيئاً دون أهل الصرم فحمل يطوف فيهم حتى هبوا واقبلوا عليه والتفح في ثوبه ثم اضطجع فلحبة ينظر إلينا والله ما ذاق مزعة وإنه لا حوجهم إليه فاصبحنا وما على الأرض منه الا عظم وحافر .

وقال الدار قطنى : حدثني القاضي أبو عبد الله الحاملى حدثنا عبد الله بن أبي سعد وحدثنا عليم بن ثوبة بن حاتم الطائي عن أبيه عن جده قال قالت امرأة حاتم لحاتم يا أبا سفانة اشتهى أن آكل أنا وانت طعاماً وحدثنا ليس عليه أحد فامرها فحوت خيمتها من الجماعة على فرسخ وأمر بالطعام فهو وهي مرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال :

فلا تطبخي قدي وسترك دونها علي أدت ما تطبخين حرام
ولكن بهذا الكيف فلو قدي يجوز إذا أوقدت لا بضرام

قال ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعى الناس فاكلوا وكأوا قالت ما أتممت لى ما قلت فاجابها فاني لا تطاوعنى نفسى ونفسى أكرم على من أن يشئ على هذا وقد سبق لى السخاء ثم أنشأ يقول :

أمارس نفسى البخل حتى أعزها وأترك نفس الجود ما أستثيرها
ولا تشكيني جاري غير أنها إذا غاب عنها بلها لا أزورها
سيلتها خيرى ورجع سلها إليها ولم تقصر عليها ستورها

ومن شعر حاتم :

إذا مابتْ اشربُ فوق رتي لسكر في الشراب فلا رويت
إذا مابتْ أخترل عرسَ جاري ليخفني الظلامُ فلا خفيت
أفصح جاري وأخون جاري فلا والله أفضل ما حيت
ومن شعره أيضاً :

ماضراً جاراً لي أجاوره أن لا يكونَ رباباً ستر
أغضي إذا ما جارتى برزت حتى يوارى جاري الخدر
ومن شعر حاتم أيضاً :

وما من شيمتى شتم ابن عمي وما أنا مخلف من برنجيني
وكلمة حاسدٍ من غير جرم سمعتُ وقتَ مري فاقذيني
وعابوها علي فلم تبعني ولم يمرق لها يوماً جيني
وذى وجهين يلقي طليقاً وليس إذا تقيب بأتسني
ظفرتُ ببيته فكفنتُ عنه محافظةً على حسي وديني

ومن شعره :

سلي البائسَ المقرور يا أم مالك إذا ما أتاني بين ناري ومجزي
أأبسط وجهي إنه أول القرى وابذل معروفى له دون منكوى

وقال أيضاً :

وانك ان أعطيت بطنك سؤله وفرجك فلا منتهى الذم أجمأ

وقال القاضي أبو الفرج المافى بن زكرياء الجري حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي حدثنا أبو العباس المبرد أخبرني الثوري عن أبي عبيدة . قال لما بلغ حاتم طي قول المتلمس :

قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفساد
وحفظُ المالِ خيرٌ من فناء وعسفٌ في البلادِ بغير زاد

قال ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل فهلا قال :

فلا الجودُ يُقي المال قبل فئانه ولا البخلُ في مال الشحيح يزيد
فلا تلتبسَ مالاً ببئس مقتر لكل غير رزقٍ يعود جديد
أم تر أن المالَ غامٍ ورائح وإن الذي يطيك غير بعيد

قال القاضي أبو الفرج ولقد أجنس في قوله : وإن الذي يطيك غير بعيد . ولو كان مسلماً لرجى

له الخير في معاده وقد قال الله في كتابه: (واسألوا الله من فضله). وقال تعالى: (وإذا سألك عبادي غنى فاقني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني). وعن الواضح بن معبد الطائي قال: وفد حاتم الطائي على النعمان ابن المنذر فأكرمه وأدناه ثم زوده عند انصرافه جملين ذهباً وورقاً غير ما عطاءه من طرائف بلده فرحل، فلما أشرف على أهله تلقته أعراب طي. فقالت: يا حاتم أتيت من عند الملك وأتينامن عند أهالينا بالفقر فقال: حاتم هلم فخذوا ما بين يدي فتوزعوه فوثبوا الى ما بين يديه من حباء النعمان فاقسموه. فخرجت الى حاتم طريفة جاريته فقالت له اتق الله وأبق على نفسك، فما يدع هو لاء ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بغيراً. فانشأ يقول:

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا وما بنا سرف فيها ولا خرَق
إن يفر ما عندنا فالله يرزقنا من سوانا ولنا نحن نرتزق
ما بال ألف درهم الكاري خرقتنا الا يجر عليها ثم ينطلق
إنا إذا اجتمعنا يوماً دراهمنا ظلت الى سبل المعروف تستبق

وقال أبو بكر بن عياش: قيل لحاتم هل في العرب أجود منك. فقال: كل العرب أجود مني ثم انشأ يحدث. قال: نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة وكانت له مائة من الغنم فذبح لى شاة منها وأتاني بها فلما قرب الى دماغها قلت: ما أطيب هذا الدماغ قال فذهب فلم يزل يأتيني منه حتى قلت قد اكنفيت، فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة ونقى لاشيء. له؟ فقيل فاصنعت به فقال: ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شيء. قال: على كل حال فقال أعطيته مائة ناقة من خيار ابل. وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب مكارم الاخلاق حدثنا العباس بن الفضل الربيعي حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثني حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طي. قالوا: كانت عنقرة^(١) بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم طي لا تمسك شيئاً سخاء وجوداً؛ وكان اخونها يمنعونها فتأبى وكانت امرأة مومسة فخبسوها في بيت سنة يعطمونها قوتها نعلها تسكف عما تصنع. ثم اخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق فدفعوا اليها صرمة من مالها وقالوا استمتعي بها، فأنتها امرأة من هوازن وكانت تفشاها فأسألتها فقالت: دونك هذه الصرمة فقد والله مسني من الجوع ما آليت ان لا أمتع سائلاً ثم أنشأت تقول:

لعمري لقد ما بعثني الجوع عضة فآليت ان لا أمتع الدهر جائئاً
فولا لهذا الاثم اليوم أعفي وان أنت لم تفعل فعص الأصابا
فاذا عسا كم ان قولا الأخيركم سوى عندكم أو عدل من كان. انما
وماذا ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركي يا ابن ابي الطبايما

(١) كذا في الاصل. وفي مكارم الاخلاق للخرائط: غنية بنت عفيف.

وقال الهيثم بن عدي عن ملحان بن عركي بن عدي بن حاتم عن أبيه عن جده . قال : شهدت حاتماً يكيد بنفسه فقال لي أي بني إني أعهد من نفسي ثلاث خصال والله ما خالفت جارة لريبة قط ، ولا أوتمنت على أمانة إلا أدبتها ، ولا أوتي أحد من قبلي بسوء . وقال أبو بكر الخرائطي : حدثنا علي بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العدوي حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين - يعني جعفر بن المحرز بن الوليد - عن المحرز مولى أبي هريرة قال : مررنا من عبد القيس بقبر حاتم طي . فقلنا قريباً منه فقام اليه بعضهم يقال له أبو الخير ي فجل يركض قبره برجله . ويقول : يا أبا جعد أقرنا فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من رمة وقد بليت واجنهم الليل فناموا فقام صاحب القول فرعاً يقول يا قوم عليكم بمطعمكم فان حاتماً أتاني في النوم وانشدني شعراً وقد حفظته يقول :

أبا الخير ي وانت اسرو ظلوم العشيّة شتائمها
أتيت بصحبك تبغي التري لدى حفرة قد صدت هامها
أتبني لي الذنب عند الميّد وتحوّل طيّي وانعامها
وأنا لنشبع أضـيافنا وتأتي المطي فنعنّامها

قال وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيراً فنحروها وقاموا يشنون ويأكلون . وقالوا والله لقد أضافنا حاتم حياً وميتاً . قال : وأصبح القوم وادفوا صاحبهم وساروا فاذا رجل ينوء بهم راكبا جملا ويقود آخر . فقال : ايكم أبو الخير قال أنا قال إن حاتماً أتاني في النوم فآخبرني أنه قرى أصحابك ناقك وامرني أن أحلك وهذا بعير نخذه ودفعه اليه .

سبي من أخبار عبد الله بن جهم

هو عبد الله بن جهم بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بني تيم وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وكان من السكراء الاجواد في الجاهلية المطمئنين للمستنين وكان في بدء امره فقيراً مملقاً وكان شرباً يكثر من الجنائيات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أبوه فخرج ذات يوم في شعاب مكة حاثراً باثراً فرأى شقاً في جبل فظن أن يكون به شيئاً يؤذى فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه فلما اقترب منه اذا ثعبان يخرج اليه ويثب عليه فجعل يحيد عنه ويثب فلا يفي شيئاً فلما دنا منه اذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ودخل النار فاذا فيه قبور لرجال من ملوك جرم ومنهم الحارث بن مضاض الذي طالت غيبته فلا يدرى أين ذهب ووجد عند رؤسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وقاتهم ومدد ولايتهم وإذا عندهم من الجواهر والآلئ والذهب والفضة شيء كثير فاخذ منه حاجته ثم خرج وعلم بأب النار ثم انصرف الى قومه فاعطاهم حتى أحبوه وسادهم وجعل يطعم الناس وكلما قل ما في يده ذهب الى ذلك النار فاخذ حاجته ثم رجع فمن ذكر هذا

عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان وذكره أحمد بن علي في كتاب رى العاطش وانس الواش وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره ووقع فيها صغير ففرق وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله (ص) قال لقد كنت استظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عُمَيَّ أي وقت الظهيرة . وفي حديث مقتل أبي جهل أن رسول الله (ص) قال لاصحابه تطلبوه بين القتلى وتعرفوه بشجة في ركبته فاني تراحت أنا وهو على مائدة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت فآثرها بلق في ركبته فوجدوه كذلك . وذكروا أنه كان يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن حتى يسمع قول أمية بن أبي الصلت :

ولقد رأيتُ الفاعلين وفعلهم فرأيتُ أكرمهم بني الديان
البري بك بالشهاد طمامهم لا ما يملنا بنو جدعان

فارس ابن جدعان الى الشام التي بعير تحمل البر والشهد والبمن وجل مناديا ينادي كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلموا الى جفنة ابن جدعان . قال أمية في ذلك :

له داع بمكة مشعل وآخر فوق كعبتها ينادي
الى ردى من الشيزى ملام لباب البري بك بالشهاد

ومع هذا كله فقد ثبت في الصحيح لمسلم أن عائشة قالت: يا رسول الله ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة . فقال: لا إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

امرؤ القيس بن حجر الكنزي صاحب الزهري والمعلقان

وهي آخرهن واشهرهن التي أولها :

* قفانك من ذكرى حبيب ومنزل *

قال الامام أحمد: حدثنا هشام حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار وقد روى هذا الحديث عن هشام جماعة كثيرون منهم بشر بن الحكم ، والحسن بن عرفة ، وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الامين ويحيى بن معين ، واخرجه ابن عدى من طريق عبد الرزاق عن الزهري به وهذا منقطع وردى من وجه آخر عن أبي هريرة ولا يصح من غير هذا الوجه

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المراد بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة . أبو يزيد ويقال أبو وهب

ويقال أبو الحارث الكندي . كان بأعمال دمشق وقد ذكر مواضع منها في شعره فمن ذلك قوله :

فَتَأْبِكُ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ الْوَيْ بَيْنَ الدُّخُولِ خَوْمَلِ
فَتَوْضَحُ فَاَلْقِرَاءَةَ لَمْ يَفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ

قال وهذه مواضع مروفة بمحوران . ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب السكبي حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدى كرب عن أبيه عن جده . قال : بينا نحن عند رسول الله (ص) إذ أقبل وفد من اليمن فقالوا يا رسول الله لقد أحيانا الله بيتين من شعر امرئ القيس . قال : وكيف ذاك ؟ قالوا أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فكئنا ثلاثا لا قدر على الماء فتفرقنا إلى أصول طلع وسمر لبوت كل رجل منا في ظل شجرة فبينما نحن بآخر رمق إذا راكب يوضع على بعير فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

وَلَمَّا رَأَتْ أَنْتِ الشَّرِيعَةَ هَمًّا وَإِنْ الْبَيَاضُ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يُفِيْ عَلَيْهَا الظَّلَّ عَرْمَضُهَا طَائِي

فقال الراكب : ومن يقول هذا الشعر وقد رأى ما بنا من الجهد ؟ قال قلنا امرؤ القيس بن حُجْر قال والله ما كذب هذا ضارج عندهم فتظننا فإذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين ذراعا فخبونا إليه على الركب فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه الرمض يفي عليه الظل فقال رسول الله (ص) : «ذاك رجل مذكور في الدنيا منسى في الآخرة ، شريف في الدنيا حائل في الآخرة ، يده لواء الشعراء يقودهم إلى النار» . وذكر السكبي : أن امرأ القيس أقبل برأيه يريد قتال بني أسد حين قتلوا أباه فر بنبالة وبها ذو الخلصة وهو صنم وكانت العرب تستقسم عنده فاستقسم فخرج القدح الناهي ثم الثانية ثم الثالثة كذلك فكسر القداح وضرب بها وجه ذي الخلصة وقال عضفت بإبريك لو كان أبوك المقتول لما عوقفتي . ثم اغار على بني أسد فقتلهم قتلا ذريعا قال ابن السكبي : فلم يستقسم عند ذي الخلصة حتى جاء الاسلام وذكر بعضهم أنه امتدح قيصر ملك الروم يستنجد في بعض الحروب ويسترفده فلم يجد ما يؤمله عنده فهباه بعد ذلك فيقال إنه سقاه سما فقتله فالتجأ الموت إلى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له عيب فكتب هنالك :

أَجَارَتْنَا إِنْ الْمَزَارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَيْبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلٌّ غَرِيبٌ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

وذكروا أن المملكات السبع كانت مملكة بالكعبة ، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش فإن أجازوها علقوها على الكعبة قطعا لشأنها فاجتمع من ذلك هذه المملكات السبع فالأولى لامرئ القيس بن حجر الكندي كما تقدم وأولها :

قنابك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول لغول
 والثانية للناطقة الديباني: واسمه زياد بن معاوية ويقال زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب بن جابر
 ابن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها:
 يادارُ مَيْتَةً بالملياءِ فَالْتَسَنَدِ أَقَوْتُ وَطالَ عليها سالفُ الأبدِ
 والثالثة لزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني وأولها:
 أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دَمْنَةً لَمْ تُكَلِّمْ رَجُومَاتِهِ الدَّرَاجِ فَالْتَسَنَّمِ
 والرابعة لطرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن
 صعب بن علي بن بكر بن وائل وأولها:
 نَحْلَوْلَةَ أَطْلَالٍ بِرُقَّةٍ نَهْمِدِ تَلُوحُ كِبَايَ الوَثْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
 والخامسة لمنزلة بن شداد بن معاوية بن فراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيمة
 ابن عيس العبسي وأولها:
 هَلْ غَادَرُ الشَّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتْ الدَّارَ بِسَدِّ تَوْمِ
 والسادسة لعقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بني تميم وأولها:
 طَحَا بِكَ قُلُوبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ بَعِيدِ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبِ
 والسابعة - ومنهم من لا يثبتها في المعلقة وهو قول الاصمعي وغيره - وهي للبيد بن ربيعة بن
 مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن
 عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وأولها:
 عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا رَجِيئُ نَائِدِ غَوْلَا فَرِجَامُهَا
 فالما القصيدة التي لا يعرف قائلها فيما ذكره أبو عبيدة والاصمعي والمبرد وغيرهم فهي قوله:
 هَلْ بِالطَّلُولِ لِسَائِلٍ رَدٍّ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكَلُّمٍ عَهْدُ
 وهي مطولة وفيها معاني حسنة كثيرة .

✓ اخبار الرعية بن أبي الصلت السقي

قال الحافظ ابن عساكر: هو أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة
 ابن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن أبو عثمان ويقال أبو الحكم الثقي شاعر جاهلي قدم

دمشق قبل الاسلام وقيل انه كان مستقياً^(١) وانه كان في أول أمره على الايمان ثم زاع عنه وانه هو الذي أراد الله تعالى بقوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين). قال الزبير بن بكار: فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ابن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف وقال غيره كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف وكان أمية أشعرهم.

وقال عبد الرزاق قال الثوري: أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) هو أمية بن أبي الصلت وكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر الشافعي عن معاذ بن المثني عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن عاصم بن مسمود. قال: اني لفي حلقة فيها عبد الله بن عمرو يقرأ رجل من القوم الآية التي في الاعراف (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) فقال هل تدرون من هو؟ فقال بعضهم: هو صفي بن الراهب. وقال آخر: بل هو بلم رجل من بني اسرائيل فقال لا اقال فمن؟ قال هو أمية بن أبي الصلت وهكذا قال أبو صالح والسكبي وحكاه قتادة عن بعضهم. وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن شبيب الربيعي حدثنا محمد بن مسلمة بن هشام الخزومي حدثنا اسماعيل ابن العريج بن اسماعيل الثقفي حدثني أبي عن أبيه عن مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه. قال: خرجت أنا وأميه بن أبي الصلت الثقفي نجاراً الى الشام فكلمنا نزلنا منزلاً أخذ أمية سفراً له يقرؤه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاؤهم واكرمهم واهدوا له وذهب معهم الى بيوتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبه واخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى اليه يتناهى علم الكتاب تسأله. قلت: لا إربى فيه والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به ولئن حدثني بما أكره لاجدن منه. قال فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل على فقال ما يمنعك أن تذهب الى هذا الشيخ قلت لست على دينه قال وإن فانك تسمع منه عجباً وتراه. ثم قال لي أنتقي أنت قلت لا ولكن قرشي؟ قال فما يمنعك من الشيخ فوالله انه ليحبكم ويوصي بكم. قال فخرج من عندنا ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هداة من الليل فطرح ثوبه ثم انجدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح كئيباً حزينا ساقطاً غبوقه على صبحه ما يكلمنا ولا نكلمه. ثم قال: ألا ترحل. قلت وهل بك من رحيل؟ قال نعم! فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين ثم قال في الليلة الثالثة ألا تحدث يا أبا سفيان قلت وهل بك من حديث والله ما رأيت^(٢) مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال أما ان ذلك لشيء لست فيه انما ذلك لشيء

(١) الذي في ابن عساكر وقيل انه كان نبياً.

(٢) لفظ ما رأيت) ليست موجودة في تاريخ ابن عساكر.

وجلت منه من منقلبى قلت وهل لك من منقلب . قال : أى والله لا موتن ثم لأحين قال قلت هل أنت قابل أمانتى قال على ماذا قلت على أنك لا تبعث ولا تحاسب قال فضحك ثم قال : بلى والله يا أباسفيان لنبعثن ثم لنحاسبن وليدخلن فريق الجنة وفريق النار . قلت : ففى أيهما أنت أخبرك صاحبك قال لا أعلم لصاحبى بذلك لافى ولا فى نفسه قال فكنا فى ذلك ليلتين يعجب منى وأضحك منه حتى قدمنا غرطة دمشق فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين فارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاؤه واهدوا له وذهب معهم الى بيوتهم^(١) فما جاء الا بعد منتصف النهار فلبس ثوبيه وذهب اليهم حتى جاء بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه فوالله ما نالم ولا قام واصبح حزينا كئيبا لا يكلمنا ولا نكلمه . ثم قال : الا ترحل قلت بلى ان شئت فرحلنا كذلك من بته وحزته ليلالى^(٢) . ثم قال لى : يا أباسفيان هل لك فى المسير لتتقدم اصحابنا قلت هل لك فيه قال نعم ! فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال : هيا صخر . فقلت : ماتتاء ؟ قال حدثنى عن عتبة بن ربيعة يحب تنب المظالم والمحارم قلت : إى والله قال : ويصل الرحم ويأمر بصلتها . قلت إى والله ! قال وكريم الطرفين وسطى العشرة قلت نعم ! قال فهل تعلم قرشياً اشرف منه ؟ قلت لا والله لا أعلم قال المحوج هو قلت لا بل هو ذو مال كثير قال وكم أتى عليه من السن فقلت قد زاد على المائة قال فالشرف والسن والمال أزرين به قلت ولم ذاك يزرى به لا والله بل يزيد خيراً قل هو ذاك . هل لك فى البيت قلت لى فيه قال فاضطجعنا حتى مر التقل قل فسرنا حتى نزلنا فى المنزل وبتنا به ثم ارتحلنا منه فلما كان الليل قال لى يا أباسفيان قلت ماتتاء قل هل لك فى مثل البارحة قلت هل لك فيه قال : نعم فسرنا على ناقتين بخيتيتين حتى إذا برزنا قال : هيا صخر هيه عن عتبة بن ربيعة قل قلت هيبا فيه قال يحب تنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت إى والله انه ليفعل قل وذو مال قلت وذو مال قل أعلم قرشياً أسود منه قلت : لا والله ما أعلم ؟ قال كم أتى له من السن قلت قد زاد على المائة قال فان السن والشرف والمال أزرين به قلت كلا والله ما زرى به ذلك وانت قاتل شيطاناً قتلته . قال لا تذكر حديثى يأتى منه ما هوأت ثم قل فان الذى رأيت أصابنى أتى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت أخبرنى عن هذا النبى الذى ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت أنه من العرب فمن أى العرب هو قال من أهل بيت تبحه العرب قلت وفيما بيت تبحه العرب قال هو من اخوانكم من قريش فاصابنى والله شىء ما اصابنى مثله قط وخرج من يدى فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو ان أكون إياه قلت فاذا كان ما كان فصنع لى قال رجل شاب حين دخل فى الكهولة . بدؤ امره يحب تنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج كريم الطرفين متوسط فى العشرة أكثر جنده من الملائكة قلت وما آية ذلك قال قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كلها

(١) فى ابن عساكر الى بيوتهم (٢) كذا فى الاصل : ولعلها : فرحلنا وكذلك وهو فى بته الخ .

فيها مصيبة وقيت درجة عامة فيها مصائب . قال أبو سفيان : قلت هذا والله الباطل اني بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفا . قال أمية : والذي حلفت به ان هذا لهكذا يا أبا سفيان تقول إن قول النصراني حق . هل لك في المبيت ؟ قلت نعم لي فيه قال فبتنا حتى جاءنا الثقل ثم خرجنا حتى اذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان ليلتان ^(١) أدركتنا راكب من خلفنا فسلناه فاذا هو يقول أصابت أهل الشام بدمكم رجفة دمرت أهلها وأصابهم فيها مصائب عظيمة . قال أبو سفيان فاقبل على أمية فقال كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان قلت أرى واضن والله ان ما حدثك به صاحبك حق قال أبو سفيان قد علمنا مكة تقضيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت الين ناجراً فكنت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فيينا انا في منزلي جاءني الناس يسلمون علي ويسألون عن بضائعهم حتى جاءني محمد بن عبد الله وهند عندي تلاعب صبيانها فلم علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام . قلت : لهند والله ان هذا ليعجنني ما من احد من قريش له معي بضاعة الا وقد سألني عنها وماسألني هذا عن بضاعته . فقالت لي هند : أو ما علمت شأنه فقلت وأنا فزع ما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فوقدتني وتذكرت قول النصراني فرجفت حتى قالت لي هند مالك ؟ فأنتهت فقلت إن هذا هو الباطل لهو أعقل من أن يقول هذا قالت بلى والله انه يقولن ذلك ويدعو اليه وان له لصحابة على دينه قلت هذا هو الباطل قال وخرجت فيينا انا أطوف بالبيت إذ بي قد لقيته فقلت له ان بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فأرسل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومي فابي علي . وقال اذن لا آخذها قلت فأرسل فآخذها وانا آخذ منك مثل ما آخذ من قومي فأرسل الي بضاعته فآخذها واخذت منه ما كنت آخذ من غيره . قال أبو سفيان فلم أنشب أن خرجت الى الين ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية بن أبي الصلت فقال لي يا أبا سفيان ما تشاء هل تذكر قول النصراني فقلت أذكره وقد كان قال : ومن ؟ قلت محمد بن عبد الله قال ابن عبد المطلب قلت ابن عبد المطلب ثم قصصت عليه خبر هند قال فوالله يعلم ؟ واخذ يتصبب عرقا . ثم قال : والله يا أبا سفيان لسله . إن صفته لمي ولئن ظهر وأنا حي لأطلبين من الله عز وجل في نصره عندي قول : ومضيت الى الين فلم أنشب ان جاءني هالك استهلاله وأقبلت حتى نزلت على أمية ابن أبي الصلت بالطائف فقلت يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد بلغك وسمعت فقال قد كان لعمري قلت فأن أنت منه يا أبا عثمان فقال والله ما كنت لأومن رسول من غير ثقيف ابدا قال أبو سفيان واقبلت الى مكة فوالله ما أنام بعد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يضربون ويحترقون قال أبو سفيان فجئت أقول فإني جند من الملائكة قال فدخلى ما يدخل الناس من النفاسة وقد رواه الحافظ البيهقي في كتاب الدلائل من حديث اسماعيل بن طريح به ولكن سياق الطبراني الذي أورده اتم وأطول والله أعلم .

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن احمد بن نفيل حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا مجاشع بن عمرو الاسدي حدثنا ليث بن سعد عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب أن أمية بن أبي الصلت كان بغزة أو بابلية فلما قفلنا قال لي أمية يا أبا سفيان هل لك أن تتقدم على الرقة فتحدث قلت نعم اقال ففعلنا فقال لي يا أبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة قلت: كريم الطرفين ويحجب المحارم والمظالم قلت نعم قال وشريف مسن قلت وشريف مسن قال السن والشرف ازرباه فقلت له كذبت ما ازداد سنا الا ازداد شرفا قال يا أبا سفيان انها كلمة ما سمعت احداً يقولها لي منذ تبصرت فلا تعجل علي حتى أخبرك قال قلت هات قال اني كنت اجد في كتيبي نديا يبعث من حرتنا هذه فكنت أظن بل كنت لا اشك اني أنا هو فلما دارست اهل العلم اذا هو من بني عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الامر غير عتبة بن ربيعة فلما أخبرني بسنه عرفت انه ليس به حين جاوز الاربعين ولم يوح اليه قال ابو سفيان ف ضرب الدهر ضربه فلوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت في ركب من قريش اريد اليمن في تجارة فمرت بأمية فقلت له كالمستهزىء به يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تمنعه قال أما انه حق فاتبه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني الا الاستحياء من نساء ثقيف إني كنت احدهن أني هو ثم يرتني قابلا للام من بني عبد مناف ثم قال أمية كأنني بك يا أبا سفيان قد خالفته ثم قد ربطت كما يربط الجدي حتى يؤتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد .

وقال عبد الرزاق: اخبرنا معمر عن الكلبي قال بينا أمية راقد ومعه ابنتان له اذ فرغت احدهما فصاحت عليه فقال لها ما شأنك قالت رأيت نسرين كشطاسقف البيت فنزل احدهما اليك فشق بطنك والآخر واقف على ظهر البيت فناده فقال أوعى قال نعم قال اذكي قال لا فقال ذاك خير اريد بأبيكما فلم يفعله وقد روى من وجه آخر بسباق آخر فقال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة^(١) وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها معجبا فقال لها ذات يوم يا فارعة هل يحفظين من شعر أخيك شيئا فقالت نعم وأعجب من ذلك ما قد رأيت قالت كان أخي في سفر فلما انصرف بدأني فدخل على فرقد على سريرى وأنا أخلق ادبما في يدي إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين فوق على الكوة احدهما ودخل الآخر فوق وقع عليه فشق الواقع عليه ما بين قصه الى عاتقه ثم ادخل يده في جوفه فاخرج قلبه فوضعه في كفه ثم شمه فقال له الطائر الآخر أوعى قال وعى قال اذكي قال أبي ثم رد القلب الى مكانه فالتأم الجرح اسرع من طرفه عين ثم ذهب فلما رأيت ذلك

(١) الذي في اسد الغابة والاصابة والاستيعاب بعد فتح الطائف.

دنوت منه فخر كته قلت هل نجد شيئاً. قال : لا إله إلا تو هينا في جسدی - وقد كنت ارتعبت مما رأيت -
فقال مالی أرا کی مرتاعة . قالت فاخبرته الخبر فقال خير أريد بی ثم صرف عني ثم انشأ يقول:

بانت همومي تسري طوارقها أكف عيني والدمع ساقها
بما أناني من اليقين ولم أوت براءة يقص ناطقها^(١)
أم من تظلي عليه واقدة لئلا يحيط بهم سرادقها
أم أسكن الجنة التي وعد السابرا مصفوفة نمارقها
لا يستوي المنزلان ثم ولا الأعمال لا تستوي طرائقها
ها فريقان فرقة تدخل الجنة حفت بهم حدائقها
وفرقة منهم قد أدخلت الدار فسادتهم مراققها
تعاهدت هذه القلوب إذا همت بخير عاقت عوائقها
وصدّها للشقاء عن طلبها جنة دنيا الله ما حقاها
عبد دعا نفسه فعاتبها يعلم أن البصير راقعها
مارغب النفس في الحياة وان نجى قليلاً فالمرت لاحتها
يوشيك من فر من منته يوماً على غرة يواقها
ان لم تمت غبطة تمت هراً للوت كأس والمرء ذاقها

قال ثم انصرف الى رحله فلم يلبث الا يسيراً حتى طعن في خيارته^(٢) فأتاني الخبر فانصرفت اليه فوجدته
منعوشاً قد سجي عليه فدنوت منه فشوق شقة وشوق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته . وقال : ليبيكا
ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، لا ذو مال فيديني ولا ذو أهل فتحميني . ثم أغنى عليه اذ شوق شقة فقلت قد
هالك الرجل . فشوق بصره نحو السقف ورفع صوته . فقال : ليبيكا ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، لا ذو براءة
فاعتذر ، ولا ذو عشيرة فاتصر . ثم أغنى عليه اذ شوق شقة وشوق بصره ونظر نحو السقف . فقال :
ليبيكا ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، بالنعم محفود وبالذنب محصور ، ثم أغنى عليه اذ شوق شقة . فقال : ليبيكا
ليبيكا ها أنا ذا لديكا

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيَّ عَبْدِكَ لَا أَلْمًا

ثم أغنى عليه اذ شوق شقة فقال:

كل عيش وان تطاول دهرًا صائر مرة^(٣) الى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدالي في قلل الجبال أرى الوعولا

(١-١) كذا في النسخين ولم يظهر لنا المعنى . (٢) في شعراء النصرانية : انتهى امره الى ان يزولا

قالت : ثم مات . فقال رسول الله (ص) : يا فارعة إن مثل أخيك كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها . الآية وقد تكلم الخطابي على غريب هذا الحديث . وروى الحافظ ابن عساكر عن الزهري انه قال قال أمية ابن أبي الصلت :

ألا رسول لنا منا يخبرنا . مابد غابتنا من رأس مجراننا (١)

قل ثم خرج أمية بن أبي الصلت الى البحرين وتبدأ رسول الله (ص) . واقام أمية ببحرين ثمانين سنين ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد بن عبد الله قالوا يزعم انه نبي هو الذي كنت تمنى . قال : فخرج حتى قدم عليه مكة فلقبه . فقال : يا ابن عبد المطلب ما هذا الذي تقول قال أقول : إني رسول الله وان لا إله إلا هو . قال : اني أريد أن أكلمك فعدني غداً قال فوعده غداً قال فتحب ان آتيك وحدي أو في جماعة من أصحابي وتأتيني وحدك أو في جماعة من أصحابك فقال رسول الله (ص) : أي ذلك شئت قال فآتي آتيك في جماعة فأت في جماعة قال فلما كان الغد غداً أمية في جماعة من قريش قال وغدا رسول الله (ص) معه نفر من أصحابه حتى جلسوا في ظل السكبة . قال : فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى اذا فرغ الشعر قال أجبن يا ابن عبد المطلب . فقال رسول الله (ص) : (بسم الله الرحمن الرحيم . يسن والقرآن الحكيم) حتى اذا فرغ منها وثب أمية يجري رجله قال فتبعته قريش يقولون ما تقول يا أمية قال اشهد انه على الحق . فقالوا : هل تتبعه قال حتى أنظر في أمره قال ثم خرج أمية الى الشام وقدم رسول الله (ص) المدينة فلما قتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدرًا ثم رحل يريد رسول الله (ص) . فقال قائل : يا أبا الصلت ما تريد ؟ قال أريد محمداً قال وما تصنع ؟ قال أؤمن به والقي اليه مقاليد هذا الأمر قال : أتدرى من في القلب ؟ قال لا قال : فيه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وهما ابنا خالك - وأمه ربيعة بنت عبد شمس - قال فجذع أذني ناقته وقطع ذنها ثم وقف على القلب يقول :

ما ذا يبدر فالفقه قل رب مرازيق جحاجح

القصيدة إلى آخرها كما سيأتي ذكرها بتامها في قصة بدر ان شاء الله . ثم رجع الى مكة والطائف وترك الاسلام . ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم وانشد شعره عند الوفاة :

كل عيش وان تطاول ذهرا صائر مرة الى أن يزولا
لينني كنت قبل ما قد بدا لي في للال الجبال أرمي الوعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر انت للدهر غولا
نائلاً ظفرها القساور والصدغان والطفل في المنار الشكيلا
وبنات النياف واليمقر النافروا العوهج البرام الضئिला

(١) في شعراء النصرانية : ألا نبي لنا منا فيخبرنا مابد غابتنا من رأس غحيانا

قوله: القساور جمع قسورة وهو الأسد. والصدعان ثيران الوحش واحدها صدع. والطفل الشكل من حمرة العين، والبغاث الرخم، والنياف الجبال، واليعفر الطي، والعوهج ولد النعامة. يعنى أن الموت لا ينجو منه الوحوش في البراري ولا الرخم الساكنة في رؤس الجبال ولا يترك صغيرا صغيره ولا كبيرا لكبره. وقد تكلم الخطابي وغيره على غريب هذه الأحاديث. وقد ذكر السهيلي في كتابه التعريف والاعلام: أن أمية بن أبي الصلت أول من قال باسمك اللهم، وذكر عند ذلك قصة غريبة وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب بن أمية والد أبي صفيان قال فمروا في مسيرهم بحية فقتلوا فلما امسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهن في قتل تلك الحية ومعهما قضيب فضربت به الأرض ضربة ففرت الابل عن آخرها فذهبت وشردت كل مذهب وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردها فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا فضربت الأرض بقضيبها ففرت الابل فذهبوا في طلبها فلما أعيام ذلك قالوا والله هل عندك لما نحن فيه من مخرج فقال لا والله ولكن سأنظر في ذلك قال فمروا في تلك الحلة لهم لم يجدوا أحدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء اذا نار تلوح على بعد فخلوها فلما شيوخ على باب خيمة بوعد نارا واذا هو من الجان في غاية الضلالة والدمامة فسلموا عليه فسلمهم عما هم فيه فقال اذا جاءكم فقل بسمك اللهم فاتمها تهرب فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة والرابعة قال في وجهها أمية بسمك اللهم فشردت ولم يقر لها قرار لكن عدت الجن على حرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية فقبزه اصحابه هنالك حيث لا جار ولا دار ففي ذلك يقول الجان:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وذكر بعضهم: انه كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات الحيوانات فكان يمر في السفر على الطير فيقول لا صحابه: إن هذا يقول كذا وكذا فيقولون لا نعلم صدق ما يقول حتى مروا على قطع غنم قد انقطعت منه شاة ومها ولدها فلنفتت اليه فتفت كأنها تستعته. فقال: اندرون ما تقول له قالوا لا قال انها تقول أسرع بنا لا يجرى الذئب فإنا كلك كما أكل الذئب أخاك عام أول فأسرعوا حتى سألوا الراعي هل أكل له الذئب عام أول حملا بتلك البقرة فقال نعم. قال: وما يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه إليها ويرغو. فقال: انه يقول لها انك رحلتني وفي الحداجة مخيط فانزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرجل فاذا فيه مخيط كما قال

وذكر ابن السكيت: ان أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوما إذ نعب غراب. فقال: له بفيك التراب مرثين. فقيل له ما يقول؟ فقال: انه يقول إنك تشرب هذا الكأس الذي في يدك ثم تموت. ثم نعب الغراب فقال انه يقول وآية ذلك أني أنزل على هذه المازلة فأكل منها فيمعلق عظم في حلقى فأموت. ثم نزل الغراب على تلك المازلة فأكل شيئا فمعلق في حلقه عظم فأت. فقال: أمية أما هذا فقد صدق في

نفسه ولكن سأنظر هل صدق في أم لا ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده ثم اتكأ فأت . وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم

فقال الامام أحمد : حدثنا روح حدثنا زكرياء بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن ميسرة أنه سمع عمرو بن الشريد يقول قال الشريد كنت ردقا لرسول الله (ص) فقال لي : أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قالت نعم ! قال فأنشدني فأنشدته بيتا فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتا أبه حتى أنشدته مائة بيت قال ثم سكت النبي (ص) وسكت وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبي تميم بن ميسرة به . ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي (ص) وفي بعض الروايات فقال رسول الله أن كاد يسلم . وقال يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن سماك بن حرب عن عمرو بن نافع عن الشريد الهمداني وأخواله ثقيف قال خرجنا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع فبينما أنا أمشي ذات يوم إذا وقع ناقة خلفي فإذا رسول الله (ص) فقال الشريد فقلت نعم : قال إلا أحملك فقلت بلى وما من إعياء ولكني أردت البركة في ركوبتي مع رسول الله (ص) فاناخ فحمانى فقال : أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت ؟ قلت نعم ! قال هات فأنشدته قل أظنه قال مائة بيت فقال عند الله علم أمية بن أبي الصلت ثم قل ابن صاعد هذا حديث غريب فلما الذي يروي أن رسول الله (ص) قال في أمية آمن شعره وكفر قلبه فلا أعرفه والله أعلم وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبي شيبة - حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله (ص) صدق أمية في شيء من شعره قال :

زحلٌ ونورٌ تحتَ رجلٍ يمينه والنَّسرُ للأخري وليثٌ مرصد
والشمس تبْدو كلَّ آخرٍ ليلةٍ حمراءُ يُصبحُ لونها يتورّد
نأبي فما تَطْلُعْ لنا في رِسامها إلا معذبةٌ وإلا تجلّد

فقال رسول الله (ص) صدق . وفي رواية أبي بكر الخدلي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : إن الشمس لا تطلع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقول لها اطلعي اطلعي فتقول لا أطلع على قوم يبدونني من دون الله فإذا همت بالطلع أتاها شيطان يريد أن يثبطها فتطلع بين قرنيه وتحرقه فإذا تضيئت للغروب عزمت لله عز وجل فيأتيها شيطان يريد أن يثبطها عن السجود فتغرب من قرنيه وتحرقه . أورده ابن عساكر مطولا . ومن شعره في حملة العرش :

فمن حامل إحدى قوائم عرشه ولولا إله الخلق كلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانوا تحته فرائضهم من شدة الخوف ترعد
رواه ابن عساكر وروى عن الأصمعي أنه كان ينشد من شعر أمية :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق الذ سام وسوى فوق السماء سريرا
شرحنا^(١) يناله بصر العيب من ترى دونه الملائك صورا

ثم يقول الأصمعي: الملائك جمع ملك والصور جمع أصور وهو المائل العنق هؤلاء حملة العرش.
ومن شعر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان النبي

أذكر حاجتي أم قد كفاي حياؤك إن شيمتك الحياة
وعلمك بالحقوق وانت فرع لك الحسب المهذب والسناه
كريم لا يفيره صباح عن الخلق الجليل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا إذا ما الكلب أحجره الشتاء
وارضك أرض مكرمة بثها بنوتهم وانت لها سما
إذا أتني عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

وله فيه مدائح أخر . وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من السكراء الاجواد المدحجين المشهورين
وكان له جفنة يأكل الراكب منها وهو على بديره من عرض حاقها وكثرة طعامها ، وكان يملأها لباب
البر يلبك بالشهد والسمن ، وكان يعتق الرقاب ويمين على النواصب وقد سألت عائشة النبي (ص) ، أينفعه
ذلك ؟ فقال انه لم يقل يوما من الدهر (رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) ومن شعر أمية البديع :

لا يكتنون الارض عند سؤا لهم كتطلب العلات بالبيدان
بل يسفزون وجوههم فترى لها عند السؤال كأحسن الألوان
واذا المقل أقام وسط رحا لهم ردوه رب صواهلهم وقبان
واذا دعوتهم لكل ملته سدوا شماع الشمس بالفرسان

آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت .

بحر الرهب

الذي توسم في رسول الله (ص) النبوة وهو مع عمه أبي طالب حين قدم الشام في تجار من أهل
مكة وعمره إذ ذاك اثني عشرة سنة فرأى الغامة تظله من بينهم . فصنع لهم طعاما ضيافة واستدعاهم كما

سيأتي بيان ذلك في السيرة وقد روى الترمذى في ذلك حديثاً بطنا الكلام عليه هنالك وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات في ترجمة بحيرا ولم يورد ما رواه الترمذى وهذا عجب وذکر ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر^(١) بينها وبين بصرى ستة أميال وهى التى يقال لها (دير بحيرا) قال ويقال: انه كان يسكن قرية يقال لها منفعة بالبقاء وراء زيرا والله أعلم.

ذكر قس بن ساهرة الليثى

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتاب هو اتف الجان: حدثنا داود القنطرى حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو عبد الله المشرقى عن أبي الحارث الوراق عن ثور بن يزيد عن مورك المجلى عن عبادة بن الصامت . قال : لما قدم وفد اباد على النبي (ص) قال : يا معشر وفد اباد ما فعل قس بن ساعدة الايادى . قالوا : هلك يا رسول الله . قال : لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جبل أحر يتكلم بكلام معجب موق لا أجدرنى أحفظه . فقام اليه اعرابي من أقاصى القوم فقال : أنا أحفظه يا رسول الله . قل : فسر النبي (ص) بذلك قال : فكان سوق عكاظ على جبل أحر وهو يقول : يا معشر الناس اجتمعوا فكل من فات فات، وكل شئ آت آت، ليس داج، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تزهز، وجبال مرسية، وأنهار مجرية، ان فى السماء ظهرا، وان فى الارض لعبرا، ما لى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالاقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا . أقسم قس بالله قسلا لا ريب فيه . ان لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا ثم أنشأ يقول :

فى الذاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الا صغر والأكبر
لا من مضى يأتى اليك ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محال لحيث صار القوم صائر

وهذا اسناد غريب من هذا الوجه وقد رواه الطبرانى من وجه آخر فقال فى كتابه المعجم الكبير: حدثنا محمد بن السرى بن مهران بن الناقدا البغدادى حدثنا محمد بن حسان السهمى حدثنا محمد بن الحجاج عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس. قال : قدم وفد عبد القيس على النبي (ص) فقال : أيكم

(١) كذا فى الأصلين . وفى معجم البلدان : كفرية من قرى الشام . ولم نثر على (المنفعة ، وزيرا) فى معاجم الأمكنة .

يعرف القس بن ساعدة اليايى. قولوا: كلنا يعرفه يارسول الله. قال: فافعل؟ قالوا هلك قال فما أنساه بمكاظ في الشهر الحرام وهو على جبل أحمر وهو يخطب الناس وهو يقول: يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. إن في السماء خبراً، وإن في الأرض لخبيراً، مهاده موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور. وأقسم قس قسماً حقاً لئن كان في الأمر رضى لىكون بعده منخط. إن لله لديناً هو أحب إليه من دينكم الذى أتم عليه. مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون. أرضوا بالمقام فأقاموا. أم تركوا فناموا. ثم قال رسول الله (ص): أفيسكم من روى شعره؟ فأنشده بعضهم:

فى الذاهبين الأولي من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها يسى الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقيين غابر
أيقنت أنى لا محال لتحيث صار القوم صائر

وهكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق محمد بن حسان السلمي به. وهكذا رويناه في الجزء الذى جمعه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في أخبار قس قال حدثنا عبد الكريم بن الهيثم الديري عن قول عن سعيد بن شبيب عن محمد بن الحجاج عن إبراهيم الواسطي عن زيل بغداد ويعرف بصاحب الفريسة. وقد كذبه يحيى بن معين وأبو حاتم الرازي والدارقطني وأتبعه غير واحد منهم ابن عدى بوضع الحديث وقد رواه البزار وأبو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا ورواه ابن درستويه وأبو نعيم من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس وهذه الطريق أمثل من التى قبلها وفيه إن أبا بكر هو الذى أورد القصة بكلمة نظمتها ونثرها بين يدي رسول الله (ص): ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث أحمد بن موسى بن اسحاق الخطمي. حدثنا علي بن الحسين بن محمد الخزومي حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس. قال قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله (ص). فقال لهم: ما فعل حليف لكم يقال له قس بن ساعدة اليايى وذكر القصة مطولة. وأخبرنا الشيخ المسند الرحلة أحمد بن أبي طالب الحجار بإجازة أن لم يكن سمعاً قال أجاز لنا جعفر بن علي الهمداني قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفى سمعاً وقرأت على شيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن أبي بكر الخلال سمعاً قال أنا جعفر بن علي سمعاً قال أنا السلفى سمعاً أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السمدى أنا أبو القاسم عبيد الله

ابن احمد بن علي المقرئ - حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي قال حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن احمد السعدي - قاضي فارس - حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من أهل حران حدثنا أبو عمرو سعيد بن يربع عن محمد بن اسحاق حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال : كان الجارود بن المعل بن حنش بن مولى العبدى نصرانياً حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها عالماً بسير الفرس وأقوالها بصيراً بالفلسفة والطب ظاهر الدهاء والأدب كامل الجمال ذا ثروة ومال وانه قدم على النبي (ص) وأقداً في رجال من عبد القيس ذوى اراء وامنان وفصاحة ويان وحجج وبرهان فلما قدم على النبي (ص) وقف بين يديه وأشار اليه وأنشأ يقول :

يا نبيّ الهدى أتتك رجالاً قطعت فدفداً وآلا فالأ
وطوت نحوك الصحاح نهوى لامتد الكلال فيك كلالا
كل بهما قصر الطرف عنها أرقنها قسلاً صنا ارقالا
وطونها العناق يجمع فيها بكاء كنجم تنللا
تبغني دقع بأس يوم عظيم هائل أوجع القلوب وهالا
ومزادا لمحشر الخلق طراً وفراقاً لمن تهادى ضلالا
نحو نور من الاله ويرها نـ وروى نعمتي أن تنالا
خضك الله يا ابن أمانة يربها اذ أنت سجلا سجلا
فاجعل الحظ منك يا حجة الا مجزئلاً لاحظ خلف أحالا

قال فاذناه النبي (ص) وقرب مجلسه وقال له . يا جارود لقد تأخر الموعد بك وبقومك . فقال الجارود : فذاك أبي وأمي أما من تأخر عنك فقد فاته حظه وتلك أعظم حوبة واغلظ عقوبة وما كنت فيمن رأك أو سمع بك فمعداك واتبع سواك واني الآن على دين قد علمت به قد جئتكم وها أنا تارك لدينك أفذلك مما يحص الذنوب والمآثم والحبوب؟ ويرضى الرب عن المربوب فقال له رسول الله (ص) : أنا ضامن لك ذلك واخلص الآن لله بالواحدنية ودع عنك دين النصرانية . فقال الجارود : فذاك أبي وأمي مديك فانا اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد انك محمد عبده ورسوله . قال : فاسلم واسلم معه اناس من قومه فسر النبي (ص) . باسلامهم ، واظهر من اكرامهم ماسروا به وابتهجوا به . ثم اقبل عليهم رسول الله (ص) . فقال : أفياكم من يعرف قس بن ساعدة الايادي فقال الجارود فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه واني من بينهم لما لم يخبره واقف على أمره كان قس يارمول الله سبطاً من أسباط العرب عمر ستمائة سنة تقفر منها خمسة أعمار في البراري والقفار يضج بالتسبيح على مثال المسيح لا يقره قرار ولا تكنه دار ولا يستمتع به جار . كان يلبس الامساح ويفوق السباح ، ولا يفتر من رهبانيته يتحصى في سياحته يرض النعام

ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالظلام ، يبصر فيمتبر ، ويفكر فيختبر ، فصار لذلك واحداً تضرب بمحكمة
الامثال ، وتكشف به الاحوال . أدرك رأس الحوار بين سمعان ، وهو أول رجل تأله من العرب ووحده ،
وأقر وتعبده ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذر سوء المآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، ووعظ بالموت وسلم
بالقضاء ، على السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، وندب بالاشمار ، وفكر في الاقدار ، وأنبا
عن السماء والتماء ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثار ، وأخطب راكباً ، ووعظ
دائماً ، وحذر من الكرب ، ومن شدة الغضب ، ورسّل الرسائل ، وذكر كل هائل ، وأرغم في خطبه ،
وبين في كتبه ، وخوف الدهر ، وحذر الأزر ، وعظم الأمر ، وجنب الكفر ، وشوق الى الخيرية ، ودعا
الى اللاهوتية . وهو القائل في يوم عكاظ : شرق وغرب ، ويتم وحزب ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ،
واجاج وعذب ، وشموس واقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وأنث وذكور ، وبرار وبحوز ،
وحب ونبات ، وآباء وأمّهات ، وجمع واشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر واعدام ،
ورب واصنام ، لقد ضل الانام ، نشوء ولود ، وواد مفقود ، وتربية محصود ، وقير وغنى ، ومحسن
ومسى ، تبا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليقتدن الآمل امه ، كلا بل هوإله واحد ، ليس
بمولود ولاوالد ، أعاد وابدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والاولى . أما بعده :
فيا مشر إباد ، ابن نمود وعاد ؟ وابن الآباء والأجداد ؟ وابن العلبل والمواد ؟ كل له معاد يقسم قس
رب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الافراد ، في يوم التناد ، إذا فسخ في الصور ، وقر في
الناقور ، واشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ القانط وابصر اللاخط ، فويل لمن صدف عن
الحق الاشهر ، والنور الازهر ، والمرض الاكبر ، في يوم الفصل ، وميزان المدل ، إذا حكم القدير ،
وشهد النذير ، وبعد النصير ، وظهر التقصير ، ففريق في الجنة وفريق في السعير . وهو القائل :

ذكر القلب من جواه اذكأر وليال خلاهن نهار
وسجال هواطل من غمام ثرن ماء وفي جواهن نلار
ضوءها يطمس العيون وأرعا دشداد في الخافقين تطار
وقصور مشيدة حوت الخ ير واخرى خلت بهن قفار
وجبال شوامخ راسيات وبحار مياهن غزار
ونجوم تلوح في ظلم اللي ل نراها في كل يوم تدار
ثم شمس يحنها قر الية ل وكل متابع موآر
وصغير وأشمت وكبير كلهم في الصعيد يوما مزار
وكبير مما يقصر عنه حدسه الخاطر الذي لا يحار

فألقى قد ذكرت دله على إلا ه فوساً لها هدى واعتبار

قال: فقال رسول الله (ص): «مهما تبيت فلت انشاء بسوق عكاظ، واقفاً على جبل احمر يخطب الناس: اجتمعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فموا، وإذا وعيتم فانتفوا، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا، من غاش ملت، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، واحياء وأموات، ليل داج، وسما ذات أبراج، ونجوم تزهّر، وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وآثم، إن في السماء خبراً، وإن في الأرض عبراً، يحار فيه البصرا، مهاد وضوء، ومقف سرفوح، ونجوم تنور، وبحار لا تنور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد السطاس، ووزن القسطاس. أقسم قس قسماً، لا كاذباً فيه ولا آثماً، إني كان في هذا الأمر رضى، ليكونن سخط. ثم قال: أيها الناس إن الله ديناً هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه وهذا زمانه وأوانه. ثم قال: أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، ارضوا بالمقام فاقاموا؟ أم تركوا فناموا. والتفت رسول الله (ص): إلى بعض أصحابه فقال: أيكم يروى شمره لنا؟ فقال أبو بكر الصديق: فذاك أبي وأمي أنا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول:

في الذاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً لدوت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمشى الأصغر والاكبر
لا يرجع الماضي السى ولا من الباقيين غير
أيقنت أنى لا محال لحيث صار القوم صائر

قال: فقام إلى رسول الله (ص). شيخ من عبد القيس عظيم الهامة، طويل القامة، بعيد ما بين المنكبين فقال: فذاك أبي وأمي وأنا رأيت من قس عجبا. فقال له رسول الله (ص): «ما الذى رأيت يا أخا بني عبد القيس؟ فقال: خرجت في شبيتي أربع بغير أنى ندغى أفقو أثره في تائف قفاف ذات ضفائيس وعرصات جشعات بين صدور جذعان، وغير حوذان، ومهم ظلمان، ورصيع لبهقان، فبينما أنا في تلك العلوات أجول بسببها وارتق فدفدها إذا أنا بهضبة في نضراتها أراك كبات مخضوضلة وأغصانها متهدلة كأن بربرها حب الفلفل وبواسق اقحوان، وإذا بين خراة وروضة مدهامة، وشجرة عارمة، وإذا أنا بقس بن ساعدة في أصل تلك الشجرة وبيده قضيب. فدنوت منه وقلت له: أفعم صباحاً فقال: وانت فعم صباحك! وقد وردت العين سباع كثيرة فكان كلما ذهب سبع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالقضيب الذى بيده. وقال: اصبر حتى يشرب الذى قبلك فذعرت من ذلك ذعراً شديداً، ونظر إلى فقال لا تخف. وإذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان؟ القبران؟ قال قبرا أخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع فانا مقيم بين قبريهما عبد الله حتى الحق بهما. فقلت له: أفلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وقباينهم على

شرهم؟ فقل لي : نسكنك أمك أو ماعلت أن ولد اسماعيل تركوا دين أبيهم واتبعوا الأضداد وعظموها
الانداد ثم أقبل على القبرين وانشأ يقول :

خليلٌ هباً طالما قد رقدتما أجداً كما لا تقضيان كراً كما
أرى النومَ بين الجلد والعظم منكما كأنَّ الذي يسقي العقارَ سقاً كما
أمن طولِ نومٍ لا تُجيبان داعياً كأنَّ الذي يسقي العقارَ سقاً كما
ألم تعلمَا أيَّ بنجرانٍ مفرداً ومالي فيه من حبيبٍ سوا كما
مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحاً إيابَ الليالي أو يجيبُ صداً كما
أأبكيكما طولَ الحياة وما الذي برّد على ذي لوعةٍ أن بكاً كما
فلو جُعلتُ نفسٌ لنفسي أمرى وندىً لجلدتُ بنفسي أن تكونَ فداً كما
كأنكما الموتَ أقربُ غايَةً بروحي في قبريكما قد أنما كما

قال قتال رسول الله (ص) : رحم الله قساً أما إنه سيبعث يوم القيامة امة واحدة . وهذا الحديث
غريب جداً من هذا الوجه وهو مرسل الا ان يكون الحسن سمعه من الجارود والله أعلم .

وقد رواه البيهقي : والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد بن عيسى بن محمد
ابن سعيد القرشي الاخباري ثنا أبي ثنا علي بن سليمان بن علي عن علي بن عبد الله عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما . قال : قدم الجارود بن عبد الله ^(١) فذكر مثله أو نحوه . طويلاً بزيادات كثيرة : في نظمه
ونثره ، وفيه ما ذكره عن الذي ضل بعبده فذهب في طلبه قال فبت في واد لا آمن فيه جتني ، ولا أركن
إلى غير سبني ، أرقب الكوكب ، وأرقم الغيب ، حتى إذا الليل عسعس ، وكاد الصبح أن يتنفس ،
هتف بي هاتف يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأجم قد بعث الله نبياً في الحرَم
من هاشم أهل الوفاء والكرم يجلو دجيات الدياجي والبهَم
قال فلدت طر في قماريت له شخصاً ولا سمعت له فصاً ، قال فانشأت أقول :
يا أيها الهاتف في داجي الظلم أهلاً وسهلاً بك من طيفِ ألم
بين مداك الله في لحن الحكيم ماذا الذي تدعو إليه يُغتم

قال فاذا أما بنحنحة وقتلا يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً بالمجور ، صاحب النجيب
الاحمر ، والتاج والمنغر ، والوجه الازهر ، والحاجب الاقر ، والطرف الاحور ، صاحب قول شهادة
أن لا اله الا الله وذلك محمد المبعوث إلى الاسود والابيض أهل المدر والوبر ثم انشأ يقول :

(١) تقدم : انه الجارود بن المولى واختلف في اسم أبيه كما في أسد الغابة وليس في آبائه عبد الله فليمنظر

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثاً
لم يخلقنا يوماً سدى من بعد عيسى واكثر
أرسل فينا أحداً خيراً نبياً قد بُعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحش

وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

يا ناعي الموت والملحود في جدثٍ عليهم من بقايا قولهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم فهم إذا اتبعوا من نومهم أرقوا
حتى يهودوا بحالٍ غير حالهم خالقاً جديداً كما من قبله خلّقوا
منهم عذرة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

ثم رواد البيهقي عن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أحمد الاسبهاني حدثنا أبو بكر أحمد بن سعيد
ابن فرضخ الاحمسي بمكة ثنا القاسم بن عبد الله بن مهدي ثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن
الحزومي ثنا سيفان بن عينة عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر
الانشاد قال فوجد واعبد رأسه صحيفة فيها :

يا ناعي الموت والاموات في جدثٍ عليهم من بقايا نومهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما تنبئه من نوماته الصبيح
منهم عذرة وموت في ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق

فقال رسول الله (ص) : والذي بشئ بالحق لقد آمن قس بالبعث . واصله مشهور وهذه الطرق على
ضمها كالتعاضدة على اثبات أصل القصة وقد تكلم أبو محمد بن درستوية على غريب ما وقع في هذا
الحديث وأكثره ظاهر إن شاء الله تعالى وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه في الحواشي^(١)

وقال البيهقي : أنا أبو سعيد بن محمد بن أحمد الشيعي ثنا أبو عمرو بن أبي طاهر الحمد آباذي لفظاً
ثنا أبو لبابة محمد بن المهدي الاموردي^(٢) ثنا أبي ثنا سعيد بن هبيرة ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن انس
ابن مالك قال قدم وفد اباد على النبي (ص) فقال : ما فعل قس بن ساعدة اقالوا هلك . قال أما اني سمعت
منه كلاماً أرى اني احفظه فقال بعض القوم نحن نحفظه يا رسول الله . قال هاتوا : فقال قائلهم اني واقف بسوق
عكظ فقال : يا أيها الناس استمعوا واسمعوا وعواء كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هوات
آت ، ليل داج ، وسماء ذات ابراج ، ونجوم تزهو ، وبحار تزخر ، وجبال مرسية وانهار تجريبة إن في السماء
نخبراً ، وإن في الارض لعبراً ، أرى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا بالاقامة فاقاموا ، أم تركو فناموا ، أقسم

(١) لم تصل إلينا هذه الحواشي التي نبه عليها المصنف في النسخ التي بأيدينا . (٢) كذا في الاصلين

قس قسا بالله لا آثم فيه ، إن لله ديناً هو أرضى مما أنتم عليه ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الاوا بين من القرون لنا بصائر
لا رأيت مصارعاً للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمشى الاكابر والاصاغر
أيقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

ثم ساقه البيهقي من طرق أخر قد نبهنا عليها فيما تقدم ثم قال بعد ذلك كله وقد روى هذا الحديث عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بزيادة وقصان . وروى من وجه آخر عن الحسن البصري متقطعاً وروى مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة . قلت : وعادة بن الصامت كما تقدم وعبد الله بن مسعود كما رواه أبو نعيم في كتاب الدلائل عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي عن أبي الوليد طريف بن عبيد الله مولى علي بن أبي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الحناني عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فذكره . وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبي وقاص . ثم قال البيهقي وإذا روى الحديث من أوجه أخر وإن كان بعضها ضعيفاً دل على أن للحديث أصلاً والله أعلم

زبير بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزيز بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي القرشي المدوي . وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه . وذلك لأن عمرو ابن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه وكان لها من نفيل أخوه الخطاب قاله الزبير بن بكار ومحمد ابن اسحاق . وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الاوثان وفارق دينهم وكان لا يأكل الا ما ذبح على اسم الله وحده قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما اصبح احد منكم على دين ابراهيم غيري . ثم يقول : اللهم اني لو أعلم أحب الوجوه اليك عبدتك به ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحلته وكذا رواه أبو اسامة عن هشام به وزاد وكان يصلي الى الكعبة ويقول إلهي إله ابراهيم ، ودينى دين ابراهيم . وكان يحبي المؤودة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها ادفنها الى اكفلها فاذا ترعرعت فان شئت فخذها وان شئت فادفنها . أخرجه النسائي من طريق أبي أسامة وعلقه البخاري فقال : وقال الليث كتب الى هشام بن عروة عن أبيه به وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق : وقد كان نفر من قريش زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل بن أسد بن

عبدالمزى وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبدالمزى وعبدالله بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن برة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسعد بن اسد بن خزعة . وأمه أميمة بنت عبدالمطلب . واخته زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله (ص) . بعد مولاه زيد بن حارثة كما سيأتي بيانه . حضروا قريشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك نفر الى بعض وقالوا تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض . فقال قائلهم تعبدن والله ما قومكم على شيء . لقد أخطوا دين إبراهيم وخالفوه ما وثن يعبد ؟ لا يضر ولا ينفع فابتغوا لانفسكم فخرجوا يطلبون ويسيرون في الارض يلتمسون أهل كتاب من اليهود والنصارى والممل كلها . الحنيفة دين إبراهيم ، فلما ورقة بن نوفل فتنصر واستحكم في النصرانية وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب ولم يكن فيهم أعبد امراً وأعدل ثباتاً من زيد بن عمرو بن نفيل اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والممل كلها إلا دين الحنيفة دين إبراهيم يوحد الله ويخلص من دونه ولا يأكل ذبائح قومه فاذا هم بالفراق لما هم فيه . قال : وكان الخطاب قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة ووصل به الخطاب شباباً من قريش وسفهاء من سفهائهم فقال لا تركوه يدخل فمكان لا يدخلها إلا سراً منهم فاذا علموا به أخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم أو يتابعه أحد إلى مله عليه . وقال موسى بن عقبة سمعت من أرضي يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأبنت لها من الأرض لم تذبحوها على غير اسم الله . انكاراً لذلك واعظاماً له ؟ وقال يونس عن ابن اسحاق وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة فضرب في الأرض يطلب الحنيفة دين إبراهيم وكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلها أبصرته قد نهض للخروج وأرادته أدنت الخطاب بن نفيل فخرج زيد إلى الشام يلتمس وطلب في أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ويسأل عنه ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها حتى أتى راهباً بيعة من أرض البلقاء كان ينتهي اليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفة دين إبراهيم فقال له الراهب إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه ، ولكنه قد أظلم خروج نبي وهذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها فخرج سريماً حين قال له الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا كان بارض نخع عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة برثيه :

رشدت وأسمت ابن عمرو وإنما	فجئت تنوراً من النار حامياً
بدينك رباً ليس ربك كيتله	ونزكك أو ثل الطواغي كاهياً
وقد تُدرك الانسان رحمة ربه	ولو كان تحت الأرض ستينا وادياً ^(١)

(١) كذا في الحلية ، وفي الازهرية (ستين)

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : حدثنا أحمد بن طارق الوابشي ثنا عمرو بن عطية عن أبيه عن ابن عمر عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتأله في الجاهلية فانطلق حتى أتى رجلاً من اليهود فقال له أحب أن تدخلني ملك في دينك . فقال له اليهودي لا أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيتك من غضب الله . فقال من غضب الله أفر . فانطلق حتى أتى نصرانياً فقال له أحب أن تدخلني ملك في دينك ، فقال لست أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيتك من الضلالة . فقال من الضلالة أفر . قال له النصراني فأتى أدلك على دين إن تبعته اهتديت . قال أي دين ؟ قال دين إبراهيم قال فقال اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم عليه أحيى وعليه أموت . قال فذكر شأنه للنبي (ص) ، فقال : هو أمة وحده يوم القيامة . وقد روى موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر نحوه هذا وقال محمد بن سعد حدثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف القرشي عن اسماعيل عن مجاهد عن الشعبي عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال قال زيد بن عمرو بن نفيل : شامت اليهودية والنصرانية فكرهتهما فكنت بالشام وما والاها حتى أتيت راهباً في صومعة فذكرت له اغترابي عن قومي وكرهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية . فقال له : أراك تريد دين إبراهيم يا أخا أهل مكة أنك لتطلب ديننا ما يوجد اليوم (أحد دين) به وهو دين أبيك إبراهيم كان حنيفاً لم يكن يهودياً ولا نصرانياً كان يصلي . ويسجد إلى هذا البيت الذي يبلدك فخلق يبلدك فإن الله يبعث من قومك في بلدك من يأتي بدين إبراهيم الحنيفية وهو أكرم الخلق على الله . وقال يونس عن ابن إسحاق حدثني بمض آل زيد بن عمرو بن نفيل : إن زيدا كان إذا دخل الكعبة قل لييك حقا حقا ، فعبداً ورقاً ، عذت بما عاذ به إبراهيم وهو قائم ، إذ قال الهى اننى لك عان راغم ، مهما نجشمتنى فأتى جاشم ، البرأبني لا انحال ، ليس مهجر كن قال . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي عن أبيه عن جده أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ فقال من بنية إبراهيم ، فقال وما تلتس قل التمس الدين قل ارجع فانه يوشك أن يظهر في أرضك . قال

فأما ورقة فتنصر وأما أنا فزمت على النصرانية فلم يوافقني فرجع وهو يقول :

لييك حقاً حقا فعبداً ورقاً البرأبني لا انحال فهل مهجر كن قال (١)

أمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول : اننى لك عان راغم ، مهما نجشمتنى فأتى جاشم ، ثم يخر فيسجد قال وجاء ابنه يعني سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن أبى كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له ، قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة واحدة . قال وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله (ص) ومعه زيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة لهما ، فدعواهما لطعامهما فقال زيد بن عمرو : يا ابن

(١) في هامش الحلبية : المهجر من المهجر وهى شدة الحر . وقال : من القيلولة .

أخى أنا لا آكل مما ذبح على النصب. وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن ميسرة عن ابن أبي مليكة عن حجر بن أبي أهاب. قال: رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد مارجع من الشام وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل للكعبة فصلى ركعة سجدة ثم يقول هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجراً ولا أصلي له ولا آكل ما ذبح له ولا استقسم الأضلام وإنما أصلي لهذا البيت حتى أموت. وكان يحج فيقف بعرفة، وكان يلبي فيقول: لبيك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من عرفة ماشياً وهو يقول لبيك متعبداً مرفوقاً.

وقال الواقدي: حدثني علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن عمرو ابن نفيل يقول: أنا انتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أو من به واصدقه واشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيت فآقرته مني السلام وسأخبرك ما فعلته حتى لا يخفى عليك قلت: هلم! قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليست تفارق عينه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحد وهذا البلد مولده ومبثته ثم يخرجهم قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فإياك أن تخدع عنه فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين وراءك وينتونه مثل ما فعلته لك ويقولون لم يبق نبي غيره. قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله (ص)، قول زيد بن عمرو وأقرانه منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيته في الجنة يسحب ذيو لا

وقال البخاري في صحيحه: ذكر زيد بن عمرو بن نفيل. حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر أن النبي (ص)، لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلح قبل أن ينزل على النبي (ص)، الوحي فقدمت إلى النبي (ص)، سفرة فإني أن يأكل منها. ثم قال زيد إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وإن زيد بن عمرو يصيب على قریش ذمانهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله انكاراً لذلك واعظا له.

قال موسى بن عقبة: وحدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه إلا يحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فإني عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال إني لعل أن أدب دينكم فأخبرني، فقال إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله قال زيد وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئاً ولا أستطيعه فهل تداني على غيره؟ قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف؟ قال دين إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فخرج زيد فإني عالماً من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من

على غيره قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قال وما الحنيف؟ قال دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يمسد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم إني أشهدك إني على دين إبراهيم . قال وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مستنداً ظهره إلى الكعبة يقول يامعشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري وكان يجي المؤودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنه لا تقتلها أنا أ كفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لا بها إن شئت دفنها إليك وإن شئت كفيك مؤنتها انتهى ما ذكره البخاري

وهذا الحديث الأخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى ابن حماد عن الليث عن هشام عن أبيه عن أسماء قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مستند ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قريش إياكم والزنا فانه يورث الفقر . وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديث غريبة جداً وفي بعضها نكارة شديدة . ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله (ص) انه قال : يبعث يوم القيامة أمة واحدة . فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال سئل رسول الله (ص) عن زيد بن عمرو بن نفيل انه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول الهي اله إبراهيم ودينى دين إبراهيم ويسجد . فقال رسول الله (ص) يحشر ذاك أمة وحده ينفى وبين عيسى بن مريم . أسنده جيد حسن . وقال الواقدي : حدثني موسى بن شيبة عن خارجة ابن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال توفي وقريش تبني الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله (ص) بخمسين سنين ، ولقد نزل به وانه ليقول انا على دين إبراهيم فاسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله (ص) وأتى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله (ص) فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : غفر الله له ورحمه فانه مات على دين إبراهيم قال فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم الا ترحم عليه واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيب رحمه الله وغفر له . وقال محمد بن سعد عن الواقدي حدثني زكريا بن يحيى السعدي عن أبيه قال مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن باصل حراء ، وقد تقدم انه مات بمرض البلقاء من الشام لما عدا عليه قوم من بني نلهم فقتلوه بمكان يقال له ميفة والله أعلم .

وقال الباغندي عن أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين . وهذا اسناد جيد وليس هو في شيء من الكتب . ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ما قدمناه في بدء الخلق من تلك القصيدة إلى الله أهدي يذحي وثائباً وقولاً رضىً لا يني الدهر باقياً

الى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا
وقد قيل إنها لامية بن أبي الصلت والله أعلم . ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن اسحاق
والزبير بن بكار وغيرهما :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخرًا يتحالا
دحاها فلما استوت شداها	سواء وأرسي عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذابًا زلالا (١)
إذا هي سبقت الى بلدة	أطاعت فصبت عليها سجالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الريح تُصرف حالًا خالا

وقال محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة قال روى أبي أن زيد بن عمرو قال :

أربّ واحد أم ألف ربّ	أدين إذا تقسمت الامور
عزلت اللات والعزى جميعاً	كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتها	ولا صنعي بني عمرو أزود
ولا غنماً أدين وكان رباً	لنا في الدهر إذ جلبي يسير
عجبت وفي الليالي مُعجبات	وفي الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا	كثيراً كان شأنهم الفجور
وابقى آخرين بغير قوم	فيربل (٢) منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يغرّ ثلب يوماً	كما يتروح الفصن النضير
ولكن أعبد الرحمن ربي	ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم أحفظوها	متى ما تحفظوها لا تبوروا
تري الأبرار دارهم جنات	والكفار حامية سمير
وخزي في الحياة وإن يموتوا	بلاقوا ما تضيق به الصدور

هذا تمام ما ذكره محمد بن اسحاق من هذه القصيدة. وقد رواه أبو القاسم البغوي عن مصعب بن
عبدالله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء
بنت أبي بكر قالت قال زيد بن عمرو بن نفل :

عزلت الجنت والجنتان عني	كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتها	ولا صنعي بني طسم أدبر

(١) هذا البيت عن المصرية (٢) كذا فيربل بمعنى ينمو . وهي رواية ابن هشام .

ولا غنا أدبٌ وكان رباً
أرباً واحداً أم ألف رب
ألم تعلم بأن الله أفنى
وإبقى آخرين ير قوم
ويتنا المرء يصنر قلب بوما
لنا في الدهر إذ حلبي صغير

قال قال ورقة بن نوفل :

رشدت وأنعت ابن عمرو وانما
لهديك رباً ليس ربا كئله
أقول إذا أهبطت أرضاً مخوفةً
حنانك ان الجن كانت رجاءهم
لتدركن المرء رحمة ربه
أدين رب يستجيب ولا أرى
أقول إذا صليت في كل يعة
تباركت قد كثرت باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وهبيل الله
ابن جحش فتنصروا إلا زيداً فإنه لم يدخل في شيء من الأديان بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده
لا شريك له متبعاً ما أمكنه من دين إبراهيم على ما ذكرناه . وأما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره في أول
المبحث . وأما عثمان بن الحويرث فقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر . وله خبر عجيب ذكره الأُموي
ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكى إليه ما لقي من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام
ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فزم على ذلك فكتب إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة
مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل ، فكساه ابن جفنة قيصراً مصبوغاً مسموماً فمات من سمه فراه زيد بن
عمرو بن نفيل بشر ذكروه الأُموي تركناه اختصاراً وكانت وفاته قبل المبحث بثلاث سنين أو نحوها
والله سبحانه وتعالى أعلم .

سني من المحدثين في زمن الهجرة

فمن ذلك بيان المسكبة

وقد قيل : إن أول من بناء آدم وجاء في ذلك حديث سرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سند - بن
لمبة وهو ضعيف ، وأقوى الأقوال أن أول من بناء الخليل عليه السلام . كما تقدم وكذلك رواه

سماك بن حرب عن خالد بن عريرة عن علي بن أبي طالب قال : ثم تهدم فبنته العالقة ثم تهدم فبنته جرم ثم تهدم فبنته قريش . قلت : سيأتي بناء قريش له وذلك قبل المبعث بخمس سنين وقبل بخمس عشرة سنة وقال الزهري كان رسول الله (ص) قد بلغ الحلم . وسيأتي ذلك كله في موضعه إن شاء الله وبه الثقة

كعب بن لؤي

روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن طلحة التيمي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة . قال : كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه العروبة فيخطبهم فيقول : أما بعد فاسمعوا وقلعوا ، وافهموا واعلموا ، لبل ساج ، ونهار ضاح ، والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم اعلام ، والأولون كالآخرين ، والأثني والذكر [والروح وما يهيج الى بلى] فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وتمروا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أو ميت نشر ؟ الدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون ، حرمكم زينوه وعظموه ، وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم يقول :

نهارٌ وليلٌ كل يوم بحادثٍ سواءٌ علينا ليلها ونهارها
يؤوبان بالأحداث حتى تأوَّبا وبالنعَمِ الضافي علينا ستورها
على غفلةٍ يأتي النبيُّ محمد فيخبر أخباراً صدوقٌ خبيرها

ثم يقول : والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ، ويد ورجل ، لتنصبت فيها تنصب الجمل ، ولأرقلت بها إرقال العجل . ثم يقول :

يا ليتني شاهداً نجواءَ دعوته حينَ العشيِّرة تبني الحقَّ خذلانا

قال وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله (ص) خمسمائة عام وستون سنة .

تجدير حفر زمر

على بدى عبد المطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرم لها الى زمانه قال محمد بن ارجاق : ثم إن عبد المطلب بينما هو قائم في الحجر وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله المزني عن عبيد الله بن رزين النافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها . قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة . قل قلت وما طيبة ؟ قال ثم ذهب عني قال فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فميت فجاءني فقال احفر برة . قال قلت وما برة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد

رجعت إلى مضجعي فتمت فجاءني فقال احفر المذنونة قال قلت وما المذنونة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه فجاءني قال احفر زمزم . قال قلت وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً ولا تزم ، تسقى الحبيب الأعظم ، وهي بين الفرت والدم ، عند قرة العراب الأعظم ، عند قرية النمل . قال : فلما بين لي شأنها ودل علي موضعها وعرف أنه قد صدق غذا بمحوله ومعه ابنة الحارث بن عبد المطلب وليس له يومئذ ولد غيره فخر فدا بدا لعبد المطلب الطمي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته . فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب انما بئر ابينا اسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشر كننا ملك فيها . قال : ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيت من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال : نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه فر من بني أمية وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا والأرض إذ ذاك مغاور حتى إذا كانوا ببعضها فند ماء عبد المطلب وأصحابه فطشوا حتى استيقنوا بالملكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمغارة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفنه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جيمه . فقالوا : نعم أمرت به فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه ألقينا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض لا بتنى لأنفسنا لعجز نفسي أن يرزقنا ماء يعض البلاد فارتحلوا حتى إذا بث عبد المطلب راحلته اغتبرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشراب أصحابه واستسقوا حتى ملؤا أسيقهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون اليهم في جميع هذه الأحوال فقال هدوا إلى الماء قد سقانا الله فجأوا فشربوا واستقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله ما نخاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الغلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى شقائتك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخوا بينه وبين زمزم

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم قال ابن اسحاق وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

فمادع بالماء الروى غير الكيدر يسقى حبيب الله في كل مبر
ليس يخاف منه شيء ما عمر

قال فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال قعدوا أني قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بينك وبينه أم هو ؟ قال : لا ! قالوا فارجع إلى مضجعتك الذي رأيت فيه ما رأيت فان يك حقاً من الله

يبين لك وإن يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع ونام فأتى قبيل له :

احفر زمزم . إنك إن حفرتها لن تندم . وهي تراث من أهلك الأعظم . لا تنزف أبداً ولا تنزم .
تسقى الحجيج الأعظم . مثل فمام جافل لم يقسم . ينذر فيها نازر بنعم . تكون ميراثاً وعقداً محكم . ليست
لبعض ما قد تعلم . وهي بين الفرت والدم .

قال ابن اسحاق : فزعوا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال وأين هي ؟ قيل له عند قرية النمل
حيث ينقر الغراب غداً . فأنه أعلم أى ذلك كان . قال فنبأ عبد المطلب ومعه ابنة الحارث وليس له يومئذ
ولد غيره . زاد الاموى ومولاه أصرم فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين أصاف
وثلاثة الذين كانت قريش تنحر عندها فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت اليه قريش وقالت والله
لا نتركك تحفر بين وثنيتنا الذين تنحر عندها فقال عبد المطلب . لابنه الحارث : زدنى حتى احفر فوالله
لأمضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيراً حتى
بدا له الطمى فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب اللتين كانت
جرم قد دفنتهم ووجد فيها أسيافاً قلمية وأدرعا . فقالت له قريش : يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك
وحق قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قال اجعل
للحكمة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاً على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا
شئ له . قالوا : أنصفت فجعل للحكمة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أيضين ثم أعطوا القداح للذي
يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد : أهل هبل . ينفى هذا الصنم .
وقام عبد المطلب يدعو الله . وذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن عبد المطلب جعل يقول :

اللهم أنت الملك المحمود ربّي أنت المهيمن المعيد

ومسك الراسية الجلود من عندك الطارف والتليد

إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحليّة والحديد

فبين اليوم لما تريد إني نذرت العاهد المهودا

أجله ربّ لي فلا أعو

قال وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالتين للحكمة ، وخرج الأسودان على الاسياف
والادراع لعبد المطلب ، وتختلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للحكمة ، وضرب في
الباب الغزالتين من ذهب فكان أول ذهب حلية للحكمة فيما يزعمون . ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم
للحاج وذكر ابن اسحاق وغيره أن مكة كان فيها أيار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم
عدها ابن اسحاق وسماها وذكر أنها كانت من مكة وحافرها إلى أن قال ففتت زمزم على البطار كلها

وانصرف الناس كلهم اليها لمسكنها من المسجد الحرام ولفضلها على ماسواها من المياه ولانها بئر اسماعيل ابن ابراهيم وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب . وقد ثبت في صحيح مسلم في حديث اسلام أبي ذر ان رسول الله (ص) قال في زمزم : انها لطعام طعم . وشفاء سقم . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) : ماء زمزم لما شرب منه . وقد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل وقد تكلموا فيه ولفظه ماء زمزم لما شرب له . ورواه سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي (ص) قال : ماء زمزم لما شرب له . ولكن سويد بن سعيد ضعيف والمحموظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وفيه نظر والله أعلم . وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس انه قال لرجل اذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتضلع منها فاذا فرغت فاحمد الله فان رسول الله (ص) قال : إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلعون من ماء زمزم . وقد ذكر عن عبد المطلب انه قال : اللهم اني لا احلها لغتسل وهي لشارب حل وبل . وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح انه عن عبد المطلب نفسه فانه هو الذي جدد حفر زمزم كما قدمنا والله أعلم . وقد قال الاموي في مغازيه : حدثنا أبو عبيد أخبرني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حرملة سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم . قال : لا احلها لغتسل وهي لشارب حل وبل . وذلك انه جعل لها حوضين حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعند ذلك قال : لا احلها لغتسل لينزه المسجد عن ان يغتسل فيه . قال أبو عبيد قال الاصمعي : قوله وبل اتباع قال أبو عبيد والاتباع لا يكون بواو المعطف وانما هو كما قال معتمر بن سليمان ان بل بلفة حير مباح ثم قال أبو عبيد حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود انه سمع زراً انه سمع العباس يقول : لا احلها لغتسل وهي لشارب حل وبل . وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة انه سمع ابن عباس يقول ذلك وهذا صحيح اليهما ، وكأنهما يقولان ذلك في أيامهما على سبيل التبديع والاعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها فلا ينافي ما تقدم والله أعلم . وقد كانت السقاية الى عبد المطلب أيام حياته ثم صارت الى ابنه أبي طالب مدة ثم اتفق انه املق في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف الى الموسم الآخر وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لآخيه العباس اسلفني أربعة عشر ألفا ايضا الى العام المقبل أعطيتك جميع مالك فقال له العباس : بشرط ان لم تقطني تترك السقاية لي ا كفيكم فقال : نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطى العباس فترك له السقاية فصارت اليه ثم من بعده صارت الى عبد الله ولده

ثم الى علي بن عبد الله بن عباس ثم الى داود بن علي ثم الى صليان بن علي ثم الى عيسى بن علي ثم أخذها المنصور واحتساب عليها مولاه أبارز بن ذكره الاموي .

نذر عبد المطلب فوجم ولده

قال ابن اسحاق : وكان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين لقي من قريش مالمق عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة فمر ثم بلغوا معه حتى يمنعه ليدبحن أحدهم لله عند الكعبة . فلما تكامل بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه وهم . الحارث . والزبير . وحجل . وضرار . والقوم . وأبو لهب . والعباس . وحزرة . وأبو طالب . وعبد الله . جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله عز وجل بذلك فاطاعوه وقالوا كيف نصنع ؟ قال ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم اثبتوني ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة . وكان عند هبل قدح سبعة وهي الازلام التي يتحاكون اليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أو امر من الأمور حياؤه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه . والمقصود ان عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقدح عند هبل خرج القدح على ابنه عبد الله وكان اصغر ولده واحبهم اليه ، فلخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل به الى اساف وثالثة ليدبحه فقامت اليه قريش من انديتها فقالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال ادبحه فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله والله لا تدبحه أبداً حتى تعذر فيه لئن فلت هذا لا يزال الرجل يججي . بابنه حتى يدبحه فما بقاء الناس على هذا . وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق ان العباس هو الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل ابيه حين وضعها عليه ليدبحه فيقال انه شج وجهه شجاً لم يزل في وجهه الى أن مات ثم اشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب الى الحجاز فان بها عرافة لها تابع فيسألها عن ذلك ثم أنت على رأس امرك ان امرتك بدبحه فادبحه وان امرتك بأمرك وله فيه مخرج قبلته فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا المرافة وهي سجاج فيها ذكره يونس بن بكير عن ابن اسحاق بخبر فركبوا حتى جاؤا فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم ارجعوا غنى اليوم حتى يأتي نبي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقدح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم وان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجتمعوا على ذلك الامر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً فلم

يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة . ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت عند ذلك قریش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب . فمضوا زعموا انه قال لا حتى اضرب عليها بالقدح ثلاث مرات ف ضربوا ثلاثاً ووقع القدح فيها على الابل فتحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا يمنع . قال ابن هشام ويقال ولا سبع وقد روى انه لما بلغت الابل مائة خرج على عبد الله ايضاً فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين فخرج القدح على عبد الله فزادوا مائة أخرى فصارت الابل ثلاثمائة . ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فتحرها عند ذلك عبد المطلب والصحيح الاول والله أعلم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سأله امرأة أنها نذرت ذبيح ولدها عند الكعبة فامرها بذبح مائة من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبد الله بن عمر فلم يقبها بشئ بل توقف . فبأن ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال انهما لم يصديبا الفتيا ثم امر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الابل ، واخذ الناس بقول مروان بذلك والله أعلم .

ترويح عبد المطلب لآمنه عبد الله بن آمنه بنت هب الزهرية

قال ابن اسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله فر به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة فنظرت إلى وجهه فقالت أين تذهب يا عبد الله ؟ قال مع أبي قالت لك مثل الابل التي نحررت عنك وقع على الآن . قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة سناً وشرافاً فزوجه ابنته آمنه بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت منه برسول الله (س) . ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تمرضين على اليوم ما كنت عرضت بالأمس ؟ قالت له فارقك التور الذي كان مملك بالأمس فليس لي بك حاجة . وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر واتبع الكتب - أنه كائن في هذه الأمة نبي فطمعت أن يكون منها فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محمد وأطيب أصل كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وسنذكر المولد مفصلاً وما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر تتأسف على ما فاتها من الأمر الذي رامته وذلك فيما رواه

البيهقي من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق رحمه الله :

عليك بالزهره حيث كانوا وآمنه التي حملت غلاما
تري المهدي حين نزا عليها ونورا قد تقدمه اماما

[إلى أن قالت] :

فكل الخلق يرجوه جميعا يسود الناس مهديا اماما
براه الله من نور صفاه فاذهب نوره عنا الظلاما
وذلك صنع ربك إذ جاء إذا ماسار يوما أو أقاما
فهدي أهل مكة بعد كفر وبغض بعد ذلكم الصياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن عمار القرشي
حدثنا مسلم بن خالد الزنجي حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : لما انطلق
عبد المطلب بابنه عبد الله ليواجه مر به على كاهنه من أهل قبالة منهودة قد قرأت الكتب ، يقال
لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع على الآن
وأعطيك مائة من الابل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرام فالماث دونه والحل لا حول فأسئنيته
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه ^(١)

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثا . ثم إن نفسه
دعته إلى ما دعته إليه السكاهنة فأماها فقالت : ما صنعت بعدى ؟ فأخبرها . فقالت والله ما أنا بصاحبة
رية ولكني رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في . وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت
فاطمة تقول :

إني رأيت مخيلة لمت فتلأأت بجنانم ^(٢) القطر
فلما نأ نوراً يضي له ما حوله كإضاءة البدر
ورجوتها فخراً أبوا به ما كل قلدح زنده بوري
الله ما زهرية سلبت - ثوبيك ما استلبت وما تدر
وقالت فاطمة أيضاً :

بني هاشم قد غادرت من أخيك أمينة إذ للباوم يتركان

(١) زدنا هذه الشطرة من الروض الالاف للسيلى . وليس في المصرية جميع البيت . ولا ما بعده إلى

قوله : زهرة . (٢) في الاصل بجنانم . وصححناه من السيلى والحناتم السحائب السود كافي القاموس .

كما غادر المصباح عند خروده فتائل قد ميثت له بدهان
وما كل ما يحوي الفتى من بلاديه بحزم ولا مافقه إيتواني
فأجله إذا طالبت أمرا فاته سيكفك جدران يعتلجان
سيكفك إما بد متفلة وإما بد مبسطة بينان^(١)
ولما حوت منه أمانة ما حوت حوت منه فخرأ ما لذلك ثان

وروى الامام أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة من طريق يعقوب بن محمد الزهرى عن
عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس قال
إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فتزل على حبر من اليهود قال فقال لى رجل من أهل الديور -
يعنى أهل الكتاب يا عبد المطلب أناذن لى أن انظر إلى بعضك ؟ قال نعم إذا لم يكن عودة . قال ففتح
إحدى منخري فنظر فيه ثم نظر فى الآخر فقال أشهد أن فى إحدى يديك ملكاً وفى الأخرى نبوة
وإنما نجد ذلك فى بنى زهرة فكيف ذلك ؟ قلت لا أدرى قال هل لك من شاعة ؟ قلت وما الشاعة ؟ قال
زوجة . قلت أما اليوم فلا قال فإذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن
عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفية ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة فلج أى فاز وغلب عبد الله على أبيه
عبد المطلب .



(١) كذا فى الحلبية . وفى المصرية منقطة والاقطال التنحية والاستفناض كما فى القاموس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ولما سأل هرقل ملك الروم لابي سفيان تلك الاسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال كيف نسبه فيكم ؟ قال هو فينا ذو نسب قال كذلك الرسل تبعث في انساب قومها يعني في اكرمها احسابا واكثرها قبيلة صلوات الله عليهم اجمعين .
فهو سيد ولد آدم وخرم في الدنيا والاخرة . أبو القاسم . وأبو ابراهيم . محمد . واحد . والمأخى الذي يمحى به الكفر . والمآقب الذي ما بعده نبى . والهاشر الذى يحشر الناس على قدميه . والمقفى . ونهى الرحمة . ونهى التوبة . ونهى الملحمة . وخاتم النبيين . والفاتح . وطه . ويس . وعبد الله .
قال البيهقى : وزاد بعض العلماء فقال سماه الله فى القرآن رسولا . نبيا . أمينا . شاهداً . مبشراً . نذيراً ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً . ورؤفاً رحيماً . ومذكراً . وجعله رحمة ونعمة وهاديا .
وسنورد الاحاديث المروية فى اسمائه عليه الصلاة والسلام فى باب نمقده بعد فراغ السيرة . فانه قد وردت احاديث كثيرة فى ذلك اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران أبو بكر البيهقى وأبو القاسم بن عساكر وافرد الناس فى ذلك مؤلفات حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم . واما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شارح الترمذى بكتابه الذى سماه الاحوذى فانه ذكر من ذلك أربعة وستين اسما والله أعلم .

وهو ابن عبد الله وكان اصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذبيح الثانى المفدى بمائة من الابل كما تقدم قال الزهرى : وكان اجمل رجال قريش وهو أخو الحارث والزبير وحمة وضرار وأبى طالب - واسمه عبد مناف - وأبى لهب - واسمه عبد العزى - والمقوم - واسمه عبد الكعبة - وقيل هما اثنان وحجل واسمه المقيرة والغيداق وهو كبير الجود - واسمه نوفل - ويقال انه حجل . فهؤلاء اعمامه عليه الصلاة

والسلام . وعثمان ست وهن أروى . وبرة . وأميمة . وصفية . وعاتكة . وام حكيم - وهي البيضاء -
وسنسكرام على كل منهم فيما بعد ان شاء الله تعالى . كلهم أولاد عبد المطلب - واسمه شيبة - يقال لشيبة
كانت في رأسه ويقال له شيبة الحمد لجودة . وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما لما مر بالمدينة في
تجارته الى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خداح بن خندف بن عدى بن النجار
الخزرجي النجاري وكان سيد قومه فاعجبته ابنته سلمى فخطبها الى أبيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها
عنده وقيل بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها واخذها معه الى مكة
فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بنزة ووضعت سلمى ولدها
فسمته شيبة فاقام عند اخواله بنى عدى بن النجار سبع سنين ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فاخذه
خفية من أمه فذهب به الى مكة . فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا من هذا معك ؟ فقال عبدى
ثم جاؤا فهنؤه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغلب عليه وساد في قريش سيادة عظيمة وذهب
بشرفهم ورأسهم . فكان جماع أمرهم عليه وكانت اليه السقاية والرفادة بعد المطلب وهو الذى جدد
حفر زمزم بعد ما كانت مطمومة من عهد جزم وهو أول من طلى الكعبة بذهب في أبوابها من تبنك
الغزالين اللتين من ذهب وجدهما في زمزم مع تلك الاسياف القلمية قال ابن هشام : وعبد المطلب أخو
أسد وفضلة وأبى صيفى وحية وخالدة ورقية والشفاء وضيعة . كلهم أولاد هاشم واسمه عمرو وانما سمي
هاشما لهشمه التريد مع اللحم لقومه في سنى المحل كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته وقيل
للزبمرى والد عبد الله :

عمرو الذى هشم التريد لقومه ورجال مكة مشيتون عاف
سنت اليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وذلك لانه أول من سن رحلتى الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه . وحكى ابن جرير انه كان ثؤام
أخيه عبد شمس وان هاشما خرج برجله ملتصقة برأس عبد شمس فما تخلصت حتى سال بينهما دم فقال
الناس بذلك يكون بين أولادها حروب فكانت وقعة بنى العباس مع بنى أمية بن عبد شمس سنة ثلاث
وثلاثين ومائة من الهجرة . وشقيقهم الثالث المطلب وكن المطلب أصغر ولد أبيه وأمهم عاتكة بنت مرة
ابن هلال . ورايهم نوفل من أم أخرى وهى واقدة بنت عمرو المازنية وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم
وصارت اليهم الرياسة وكان يقال لهم المجيرون وذلك لانهم أخذوا قومهم قريش الأمان من ملوك
الأقاليم ليدخلوا فى التجارات الى بلادهم فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان
واخذ لهم عبد شمس من النجاشى الأكبر ملك الحبشة ، واخذ لهم نوفل من الأكرسة ، واخذ لهم المطلب
أمانا من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحَلَهُ إِلَّا تَزَلَّتْ بِأَكْرِ عَبْدٍ مُنَافٍ

وكان الى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه ، واليه والى أخيه المطلب نسب ذوى القربى ، وقد كانوا شيئاً واحداً فى حالتى الجاهلية والاسلام لم يفتروا ، ودخلوا معهم فى الشعب ، وانخزل عنهم بنو عبد شمس ونوفل . ولهذا يقول أبوطالب فى قصيدته :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا عُقُوبَةً شَرًّا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ

ولا يعرف بنو أب تباينوا فى الوفاة مثلهم ، فان هاشما مات بغزة من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلامان من أرض العراق ، ومات المطلب - وكان يقال له القمر لحسنه - بريمان من طريق اليمن . فهؤلاء الاخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب . ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ، وأصل اسمه عبد قصي . فقال الناس عبد بن قصي درج ولا عقب له . قاله الزبير بن بكار وغيره . واخوات ست وهن ، تماضر ، وحية ، وريطة ، وقلابة ، وام الاختم ، وام سفيان . كل هؤلاء أولاد عبد مناف ومناف اسم صنم وأصل اسم عبد مناف المغيرة . وكان قد رأس فى زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار الذى كان أكبر ولد أبيه واليه أوصى بالنصيب كما تقدم . وعبد العزى وعبد وبرة ونخمر وامهم كلهم حبي بنت حليل بن حبشى بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وأبوها آخر ملوك خزاعة وولادة البيت منهم ، وكلهم أولاد قصي واسمه زيد . وانما سمي بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بريعة بن حزام بن عذرة فسافر بها الى بلاده وابنها صغير فسمى قصيا لذلك . ثم عاد الى مكة وهو كبير ولم يثقل قريش وجعها من متفرقات البلاد ، وازاح يد خزاعة عن البيت ، واجلام عن مكة ورجع الحق إلى نصابه وصار رئيس قريش على الاطلاق وكانت اليه الوفاة والسقاية - وهوسنها - والسدانة والحجابة واللواء وداره دار الندوة كما تقدم بسط ذلك كله - ولهذا قال الشاعر :

قُصَيٌّ ، لَمْعَرِي كَانَ يُدْعَى مَجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ رَهْرٍ

وهو أخو زهرة كلاهما ابنا كلاب أخى تيم وبطة أبي مخزوم ثلاثتهم ابناء مرة أخى عدى وهصيص وهم أبناء كعب وهو الذى كان يخطب قومه كل جمعة ويشرم بمبعث رسول الله (ص) وينشد فى ذلك اشعاراً كما قدمنا ، وهو أخو عامر وسامة وخزيمة وسعد والحارث وعوف سبعتهم أبناء لؤى أخى تيم الأدرم وهما أبناء غالب أخى الحارث ومحارب ثلاثتهم ابناء فهر ، وهو أخو الحارث وكلاهما ابن مالك . وهو أخو الصلت ويخلد ، وهم بنو النضر الذى اليه جماع قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك ومسلحان وعبد مناة وغيرهم كلهم أولاد كنانة أخى أسد واسدة والمون أولاد خزيمة ، وهو أخو هذيل وهما ابنا مدركة - واسمه عمرو وأخو طابخة واسمه عامر وقعة ثلاثتهم أبناء الياس

وأخي الياس هو غيلان والد قيس كلها وهما ولدا مضر أخي ربيعة . ويقال لهما الصريحان من ولد اسماعيل وأخوهما أثمار وإياد تيامنا، أربعتهم أبناء نزار أخي قضاعة - في قول طائفة ممن ذهب إلى أن قضاعة حجازية عدنانية - وقد تقدم بيانه كلاهما أبناء معد بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء لجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى . (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) لم يكن بطن من بطون قريش إلا ورسول الله (ص) ينسب يتصل بهم . وصدق ابن عباس رضي الله عنه فيما قال وإزيد مما قال ، وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي إليه بالأباء . وكثير منهم بالأمهات أيضاً كما ذكره محمد بن اسحاق وغيره في أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم ما يطول ذكره . وقد حرره ابن اسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه وأنه من ولد اسماعيل لا محالة وإن اختلف في كم بينهما أباً؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشئة المتضمنة ذلك ، كل ذلك في أخبار عرب الحجاز والله الحمد .

وقد تكلم الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً محرراً فافهماً . وقد ورد حديث في انسابه عليه السلام إلى عدنان وهو على المنبر ولكن الله أعلم بصحته كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ - بغداد - حدثنا أبو عيسى بكر بن أحمد بن بكر حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى بن سعد - أملاء سنة ست وتسعين ومائتين - حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان القلانسي حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . قال : بلغ النبي (ص) أن رجلاً من كندة يزعمون أنهم منه وأنه منهم فقال « إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب فيأمننا بذلك . وإنا لن ننتفي من آبائنا ، نحن بنو النضر بن كنانة : قال وخطب النبي (ص) فقال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس فرقين إلا جعلني الله في خيرها فالخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية . وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فانا خيركم قسا ، وخيركم أباء » وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك . تفرد به القدامي وهو ضعيف . ولكن سند كره له شواهد من وجوه أخر . فمن ذلك قوله « خرجت من نكاح لا من سفاح » قال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شيء

من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله (ص) : « إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وهذا مرسل جيد . وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن يحيى بن أبي بكير عن عبد الغفار بن القاسم عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال قال رسول الله (ص) : « أن الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح » وقد رواه ابن عدى موصولا فقال حدثنا أحمد بن حفص حدثنا محمد بن أبي عمرو العدني المسكي حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال اشهد على أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أن النبي (ص) قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح . وقال هشيم حدثنا المديني عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الاسلام » وهذا أيضا غريب أورده الحافظ ابن عساكر ثم استنده من حديث أبي هريرة وفي استاده ضعف والله أعلم . وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : « ولدت من نكاح غير سفاح » ثم أورد ابن عساكر من حديث أبي عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) قال من نبي الى نبي حتى اخرجت نبياً . ورواه عن عطاء . وقال محمد بن سعد أخبرنا هشام بن محمد الكلابي عن أبيه قال كتبت للنبي (ص) خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية . وثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « بشت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا حتى بشت من القرن الذي كنت فيه » وفي صحيح مسلم من حديث الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله (ص) قال : « أن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال قال العباس بلغه (ص) بعض ما يقول الناس « فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله قال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً . فانا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً الى يوم الدين . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله ان قريشا اذا التقوا لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . . فنضرب

رسول الله (ص) عند ذلك غضباً شديداً ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله ورسوله» قلت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فذاكروا أحسابهم فجلسوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض . فقال رسول الله (ص) : «إن الله يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم ، ثم لما فرقهم [قبائل] جعلني في خيرهم قبيلة . ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم فاما خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً» . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن ربيعة ابن الحارث قال بلغ النبي (ص) فذكره بنحو ما تقدم ولم يذكر العباس . وقال يعقوب بن سفيان حدثني يحيى بن عبد الحميد حدثني قيس بن عبد الله عن الأعمش عن عليقة بن ربيعة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً ، فذلك قوله وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، فاما من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلاثاً ، فذلك قوله وأصحاب الميمنة والسابقون السابقون فاما من السابقين ، وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير وأنا أتقوا ولد آدم وأكرمهم على الله ولا تخفوا ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فاما وأهل بيتي مطهرون من الذنوب» . وهذا الحديث فيه غرابة ومنكارة . وروى الحاكم والبيهقي من حديث محمد بن ذكوان خال ولد حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال : إنا لنعوذ بفناء النبي (ص) . أذمرت به امرأة ، فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله (ص) . قال أبو سفيان : مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التن . فانطلقت المرأة فاخبرت النبي (ص) . فجاء رسول الله (ص) : يعرف في وجهه الغضب . فقال : « ما بال أقوال تبلغني عن أقوام إن الله خلق السماوات سبعاً فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم فاما خيار من خياره ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم» هذا أيضاً حديث غريب . وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) قال : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا خفوا» وروى الحاكم والبيهقي أيضاً من حديث موسى بن عبيدة حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي أسامة أو أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله (ص) : «قل لي جبريل قلبت الارض من مشارقها ومغاربها فلم أجده رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجده بنى أب أفضل من بني هاشم» قل الحافظ البيهقي وهذه الاحاديث وإن كان في روايتها من لا يحتاج به فبعضها يؤكده بعضاً ومعنى جميعها يرجع الى حديث واثلة بن الاسقع والله أعلم

قلت وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبي ﷺ :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ فبعد منافٍ سرُّها وصمِّها
فإن حصلتُ أشرافُ عبدي منافعها ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمها
وإن فُحِرتُ يوماً فإني محمداً هو المصطفى من سرِّها وكرمها
تداعتُ قريشٌ غنماً وسميها علينا فلم تظفر وطاشتْ حلومها
وكنا قديماً لا قرَّ ظلامه إذا ما تنوا صغر الخدود قيمها
ونحى جهامها كل يوم كرهية ونضرب عن أجحارها من برومها
بنا انتمش العود الذواء وإنا بأكتافنا تنسدى وتننى أرومها

وقال أبو السكك زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور : حدثني عمر بن أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال قال جدى خريم بن أوس هاجرت إلى رسول الله ﷺ ، فقدمت عليه منصرفاً من تبوك ، فسلمت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ، فقال رسول الله ﷺ : قل لا يفضض الله فاك فأنشأ يقول :

من قبلها طبَّت في الظلال وفي مستودع حيث يُخَصَف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أذ ت ولا مَضْنَة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نمرأ وأهله الفرق
تنقل من صلب إلى رجم إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خُندف عليها تحتها النطق
وأنت لما وُلدتِ أشرفتِ الـ رض وضامت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي الـ نور وسبل الرشاد نخترق

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن ابن أبي الحديد أخبرنا محمد بن أبي نصر أنا عبد السلام بن محمد بن أحمد القرشي حدثنا أبو حصين محمد ابن اسماعيل بن محمد التيمي حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني حدثني اسحاق بن إبراهيم بن سنان حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني حدثنا ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال سألت رسول الله ﷺ : قلت فذاك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة ؟ قال : فقبس حتى بدت نواجذه ثم قال : « كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في صلب أبي إبراهيم لم يلتق أبواي على سفاح قط لم يزل الله ينقلني من الأصاب الحسية إلى الأرحام الطاهرة صفتي مهدي لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدي

ونشر في التوراة والإنجيل ذكرى وبين كل نبى صفى تشرق الأرض بنورى والغمام بوجهى وعلنى كتابه وزادنى [شرفاً] فى سماءه وشق لى اسماً من أسمائه فذوالعرش محمود وأنا محمد واحد ووعدنى أن يحبونى بالحوض والكور وأن يمجلى أول شافع وأول مشفع ثم أخرجنى من خير قرن لامتى ، وم الحادون يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر» قال ابن عباس فقال حسان بن ثابت فى النبى (ص) :

قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع يوم يخصف الورق
ثم صكنت البلاد لا بشر اذ ت ولا نطفة ولا علق
مطر تركب السفين وقد ألجم نسرأ وأهله الفرق
تنقل من صلب إلى رحم إذا مضى طبق بدا طبق

فقال النبى (ص) : « یرحم الله حسانا » فقال على بن أبى طالب وجبت الجنة لحسان ورب السكبة ثم قال الحافظ ابن عساکر هذا حديث غریب جداً
قلت : بل منكر جداً والمحفوظ أن هذه الآيات للعباس رضى الله عنه ثم أوردها من حديث أبى السکن زكريا بن يحيى الطائى كما تقدم
قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلى قاله أعلم :

تنبيهه . قال القاضى عياض - فى كتابه الشفاء - وأما احمد الذى أتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فزع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك . وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبيأيعث اسمه محمد . فسعى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو (والله أعلم حيث يجعل رسالته) وم : محمد بن احيحة بن الجلاح الأوسى . ومحمد بن سلمة الأنصارى . ومحمد بن البراء الكندى . ومحمد بن سفيان بن مجاشع . ومحمد بن حمران الجعفى . ومحمد بن خزاعى السلى لا سابع لهم . ويقال إن أول من سمى محمداً محمد بن سفيان بن مجاشع . واليمن تقول بل محمد بن ايحمد من الازد . ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً فى أمره حتى تحققت الشيمتان له (ص) . لم ينزع فيهما . هذا لفظه .

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين . لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث غيلان بن جبر بن عبد الله بن معبد الزماني عن أبى قتادة أن اعرابيا قال يا رسول الله ، ما تقول فى صوم يوم الاثنين فقال « ذاك يوم ولدت فيه واتزل على فيه » . وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن

خالد بن أبي عمران عن حنث الصنعاني عن ابن عباس قال : ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين ، واستنبي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين . تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة وزاد نزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم أكلت لكم دينكم) . وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به وزاد أيضاً وكانت وقعة بدر يوم الاثنين . ومن قال هذا يزيد بن حبيب وهذا منكر جداً . قال ابن عساکر والمحفوظ أن بدرًا ونزول (اليوم أكلت لكم دينكم) يوم الجمعة وصديق ابن عساکر . وروى عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين . وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين . وهذا مالا خلاف فيه أنه ولد (ص) يوم الاثنين . وأبديل خطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول قله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب أعلام الروي بأعلام الهدى لبعض الشيعة . ثم شرع ابن دحية في تضييفه وهو جدير بالتضييف إذ هو خلاف النص . ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول قليل للثنتين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني . وقيل لثمان خلون منه حكاها الحميدي عن ابن حزم . ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن مرمى الخوارزمي ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير وقيل لشر خلون منه قله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساکر عن أبي جعفر الباقر ورواه مجاهد عن الشعبي كما مر . وقيل لثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس أنهما قالوا : ولد رسول الله (ص) عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر ^(١) من شهر ربيع الأول وفيه بث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم . وقيل لسبعة عشر خلت منه كما قله ابن دحية عن بعض الشيعة . وقيل لثمان بقين منه قله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضيئ منه كما قله عنه الحميدي وهو أثبت . والقول الثاني أنه ولد في رمضان قله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جداً وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه في رمضان بلا خلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم . وقد روى خيشة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد كردوس الواسطي عن المعلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن

(١) بهامش المصرية : قال مؤلفه : كذا رأيته الثامن عشر . وصوابه الثاني عشر

ابن عباس قال ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول . وهذا غريب جداً رواه ابن عساكر . قال الزبير بن بكار حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجرة الوطى . وولد بمكة بالدار المروقة بمحمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عتبة بن مكرم عن المسيب بن شريك عن شبيب بن شبيب عن أبيه عن جده قال حمل برسول الله (ص) في يوم عاشوراء في المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل . وذكر غيره ان الخيزران وهى أم هارون الرشيد لما حجت امرت ببناء هذه الدار مسجداً . فهو يعرف بها اليوم . وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان . وهذا أعمدل الزمان والفصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لذي القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج . وزعموا ان الطالع كان لعشرين درجة من الجدى وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من المغرب وهى درجة وسط السماء . وكان موافقا من البروج الحمل وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل فله كله ابن دحية والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال ابراهيم بن المنذر الحزامي : وهو الذى لا يشك فيه أحد من علمائنا انه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل . وقد رواه البيهقي من حديث أبي اسحاق السبعي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . قال : ولد رسول الله (ص) عام الفيل وقال محمد بن اسحاق حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة قال ولدت انا ورسول الله (ص) عام الفيل ، كنا لدَيْن . قال وسأل عثمان رضى الله عنه قباث بن اشيم أخا بنى يعمر بن ليث أنت أ كبر أم رسول الله (ص) ؟ فقال : رسول الله (ص) ، أ كبر منى وانا اقدم منه في الميلاد . ورأيت خَزَقَ الفيل اخضر محيلا . ورواه الترمذى والحاكم من حديث محمد بن اسحاق به .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) عام عكاظ ابن عشرين سنة .

وقال ابن اسحاق : كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناء الكعبة بعد الفجار بخمسة عشر سنة ، والمبعث بعد بنائها بخمس سنين . وقال محمد بن جبيرة بن مطعم : كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وبناء الكعبة بعد عكاظ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة . وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المدني حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن اشيم الكنانى ثم الليثى : يا قباث أنت أ كبر أم رسول الله

(ص) قال: رسول الله (ص) أكبر مني ، وأنا اسن . ولد رسول الله (ص) عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلا اعقله . وتنبأ رسول الله (ص) على رأس أربعين سنة . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا نعيم بن ميسرة - عن بعضهم عن سويد بن غفلة انه قال انا ائمة رسول الله (ص) ، ولدت عام الفيل . قال البيهقي وقد روى عن سريد بن غفلة انه قال انا أصغر من رسول الله (ص) بستين . قال يعقوب وحدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان التوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم . قال ولد رسول الله (ص) عام الفيل ، وكانت بعده عكاظ بخمس عشرة سنة ، وبني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل ، وتنبأ رسول الله (ص) على رأس أربعين سنة من الفيل .

والمقصود أن رسول الله (ص) ولد عام الفيل على قول الجمهور قبيل بعده بشهر ، وقيل بأربعين يوما ، وقيل بخمسين يوما - وهو أشهر - وعن أبي جعفر الباقر كان قدوم الفيل للنصف من المحرم ، ومولد رسول الله (ص) بعده بخمس وخمسين ليلة ، وقال آخرون بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله (ص) بمشرف سنين . قاله ابن أزي . وقيل بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده كما تقدم وقيل بعد الفيل بثلاثين سنة . قاله موسى بن عقبة عن الزهري رحمه الله . واختاره موسى بن عقبة أيضا رحمه الله . وقال أبو زكريا المجلاي : بعد الفيل بأربعين عاما ، رواه ابن عساكر وهذا غريب جدا ، واغرب منه ما قل خليفة بن خياط حدثني شعيب بن حبان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن السكابي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله (ص) قبل الفيل بخمس عشرة سنة وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضا ، قال خليفة بن خياط والمجتمع عليه انه عليه السلام ولد عام الفيل .

صفة مولده الشريف عليه الصلوة والسلام

قد تقدم ان عبد المطلب لما ذبح تلك الابل المائة عن ولده عبد الله حين كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى لما كان قدر في الازل من ظهور النبي الامي (ص) خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، فذهب كما تقدم فزوجيه اشرف عقيلة في قريش آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية ، فحين دخل بها وافضى اليها حملت برسول الله (ص) ، وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور ، فودت أن يكون ذلك متصلا بها لما كانت تسمع من اخيها من البشارات بوجود محمد (ص) ، وانه قد أرف زمانه فمضت نفسها عليه . قال بعضهم ليتزوجها وهو أظهر والله اعلم ، فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعه

أياها كأنه تسدم على ما كانت عرضت عليه . فعرض لها لتعاده . فقالت لا حاجة لي بك وتأسفت
أعلى ماقتها من ذلك وأنشدت في ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ . وهذه الصيانة لعبد الله
ليست له وإنما هي لرسول الله (س) ، فانه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقد تقدم
الحديث المروي من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »

والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه على المشهور . قال محمد
ابن سعد حدثنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي . وحدثنا سعيد بن أبي
زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صمصمة . قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى
غزة في غير من غير أن قریش يحملونه تجارات ، ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فروا بالمدينة وعبد الله
ابن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال أتخاف عند أخوال بني عدى بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً
شهرًا ومضى أصحابه فقدموا مكة فأنزلهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بني
عدى بن النجار وهو مريض . فبعث اليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث . فوجده قد توفي ودفن في
دار النسابة فرجع إلى أبيه فآخبره ، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول
الله (س) يومئذ حمل . ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي : هذا هو أثبت الأقارب في وفاة عبد الله وسنه عندنا . قال الواقدي : وحدثني معمر
عن الزهري أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرًا فمات . قال محمد بن سعد وقد أنبأنا
هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وعن عوانة بن الحكم . قال : توفي عبد الله بن عبد المطلب
بسد ما أتى على رسول الله (س) ثمانية وعشرين شهرًا ، وقيل سبعة أشهر . وقال محمد بن سعد :
والأول أثبت أنه توفي ورسول الله (س) حمل . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن حسن عن
عبد السلام عن ابن خربوذ . قال : توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله (س) ابن شهرين ، وماتت
أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين ، فأوصى به إلى عمه أبي طالب . والذي
رجحه الواقدي وكتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه
وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه . وقد تقدم في الحديث « ورؤيا أمي الذي رأته حين حمل بي كأنه خرج
منها نور أضأت له قصور الشام » وقال محمد بن اسحاق فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله
(س) تحدث أنها أتت حين حملت برسول الله (س) فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا
وقع إلى الأرض فقولى : أعينه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل برعاهد^(١) وكل عبد رائد ، يذود
عني ذائد ، فانه عند الحميد المألج ، حتى أراه قد أتى المشاهد . وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قعر
بصري من أرض الشام ، فإذا وقع فسميه محمدًا . فان اسمه في التوراة احمد يحمد أهل السماء وأهل

(١) كذا في الاصلين ولم تقف عليه ولم يظهر لنا معناه .

الأرض، واسمه في الإنجيل أحمد يحمد. أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن محمد. وهذا وذلك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام. ثم لما وضعت رأت عياناً فأويل ذلك كما رآته قبل ذلك ها هنا والله أعلم.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري. وقال الواقدي: حدثنا موسى بن عبيدة عن أخيه ومحمد بن كعب القرظي. وحدثني عبد الله ابن جعفر الزهري عن عمته أم بكر بنت المسود عن أبيها. وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المزني وزباد ابن حشرج عن أبي وجزة. وحدثنا معمر عن أبي نجيح عن مجاهد. وحدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس: دخل حديث بعضهم في حديث بعض. أن آمنة بنت وهب قالت لقد علقت به - تعني رسول الله (ص) - فلما وجدت له مشقة حتى وضعت، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء. وقال بعضهم وقع جاثياً على ركبتيه، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رويت أعناق الابل يصرى، رافعاً رأسه إلى السماء. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن اسماعيل أنبأنا محمد بن اسحاق حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ابن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن أبي سويد التقي عن عثمان بن أبي العاص حدثني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله (ص) ليلة ولادته، قالت فما شئ أفظره في البيت إلا نور وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليتقن على.

وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابله وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلاً يقول بركم الله، وإنه سطع منه نور رؤيت منه قصور الروم. قال محمد بن اسحاق: فلما وضعت بهت إلى عبد المطلب جاريتها - وقد هلك أبوه وهي حبلى ويقال إن عبد الله هلك والنبي (ص) ابن ثمانية وعشرين شهراً فأنه أعلم أي ذلك كان - قالت قد ولد لك غلام فانظر إليه، فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه. فآخذه عبد المطلب فادخله على هبل في جوف الكعبة، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عز وجل ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأرداني
قد ساد في المسجد على النبلان أعيذه بالبيت ذي الأركان
حتى يكون بركة للفتيان حتى أراه بالغ النباني

أعيزه من كل ذي شتآن من حاسدٍ مضطرب العنان
 ذي همّةٍ ليس له عينان حتى أراه رافعَ اللسان ^(١)
 أنت الذي سميت في القرآن في كتبٍ ثابتة المثاني
 * أحمد مكتوبٌ على اللسان *

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدرابودي ^(٢) - بمرو -
 حدثنا أبو عبد الله البوشنجي حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائري حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان
 ابن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي - بمصر - حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن
 أبيه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . قال : ولد رسول الله (ص) مختونا مسرورا ، قال فاعجب جده
 عبد المطلب وحظى عنده . وقال : ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن . وهذا الحديث في صحته نظر
 وقد رواه الحافظ ابن عساكر من حديث سفيان بن محمد المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن
 الحسن عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : من كرامتي على الله أنى ولدت مختونا ولم ير صوائى أحد
 ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به . ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو
 الباغندي - حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسي حدثني خالد بن
 سلمة عن نافع عن ابن عمر . قال : ولد رسول الله (ص) مسرورا مختونا . وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد
 محمد بن أحمد الفطري حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي حدثنا سليمان بن سلمة الخبائري
 حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم بن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس . قال : ولد
 رسول الله (ص) مختونا مسرورا ، فاعجب ذلك جده عبد المطلب وحظى عنده ، وقال ليكونن لابني
 هذا شأن ، فكان له شأن . وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر
 وفي هذا كاه نظر ، ومعنى مختونا أى مقطوع الختان ، ومسرورا أى مقطوع السرة من بطن أبيه . وقد
 روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عيينة البصري حدثنا علي بن محمد المدائني السلمي
 حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكر أن جبريل ختن النبي (ص) حين طهر قلبه
 وهذا غريب جدا . وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله أعلم .
 وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأني محمد بن كامل القاضي - شافها - أن محمد بن اسماعيل
 حديثه - يعنى السلمي - حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن أبي الحكم التنوخي .
 قال : كان المولود اذا ولد في قريش دفعوه الى نسوة من قريش الى الصبح يكفئان عليه برمة ، فلما ولد

(١) كذا في الاصلين . وفي السهيل : رافع السان : ولعلها : حتى أرى منه رفيع الشان .

(٢) كذا في المصرية . وفي الحلبية : الدرايردي .

رسول الله (ص) دفعه عبد المطلب الى نسوة فكفأن عليه برمة ، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً يبصره الى السماء . فأتاهن عبد المطلب فقلن له ما رأينا مولوداً مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عينيه شاخصاً يبصره الى السماء . فقال احفظنه فاني أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يصيب خيراً ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعاه قريشاً فلما أكلوا قالوا يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟ قال سميته محمداً ، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض قال أهل اللغة : كل جامع لصفات الخير يسمى محمداً كما قال بعضهم :

إليك - أيتها اللعن - أعلمت نافتى الى المساجد القرم الكريم المحمل

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً لما فيه من الصفات الحميدة ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى ، كما قال عنه أبو طالب ويروى لحيان :

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

وسندكر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشماله وهي صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة ودلائل نبوته وفضائل منزلته في آخر السيرة إن شاء الله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد ابن شيبان الرملي حدثنا أحمد بن إبراهيم الحبلي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثرب عن العباس بن عبد المطلب قال قالت : يا رسول الله ! دعاني الى الدخول في دينك أمارت لنبوتك ، رأيتك في المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك ، فحيث اشرت اليه بال قال : « إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء ، واسمع وجهه حين يسجد تحت العرش » . ثم قال فردد به اللبى وهو مجهول .

فَضَائِلُ

﴿ فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ﴾

قد ذكرنا في باب هواتف الجان ما تقدم من خرورج كثير من الأصنام ليلتذ لوجوها وسقوطها عن أركانها ، وما رآه النجاشي ملك الحبشة ، وظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جاثياً رافعاً رأسه الى السماء ، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم ، وما شهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ودنو النجوم منهم وغير ذلك .

حكي السهيلي عن تفسير يحيى بن مخلد الحافظ أن ابليس رن أربع رنات : حين لمن ، وحين أهبط ،

وحين ولد رسول الله (ص)، وحين انزلت الفاتحة . قال محمد بن اسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت: كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (ص) قال في مجلس من قريش : يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم والله ما نعلمه فقال الله أكبر ، أما اذا أخطأكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس . لا يرضع ليلتين وذلك أن عفريتاً من الجن ادخل أصبعه في فيه فتمعه الرضاع فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً فالتقى القوم فقالوا هل سمعتم حديث اليهودى وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فاخبروه الخبر . قال فاذهبوا معى حتى أنظر اليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على أمنة فقالوا اخرجى اليينا ابنك فاخرجته وكشفوا له عن ظهره . فرأى تلك الشامة . فوقع اليهودى مغشياً عليه . فلما أفاق قالوا له مالك وياك ؟ قال قد ذهبت والله النبوة من نبي اسرائيل ، فرحتم بها يامعشر قريش . والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب .

وقال محمد بن اسحاق: حدثني صالح بن ابراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال حدثني من شئت من رجال قومي ممن لا أنهم عن حسان بن ثابت . قال : إني لأفلام بفعه ابن سبع سنين - أو ثمان سنين - أعقل لما رأيت وسمعت اذا يهودى في يثرب يصرخ ذات غداة يامعشر يهود فاجتمعوا اليه - وأنا أسمع - فقالوا وياك مالك ؟ قال قد طلع نجم احمد الذي يولد به في هذه الليلة . وروى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي بكر بن عبد الله العاصرى عن سليمان بن سحيم وذريح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت أبي مالك بن سنان يقول جئت بنى عبد الأشهل يوماً لا تحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظن خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهل - كالمستهمزى - به ما صفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار . سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجرة . قال فرجعت الى قومي بنى خندرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فاسمع رجلاً منا يقول ويوشع يقول هذا وحده؟! كل يهود يثرب يقولون هذا . قال أبى مالك بن سنان فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجد جمعاً فتذاكروا النبي (ص) . فقال الزبير بن بطة : قد طلع الكوكب الاحمر الذي لم يطالع إلا لخروج نبي أو ظهوره ولم يبق أحد إلا احمد وهذا مهاجرة . قال أبو سعيد فلما قدم النبي (ص) أخبره أبى هذا الخبر فقال رسول الله (ص) : «لأؤسلم الزبير لألم ذرووه من رؤساء اليهود انما هم له تبع » وقال أبو نعيم: حدثنا عمر بن محمد حدثنا ابراهيم بن السندى حدثنا النضر بن سلمة حدثنا

اسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول: كان أحبار يهود بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبي (س)، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده . واسمه أحمد ومهاجره الى يثرب فلما قدم رسول الله (س)، المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا . وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه من طرق أخرى والله الحمد .

وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا وهب بن بكتية حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد ، قال قال زيد بن عمرو ابن نفيل قل لي حبر من أحبار الشام : قد خرج في بلدك نبي - أو هو خارج - قد خرج نجهه فارجع فصدقه واتبعه .

ذكر كسرى كسرى

﴿ وسقوط الشرفات وخود النيران ورؤيا الموبدان وغير ذلك من الدلالات ﴾

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان : حدثنا علي بن حرب حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران - من آل جرير بن عبد الله البجلي - حدثني مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه - وأنت عليه خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (س)، ارتجس إوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخذت نر فارس ، ولم نحمد قبل ذلك بالف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلا صماباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم ، فلما أصبح كسرى أفزع ذلك فتصبر عليه تشجماً ، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرابته فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره . ثم بث اليهم فلما اجتمعوا عنده . قال : أتدرون فيم بثت اليكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك ، فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران فازداد غماً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله ، فقال الموبدان وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل ، فقال أى شيء يكون هذا يا موبدان ؟ قال حدث يكون في ناحية العرب - وكان أعلمهم من أنفسهم - فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر ، أما بعد فوجه الى رجل عالم بما أريد أن أسأله عنه ، فوجه اليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نفيلة الفسافي ، فلما ورد عليه قل له : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال لتخبرني أو ليسألك عما أحب ، فان كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن أعلم . فأخبره بالذي وجه به اليه فيه . قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيج ، قال فأتته فأسأله عما سألتك عنه ثم اثني بتفسيره . فخرج عبد المسيح

حتى انتهى إلى سطيطح وقد أشفى على الضريح . فلم عليه وكله فلم يرد إليه سطيطح جواباً فانشأ يقول :

أصمُّ أم يسمع غطريفَ البنِّ أم فادَ فازَ لم يدر شأوَ العنن
يا فاصلَ الخطلة أعيّت من ومن أنلكَ شيخُ الحي من آل سنن
وأمة من آل ذئب بن حجّج أزرقُ نهمُ النابِ صرّارِ الاذن
أبيضُ فضفاضِ الرداء والبدن رسولُ قُبلِ العُجمِ يسري للوسن
يجوبُ بي الارضَ علنداءُ شرن لا يَرهبُ الرعدُ ولا رَيْبُ الزمن
ترفضي وجنا وتهوي بي وجن حتى آبي عاري الجأحي والقطن
تلفه في الريح بوغاءُ اللّمن كأنما حشحت من حصفى نكن^(١)

قال فلما سمع سطيطح شعره رفع رأسه يقول : عبد المسيح ، على جل مشيح ، أنى سطيطح ، وقد أو فى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخود النيران ، ورؤيا الموبدان ، رأى إبلا صعباً ، تقود خيلاً عرباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت فى بلادها ، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب المراوة ، وفاض وادى السلاوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيطح شاماً . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات وكلما هوات آت . ثم قضى سطيطح مكانه فنهض عبدالمسيح إلى راحلته وهو يقول :

شمرُّ فأنك ماضي العزم شمير لا يُفزعنك تفريق وتغير
إن يمس ملك بنى ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوارُ دهاير
فربما ربما أنفخوا بمنزلة يخاف صولهم الأسد المهاير
منهم أخوال الصرح بهرام وإخوانه والمزمارُ وشابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا أن قد أقلّ فمحفور ومهجور
ورب قوم لهم صحبان ذى أدن بدت تلهمهم فيه المزامير
وهم بنو الام إما إن رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشرّ مقرونان فى قرْن فالخير متبّع والشرّ محذور

قال فلما قدم عبدالمسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيطح ، فقال كسرى إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور ، فلك منهم عشرة فى أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضى الله عنه . ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن على بن حرب الموصلى بنحوه .

(١) راجعنا كثيراً من مظاهر هذه القصة فوجدنا فيها اختلافاً كبيراً بزيادة وقص وقد اعتمدنا فى

تصحيحها على لسان العرب فى مادة سطح ج ٢ ص ٣١٢ نقلاً عن محمود الامام

قلت : كان آخر ملوكهم - الذي سلب منه الملك يزجرد بن شهر يار بن ابرويز بن هرم بن أنوشروان وهو الذي انشق الايوان في زمانه . وكان لاسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم خيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح ^(١) .

أما سطيج هذا فقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ابن عدي بن مازن بن الازد . ويقال الربيع بن مسعود واهمه ردع بنت سعد بن الحارث الحجوري وذكر غير ذلك في نذبه . قال وكان يسكن الجابية ثم روى عن أبي حاتم السجستاني قال سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا وكان من بعد لقمان بن عاد . ولد في زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذى نواس وذلك نحو من ثلاثين قرناً وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وتزعم الازد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الازد ولا ندرى ممن هو غير أن ولده يقولون إنه من الازد . وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيجاً إنما كان لحما على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينه وكفيه وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجله إلى عنقه . ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . وقال غيره إنه كان إذا غضب اتفخ وجلس . ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصى فامتنحوه في أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون في آخر الزمان . فقال خذوا مني ومن الهام الله إلي : أنتم الآن يامعشر العرب في زمان الهرم سواء بصائركم وبصائر المعجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشو من عقبكم ذؤوقهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الدم ، ويقتلون المعجم ، يطلبون الضم . ثم قال والباقي الابد ، والبالغ الامد ليخرجن من ذا البلد ، نبي مهتد ، يهدي إلى الرشد ، يرفض بغوث والفند ، يبرأ عن عبادة الضدد ، يعبد رباً مفرداً ، ثم يتوفاه الله بخير دار محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً ، ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صدق ، وفي رد الحقوق لا خرق ولا تزق ، ثم يلي أمره الخفيف ، مجرب غطريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس . وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله . وقد قدمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن حين أخبره برؤياه قبل أن يخبره بها ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيير الدول حتى يعود إلى سيف بن ذي يزن فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قل بل ينقطع . قال ومن يقطعه ؟ قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي قال ومن هذا النبي ؟ قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحق ما تخبرني ؟

(١) من هنا إلى قوله وقال أبو نعيم في صفحة ٢٧٢ مكتوب بمحاشية الحلبي لم يرد في المصرية .

قال نعم والشق والنسق والقمر إذا اتسق إن ما أنبأتك عليه لحق . وواقفه على ذلك شق سوا بسواه
بعبارة أخرى كما تقدم . ومن شعر سطيح قوله :

عليكم بتقوى الله في السر والجله ولا تلبسوا صدق الامانة بالذدر
وكونوا لجلال الخبز حصناً وجنة إذا ما عرته النائبات من الدهر

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ثم أورد ذلك المعاني بن زكريا الجري قال : وأخبار سطيح
كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنه كان كاهناً وقد أخبر عن النبي (ص) وعن فته
ومبعثه . وروى لنا بإسناد الله به أعلم أن النبي (ص) سئل عن سطيح فقال : « نبي ضيعه قومه » .

قلت : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الاسلام المعهودة ولم أره بإسناد أصلاً .
ويروى مثله في خبر خالد بن سنان العيسى ولا يصح أيضاً وظاهر هذه العبارات تدل على علم جيد
لسطيح وفيها روايح التصديق لكنه لم يدرك الاسلام كما قال الجري . فانه قد ذكرنا في هذا الاثر أنه
قال لابن أخيه : يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب المراوة ، وفاض وادي السماوة
وغاضت بحيرة ساوة ، وخذت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً بملك منهم ملوك . وملكات ، على
عدد الشرفات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وكان ذلك بعد مولد رسول الله (ص) بشهر -
أوشية - أي أقل منه - وكانت وفاته باطراف الشام مما يلي أرض العراق - فانه أعلم بأمره وما صار اليه .
وذكر ابن طرار الجري^(١) أنه عاش سبعاً وستة سنة . وقال غيره خمسمائة سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة فانه أعلم .
وقد روى ابن عساكر أن ملكاً سأل سطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه فأخبره على الجلية في كلام
طويل مليح فصيح . فقال له الملك باسطيح ألا تخبرني عن عدك هذا ؟ فقال إن علمي هذا ليس مني
ولا يجزم ولا بظن ولكن أخذته عن أخ لي قد سمع الوحي بطور سيناء . فقال له أرايت أخاك هذا الجني
أهو ملك لا يفارقك ، فقال انه ليزول حيث أزول ، ولا أنطق إلا بما يقول . وتقدم أنه ولد هو وشق بن
مصعب بن يشكر بن رهم بن بسر بن عقبة الكاهن الآخر ولدا في يوم واحد ، فحُملا إلى الكاهنة طريفة
بنت الحسين الحميدية فتفلت في أفواههما فورثا منها الكهانة وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ويقال
إن خالد بن عبد الله القسري من سلالة ، وقد مات شق قبل سطيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن خيلة الغساني النصراني فكان من المعبرين وقد
ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه وقال هو الذي صالح خالد بن الوليد على^(٢) . . . وذكر له معه قصة
طويلة وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يصبه سوء لانه لما أخذه قال : بسم الله والله رب الارض والسماء
الذي لا يضر مع اسمه أدنى . ثم أكل فقلته غشية فغضب بيديه على صدره ثم عرق وأفاق رضى الله عنه

(١) هكذا بالأصل ولعله المعاني بن زكريا الجري . (٢) كذا في الاصل يياض

وذکر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم (١)

وقال ابو نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا المسيب بن شريك حدثنا محمد بن شريك عن شبيب بن شبيب عن أبيه عن جده . قال: كان بمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصاً من أهل الشام وكان متخفراً بالعاص بن وائل وكان الله قد آتاه علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفق وعلم . وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيأتي الناس ويقول إنه بوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك المعجم هذا زمانه ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته وبالله ما تركت أرض الحر والخير والأمن ولا حلت بمرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول ما جاء به . فيقال له قصفه فيقول لا . ويكنم ذلك للذي قد علم أنه لاق من قومه مخافة على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى ادنى ما يكون إليه من الأذى يوماً . ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله (ص) خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصاً فوقف في أصل صومعته ثم نادى: يا عيصاه . فناداه من هذا ؟ فقال أنا عبد الله فأشرف عليه فقال كن أباه فقد ولد المولود الذي كنت أحدنكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال فانه قد ولد لي مع الصبح مولود . قال فما سميته ؟ قال محمداً قال والله لقد كنت أشتي أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال فعرفه بها منها أن نجمه طلع البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد . انطلق إليه فان الذي كنت أخبركم عنه ابنك . قال فما يدريك أنه ابني ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره ؟ قال قد وافق ابنك الاسم ولم يكن الله ليشبهه علمه على العلماء فانه حجة . وآية ذلك أنه الآن وجع فيشتكي أياماً ثلاثة ، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يماضي . فاحفظ لسانك فانه لم يحسد أحد حسده قط ولم يبيع على أحد كما يبيع عليه . ان تمس حتى يبدو مقاله ثم يدعو لظهورك من قومك مالا تحتله الا على صبر وعلى ذل فاحفظ لسانك ودارعه قال فما عمره ؟ قال ان طال عمره وان قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وتردونها من الستين في إحدى وستين او ثلاث وستين في اعمار جل امته . قال وحمل برسول الله (ص) في عاشر المحرم . وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل هكذا رواه أبو نعيم وفيه غرابة .

حولته وارضته عليه الصلاة والسلام

كانت ام أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر اعانها وزوجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضى الله عنهم . وارضته مع امه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه ابي لهب ثوية قبل حليلة السمية . اخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

الزهرى عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان . قالت : يا رسول الله انكح اختي بنت أبي سفيان - ولمسلم عزة بنت أبي سفيان - . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو تحبين ذلك ؟ » قلت نعم ! لست لك بمخلية ، واحب من شاركني في خير اختي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فان ذلك لا يحل لى » قالت فانا نحدث انك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة - وفي رواية درة بنت أبي سلمة قال « بنت أم سلمة » ؟ قالت نعم قال « انها لو لم تكن ريديتى في حجرى ما حلت لى . انها لابنة أخى من الرضاعة . ارضعتى واباسلمة ثويبة . فلا تعرض على بناتكن ولا اخواتكن » زاد البخارى قال عروة . وثويبة مولاة لابی لهب اعتمها فارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر خيبة . فقال له ماذا لقيت ؟ فقال أبو لهب لم ألق بعدكم خيراً غير أنى سقيت فى هذه بساتينى ثويبة - وأشار الى النقرة التى بين الابهام والذى تليها من الاصابع - .

وذكر السهيلي وغيره : ان الراى له هو اخوه العباس . وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبى لهب بعد وقعة بدر . وفيه ان أباهب قال للعباس انه ليخفف على فى مثل يوم الاثنين . قالوا لانه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتمها من ساعته فجوزى بذلك لذلك .

رضاعه عليه الصلاة والسلام

من حليلة بنت أبى ذؤيب السمدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة

قال محمد بن اسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت أبى ذؤيب ، واسمه عبد الله ابن الحارث بن شحنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر (١) قال واسم أبى رسول الله (ص) الذى أرضعه - يعنى زوج حليلة الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن . وأخوته عليه الصلاة والسلام - يعنى من الرضاعة - عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث وهى الشيماء وذكروا انها كانت تحضن رسول الله (ص) مع امه اذ كان عندهم .

قال ابن اسحاق : حدثنى جهم بن أبى جهم مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند الحارث بن حاطب ، ويقال له مولى الحارث بن حاطب . قال حدثنى من سمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال حدثت عن حليلة بنت الحارث انها قالت ! قدمت مكة فى نسوة (وذكر الواقدي باسناده انهن كن عشرة نسوة من بنى سعد بن بكر يلتمسن بها الرضعا) من بنى سعد فلتمس بها الرضعا فى سنة شهباء فقدمت

(١) والذى فى ابن هشام : ابن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر الخ وفى السهيلي قصية

بالفاء تصغير فصاة . وهى النواة . ووقع فى جميع نسخ ابن هشام قصية بالالف .

على أن لن لي قراء كانت أذمت بالركب (١) ومي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة . وما ننام
ليلتنا ذلك أجمع (٢) مع صبيتنا ذلك ما نجد في ندي ما ينهيه ولا في شارفنا ما ينهيه . ولكنا كنا نرجو
الفيث والفرج . فخرجت على أناني تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجزاً . قدمنا
مكة فوالله ما عدت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله (ص) فتأباه إذا قيل إنه يتيم تركناه .
قلنا ماذا عسى أن تصنع الينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد فلما أمه فإذا عسى أن تصنع الينا ،
فوالله ما بقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري . فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق قلت
لزوجي الحارث بن عبدالمزى والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معي رضيع .
لا نطلقن إلى ذلك اليتيم فلا خذه . فقال لا عليك أن تغلي فمسي أن يجعل الله لنا فيه بركة . فذهبت
فاخذته فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي فأقبل عليه ندياً بما
شاء من لبن . فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى . وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها
لحافل ، فغلب ما شرب وشربت حتى روينا . فبقنا بخير ليلة فقال صاحبي حين أصبحنا يا حليلة والله
إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة . ألم ترى ما بقنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه . فلم يزل الله
عز وجل يزيدنا خيراً . ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لتقطت أناني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار
حتى أن صواحي ليقلن ويلك يا بنت أبي ذؤيب هذه أنانك التي خرجت عليها معنا ؟ فأقول نعم والله إنها
لهي قتلن والله إن لها لشأناً . حتى قدمنا أرض بني سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها فإن
كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبنا فتحلب ماشئنا وما حوالبنا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة
لبن وإن أغنامهم لتروح جياعاً حتى إنهم ليقولون لرعاتهم - أو لرعيانهم - ويحكم انظروا حيث تسرح
غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فتروح أغنامهم جياعاً ما فيها قطرة
لبن وتروح أغنامي شباعاً لبناً تحلب ماشئنا . فلم يزل الله يرينا البركة ثم عرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب
شباباً لا تشبه الغلمان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً (٣) قدمنا به على أمه ونحن أضن شيء به
مما رأينا فيه من البركة . فلما رآته أمه قلت لها دعينا نرجع بابنتنا هذه السنة الأخرى فانا نخشى عليه وباء
مكة . فوالله ما رزلنا بها حتى قالت نعم . فسرحته معنا فأقننا به شهرين أو ثلاثة . فبينما هو خلف بيوتنا مع
أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد فقال ذلك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض
فاضجماه فشنا بطنه . فخرجت أنا وأبوه فشدنهم فنجده قائماً . فتعقوا لونه . فاعتقه أبوه وقال يا بني

- (١) أي جاءت بما تدم عليه . أو يكون من قولهم يترد على أي قليلة الماء . ويروى حتى أذمت أي
حبستهم وكأنه من الماء الدائم (٢) الذي في ابن هشام : وما ننام ليلتنا أجمع من صبيتنا الذي معنا من
بكانه من الجوع . (٣) استجفر الصبي إذا قوى على الأكل نقلاً عن محمود الامام

ما شأنك؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجماني وشقا بطني ثم استخرجا مني شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعتا به معنا فقال أبوه يا حليلة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقى بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نخوف . قالت حليلة فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به . قدمنا به عليها فقالت ما رد كما به يا ظئر فقد كتبنا عليه حريصين؟ قال لا والله إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى الائتلاف والاحداث نرده إلى أهله . فقالت ماذا بكما فاصدقاني شأنكما؟ فلم تدعنا حتى أخبرنا بما خبره ، فقالت أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل . والله إنه لكائن لابني هذا شأن ألا أخبركما خبره؟ قلنا بلى ! قالت حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه فارتيت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضادت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود ، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعاة عنكما . وهذا الحديث قد روى من طرق أخر وهو من الاحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي .

وقال الواقدي: حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال خرجت حليلة تطلب النبي (ص) وقد وجدت البهم ثقيل فوجدته مع أخته فقالت في هذا الحر؟ فقالت اخته يا أمه ما وجد أخى حرّاً . رأيت غمامة تظلل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع .
وقال ابن اسحاق: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص) أنهم قالوا له أخبرنا عن نفسك . قال : « نعم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضادت له قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينما أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً فاضجماني فثقتا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا مني علقة سوداء فلقياها . ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى اذا القياه رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بشرة من أمتي فوزني بشرة فوزتهم ، ثم قال زنه بمائة من أمتي فوزني بمائة فوزتهم . ثم قال زنه بالف من أمتي فوزني بالف فوزتهم ، فقال دعه عنك فلو وزته بمائة فوزتهم » وهذا اسناد جيد قوى .

وقد روى أبو نعيم الحافظ في الدلائل من طريق عمر بن الصبح وهو أبو نعيم عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن اوس هذه القصة مطولة جداً ولكن عمر بن صبح هذا متروك كذاب منهم بالوضع . فلماذا لم نذكر لفظ الحديث اذ لا يفرح به ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن فخير حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقية بن الوليد عن بجير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمي عن عتبة بن عبد الله أنه حدثه أن رجلاً سأل النبي (ص) فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: « كانت حاضتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ

منازاداً قُلت يا أخى اذهب فائتنا بزاد من عندنا فانطلق أخى ومكثت عنده بهم فاقبل طائران
أبيضان كأنهما نسران ، قال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال نعم اقبلا بيتدرانى فاخذاني فبطحاني للفتا
فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه . فاخرجا منه عفتين سوداوين ، قال أحدهما لصاحبه ائتني بماء ثلج
ففسلا به جوفى ثم قال ائتني بماء برد ففسلا به قلبى ثم قال ائتني بالسكينة فذرهما فى قلبى ثم قال أحدهما
لصاحبه خطه نفاطه وختم على قلبى بخاتم النبوة ، قال أحدهما لصاحبه اجعله فى كفة واجعل ألفاً من أمته
فى كفة ، فاذا أنا أنظر الى الالف فوقى اشفق أن يخر على بعضهم . فقال لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم
انطلقا فتركاى وفرقت فرقاً شديداً ، ثم انطلقت الى أمى فاخبرتها بالذى لقيت فاشفقت أن يكون قد
لبس بي فقالت أعيذك بالله . فرحلت بعيراً لها وحملتني على الرحل وركت خلفي حتى بلغنا الى أمى ،
فقال أدبت أمانتي وذمتي وحدثتها بالذى لقيت فلم يرعها . وقالت إني رأيت خرج مني نور أضاءت
منه قصور الشام » ورواه أحمد من حديث بقية بن الوليد به . وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره
عن بقية بن الوليد به . وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا جعفر بن عبد الله بن
عثمان القرشي أخبرني عمير بن عمر بن عروة بن الزبير . قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر
الغفاري قال قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبى حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبى ؟ قال : « يا أبا
ذر أتاني ملكان وأنا ييمض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الارض ، وكان الآخر بين السماء والارض
فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال هو هو . قال زنه رجل فوزني رجل فرجته » وذكر تمامه ، وذكر
شق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال « فما هو الآن وليا عني فكأنما أعابن الأمر معاينة »
ثم أورد ابن عساكر عن أبي بن كعب بنحو ذلك . ومن حديث شداد بن أوس بإسقاط من ذلك . وثبت
في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك : أن رسول الله (ص) أتاه جبريل
عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علة
سوداء فقال هذا حظ الشيطان ، ثم غسله فى طشت من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه
وجاء الغلمان يسعون الى أمه - بمنى ظنوه - فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال
أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره . وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب عن عمرو
ابن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن ثابت البناني عن أنس أن الصلاة فرضت بالمدينة ، وأن ملسكين
أتيا رسول الله (ص) فذهبا به الى زمزم فشقا بطنه فاخرجا حشوته فى طشت من ذهب ففسلاه بماء زمزم
ثم لبسا جوفه حكمة وعلماً . ومن طريق ابن وهب أيضا عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه
عن عبد الرحمن بن عامر بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس قال : أتى رسول الله (ص) ثلاث ليال قال
خذوا خيرهم وسيدهم ، فأخذوا رسول (ص) فمهد به إلى زمزم فشق جوفه ثم أتى بتور من ذهب ففسل

جوفه ثم ملئ حكمة وإيماناً . وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس . وفي الصحيحين من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس وعن الزهري عن أنس عن أبي ذر وقتادة عن أنس وعن مالك بن صعصعة عن النبي (ص) في حديث الاسراء كما سيأتي قصة شرح الصدر ليلثد وإنه غسل بماء زمزم ، ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليلة الاسراء ليتأهب للوفود إلى الملاء الأعلى ولما جاة الرب عز وجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) يقول لا محاباة : « أنا أعربكم ، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر » وذكر ابن اسحاق : أن حليلة لما أرجسته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقلبوه وقالوا إناسنذهب بهذا الغلاء إلى ملكتنا فانه كائن له شأن فلم تكذب فنفلت منهم إلا بعد جهد . وذكر أنها لما ردت حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده فجاءت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طلبه ، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به جده ، فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به يموذه ويدعو له ثم رده إلى أمه آمنة . وذكر الأُموي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الواقصي - وهو ضعيف - عن الزهري عن سعيد بن المسيب قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليلة على غير سياق محمد بن اسحاق . وذكر أن عبد المطلب أسر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة فطاف حتى استأجر حليلة على رضاعه وذكر أنه أقام عندها ست سنين تربيته جده في كل عام فلما كان من شق صدره عندهم ما كان رذته اليهم فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمانى سنين ماتت فكفله جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عمه شقيقاً أبيه الزبير وأبو طالب ، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آيات في تلك السقرة منها أن خلا من الابل كان قد قطع بعض الطريق في واد مرمم عليه فلما رأى رسول الله (ص) برك حتى حك بكلكاه الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام . ومنها أنه خاض بهم سيلاً عرماً فأبىسه الله تعالى حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فأفرد به أبو طالب .

والمقصود أن بركنه عليه الصلاة والسلام حلت على حليلة السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن بكاهم فواضله حين أسرمهم بعد وقتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . ففتوا إليه برضاعه فاهتقم وتحنن عليهم وأحسن اليهم كما سيأتي مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن اسحاق : في وقعة هوازن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . قال : كنا مع رسول الله (ص) بمجنين فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجرانة وقد أسدوا ، فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا من الله عليك . وقام

خطيبهم زهير بن سرد فقال : يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبايا خلائك وحواضك اللاتي كن يكفلنك ، فلو أما ملحننا (١) ابن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائلتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

أمنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه ونذخر
أمنن على بيضة قد عاقها قدر ممزق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن على قلوبهم النماء والضر
إن لم تداركها فناء تنشرها يا أرجح الناس حلاً حين يختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها كدر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزيناك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كن شالت فعامته واستبق منا فاما معشر زهر
إنا للشكر للنمى وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبي الرملي عن زياد بن طارق الجشمي عن أبي سرد زهير بن جرو - وكان رئيس قومه - قال لما أسرنا رسول الله (ص) يوم حنين فيينا هو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى قعلت بين يديه وأسمعته شعراً ، أذكره حين شب ونشأ في هو اذن حيث أرضعوه :

أمنن علينا رسول الله في دعي فإنك المرء نرجوه وننظر
أمنن على بيضة قد عاقها قدر ممزق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن على قلوبهم النماء والضر
إن لم تداركها فناء تنشرها يا أرجح الناس حلاً حين يختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها الدر
إذ أنفت طفل صغير كنت ترضعها وإذ يزيناك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كن شالت فعامته واستبق منا فاما معشر زهر
إنا للشكر للنمى وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس الغوم من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن الغوم مشهر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه هذي البرية إذ تغفو وتنتصر
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

(١) يعني أرضعنا . وابن أبي شمر هو الحارث النسائي .

قال فقال رسول الله (ص): «أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم» قالت الانصار: وما كان لنا فهو لله ولرسوله (ص). وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الدرية وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعظام أنفاماً وأنملى كثيراً. حتى قال أبو الحسين بن فارس فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم. فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة.

قصة أم آمنة

قال ابن اسحاق: بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رضاعة حليلة له. فكان رسول الله (ص) مع أمه آمنة بنت وهب، وجدده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه، ينبتة الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب.

قال ابن اسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله (ص) آمنة توفيت وهو ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم. فماتت وهي راجعة به إلى مكة. وذكر الواقدي بإسناده أن النبي (ص) خرجت به أمه إلى المدينة وممها أم أيمن وله ست سنين، فزارت أخواله. قالت أم أيمن فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لي أخرجني أينا أحد تنظر إليه، فنظرا إليه وقلبا فقال أحدهما لصاحبه هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته، وسيكون بها من اتقتل والسبي أمر عظيم. فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به، فماتت بالابواء وهي راجعة. وقد قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أيوب ابن جابر عن سمالك عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله (ص) حتى إذا كنا بؤدان قل «مكانكم حتى آتيكم» فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل، قال: «إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة - يعني لها - فمنعها، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكأوا وامسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن الاشرية في هذه الاوعية فاشربوا ما بدا لكم» وقد رواه البيهقي من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن يزيد عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال: انتهى النبي (ص) إلى رجم قبر فجلس وجلس الناس حوله، فجعل يحرك رأسه كالخطاطب ثم بكى فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في أن أزور قبرها فلذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فإني غلي، وأدركتني رقتها فبكيت». قال فما رؤيت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة. تابعه محارب بن دثار عن بريدة عن أبيه. ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن بحر بن نصر عن عبد الله بن وهب حدثنا ابن جريج عن أيوب بن هاني عن

مسروق بن الاعدع عن عبد الله بن مسعود . قال : خرج رسول الله (ص) ، ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فامرنا بجلوسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها - فناجاه طويلاً ثم ارتفع فحبيب رسول الله (ص) با كياً فبكينا لبكاء رسول الله (ص) . ثم ان رسول الله (ص) اقبل علينا فلقاه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ما الذي ابكاك ؟ لقد أبكنا وافرغنا . فجاء فجلس الينا فقال : « افزعكم بكائي ؟ » قلنا نعم ! قال : « ان القبر الذي رأيتموني اناجي قبر آمنة بنت وهب ، واني استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي ، واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ، ونزل علي (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم ، وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حلیم) فاخذني ما يأخذ الولد لوالده من الرقة فذلك الذي ابكاني » غريب ولم يخرجوه . وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : زار النبي (ص) قبر أمه فبكى وابكى من حوله ثم قال : « استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ، فزوروا القبور تذكركم الموت » . وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : « في النار » فلما قفا دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار » . وقد روى البيهقي من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين عن ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عاصم بن سعد عن أبيه . قال : جاء أعرابي الى النبي (ص) فقال إن أبي كان يصل الرحم ، وكان ، وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار » قال فكان الأعرابي وجد من ذلك ، فقال يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : « حيثما سررت بقبر كافر فبشره بالنار » قال فاسلم الأعرابي بعد ذلك . فقال : لقد كافئ رسول الله (ص) تعباً ، ما سررت بقبر كافر الا بشرته بالنار . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب - حدثنا ربيعة بن سيف الماعري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو . قال بينما نحن نمشي مع رسول الله (ص) إذ بصر بامرأة لا يظن أنه عرفها ، فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت اليه ، فاذا فاطمة بنت رسول الله (ص) . فقال : « ما أخرجك من بيتك يا فاطمة ؟ » قالت أتيت اهل هذا البيت فترحت اليهم ميتهم وعزيتهم . قال : « لعلك بلغت معهم الكدى (١) » قالت معاذ الله أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر (٢) . قال : « لو بلغتني معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جسد أهلك » ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث ربيعة بن سيف بن مانع الماعري الصنعبي

(١) أراد بها المقابر وذلك لأنها كانت مقابرهم في مواضع صلبة . وهي جمع كدية القطعة الفليضة من الأرض

(٢) هو ما رواه أصحاب السنن من قوله (ص) « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »

الاسكندري وقد قال البخاري عنده منا كير . وقال النسائي : ليس به بأس وقال مرة صدوق ، وفي نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطئ كثيراً . وقال الدارقطني صالح . وقال ابن يونس في تاريخ مصر في حديثه منا كير توفي قريبا من سنة عشرين ومائة ، والمراد بالكدي القبور - وقيل النوح -

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافا لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب على ما سيأتي في وفاة أبي طالب ، وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدح في نسبه عليه الصلاة والسلام لأن انكحة الكفار صحيحة . الاتراهم يسلون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم إذا كان مثله يجوز في الاسلام وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلت : وإخباره (س) عن أبيه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سندا ومتنا [في تفسيرنا] عند قوله تعالى (وما كنا ممذيين حتى نبعث رسولا) فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا مناقاة والله الحمد والمنة .
وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في اسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (س) سأل ربه أن يمحي أبايه ، فلحياها وآمانا به ، فانه حديث منكر جداً . وإن كان ممكنا بالنظر إلى قدرة الله تعالى . لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم .

فصل في مناقاة

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (س) مع جده عبد المطلب بن هاشم - يعني بعد موت أمه آمنة بنت وهب - فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له . قال فكان رسول الله (س) يأتي وهو غلام جفرا حتى يجلس عليه . فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه . فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا إني فوالله إن له لثأنا ، ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع . وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري وحدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله . وحدثنا هاشم بن عاصم الأسلمي عن المنذر بن جهم . وحدثنا معمر بن ابن أبي نجيح عن مجاهد . وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الجويرث . وحدثنا ابن أبي سيرة عن سليمان بن

سحيم عن ثلق عن ابن جبر - دخل حديث بعضهم في بعض - قالوا : كان رسول الله (س) يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده ، وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا لم . وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك دعوا ابني إنه يؤسس ملكاً .

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب احتفظ به فانا لم نر قدماً أشبه بالتقدم الذي في المقام منه . فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء ! فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأُم أيمن - وكانت تحضنه - يا بركة لا تقفل عن ابني فأني وجدته مع غلمان قريب من السدرة ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة . وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول على بابي فيؤتي به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله (س) ، وحياطته ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون .

وقال ابن اسحاق : فلما بلغ رسول الله (س) ثمان سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم . ثم ذكر جمعه بناته وأمره إياهن أن يرثينه . وهن ، أروى وأميمة ، وبرة ، وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء وذكرا أشجارهن وما قلن في رثاء أيمن وهو يسمع قبل موته وهذا أبلغ النوح . وبسط القول في ذلك وقد قال ابن هشام ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن اسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولّى السقاية وزمزم به - به ابنه العباس ، وهو من أحدث إخوته سناً فلم تول إليه حتى قام الاسلام وأقرها في يده رسول الله (س) . وكان رسول الله (س) بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . قال فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله (س) . وكان إليه ومعه . وقال الواقدي : أخبرنا معمر عن ابن نجيح عن مجاهد . وحدثنا معاذ بن محمد الانصاري عن عطاء عن ابن عباس . وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا : لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله (س) فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينال إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه . وصب به أبو طالب صباة لم يصب مثلها بشئ قط . وكان ينحسه بالطعام وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله (س) شبعوا . فكان إذا أراد أن يضيئهم قال كما أنتم حتى يأتي ولي . فأتى رسول الله (س) فبأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن منهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب إنك

لمبارك . وكان الصبيان يصبحون رمصاً شمساً ويصبح رسول الله (س) دهنياً كحلاً .

وقال الحسن بن عرفة حدثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمرو سمعت عطاء بن أبي رباح سمعت ابن عباس يقول : كان أبو طالب يصبحون رمصاً عصاً ويصبح رسول الله (س) صقيلاً دهنياً وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحاتهم أول البكرة ، فيجلسون ويتهيئون ويكف رسول الله (س) يده فلا يذهب معهم . فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة .

وقال ابن اسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن رجلاً من لمب كان عائماً فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بملابسهم ينظر إليهم ويستاق لهم فيهم . قال فأتى أبو طالب برسول الله (س) وهو غلام مع من يأتيه قل فنظر إلى رسول الله (س) ثم شغله عنه شيء . فلما فرغ قال : الغلام على به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذي رأيته آتماً فوالله ليكون له شأن . قال وانطلق به أبو طالب .

فصل في خروج علي عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب

قال ابن اسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام . فلما نهباً للرحيل وأجمع السير صب به رسول الله (س) . فيما يزعمون - فرق له أبو طالب وقال والله لا أخرجن به معى ولا أفارقه ولا يفارقنى أبداً - أو كما قال - فخرج به . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب فيها . إليه يصير عليهم عن كتاب فيما يزعمون . يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببجيرة - وكانوا كثيراً ما يمرّون به - فلا يكلمهم ولا يمرض لهم - حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله (س) في الركب حتى أقبل وغمامة تظله من بين القوم . ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله (س) حتى امتنظلت تحتها . فلما رأى ذلك ببجيرة نزل من صومعته وقد أسر بطعام فصنع . ثم أرسل إليهم . فقال إني صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش فأتوا أحب أن نحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحرّمكم . فقال له رجل منهم والله يا بحيرى إن لك لثأناً اليوم . ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال له ببجيرة صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فأتوا كلون منكم فاجتمعوا إليه وتحلف رسول الله (س) من بين القوم لحدائقه سنة في رحال القوم تحت الشجرة

فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويحده عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى قالوا يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدثنا سناً . فتخلف فى رحالنا . قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم . قال فقال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رأى بحيرى جمل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له يا غلام : أسألك بحق اللات والعزى الا أخبرتنى عما أسألك عنه . وانما قال له بحيرى ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما . فزعموا أن رسول الله (ص) قال له : لا تسألنى بالللات والعزى شيئاً . فوالله ما ابتضت شيئاً قط بنفسهما . فقال له بحيرى : فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟ فقال له سألنى عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره . فجعل رسول الله (ص) يخبره . فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده ، فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال ما هذا الغلام منك ؟ قال ابنى قال بحيرى ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، قال فانه ابن أخى . قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبقنه شراً ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريماً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن اسحاق : فزعموا فيما روى الناس أن زبراً ، وثماما ، ودريسا - وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا رسول الله (ص) . مثلما رأى بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب فارادوه فردم عنه بحيرى . فذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته وأنهم اجتمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه . وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق أن أبا طالب قال فى ذلك ثلاث قصائد . هكذا ذكر ابن اسحاق هذا السياق من غير اسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .

قال الحافظ أبو بكر الخرائطى حدثنا عباس بن محمد الدورى حدثنا قراد أبو نوح حدثنا يونس عن أبى اسحاق عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام ومعه رسول الله (ص) فى أشياخ من قريش . فلما أشرفوا على الراهب - يعنى بحيرى - هبطوا فخلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يبرون به فلا يخرج ولا يلتفت اليهم قال قتل وهم يحلون رحالهم . فجعل يتخللهم حتى جاء . فاخذ بيد النبي (ص) . فقال هذا سيد العالمين . وفى رواية البيهقى زيادة هذا رسول رب العالمين ، بعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : وما علمك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق

شجرة ولا حجر الاخر ساجدا ، ولا يسجدون الا لني ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه . ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الابل - قال أرسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله . فلما دنا من القوم قال انظروا اليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال في الشجرة عليه . قال انظروا الى في الشجرة مال عليه قال فيينا هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به الى الروم فان الروم إن رأوه عرفوه بالصفة قتلوه فالتفت فاذا هو بسبعة نفر من الروم قد اقبلوا . قل فاستقبلهم فقال ما جاء بكم ؟ قالوا جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بئث اليه ناس وإنا أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا لا إنما أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال أفأرأيتم أسراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ فقالوا لا . قال فبايعوه وأقاموا معه عنده . قال فقال الراهب أشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكمك والزيت . هكذا رواه الترمذي عن أبي العباس الفضل بن سهل الاعرج عن قراد أبي نوح به . والحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد الدوري به . وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي مولاهم ، ويقال له الضبي ويعرف بقراد . سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرحه ومع هذا في حديثه هذا غرابة ، قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه . وقال عباس الدوري ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح وقد سمعته منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته واغفراده . حكاه البيهقي وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرائب أنه من مراسلات الصحابة فان أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خير سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن اسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى كل تقدير فهو مرسل . فان هذه القصة كانت ورسول الله (ص) من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي (ص) فيكون لبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثاني : أن الغمامة لم تذكر في حديث اصح من هذا .

الثالث . أن قوله وبعث معه أبو بكر بلالا إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، فأن كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب اللهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله (ص) كبيراً . إما بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظ ، فانه إنما

ذكره مقيداً بهذا الواقدي . وحكى السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم . قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ (رسول الله ص) اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرى . فقال لأبي طالب بالسرا ما قال . وأمره أن يحتفظ به فردده معه أبو طالب إلى مكة .

وشب رسول الله (ص) مع أبي طالب يكاؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايبها لما يريد من كرامته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم حواراً ، وأعظمهم حملاً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبصدقهم من الفحش والأذى . ما روى ملاحياً ولا ممارياً أحداً ، حتى ساء قومه الأيمن . لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا خالد بن معدان حدثنا معتبر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز أن عبد المطلب - أبا طالب شك خالد - قال لما مات عبد الله عطف على محمد فكان لا يسافر سافراً إلا كان معه فيه ، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلاً فأتاه فيه راهب . فقال إن فيكم رجلاً صالحاً : ثم قل أين أبو هذا الغلام ؟ قل فقال ها أنا ذا وليه - أو قيل هذا وليه - قل احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسدوا في أخشام عليه . قال ما أنت تقول ذلك ، ولكن الله بقوله . فردده وقال اللهم إني أستودعك محمداً ثم إنه مات .

فَصْنَةُ بَحِيرَى

حكى السهيلي عن سير الزهرى أن بحيرى كان حبراً من أحبار يهود . قلت : والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً والله أعلم . وعن المسعودى أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جرجيس . وفي كتاب المعارف لابن قتيبة سمع هاتف في الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة ، بحيرى ، ورناب بن البراء الشنى ، والثالث المنتظر . وكان الثالث المنتظر هو الرسول (ص) . قال ابن قتيبة وكان قبر رناب الشنى وقبر واه من بعده لا يزال يرى عندهما طش ، وهو المطر الخفيف .

فَصْنَةُ بَحِيرَى

في منشته عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له ، وحياطه ، وكيف كان يتيماً فأواه وعائلاً فأغناه قال محمد بن اسحاق : شب رسول الله (ص) يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما

يريد من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه سرورة ، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حساباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حياءً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبدم من الفحش والاختلاق التي تدنس الرجال نزعها وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الامين ، لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وكان رسول الله (س) ، فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأسر جاهليته أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل منهم كذلك وأدبر إذ لاكني لا كم ما أراه لكمة وجيمة ، ثم قال شد عليك إزارك . قال فأخذته فشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزارى على من بين أصحابي » . وهذه القصة شبيهة بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فان لم تكنها فهي متقدمة عليها كالنوطة لها والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله (س) . ينقل الحجارة . فقال العباس لرسول الله (س) : إجمل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « إزارى » فشده عليه إزاره . أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق . وأخرجاه أيضاً من حديث روح بن عبادة عن زكرياء بن أبي اسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق الصاغانى حدثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن ممالك عن عكرمة حدثني ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت ، قال وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد . قال فكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة ، فإذا غشنا الناس أئثرنا . فبينما أنا أمشي ومحمد أمامي قال فخر وانبطح على وجهه ، فجت أسعى وألقيت حجرى وهو ينظر إلى السماء قلت ما شأنك ؟ فقال وأخذ إزاره قال « إني نيت أن أمشي عرباً » . قال وكنت أكنتم من الناس مخافة أن يقولوا مجنون . وروى البيهقي من حديث يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب . قال سمعت رسول الله (س) يقول « ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهمنون به من النساء الا ليلتين كلتاها عصني الله عز وجل فيها . قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غنم أهلها - قلت لصاحبى أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسر الفتيان قال بلى . قال فسلطت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزرا بالفرابي والمزامير قلت ما هذا

قالوا تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال ما فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئاً ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لي غنمي حتى اسمر ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة . فسألت فقيل نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال ما فعلت ؟ فقلت لا شيء . ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته « وهذا حديث غريب جداً وقد يكون عن علي نفسه ويكون قوله في آخره » حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته « مقحماً والله أعلم .

وشيوخ ابن اسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات . وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح . قال شيخنا في تهذيبه ولم أقف على ذلك والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : حدثني أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن علي بن عثمان العامري حدثنا أبو أسامة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة . قال : كان صنم من نحاس قال له أساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا . فطاف رسول الله (ص) . وطفت معه ، فلما مررت مسحت به فقال رسول الله (ص) « لا تمسه » . قال زيد فطفنا فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته فقال رسول الله (ص) « ألم تنه » قال البيهقي : زاد غيره عن محمد بن عمرو بإسناده قال زيد فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لبخيري حين سأله باللات والعزى « لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً بقضهما » فلما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني . أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ حدثنا إبراهيم بن أسباط حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن صفيان الثوري عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان النبي (ص) يشهد مع المشركين مشاهدتهم قال فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى قوم خلف رسول الله (ص) . قل كيف قوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام ؟ . قال فلم يمد يده بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدتهم . فهو حديث أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة حتى قال الإمام أحمد فيه لم يكن أخوه يتلفظ بشيء من هذا . وقد حكى البيهقي عن بعضهم أن معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام وذلك قبل أن يوحى إليه والله أعلم . وقد تقدم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسائه . وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس يعرفات كما قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق * حدثني عبد الله بن أبي بكر

عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول الله (ص) وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له برقات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من الله عز وجل له .

قال البيهقي : معنى قوله على دين قومه ما كان بقي من آثر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ولم يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : ويفهم من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف برقات قبل أن يوحى إليه . وهذا توفيق من الله له . ورواه الإمام أحمد عن يعقوب عن محمد بن إسحاق به . ولفظه رأيت رسول الله (ص) قبل أن ينزل عليه وإنه لواقف على بعير له مع الناس برقات حتى يدفع معهم توفيقاً من الله . وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أضللت بعيراً لي بركة فذهبت أطلبه فإذا النبي (ص) واقف قلت إن هذا من الخمس (١) ما شأنه ههنا ؟ وأخرجاه من حديث سفيان بن عيينة به .

شهره عليه الصلوة والسلام حرب الفجار

قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله (ص) ابن عشرين سنة ، وإنما سمي يوم الفجار ، بما استحل فيه هذان الحيان - كنانة وقيس عيلان - من المخازم بينهم . وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس . وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة . حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله (ص) أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني به أبو عبيدة النخعي عن أبي عمرو بن الصلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة - أي تجارة - للنعمان بن المنذر . فقال البراض بن قيس - أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - أنجزها على كنانة ؟ قال نعم وعلى الخلق . فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلة . حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام . فلذلك سمي الفجار ، وقال البراض في ذلك :

وداهية نهم الناس قبلي شددت لها بني بكر ضلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالى بالضرع

(١) الخمس جمع أحس . وهم قريش ومن ولدت ، وكنانة ، وجديلة سمو أحسا ، لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا . والحامسة الشجاعة كانوا يقفون في المزدلفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم

رَفَعَتْ لَهُ بَنِي طَلَّالُ كَفَى فَرَّ يَمِيدُ كَلِجْدُ الصَّرِيعِ

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

وَأَبْلَغُ - إِنْ عَرَضَتْ - بَنِي كَلَابِ وَعَامَرُ وَالْخَطُوبُ لَهَا مَوَالِي

وَأَبْلَغُ - إِنْ عَرَضَتْ - بَنِي كَلَابِ وَعَامَرُ وَالْخَطُوبُ لَهَا مَوَالِي

بَأْسَ الْوَافِدِ الرَّحَالِ أَمْسَى مَقِيماً عِنْدَ تَيْمُنَ ذِي طَلَّالِ

قال ابن هشام : فأتى آت قريباً فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهو في الشهر الحرام بمكاظ . فارتحلوا وهو أذن لا تشعروهم . ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم فادركوهم قبل أن يدخلوا الحرم . فاقتتلوا حتى جاء الليل فدخلوا الحرم فأسكت هوأذن عنهم ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم . قال وشهد رسول الله (ص) بعض أيامهم . أخرجه إمامهم معهم وقال رسول الله (ص) : « كُنتُ أَنْبِلُ عَلَى أَعْمَامِي » أى أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها .

قال ابن هشام : وحديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرنا وإنما معنى من استقصاه قطعه حديث سيرة رسول الله (ص) .

وقال السهيلي : والفجار بكسر الفاء على وزن قتال . وكانت الفجارات في الرب أربعة ذكروهن المسعودى . وآخرهن ، فجار البراض هذا . وكان القتال فيه في أربعة أيام ، يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوماً - وهو الذى حضره رسول الله (ص) وفيه قيدا رئيس قريش وبني كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أنفسهم لثلاثا يفرؤا . وانهمزمت يومئذ قيس إلا بنى نضر فاتهم ثبتوا . ويوم الخريزة عند نخلة . ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ . فلما توافوا الموعد ركب عتبة بن ربيعة جملة وفادى يامشعر مضر غلاما قتلتون ؟ فقالت له هوأذن : ما تدعرا إليه ؟ قال الصلح ، قالوا وكيف ؟ قال ندى قتلاكم ونزهنكم رهائن عليها ، ونفرو عن دياتنا . قالوا ومن لنا بذلك قال أنا ، قالوا ومن أنت ؟ قال عتبة بن ربيعة فوقع الصلح على ذلك وبشوا إليهم أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام فلما رأته بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا عن دياتهم واهتضت حرب الفجار . وقد ذكر الاموى حروب الفجار وأيامها واستقصاها مطولا فيما رواه عن الاثرم . وهو المغيرة ابن على عن أبى عبيدة معمر بن المثنى فذكر ذلك .

فَضْلُ الْمَالِ

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو سعد المالىنى أن أبانا أبو احمد بن على الحافظ حدثنا يحيى بن على

ابن هاشم الخفاف حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا إسماعيل بن علي عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال قال رسول الله (ص) : « شهدت مع عمو متي حلف المطيبين فما أحب أن أنسكته - أو كفة نحوها - وإن لي حمر النعم » . قال وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن . قال وأخبرنا أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو بكر بن أحمد بن داود السناني حدثنا معلى بن مهدي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « ما شهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين » وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت نقضته » قال : والمطيبون هاشم ، وأمّية ، وزهرة ، ومخزوم ، قال البيهقي : كذا روى هذا التفسير مدرجاً في الحديث ولا أدري قائله ، وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فان النبي (ص) لم يدرك حلف المطيبين .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصي وتنازعوا في الذي كان جمعه قصي لابنه عبد الدار من السقاية ، والرفادة ، واللواء ، والندوة ، والحجابه ، ولزعمهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصرة لحزبهم فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا . فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت . فسما المطيبين كما تقدم وكان هذا قديماً ولم يكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جدعان كما رواه الحيدري عن سفيان بن عيينة عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قال قال رسول الله (ص) : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت » ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يمد^(١) ظالم مظلوماً . قالوا : وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبيد المطلب وكان سمي أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنده حقه ، فاستمدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوماً وجمها وسهماً وعدى بن كعب فأنوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه - أي انهروه - فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس - وقريش في أيديهم حول الكعبة - فنادى بأعلى صوته :

يا آل زهيرٍ لمظلومٍ بضاعتُهُ يبتغي مكة فاني الدار والنهر
ومحرمٍ أشعثٍ لم يقضِ عمرتهُ بالرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن ماتت كرامتهُ ولا حرام لثوب الفاجر البذر

(١) كذا بالأصلين . والذي في السهلي : يمر ظالم مظلوماً .

قام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدهان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكون بداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي اليه حقه ما بل بحر صوفة . ومارسى ثبير وحراء مكنهما . وعلى الناسى في المعاش . فسدت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فأنزعوها منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه . وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك :

حلفتُ لَمُعِدُنْ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نَسِيهِ الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَمْرُوبِهِ الْغَرِيبُ لِذِي الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوْلَى الْبَيْتِ أَنَا أَبَا الضَّمِيرِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ
وقال الزبير أيضاً :

إِن الْفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا أَلَا يُقِيمُ بَيْطَنَ مَكَّةَ ظَالِمَ
أَمْرًا عَلَيْهِ تَعَاقَدُوا وَتَوَاتَفُوا فَلِجَارٍ وَالْمُعْتَرِّ فِيهِمْ سَالِمَ
وذكر قاسم بن ثابت - في غريب الحديث - : أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجاً - أو ممتراً - ومعه ابنة له يقال لها القتل من أوضاء نساء العالمين ، فاجتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه . فقال الخثعمي : من يمدني على هذا الرجل ؟ فقيل له عليك بحلف الفضول . فوقف عند الكعبة ونادى بال حلف الفضول : فإذا هم يعتقدون اليه من كل جانب ، وقد اتصوا أسياقهم يقولون : جارك الفوث فما لك ؟ فقال إن نبيها ظلمي في بنتي وأنزعها مني قسراً فداروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ، فقال افضل ، ولكن متعوني بها الليلة ، فقالوا والله ولا شخب لقحة فاخرجها اليهم وهو يقول :

رَاحَ صَحْبِي وَلَمْ أَحِجِّي الْقَتْلَا لَمْ أُوَدِّعْهُمْ وَدَاعًا جَمِيلَا
إِذَا جَدَّ الْفُضُولَ أَنْ يَمْنُمُوهَا قَدْ أَرَانِي وَلَا أَخَافُ الْفُضُولَا
لَا تَخَالِي أُنِي عَشِيَّةَ رَاحِ الرُّكَا بْهُنَّمِ عَلَيَّ أَنْ لَا يَزُولَا (١)

وذكر أياتاً أخر غير هذه . وقد قيل إنما سمي هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفاً تحالفته جرم على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه . وكان الداعي اليه ثلاثة من أشrafهم اسم كل واحد منهم فضل : وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة . وقال غيره

(١) كذا في الحلبية ، والمصرية : ان لا يزولا . وفي السهيلي : ان لا أقولا .

الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة ^(١) وقد أورد السهيلي هذا رحمه الله .
وقال محمد بن اسحاق بن يسار : وتدأعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله
ابن جدعان لشرفه وسنه . وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد بن عبد العزى
وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة . فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجحدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم
ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك
الحلف حلف الفضول .

قال محمد بن اسحاق : فحدثني محمد بن يزيد بن المهاجر قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن
عوف الزهري يقول قال رسول الله (ص) : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب
أن لى به حر النعم ولو دعى به في الاسلام لأجبت » .

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد اللبكي أن محمد بن إبراهيم بن
الحارث التيمي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي
سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة ، أمره عليها عمة معاوية بن أبي سفيان . - منازعة في مال كان بينهما
بذي المروة فكان الوليد يحامل على الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لننصفني من
حتى أو لا آخذن سبني ثم لا أقوم في مسجد رسول الله (ص) ، ثم لا دعون بحلف الفضول . قال فقال
عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - وأنا أحلف بالله لئن دعابته لا آخذن سبني
ثم لا أقوم معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري
فقال مثل ذلك . وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد
ابن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

نزول عليه الصلوة والسلام عن بني خويلد

قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على
مالها مضاربة . فلما بلغها عن رسول الله (ص) ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت
إليه فمرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار . مع غلام
لها يقال له ميسرة ، قبله رسول الله (ص) منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى
(١) كذا في الحلية . وفي المصرية : الفضل بن شراعة ، والفضل بن قضاعة . ولم يذكر الثالث .
وفي السهيلي والنهاية : الفضل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة .

نزل الشام ، فنزل رسول الله (ص) في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة . فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي ثم باع رسول الله (ص) سلعته - يعني تجارته - التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري . ثم اقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت المهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلا من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فاضف أو قريبا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب و عما كان يرى من اخلال الملائكة إياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية مع ما أراد الله بها من كرامتها . فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله (ص) فقالت له - فيما يزعمون - يا ابن عم أني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك^(١) في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالا . كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه ، فلما قالت ذلك لرسول الله (ص) ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى مات .

قال ابن اسحاق : فولدت لرسول الله (ص) ولده كلهم إبراهيم : القاسم وكان به يكنى ، والطيب والظاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال ابن هشام : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الظاهر . وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال البيهقي عن الحاكم : قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة حدثنا مصعب بن عبد الله الزيري قال أكبر ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية . وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله . وولدت خديجة خمساً وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو أصح . وقال غيره بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجيبة ثم مات بعد النبوة ، وقيل مات وهو رضيع فقال رسول الله (ص) : « إن له مرضعاً في الجنة يستكمل رضاعه » والمعروف ان هذا في حق إبراهيم

وقال يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن عثمان عن القاسم عن ابن عباس قال ولدت خديجة لرسول الله (ص) غلامين واربعة نساء : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، ورقية . وقال الزبير بن بكار عبد الله هو الطيب وهو الظاهر ، سمي بذلك لانه ولد بعد النبوة فتأوا قبل البشارة .

(١) قوله : وسطتك فسرهُ السهلي من الوسيط . وقال فلان أوسط القليلة اعرفها وأولها بالصميم .

وأما بناته فلدركن البعثة ودخلن في الاسلام وهاجرن معه (ص). قال ابن هشام: وأما إبراهيم فمن مارية القبطية التي أهداها له المتوكل صاحب اسكندرية من كورة افصنا^(١) وستسككم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام : وكان عمر رسول الله (ص) حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة فيما حدثني غير واحد من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المدني ، وقال يعقوب بن سفيان كتبت عن إبراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي حدثني غير واحد أن عمرو بن أسد زوج خديجة من رسول الله (ص) وعمره خمساً وعشرين سنة وقريش تبني السكبة . وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله (ص) حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين - وقيل خمساً وعشرين سنة - وقال البيهقي : ﴿ باب ما كان يشتغل به رسول الله (ص) قبل أن يتزوج خديجة ﴾

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن عبد الله أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن أبي يحيى بن سعيد القرشي عن جده سعيد عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « ما بعث الله نبياً إلا راعى غنم » فقال له أصحابه وانت يا رسول الله ؟ قال : « وانا رعيته لاهل مكة بالقراريط » رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي عن عمرو بن يحيى به . ثم روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر - وهو ضعيف - عن أبي الزبير عن جابر . قال قال رسول الله (ص) : « آجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوص » وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله (ص) وهو - اظنه - قال سكران . ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل التظان أنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني إبراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي حدثني عبد الله بن أبي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن مقسم بن أبي القاسم مؤلى عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبد الله بن الحارث حدثه ان عمار ابن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله (ص) خديجة وما يكثرون فيه يقول : انا أعلم الناس بتزويجه إياها ، اني كنت له ترباً وكنت له إلماً وخدناً . وإني خرجت مع رسول الله (ص) ذات يوم حتى اذا كنا بالحرزورة أجزنا على أخت خديجة وهي جالسة على ادم قبيعها ، فنادتني فانصرفت اليها ووقفتني رسول الله (ص) . فقالت : اما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار فرجعت اليه فاخبرته فقال « بلى لعمري » فذكرت لها قول رسول الله (ص) فقالت اغدوا علينا إذا أصبحنا ، فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا أبا خديجة حلة ، وصفرت لحيته ، وكلت أخاها فكلم أباه وقد

(١) أفصنا : بالفتح ثم السكون مدينة أزيلية من نواحي الصعيد بشرقي النيل .

سقى خمرًا فذكر له رسول (س)، ومكانه وسألته أن يزوجه فزوجه خديجة وصنموا من البقرة طعاما فاكلنانه ونام أبوها ثم استيقظ صاحبا . فقال : ما هذه الحلة وما هذه الصفرة وهذا الطعام فقالت له ابنته التي كانت قد كملت عمارا هذه حلة كما كها محمد بن عبد الله خنك وبقرة أهداها لك فذببحناها حين زوجه خديجة ، فانكر ان يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحجر ، وخرج بنو هاشم برسول الله (س) فجأوه فكلموه . فقال ابن صاحبكم الذي تزعمون أنى زوجه خديجة ؟ فبرز له رسول الله (س) فلما نظر اليه قال إن كنت زوجه فسبيل ذلك وإن لم أكن فعلت فقد زوجه .

وقد ذكر الزهرى في سيره ان أباه زوجه منه وهو سكران وذكر نحو ما تقدم حكاه السهيلي . قال المؤمل : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجه منه وهذا هو الذي رجحه السهيلي . وحكاه عن ابن عباس وعائشة قالت وكان خويلد مات قبل الفجار ، وهو الذي نازع تبعاً حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن ، فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه ماروعه ، فترزع عن ذلك وترك الحجر الاسود مكانه .

وذكر ابن اسحاق : في آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجه رسول الله (س) ، فإله أعلم .

قصة الخديجة

قال ابن اسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصي - وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها من قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلاله - فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينظر هذا زمانه - أو كما قال - فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال في ذلك :

لجبتُ وكنتُ في الذكرى لجوجاً	لهم طالم ما بهت النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف	فقد طال انتظارى يا خديجا
يبطن المسكين على رجائي	حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس	من الرهبان أكره أن يؤججا
بأن محمداً سيسود قوماً	ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور	يقوم به البرية أن نموجا
فيلقى من يحاربه خساراً	ويلقى من يسأله فلوجا
فيالبي إذا ما كان ذاك	شهدت وكنت أولهم ولوجا

وَلَوْ جَا فِي الَّذِي كَرِهْتُ قُرْبِي
أُرْجِي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعًا
وَهَلْ أَمْرُ السَّغَالَةِ غَيْرُ كَفْرِ
فَإِنْ يَتَّقُوا وَأَبَى يَكُنْ أَمُورٌ
وَإِنْ أَهْلُكَ فَكُلُّ قِي سِيلِي

وقال ورقة أيضا فيما رواه يونس بن بكير عن ابن اسحاق عنه :

أَتَبَكَّرُ أَمْ أَنْتَ الْمَشِيَّةُ رَانِحٌ
لَفَرْقَةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبُّ فِرَاقِهِمْ
وَأَخْبَارُ صِدْقٍ خُبِرْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ
أَنَّكَ الَّذِي وَجَّهْتَ بِأَخِيرِ حُرَّةٍ
إِلَى سَوَاقِ بَصْرَى فِي الرِّكَابِ الَّتِي غَدَتْ
فِيخْبِرُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بَعْلُهُ
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدَ مَرْسَلٍ
وَضَلَّيْ بِهِ أَنْ سَوْفَ يَمُوتُ صَادِقًا
وَمُوسَى وَابْرَاهِيمَ حَتَّى يُرَى لَهُ
وَيَتَبَعَهُ حَيًّا لَوْ يَبَى وَغَالِبٍ
فَإِنْ أَبَى حَتَّى يَدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ
وَالَا فَايَ يَأْخُذِيحَةً فَأَعْلِي

وزاد الأُموي :

فَتَبَعَ دَبْنُ الَّذِي أَسَّسَ الْبِنَا
وَأَسَّسَ بِنَانًا بِمَكَّةَ ثَابِتًا
مَثَابًا لِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا
حَرَاجِيحُ^(٢) أَمْثَالِ الْقِدَاحِ مِنَ السَّرَى

ومن شعره فيما أورده أبو القاسم السهيلي في روضه :

لَقَدْ نَصَحْتُ لَأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَنْزِدُكُمْ أَحَدٌ

(١) الدخ : أن يمشى البعير بالجل وقد أثقله (٢) الحراجيج جمع حرجيج ، وهي الناقة الطويلة

لا تَعْبَدَنَّ إِلَّا مَا غَيْرَ خَالِقِكُمْ فَاِنْ دَعَاكُمْ قَوْلُوا يَفْنَا حَدَدَ
سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سَبْحَانًا يَدُومُ لَهُ وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيِّ وَالْجَدِّ
مُسَخَّرَ كُلِّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْوِي مَلِكًا أَحَدَ
لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى الْآلَهُ وَبُودِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ
لَمْ تُنْصَرِ عَنْ هَرَمٍ يَوْمًا خَرَاتِهِ وَانْخَلَدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَجَرَّى الرِّيحُ بِهِ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهَا مَرَدَ
أَبْنِ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ لِعَزَّتِهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافْدٌ يَفْدُ
حَوْضَ هُنَاكَ مَوْرُودٌ بِلا كُذْبٍ لَا يَدُّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَأَوْرَدُوا

ثم قال هكذا نسب أبو الفرج إلى ورقة، قال وفيه آيات تنسب إلى أمية بن أبي الصلت
قلت : وقد رويناه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يستشهد في بعض
الآحيان بشيء من هذه الآيات والله أعلم .

فَضِيلَةُ الْكَعْبَةِ

في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذكر البيهقي بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة . والمشهور أن بناء قريش الكعبة
بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بمشر سنين . ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن ابراهيم كما قدمناه
في قصته ، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخارى وذكر ما ورد من الاسرائيليات في
بنائه في زمن آدم ولا يصح ذلك ، فان ظاهر القرآن يقتضى أن ابراهيم أول من بناه مبتدئاً وأول من
أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك ممتلئة بها مشرفة في سائر الأعطار والأوقات قال الله تعالى
[إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ لِّبَنَاتٍ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ
كَانَ آمِنًا وَفَعَلَ عَلَى النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا] وثبت في الصحيحين عن أبي ذر قال قلت
يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال : « المسجد الأقصى »
قلت كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » وقد تكلمنا على هذا فيما تقدم ، وإن المسجد الأقصى أسسه
اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام . وفي الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض
فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصغار
حدثنا أحمد بن مهران حدثنا عبيد الله حدثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو .
قال : كان البيت قبل الأرض بألفى سنة ، (وإذا الأرض مدت) قال من تحته مدت . قال وقد
تابه منصور عن مجاهد .

قلت : وهذا غريب جداً وكأنه من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم النيرموك وكان فيهما اسرائيليات يحدث منها وفيهما منكرات وغرائب .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله البغدادى حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبو صالح الجهنى حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال قال رسول الله (ص) : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنياني بيتاً ، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودى من تحت حبيك يا آدم ، فلما بنينا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به وقبل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه . »

قال البيهقي : تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت والله أعلم .

وقال الريح : أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان عن ابن أبي ليبد عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال : حج آدم فلقينه الملائكة فقالوا برنسك يا آدم لقد حججنا قبلك بالفي عام . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني بقية - أو قال ثقة - من أهل المدينة عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح .

قلت : وقد قدمنا حجهما إليه . والمقصود الحج إلى محله وبقته وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم .

ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المتقدم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتماه وهو في صحيح البخارى . ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب عن خالد بن عرعة قال سأل رجل علياً عن قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) أهو أول بيت بني في الأرض ؟ قال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وإن شئت بنأتك كيف بناؤه . إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض فضاقت به ذرعا فارسل إليه السكينة وهي ريح خجوج لها رأس فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية ، فبنى إبراهيم حتى بلغ مكان الحجر قال لابنه أغضى حجراً فالتمس حجراً حتى أتاه به فوجد الحجر الأسود قد ركب فقال لا يهمن أن لك هذا ؟ قال جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء فاتمه . قال فر عليه الدهر فأنهدم فبنته العاقلة ، ثم أنهدم فبنته جرم ، ثم أنهدم فبنته قريش ورسول الله (ص) يومئذ رجس شاب . فلما أرادوا أن يرفضوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول الله (ص) أول من خرج عليهم ففضى بينهم أن يجعلوا في مرط ثم ترفضه جميع القبائل كلهم . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك

ابن حرب عن خالد بن هريرة عن علي بن أبي طالب . قال : لما اتهدم البيت بعد جرم بنته قريش فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب فدخل رسول الله (ص) من باب بني شيبه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذ رسول الله (ص) فوضعه ، قل يعقوب بن سفيان أخبرني أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال لما بلغ رسول الله (ص) الحلم جرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجراها في ثياب الكعبة فاحترقت فهدموها حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصت قريش في الركن أي القبائل تلى ربه . فقالوا : تعالوا نحكم أول من يطع علينا ، فطلع عليهم رسول الله (ص) وهو غلام عليه وشاح نمره فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فكان هو يضعه فكان لا يزداد على السن الأرضي حتى دعوه الأيمن قبل أن ينزل عليه الوحي ، فطفتوا لا ينحرون جزواً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها ، وهذا سياق حسن ، وهو من سير الزهري ، وفيه من الغرابة قوله : فلما بلغ الحلم . والمشهور أن هذا كان رسول الله (ص) عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذي نص عليه محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عقبة : كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وغيرهم . فلهذا اعلم .

وقال موسى بن عقبة : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة . قلت : وكان الفجار وحلف الفضول في سنة واحدة إذ كان عمر رسول الله (ص) عشرون سنة . وهذا يؤيد ما قال محمد بن اسحاق والله اعلم .

قال موسى بن عقبة : وإنما حمل قريشاً على بنائها أن السيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الردم الذي صفوه فخر به فخافوا أن يدخلها الماء . وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة . فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا فاعدوا لذلك نقعة وعمالاً . ثم غدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر أن يمنهم الذي أرادوا . فكان أول رجل طلعا وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة فلما رأوا الذي فعل الوليد تنابها فوضعوها فأعجبهم ذلك . فلما أرادوا أن يأخذوا في بنيانها حضروا عمالهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضي أمله موضع قدم فزعوا أنهم رأوا حية قد أحاطت بالبيت رأسها عند ذنبها . فاشتقوا منها شفقة شديدة ، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا مما علوا في هلكة . وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس وشرقا لهم . فلما سقط في أيديهم والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فذكر ما كان من نصحه لهم وأمره بإمام أن لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنيانها . وأن يقتسموها أرباعاً . وأن لا يدخلوا في بنيانها ملاحراماً . وذكر أنهم لما عزموا على ذلك

ذهبت الحية في السماء وتقيت عنهم ورأوا ان ذلك من الله عز وجل . قال : ويقول بعض الناس إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجساد .

وقال محمد بن اسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول (ص) خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة وكانوا يهيمون بذلك ليسقفوها ويهاون هدمها . وإنما كانت رخصا فوق القامة . فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان ففراً سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان في بئر في جوف الكعبة . وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى لبني مليح بن عمرو بن خزاعة . فقطعت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك . وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم . فتنحطمت . فاخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها . قال الاموى : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الروم الى الكنيسة التي احرقها الفرس للحبشة فلما بلغت مرصاها من جدة بعث الله عليها ريحا فخطمتها .

قال ابن اسحاق : وكان بمكة رجل قبلي نجار قتيماً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى اليها كل يوم . فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهاون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزالت^١ وكشت وفتحت فها ، فكانوا يهاونها ، فيبدا هي يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاخطفها فذهب بها . فقالت قريش : إننا لارجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلي : عن رزين أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جرم ليسرق كنزها . فتهار البئر عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كرأس الجدى وبطنها أبيض وظهرها أسود فأقامت فيها خمسمائة عام وهي التي ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد بن اسحاق : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها قام أبو وهب عمرو بن عابد بن عبد بن عمران بن مخزوم . وقال ابن هشام عابد بن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه . قال : يا مشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً . لا يدخل فيها مهر بنى ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ثم رجع ابن اسحاق أن قاتل ذلك أبو وهب بن عمرو . قال وكان خال أبي النبي (ص) وكان شريفاً ممدحاً .

وقال ابن اسحاق : ثم ان قريشاً تجزأت الكعبة . فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وما

(١) احزالت : أى اجتمعت تريد الوثوب .

بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جحج وسهم . وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدي بن كعب ، وهو الخطيم . ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . قال الوليد بن المغيرة أنا أبذؤكم في هدمها فأخذ المول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا من هدمها . فأصبح الوليد غدياً على عمله فهدم وهدم الناس معه - حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس - أساس إبراهيم عليه السلام - أنضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضاً - ووقع في صحيح البخاري عن يزيد بن رومان كأنه قال - قال السهيلي وأرى رواية السيرة كالأسنة وهما والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها . فانهوا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عقبة : وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يحدثون أن رجلاً من قريش لما اجتمعوا ليزعوا الحجارة إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عمد رجل منهم إلى حجر من الأساس الأول فرمىه وهو لا يدري أنه من الأساس الأول ، فأبصر القوم برقة تحت الحجر كادت تلتصع بصر الرجل ، ونزا الحجر من يده فوق في موضعه وفزع الرجل والبناء . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بنائها وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئاً بمحذاته .

قال ابن اسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو أنا الله ذوبكة ، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحفظتها بسبعة أملاك جنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها - قال ابن هشام يعني جبلها - مبارك لأهلها في الماء واللبن .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يخلها أول من أهلها . قال وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا في الكعبة قبل مبعث النبي (ص) بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة . يملون السيئات ويمجزون الحسنات ؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب .

وقال سعيد بن يحيى الأموي : حدثنا المتصر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر الزهري - برفع الحديث إلى النبي (ص) - قال : « وجد في المقام ثلاثة أصفح ، في الصفح الأول : إني أنا الله

ذوبكة ، صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحفظها بسبعة أملاك حنفاء ، ومارك لأهلها في اللحم واللبن
وفي الصفح الثاني : إني أنا الله ذوبكة ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي . فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بنته ، وفي الصفح الثالث : إني أنا الله ذوبكة ، خلقت الخير والشر وقدرته . فطوبى لمن أجريت الخير
على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه .

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجازة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة . ثم
بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى .
حتى تحاربوا أو تحالفوا ، وأعدوا للقتال تقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً . ثم تماقدوا هم وبنو عدى
ابن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة . فمسوا لعقة الدم . فمكثت
قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم انهم اجتمعوا في المسجد فشاوروا وتناصفوا . فزعم بعض أهل
الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عامداً أسن قريش كلها قال :
يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه .
ففعلوا . فكان أول داخل دخل رسول الله (ص) . فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد .
فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله (ص) : « هلموا إلى ثوباً » فأتى به وأخذ الركن فوضعه
فيه بيده ثم قال « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه
وضعه هو بيده (ص) . ثم بنى عليه . وكانت قريش تسمى رسول الله (ص) الأمين .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت - يعني أبا يزيد - حدثنا هلال يعني ابن حبان
عن مجاهد عن مولاة - وهو السائب بن عبد الله - أنه حدثه أنه كان فم بنى الكعبة في الجاهلية قل :
وكان لي حجر - أنا نحتة أعبدته من دون الله - قال : وكنت أجيء باللبن الخاز الذي آفقه على نفسي
فأصبه عليه فيجىء الكلب فيلحسه ثم يشتر فيبول عليه قل : فبيننا حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى
الحجر أحد . فإذا هو وسط أحجاراً مثل رأس الرجل يكاد يترأى منه وجه الرجل . فقال بطن من
قريش : نحن نضمه وقل آخرون نحن نضمه فقالوا اجعلوا بينكم حكماً . فقالوا أول رجل يطلع من
الفج . فجاء رسول الله (ص) فقالوا أناكم الامين . فقالوا له فوضعه في ثوب . ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه
فوضعه هو (ص) .

قال ابن اسحاق : وكانت الكعبة على عهد النبي (ص) ثمانى عشرة ذراعاً وكانت تكسى القباطى .
ثم كسيت بعد البرور . وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - قصرت بهم
النفقة أي لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم . وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق . وجعلوه

مرتفعاً ثلاثاً يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ص) قال لها: «ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة . ولولا حدثان قومك بكر لتقضت الكعبة وجلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، وأدخلت فيها الحجر » ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله (ص) . وجاءت في غاية البهاء والحسن والثناء كاملة على قواعد الخليل . لها بابان ملتصقان بالأرض شرقياً وغرباً . يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر . فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيها صنعه ابن الزبير واعتقدوا انه فعل ذلك من تلقاء نفسه . فامر باعادتها الى ما كانت عليه فعمدوا الى الحائط الشامي لخصومه واخرجوا منه الحجر وروصوا حجارته في أرض الكعبة . فارتفع بابها وسدوا الغربي واستمر الشرقي على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي - أو ابنه المنصور - استشار مالكاً في اعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إني أكره أن يتخذها الملوك لعبة . فتركها على ما هي عليه . فهي الى الآن كذلك . وأما المسجد الحرام : فأول من آخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه . فلما ولي ابن الزبير أحكم بنيانه ، وحسن جدرانه وأكثر أبوابه . ولم يوسمه شيئاً آخر . فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانه وأمر بالكعبة فكسيت الديباج . وكان الذي تولى ذلك بإمره الحجاج بن يوسف . وقد ذكرنا قصة بناء البيت والاحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل) وذكرنا ذلك مطولاً مستقصى فمن شاء كتبه هاهنا والله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب ببيان الكعبة لها :

عجبت لما تصوّبت المقاب	الى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت تكون لها كشيء	واحياناً يكون لها وثاب
إذا قُنا الى التأسيس شدت	ثمّ يئنا البناء وقد نهاب
فلما أن خشيننا الزجر جاءت	عقاب تلتب لها انصباب
فضمتها إليها ثم خلت	لنا البنيان ليس لها حجاب
فمننا حاشدين الى بناء	لنا منه القواعد والتراب
غداة يرفع التأسيس منه	وليس على مساوينا ثياب
أعزّه الملك بني لؤي	فليس لأصلهم منهم ذهاب
وقد حدثت هناك بنو عدي	ومرة قد قدّمها كلاب

فَبَوَّأْنَا الْمَلِئِكُ بِذَلِكَ عَزَاءً وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

وقد قدمنا في فصل ما كان الله يحوط به رسول (ص) من أقذار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس
عه يتقلان الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهى عن خلع
إزاره فأعاده إلى سيرته الأولى .

فَضَرَبْنَا لَهُ

وذكر ابن اسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحس ، وهو الشدة في الدين والصلاة .
وذلك لأنهم عظموا الحرم تعظيماً زائداً بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة . وكانوا
يقولون نحن أبناء الحرم وقطان يت الله . فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم
عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قررروه من البدعة الفاسدة . وكانوا لا يدخرون من الذين
أقطا ولا سمنا ولا يسلون شحماً وهم حرم . ولا يدخلون بيتاً من شعر ولا يستظلون ان استظلوا الا
بيت من آدم . وكانوا يتمتعون الحبيب والعمار - ماداموا محرمين - أن يأكلوا إلا من طعام قريش ،
ولا يطوفوا الا في ثياب قريش ، فان لم يجد احد منهم ثوب أحد من الحس وهم قريش وما ولدوا
ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة طاف عرباناً ولو كانت امرأة ولهذا كانت المرأة اذا اتفق طوافها
لذلك وضمت يدها على فرجها وتقول :

اليوم ييدو بعضه أو - كآه وبعد هذا اليوم لا أحله (١)

فان تكرم أحد ممن يجد ثوب أحسى فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف ان يلقها
فلا ينتفع بها بعد ذلك . وليس له ولا لغيره أن يمسه . وكانت العرب تسمى تلك الثياب التي قال
بعض الشعراء :

كنى حزناً كرى عليه كأنه لقي بين أيدي الطائفين حريم

قال ابن اسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً (ص) ، وأنزل عليه القرآن رداً عليهم فيما
ابتدعوه فقال (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي جمهور العرب من عرفات (واستغفروا الله
إن الله غفور رحيم) وقد قدمنا أن رسول الله (ص) كان يقف بعرفات قبل أن ينزل عليه توفيقاً من
الله له ، وأنزل الله عليه رداً عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس والطعام على الناس (يا بني آدم خذوا
زينةكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي
أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية . وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق : ولا أدري أكان
ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده .

(١) وفي المصرية وابن هشام : وما بدا منه فلا أحله .

مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

تسليماً كثيراً . وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : وكانت الأخبار من اليهود والكهنة من النصارى ومن العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله (ص)، قبل مبعثه لما تقارب زمانه ، أما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فيما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه . قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجيئونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية وقال الله تعالى (وإذا قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) . وقال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رؤساء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيام في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل) الآية . وقال الله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قل أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قل فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه » . يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا وأمروا باتباعه .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) الآية .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضأت له قصور الشام » وقد روى محمد بن اسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص)، عنه مثله ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره قد ذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب اليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل كما تقدم . يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضاً .

أما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي

عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية . قال قال رسول الله (ص) : « إني عبد الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين » . وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضأت منه قصور الشام . وقال الامام احمد أيضاً حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن مبصرة الفجر قال : قلت يا رسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » فرد بهن احمد .

وقد رواه عمر بن احمد بن شاهين في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي هريرة فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا القاسم البغوي - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم عن الاوزاعي حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله (ص) متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » ورواه من وجه آخر عن الاوزاعي به . وقال : « وآدم منجدل في طينته » . وروى عن البغوي أيضاً عن احمد بن المقدم عن بقية بن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة - مرفوعاً - في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال رسول الله (ص) : « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » . وأما الكهان من العرب فاتهم به الشياطين من الجن مما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره ولا يلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعث الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون ففرغوها ، فلما تقارب أمر رسول الله (ص) وحضر زمان مبعثه حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تعقد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ففرفت الشياطين أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل . قال وفي ذلك أنزل الله على رسوله (ص) (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرأنا عجبا يهدي إلى الرشاد فأما به ولن نشرك بربنا أحداً) إلى آخر السورة . وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

قال محمد بن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرعى بالنجرم حين رمى بها - هذا الحى من قهيف - وإتهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية

أحد بنى علاج وكان أدهى العرب وأمكرها ، فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرى بها ، فهو والله طى الدنيا ، وهلاك هذا الخلق وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سهم - يقال لها الفيطة - كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فاقض نحتها ، ثم قال : أدر ما أدر ، يوم عقر ونحر ، قلت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى فاقض نحتها ثم قال : شعوب ماشعوب ؟ تصرع فيه كعب الجنوب . فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا ما ذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو ، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبه .

قل ابن اسحاق : وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جنبا - بطنا من البن - كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله (ص) وانتشر في العرب ، قالت له جنب انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله . فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، ورفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جمل ينزو ، ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمدًا وأصفاه وطهر قلبه وحشاه ومكنه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء ، ثم ذكر ابن اسحاق قصة سواد بن قارب وقد أخرناها إلى هواتف الجان .

قصص الأنبياء

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إن مما دعانا إلى الاسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - أن كنا نسمع من رجل من يهود - وكنا أهل شرك أصحاب أو نان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا يزال يفتنا ويذهب شرور فاذا قلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن تقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسول الله (ص) أجبتنا حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به . فبادرناهم إليه ، فأمننا به وكفروا به . ففتينا وفيهم نزلت هذه الآية (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما هم فيهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح عن علي الأزدي : كانت اليهود تقول اللهم ابث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به - أي يستنصرون به - رواه البيهقي . ثم روى من طريق عبد الملك ابن هارون بن عتبة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كانت اليهود بخير

تقاتل غطفان فكلما اتقوا هزمت يهود خيبر ، فعادت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن نخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، قال فكأنوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلما بعث النبي (ص) كفروا به . فأنزل الله عز وجل (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية . وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

وقال ابن اسحاق : وحدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلام بن وقش - وكان من أهل بدر - قال كانت لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل ، قال فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الاشهل . قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على فروة لي مضطجع فيها بغناه أهلي ، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار . قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت ، فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائناً ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة وتلزمهم فيها بأعمالهم ؟ قال نعم ، والذي يحلف به ويود أن له تحطة من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجون من تلك النار غداً قالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟ قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن قالوا ومتى نراه ؟ قال - فنظر إلى وأنا من أحدهم سنا - فقال أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قل سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله (ص) رسوله وهو حي بين أظهرنا ، فأمننا به وكفر به بنيًا وحسدًا . قال قلنا له ويحك يا فلان ألت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال بلى ولكن ليس به . رواه احمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن عباس . ورواه البيهقي عن الحاكم باسناده من طريق يونس بن بكير .

وروى أبو فعيم في الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن سلمة قال : لم يكن في بني عبد الاشهل الا يهودى واحد يقال له يوشع ، فسميته يقول - وإني للغلام في ازار - قد اظلمكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت . ثم أشار بيده إلى بيت الله ، فن أدركه فليصدق . فبعث رسول الله (ص) فاسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغيا . وقد قدمنا حديث أبي سعيد عن أبيه في اخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله (ص) وصفته ونمته واخبار الزبير بن باطاعن ظهور كوكب مولد رسول الله (ص) . ورواه الحاكم عن البيهقي باسناده من طريق يونس بن بكير عنه .

قال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي : هل تدري عم كان اسلام قطبة بن سعية وأسييد بن سعية ، وأسد بن عبيد - نفر من بني هذيل ، اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الاسلام - قال قلت لا ، قال فان رجلاً من اليهود من ارض

الشام يقال له ابن الهيثان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فخل بين اظهرنا لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى
الحس افضل منه ، فاقام عندنا فكننا اذا قط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيثان فاستسقى لنا ، فيقول
لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة ، فنقول له كم ؟ فيقول صاعا من تمر ، أو مدين من شعير .
قال فنخرجها ، ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقى لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب
ويستقى . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثا . قال ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال
يا مشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الحمر والخمير الى أرض البؤس والجوع ؟ قال قلنا أنت أعلم
قال فاني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجرة فكنت ارجو ان
يبعث فابعه ، وقد أظلم زمانه فلا تسبقن اليه يا مشر يهود ، فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري
فيمن خالفه فلا يمتنعكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله (ص) ، وحاصر بني قريظة قل هؤلاء الفتيه -
وكانوا شبابا أحداثا - : يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي عهد اليكم فيه ابن الهيثان . قالوا ليس به قالوا
بلى والله إنه لمر بصفته . فترزوا فاسلوا فاحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم
قال ابن إسحاق فهذا ما بلغنا عن اخبار يهود .

قلت : وقد قمنا في قدوم بيع المياني وهو أبو كرب تبارك أسعد إلى المدينة ومحاصره إياها وانه
خرج اليه ذانك الخبران من اليهود فقالا له إنه لاسيد لك عليها ، أنها مهاجرة نبي يكون في آخر الزمان
فتناه ذلك عنها . وقد روى أبو نعيم في الدلائل من طريق الوليد بن مسلم حدثنا محمد بن حمزة بن
يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده . قال قال عبد الله بن سلام : ان الله لما أراد هدى زيد
ابن سعية قال زيد لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد (ص) ، حين نظرت اليه
إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حله جهله ، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلقا . قال فكنت أتلف
له لأن أخاطبه فأعرف حله وجهله ، فذكر قصة إسلافه للنبي (ص) ، ملا في ثمرة ، قال فلما حل الأجل
أنيته فاخذت بمجامع قيصة وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت اليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد
ألا تنصيني حتى ؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب اطل ، قال فنظر إلى عمر وعيناه يدوران في وجهه
كالفلك المستدير . ثم قال يا عدو الله أتقول لرسول الله (ص) ما أسمع ، وتفضل ما أرى ؟ فوالذي بعثه
بالحق لولا ما أحاذر لومه لصبرت بسيفي رأسك ، ورسول الله (ص) ينظر إلى عمر في سكون وتودة
وتبسم . ثم قال : « أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الاداء ، وتأمره
بحسن التباعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه . وزد عشرين صاعاً من تمر » فأسلم زيد بن سعية رضى الله
عنه . وشهد بقية المشاهد مع رسول الله (ص) ، وتوفي عام تبوك رحمه الله .

ثم ذكر ابن اسحاق رحمه الله : اسلام سلمان الفارسي رضى الله عنه وأرضاه فقال حدثني عاصم بن

عمر بن قتادة الأنصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس . قال حدثني سلمان الفارسي - من فيه - قال كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جى وكان أبى دهقان قريته وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل جبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسية ، حتى كنت قطن النار التي يوقدها لا يتركها تخبر ساعة . قال وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال فشغل في بستان له يوماً فقال لي يا بني إني قد شغلت في بستانى هذا اليوم عن ضيعتي ، فذهب إليها فاطلمها ، وأمرني فيها بيمض ما يريد . ثم قال لي ولا تحبس عني فانك إن احتبست عني كنت أعم إلى من ضيعتي وشغلتنى عن كل شيء . من أمرى . قال فخرجت أريد ضيعة التي شغلتني إليها فمرت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون . وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبى إياي في بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أحييتني صلاتهم ورغبت في أمرهم . وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وترك ضيعة أبى فلم آتيا . ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بعث في طلبي وشغلته عن أمره كله . فلما جئت قال أبى بني أين كنت ألم أكن أعهد اليك ما عهدته ؟ قال قلت يا أبة مرت بأفلس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أبى بني ، ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قال قلت كلا والله إنه خير من ديننا . قال فخافني فجعل في رجلى قيداً ثم حبسني في بيته ، قال وبشت إلى النصارى قتلتم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم . قال قدم عليهم ركب من الشام فجأوني النصارى فأخبروني بهم . قتلتم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني قال فلما أمدوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا الأسقف في الكنيسة . قال فجئته فقلت له إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأعلم منك فأعلى معك . قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، قال وابفضته بنفساً شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه . قتلتم لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموها بها كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً . قال فقالوا لي وماءك بذلك ؟ قال قتلتم لهم أنا أدلكم على كنزه ، قالوا فدلنا . قال فاريهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا لا ندفعه أبداً قال فصلبوه ورجعوه بالحجارة . وجازوا رجل آخر فوضعه مكامه . قال سلمان فما رأيته رجلاً لا يصلي الخس أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً . قال فاحببته جبا

لم احب شيئاً قبله مثله . قال فاقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له إني قد كنت مملك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني به ؟ قال أي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه . لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به . قال فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل . فقلت يا فلان إن فلاناً أوصاك عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره ، فقال لي أقم عندي . فاقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني بالحق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه الا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فآخبرته خبري وما أمرني به صاحبي . فقال أقم عندي فاقمت عنده . فوجدته على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه الا رجل بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه . فان أحبيت فائتته فانه على أمرنا . فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فآخبرته خبري فقال أقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم . قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ، قال ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فإوصي بي إلى فلان ثم أوصي بي فلان إلى فلان ثم أوصي بي فلان إلى فلان . ثم أوصي بي فلان إليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال أي بني ، والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلم زمان بني مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجرة الى الأرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل المدينة ولا يأكل الصدقة بين كنفه خاتم النبوة فان استطعت أن تلتحق بتلك البلاد فافعل . قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث . ثم مر بي نفر من كلب فحاربهم فقلت لهم ارحلوني الى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم فاعطيتهموها ورحلوني معهم حتى اذا بلغوا وادى القرى ظفروني فباعوني من رجل يهودي عبداً ، فكنت عنده ورأيت النخل فوجدت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يحق في نفسي . فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني فريظة من المدينة ، فابتاعني منه فاحتملني الى المدينة ، فوالله ما هو الا ان رأيتها ففرقتها بصفة صاحبي لها ، فاقمت بها وبث رسول الله (ص) فاقام بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر الى المدينة فوالله اني لفي رأس عذق لسيدى أعمل فيه بعض العمل . وسيدى جالس نحى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بنى قيلة . والله إنهم لمجتمعون الا آن بقاء على

رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي . قال سلمان فلما سمعتموها أخذتني الزعدة حتى ظننت اني صاقت على سبدي فزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمي ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال فعضب سبدي فلكنى لكمة شديدة . ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبل على عمك ، قال قلت لا شيء إنما أردت أن أستثبت عا قال . قال وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته . ثم ذهبت به إلى رسول الله (ص) - وهو بقاء - فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم . قال فقررت اليه فقال رسول الله (ص) : لأصحابه « كاولا » وأمسك يده فلم يأكل ، قلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ونحول رسول الله (ص) إلى المدينة . ثم جمته فقلت له إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . قال فأكل رسول الله (ص) منها وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال قلت في نفسي هاتان ثنتان . قال ثم جمت رسول الله (ص) وهو يقيع انفر قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه . ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسول الله (ص) استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي . فالتقي رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكبيت عليه أقبلي وأبكي فقال لي رسول الله (ص) : « نحول » فنحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس . فاجب رسول الله (ص) أن يسمع ذاك أصحابه . ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله (ص) بدر وأحد . قال سلمان : ثم قال لي رسول الله (ص) : « كاتب يا سلمان » فكتابت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبها له بالفقير (١) وأربعين أوقية . فقال رسول الله (ص) : لأصحابه « أعينوا أخاكم » فاعانوني في النخل : الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشرة . يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية . فقال لي رسول الله (ص) : « اذهب يا سلمان فققر لها ، فإذا فرغت فائتني أكني أنا أضعها بيدي » . قال : فقترت ، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت جمته فاخبرته . فخرج رسول الله (ص) معي إليها . فجعلنا تقرب إليه الودي ، ويضمه رسول الله (ص) بيده حتى إذا فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة . فاديت النخل وبقي على المال . فأتني رسول الله (ص) بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن . فقال « ما فصل الفارسي المكاتب ؟ » قال فدعيت له قال « خذ هذه فادها بما عليك يا سلمان » قال قلت : وأين تقع هذه مما على يا رسول الله ؟ قال « خذها فان الله سيؤدي بها عنك » قال فاخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم وعنت سلمان . فشهدت مع رسول الله (ص) الخندق حرا ثم لم يفتني بمه مشهد .

(١) فقير النخلة : حفرة تحفر للفسيلة إذا حولت لتغرس فيها . من النهاية .

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان أنه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذي على يارسل الله ؟ أخذها رسول الله (ص) ، فقلها على لسانه ، ثم قال : « خذها فأوفهم منها » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حدثني من لا أنهم عن عمر بن عبد العزيز ابن مروان قال حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله (ص) ، حين أخبره أن صاحب عمورية قال له : إيت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا بين غيظتين يخرج كل سنة من هذه الفيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعوا لاحد منهم الا شفي فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمريض هناك حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى الفيضتين الى الاخرى . ففشي الناس بمريضهم لا يدعوا لمريض الا شفي وغلبوني عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الفيضة التي يريد ان يدخل الا منكبه . قال فتناولته فقال من هذا ؟ وانفتحت الى قال قلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفة دين ابراهيم ، قال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبى يبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فانه فهو يحملك عليه . ثم دخل فقال رسول الله (ص) : « لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » هكذا وقع في هذه الرواية . وفيها رجل مبهم وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . وقد قيل إنه الحسن ابن عمارة ثم هو منقطع بل معضل بين عمر بن عبد العزيز وسلمان رضى الله عنه . قوله لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم غريب جداً بل منكر . فان الفترة أقل ما قيل فيها أنها أربعائة سنة ، وقيل ستائة سنة بالشمسية ، وسلمان أكثر ما قيل انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . وحكى العباس ابن يزيد البحراني اجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد الى ثلاثمائة وخمسين سنة والله أعلم . والظاهر أنه قال لقد لقيت وصى عيسى بن مريم فهذا ممكن بالصواب .

وقال السهيلي : الرجل المبهم هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف وإن صح لم يكن فيه نكارة . لان ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعد ما رفع فوجد أمه وامرأة أخرى يكيان عند جذع المصلوب فأخبرها أنه لم يقتل وبثت الحوارين بعد ذلك . قال وإذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويتزوج حينئذ امرأة من بنى جذام وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله (ص) .

وقد روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق كما تقدم ورواها أيضاً عن الحاكم عن الاصم عن يحيى بن أبي طالب . حدثنا علي بن عاصم حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن سماك بن حرب عن يزيد بن صوحان أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول

إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر انه كان من رامهرمز وكان له أخ أكبر منه غنى وكان سلمان فقيراً في كنف أخيه ، وأن ابن دهقانها كان صاحباً له وكان يختلف معه إلى معلم لهم وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عباد من النصارى في كهف لهم فسأله سلمان أن يذهب به معه اليهم فقال له إنك غلام وأخشى أن تم عليهم فيقتلهم أبى ، فالتزم له أن لا يكون منه شيء يكرهه فذهب به معه فاذا هم ستة - أو سبعة - كان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرسول المتقدمين وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته أيده بالمعجزات . وقالوا له يا غلام إن لك رباً وإن لك معاداً وإن بين يديك جنة وناراً وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون للذين أهلكوا كفرة وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دينه . ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام اليهم ثم لزمهم سلمان بالسكينة ثم أجلاهم ملك تلك البلاد وهو أبو ذلك الغلام الذي صحبه سلمان اليهم عن أرضه واحتبس الملك ابنة عنده وعرض سلمان دينهم على أخيه الذي هو أكبر منه فقال إني مشغول بنفسى في طلب الميمنة فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل فسلم عليهم أهلها ثم أرادوا أن يتركوا في عديم فأبيت الا صحبتهم فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال فتحدث اليهم رهبان تلك الناحية يسلمون عليهم واجتمعوا اليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ويسألونهم عن فيثنون على خيراً ، وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم فأنقضى على الله بما هو أهله وذكر الرسل وما أيدها به وذكر عيسى بن مريم وأنه كان عبد الله ورسوله وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر ، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه قال فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الأحد إلى الأحد فيخرج اليهم ويعظمهم ويأمرهم وينهاهم فكث على ذلك مدة طويلة ، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصاحبه سلمان اليه قال فكان فيما يمشى يلتفت الى ويقبل على فيحفظني ويخبرني أن لى رباً وأن بين يدي جنة وناراً وحساباً ويعلمنى ويدكرنى نحر ما كان يذكر القوم يوم الأحد قال فيما يقول لى : يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من تهامة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كنفه خاتم النبوة [وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فلما أنا فاني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه فان أدركته أنت فصدقه واتبعه ، قلت له وإن أمرنى بترك دينك وما أنت عليه قال وإن أمرك فان الحق فيما يجيى به ورضى الرحمن فيما قال . ثم ذكر قدومه ما إلى بيت المقدس وأن صاحبه صلى فيه ههنا وهاهنا ثم قام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقفه فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح ، فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مقصد فقال يا عبد الله سألتك حين وصلت فلم تعطني شيئاً وها أنا أسألك فنظر فلم يجد أحداً فأخذ يبيده وقال قم بسم الله فقام وليس به بأس ولا قلبية ^(١) كأنما نشط من عمال . فقال لى يا عبد الله

أحمل على متاعى حتى أذهب إلى أهلى فأبشرهم ، فاشتغلت به ثم أدركت الرجل فلم ألحقه ولم أدر أين ذهب وكلمنا سألت عنه قوماً قالوا أمامك حتى لقيت ركب من العرب من بنى كلب فسألهم فلما سمعوا لفتى ألتخ رجل منهم بميرد فحملنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم . فباعونى فاشتريتى امرأة من الانصار فجلستنى فى حائط لها وقدم رسول الله (ص) ، ثم ذكر ذهابه اليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه ، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة فلما رآه آمن من ساعته . وأخبر رسول الله (ص) خبره الذى جرى له قال فأمر رسول الله (ص) أبا بكر الصديق فاشتراه من سيده فاعتقه ، قال ثم سألته يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم . قال فوقع فى نفسى من أولئك الذين يحببتهم ومن ذلك الرجل الصالح الذى كان معى بيت المقدس فدخلنى من ذلك أمر عظيم حتى أنزل الله على رسول الله (ص) (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) فدعانى رسول الله (ص) فجلست بين يديه فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) الآيات . ثم قال « يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين » قلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق لو أمرنى باتباعك . قلت له فإن أمرنى بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال نعم فتركه فان الحق وما يرضى الله فيما يأمرك . وفى هذا السياق غرابة كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن اسحاق وطريق محمد بن اسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى عن أبيه عن أبى عثمان النهدي عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضمة عشر ، من رب إلى رب ، أى من معلم إلى معلم ومرب إلى مثله والله أعلم .

قل السبيلى : تداوله ثلاثون سيداً من سيد إلى سيد ، قلله أعلم . وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ أبو نعيم فى الدلائل . وأورد لها أسانيد وألفاظاً كثيرة ، وفى بعضها أن اسم سيده التى كاتبته حليلة الله أعلم .

ذكر أخبار غريبة فى ذكر

قل أبو نعيم فى الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابى حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى السوية المنقرى حدثنا عباد بن كريب عن أبيه عن أبى عتورة الخزاعى عن سمير بن سودة العامرى ^(١) قال كنت عشيقاً لمقبلية من عقائل الحى ، أركب لها الصمب والذلول لا أتقى من البلاد مسرحاً أرجو رجماً فى متجراً إلا أتيت ، فانصرفت من الشام بحرث وأنتك أريد به كبة الموسم

(١) قد قصيت الدلائل . فلم أقف على هذا الخبر . فليحرر .

ودهما العرب، فدخلت مكة بليل مسددة فأقت حتى تفرى عن قيصر الليل فرفعت رأسى فإذا قباب مسامنة شمس الجبال، مضروبة بأنفلاع الطائف وإذا جزر تنحر وأخرى تساق، وإذا أكلة وحشة على الطهاة يقولون: لا عجلاوا إلا عجلاوا، وإذا رجل يجهر على نثر من الأرض، ينادى يا وفد الله ميلوا إلى الغداء. وأنيسان على مدرجة يقول: يا وفد الله من طعم فليرح إلى العشاء، فجهرنى ما رأيت فأقبلت أريد عيد القوم، فعرف رجلا الذى برى، فقال أمامك، وإذا شيخ كأن فى خديه الأساريص، وكان الشعرى توقد من جبينه، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد أبرز من ملائها حمة فينانة كأنها سمام. قال فى بعض الروايات تحته كرسى سمام^(١) ومن دونها تمرقة بيده قضيب متخصر به حوله مشايخ جلسوا كس الأذقان ما منهم أحد يفيض بكلمة. وقد كن نحرى إلى خبر من أخبار الشام أن النبى الأمى هذا أو أن نجومه، فلما رأيت غلنته ذلك. فقلت السلام عليك يا رسول الله. فقال: ميمه، كلا وكان قد وليتنى إياه فقلت من هذا الشيخ؟ فقالوا هذا أبو فضلة، هذا هاشم بن عبد مناف، فوليت وأنا أقول هذا والله المجد لا محمد آل جفنة - يعنى ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم آل جفنة - . وهذه الوظيفة التى حكاهنا عن هاشم هى الرفادة يعنى إطعام الحجاج زمن الموسم.

وقال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن أحمد بن أبى يحيى حدثنا سعيد بن عثمان حدثنا على بن قتيبة الخراسانى حدثنا خالد بن الياس عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم عن أبيه عن جده. قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم فى الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي ففرغت منها فرعاً شديداً، فأنتيت كهنة قريش وعلى مطرف خز وجتى تضرب منكبي فلما نظرت إلى عرفت فى وجهى التغيير وأنا يومئذ سيد قومي فقلت: ما بال سيدنا قد آتانا تغيير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر شئ؟ فقلت لما بلى! وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها النبى، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ولم أفضل لأنى كبير قومي. فجلدت فقلت إني رأيت الليلة وأنا نائم فى الحجر كأن شجرة تنبت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نوراً أزهى منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً. ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهى تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفض وساعة تزهى، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها. فإذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم. فرفعت يدي لأنناول منها نصيباً، فنفنى الشاب فقلت لمن النصيب؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها. فاقبمت مذعوراً فرعاً فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس

(١) سمام: الأولى هيدان السمس. والثانية خشب أسود كالأبنوس

ثم قال - يعني عبد المطلب - لأبي طالب ، لعلك تكون هذا المولود قال فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد رسول الله (ص) وبعد ما بث . ثم قال كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين ، فيقال لأبي طالب ألا تؤمن ؟ فيقول السبة والمار .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي حدثنا العباس بن بكار الضبي حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب - منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وانصرف بأبي سفيان وبالنفر ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومى الذى كنت أصنع فيه ، هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلى غداك ؟ قلت نعم . فانصرف أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء فلما تعدى اليوم قاموا واحتبسنى فقال هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله فقلت نعمى بنى أخى ؟ فقال أبو سفيان إياى تكتم ؟ وأى بنى أخيك يذعى أن يقول هذا الرجل واحد ؟ قلت وأيهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله ، قلت قد فعل ؟ قال بلى قد فعل . واخرج كتاباً باسمه من ابنة حنظلة بن أبي سفيان فيه : أخبرك أن محمداً قام بالابطح فقال : «أنا رسول ادعوك الى الله عز وجل» فقال العباس قلت إجمده بأبا حنظلة صا . فقال مهلاً يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا ، إني لأخشى أن يكون على ضير من هذا الحديث يا بنى عبد المطلب ، إنه والله مباحرت قريش تزعم أن لكم هنة وهنة ، كل واحدة منهما غاية . لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت نعم قد سمعت . قال فهذه والله شؤمتكم . قلت فلم لم يمتنا ، قال لما كان بعد ذلك الاليل حتى قدم عبد الله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن ، فثنا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه خبر من أخبار اليهود ، فقال له اليهودى ما هذا الخبر ؟ بلغنى أن فيكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال ؟ قال أبو سفيان صدقوا وانعم ، فقال اليهودى أخو أياه ؟ قال نعم ! قال فحدثنى عنه . قال لا تسألنى ما أحب أن يدعى هذا الأمر أبداً ، وما أحب أن أعيبه وغيره خير منه ، فرأى اليهودى أنه لا يفتس عليه ولا يحب أن يعيبه . فقال اليهودى ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى . قال العباس فنادانى الحبر ، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر ، قلت للحبر بلغنى أنك سألت ابن عمى عن رجل منا زعم أنه رسول الله (ص) ، وأخبرك أنه عمه ، وليس بعمه . ولكن ابن عمه وأنا عمه وأخو أياه . قال أخو أياه ؟ قلت أخو أياه ، فاقبل على أبي سفيان فقال صدق ؟ قال نعم صدق ، قلت سئلتى فان كذبت فليرد على ، فاقبل على فقال نشدتك هل كان لابن أخيك صبوة أو سفهة ؟ قلت لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان ، وأنه كان اسمه عند قريش الأمين . قال فهل كتب بيده ؟ قال العباس فظننت أنه خير له أن يكتب بيده فاردت أن أقولها ثم ذكرت مكان أبي سفيان يكذبني ويرد على

فقلت لا يكتب فومئ الحبر وتزل رداؤه وقال ذبحت يهود ، وقتلت يهود . قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا ، قال أبو سفيان يا أبا الفضل إن اليهود تغزى من ابن أخيك ، قلت قد رأيت مزأيت ، فهل لك يا أبا سفيان ان تؤمن به ، فان كان حقا كنت قد سبقت وان كان باطلا فعمك غيرك من ا كفائك؟ قال لا أؤمن به حتى أرى الخيل فى كداء ، قلت ماتقول؟ قل كلمة جاءت على فى الا انى اعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء . قال العباس فلما استفتح رسول الله (ص) مكة ونظرنا الى الخيل وقد طلعت من كداء ، قلت يا أبا سفيان تذكر الكلمة؟ قل لى والله لى لذا كرها فالحمد لله الذى هدانا للاسلام . وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق وان كان فى رجاله من هو متكلم فيه والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه فى قصة أبى سفيان مع أمية بن أبى الصلت ، وهو شبيه بهذا الباب وهو من أغرب الاخبار واحسن السياقات وعليه النور . وسينأتى أيضا قصة أبى سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله (ص) واحواله ، واستدلالة بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقاله : كنت أعلم انه خارج ، ولكن لم أكن أظن انه فيكم ، ولو أعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقيه . ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ولئن كن ماتقول حقا لملك كن موضع قدمى هاتين . وكذلك وقع والله الحمد والمنة . وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والايخبار عن الرهبان والايخبار والعرب . فأكثروا وطبوا واحسن وأطيب رحمه الله ورضى عنه .

قصة عمرو بن مرة الجهنى

قال الطبرانى : حدثنا على بن ابراهيم الخزاعى الأهوازى حدثنا عبد الله بن داود بن دلهث بن اسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله (ص) حدثنا أبى عن أبيه دلهث عن أبيه اسماعيل أن أبا عبد الله حدثه عن أبيه أن أبا ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهنى قال : خرجت حاجا فى جماعة من قومي فى الجاهلية ، فرأيت فى نومي وأنا بمكة ، نورا ساطعا من السكبة حتى وصل الى جبل يثرب . واشعر جهينة . فسمعت صوتا بين النور وهو يقول : انقشفت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبعث خاتم الانبياء . ثم اضاء اضاءة أخرى ، حتى نظرت الى قصور الحبرة وأبيض المدائن ، وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الاسلام ، وكسرت الاصنام ، ووصلت الارحام ، فاتبته فزعا فقلت لقومي : والله ليحدثن لهذا الحى من قریش حدث - واخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا الى بلادنا جاءنى رجل يقال له أحمد قد بعث فاتيته فاخبرته بما رأيت . فقال « يا عمرو بن مرة أنا النبی المرسل الى العباد كافة . أدعوهم الى الاسلام ، وأمرهم بحقن الدماء وضلة الأرحام ، وعبادة الله

ورفض الأصنام ، وحج البيت وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهرا . فمن اجاب فله الجنة ، ومن عصي فله النار . فآمن ياعمرؤ يؤمنك الله من هول جهنم » قلت اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله آمنت بما جئت من حلال وحرام ، وان رغم ذلك كثيرا من الأقوام . ثم أنشدته أبياتا قلها حين سمعت به . وكان لنا ضم . وكان أبي سادنا له قممت اليه فكسرتة . ثم لحقت بالنبي (ص) . وانا أقول :

شهدت بأن الله حقٌ وانني لا إله الا حجار أول تارك
وشمرت عن ساق الإزار مهاجراً اليك أجوب القفر بعد الد كادك
لاصحب خير الناس نفساً ووالداً رسول ملك الناس فوق الحبائك

فقال النبي (ص) : « مرحبا بك يا عمرو بن مرة » قلت يا رسول الله ابشئ الى قومي . لعل الله يمن عليهم بي كما من على بك . فبمضى اليهم . وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فظاً . ولا متكبراً ولا حسوداً » قد كرانه أتى قومه ، فدعاهم الى ما دعاه اليه رسول الله (ص) . فاسلموا كلهم . الا رجلا واحداً منهم ، وانه وفد بهم الى رسول الله (ص) . فرحب بهم وحيامهم . وكتب لهم كتاباً بهذه نسخته « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله على لسان رسول الله (ص) ، بكتاب صادق ، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهني الجهمي بن زيد : ان لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ، تزرعون نباته وتشربون صافيه ، على ان تقروا بالحق ، وتصلوا صلاة الخمس وفي التبيعة والصريمة ان اجتماعتا وان تفرقتا شاة ، ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة اللبقة (١) وشهد على نبينا (ص) . من حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس . وذكركم شعرا قاله عمرو بن مرة في ذلك كما هو بسوط في المسند الكبير والله الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق نبي آدم يوم (ألت بربكم ؟) أخذ من النبيين ميثاقاً خاصاً ، وأكد مع هؤلاء الخمسة أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طرق عن الوليد بن مسلم حديثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة : سئل النبي (ص) متى وجبت لك النبوة ؟ قال « بين خلق آدم وفتح الروح فيه » وهكذا رواد الترمذي من طريق الوليد بن مسلم . وقال حسن غريب من حديث أبي هريرة ، لا تفرقه الا من هذا الوجه .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا يعقوب بن اسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر

(١) اللبقة . كذا في الاصل ولعلها يريد أنه لا يؤخذ في الصدقة كرائم الاموال

النفيلي حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم عن الصنابحي . قال قال عمر : يا رسول الله ، متى جعلت نبياً ؟ قال : « وآدم منجدل في الطين » ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدم حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الانبياء بنور بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قدر منازلهم ورتبهم عند الله . وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد (ص) كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم . وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره . وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الامام أحمد * حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلابي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية . قال قال رسول الله (ص) : « اني عند الله نظام النبيين وان آدم لَمُجْدِلٌ في طينته وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ، ورويا أبي اتي رأت . وكذلك أمهات المؤمنين برين » ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد « ان أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام » وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعيد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنتم نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » استاده جيد أيضاً وهكذا رواه ابراهيم بن طهمان وحماد ابن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن ميسرة به . ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبد الله بن سفيان عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة : حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خلود بن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي (ص) ، في قوله تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) قال « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقة عن سعيد بن نسير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله . وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله (ص) قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ، لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والارض لا محالة فلم يبق الا هذا الذي ذكرناه من الاعلام به في الملأ الأعلى والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه

« نحن الاخرون السابقون يوم القيامة ، المقضى لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » وزاد أبو نعيم في آخره : فكان (ص) : آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة . وهو السابق يوم القيامة . لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد . ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله (ص) : لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم . ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان . وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحد وروى الحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام - عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله (ص) : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي ، فقال الله : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقك بعد ؟ فقال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله صدقت يا آدم انه لا أحب الخلق إلى » واذا قد سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف والله أعلم .

وقد قال الله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد (ص) ، وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه [وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه] (١) وهذا تنويه وتنبية على شرفه وعظمته في سائر الملل وعلى السنة الانبياء وإعلام لهم ومنهم برسالته في آخر الزمن . وإنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين . وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده ومولده وبلده إبراهيم الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الأنبياء . ولهذا قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج - يعني ابن فضالة - حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا نبي الله ما كان بدء امرك ؟ قال « دعوة أبي إبراهيم ، وبُشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام » تفرد به الامام احمد ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب الستة . وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب

(١) هذه الجملة ليست في المصرية نقلاً عن محمود الامام .

المولد من طريق بقية عن صفوان بن عمرو عن حجر بن حجر عن أبي مريق أن إعرابياً قال يا رسول الله أى شيء كان أول أمر نبوتك ؟ فقال « أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من الذين ميثاقهم . ورائت أم رسول الله (ص) في منامها أنه خرج من بين رجلها سراج أضاء له قصور الشام ^(١) . وقال الامام محمد بن اسحاق بن يسار : حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص) أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قل : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى . ورائت أمي حين حبلى كأنه خرج منها نور أضاءت له بضرى من أرض الشام » إسناده جيد أيضاً . وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض بصرى وإنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، والله الحمد والمنة ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، كما سيأتى بيانه . وقد قدمها رسول الله (ص) مرتين في صحبة عمه أبي طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة وكانت عندها قصة بحيرى الراهب كما بيناه . والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها . وبها مبرك الناقة التى يقال لها ناقة رسول الله (ص) . بركت عليه فأثر ذلك فيها فيما يذكر . ثم قل وبني عليه مسجد مشهور اليوم . وهى المدينة التى أضاءت أعناق الابل عندها من نور للنار التى خرجت من أرض الحجاز سنة أربع وخمسين وستائة وفق ما أخبر به رسول الله (ص) في قوله « نخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى » وسيأتى الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وقال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأسمى الذى يمجّدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزّروه ونصره واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) الآية . قال الامام احمد حدثنا اسماعيل عن الجريري عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب قال : جلّبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله (ص) . فلما فرغت من بيبي قلت لفتين هذا الرجل فلا تسمعن منه . قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يمزى بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجلهم . فقال رسول الله (ص) . « أنشدك بالذى أنزل التوراة ، هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ » فقال برأسه هكذا - أى لا - فقال ابنه : إني والذى أنزل للتوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . فقال : « أقيموا اليهودى عن أخيك » ثم ولى كفته والصلاة عليه . هذا إسناد جيد وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه . وقال أبو القاسم البغوى حدثنا عبد الواحد ابن غياث - أبو بحر - حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الصلتان بن عاصم

وذكر أن خاله قال : كنت جالساً عند النبي (ص) ، إذ شخص بصره إلى رجل فاذا يهودي عليه قميص
وسراويل وفلان . قال فجعل النبي (ص) يكلمه وهو يقول : يا رسول الله . فقال رسول الله (ص) :
« أنشهد أني رسول الله ؟ » قال لا . قال رسول الله (ص) : « أنقرأ التوراة ؟ » قال نعم قال « أنقرأ
الإنجيل ؟ » قال نعم . قال « والقرآن ؟ » قال لا . ولو تشاء قرأته . فقال النبي (ص) : « فم يقرأ التوراة
والإنجيل ، أتجدني نبياً ؟ » قال إنا نجد نعتك ونخرجك . فلما خرجت رجونا أن تكون فينا . فلما
رأيناك عرفناك أنك لست به . قال رسول الله (ص) : « ولم ياب يهودي ؟ » قال : إنا نجد مكتوباً ، يدخل
من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا نرى ملك إلا نقرأ يسيراً . فقال رسول الله (ص) : « إن
أمتي لا أكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه .
وقال محمد بن اسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال : أني رسول الله (ص) [يهود]
فقال « أخرجوا أعلمكم » فقالوا عبد الله بن صوريا ، فخلاه رسول الله (ص) ، فناشده بدينه ، وما أنعم
الله به عليهم ، وأطعمهم من المن والسلوى ، وظالمهم به من الغنام « أتعلمني رسول الله ؟ » قال اللهم نعم .
وان القوم ليعرفون ما أعرف ، وأن صفتك ونعتك لمبين في التوراة . ولستكم حسدوك . قال « فما
يمنحك أنت ؟ » قال أكره خلاف قومي . وعسى أن يتبعوك ويسلموا فاسلم . وقال سلمة بن الفضل عن
محمد بن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول كتب رسول الله (ص) إلى
يهود خيبر « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدق بما جاء
به موسى ، ألا إن الله قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة ، إنكم تجدون ذاك في كتابكم : إن محمداً
(رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتفون فضلاً من الله ورضواناً
سيامهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره
فاستغلف فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة وأجراً عظيماً) . وإني أنشدكم بالله وبالذي أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم
من أسلافكم وأسياطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أيس البحر لا يأتكم حتى أنجاكم من فرعون
وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في
كتابكم فلا كره عليكم ، قد تبين الرشد من الغي . وأدعوك إلى الله وإلى نبيه (ص) » .

وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب المبتدا عن سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب الأحبار ،
وروى غيره عن وهب بن منبه أن مختصر بعد أن خرب بيت المقدس واستل بن اسرائيل بسبع
سنين رأى في المنام رؤيا عظيمة هالته فجمع الكهنة والحزار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا ليقصها الملك
حتى نخبره بتأويلها . فقال : إني نسيته ، وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلتكم عن آخركم . فذهبوا

خائفين وجلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه . فقال للسجان : اذهب اليه
فقل له إن هاهنا رجلا عنده علم رؤياك وتأويلها . فذهب اليه فأعلمه فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجد له .
فقال له ما منكم من السجود لي ؟ فقال : إن الله آتاني علماً وعلني وأمرني أن لا أسجد لغيره . فقال
له بختنصر إني أحب الذين يوفون لأربابهم بالعهود . فأخبرني عن رؤياي . قال له دانيال : رأيت صنماً
عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه من فضة ، وأسفله من نحاس ،
وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر اليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنعته فذفه الله
بمحجر من السماء . فوقع على قمة رأسه حتى طحنه واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره حتى
تخيل لك أنه لو اجتمع الانس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك . ونظرت إلى
الحجر الذي قذف به يربو ويمظم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى الا الحجر والسماء .
فقال له بختنصر صدقت هذه الرؤيا التي رأيتها فما تأويلها ؟ فقال دانيال أما الصنم فأمم مختلفة في أول
الزمان وفي وسطه وفي آخره ، وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الامم في آخر
الزمان فيظهره عليها فيبعث الله نبياً آمياً من العرب فيدوخ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ
أصناف الصنم ويظهر على الأديان والامم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها ، فيمحص الله به
الحق ويزهق به الباطل ويهدي به أهل الضلالة ويعلم به الأمين ويقوى به الضعفة ويعزبه الاذلة وينصر
به المستضعفين . وذكر تمام القصة في اطلاق بختنصر بنى اسرائيل على يدى دانيال عليه السلام ،
وذكر الواقدي بأسانيده عن المغيرة بن شعبه في قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له
عن صفات رسول الله (س) . قريباً من سؤال هرقل لابي سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل
اساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله (س) ، وأخبروه عن ذلك وهي قصة طويلة ذكرها
الحافظ أبو نعيم في الدلائل . وثبت في الصحيح أن رسول الله (س) مرت بمدارس اليهود فقال لهم
« يا معشر اليهود اسلموا فوالذي نفسى بيده إنكم لتجدون صفتى في كتبكم » الحديث . وقال الامام
أحمد : حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفات رسول الله (س) في التوراة فقال أجل والله
إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن ، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرراً
للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة
السيسة ولكن يعمفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله الا الله يفتح به أعينا
عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً . ورواه البخارى عن محمد بن سنان العوفى عن فليح به . ورواه أيضاً عن
عبد الله - قيل ابن رجاء ، وقيل ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن علوية ولفظه قريب

من هذا وفيه زيادة . ورواه ابن جرير من حديث فليح عن هلال عن عطاء وزاد قال عطاء فقلت
 كتبنا ذلك فما اخلف حرفاً ، وقال في البيوع . وقل سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله
 ابن سلام قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان حدثنا عبد الله بن جعفر
 حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال
 ابن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام أنه كان يقول : إنا لنجد صفة رسول الله (ص) ، إنا أرسلناك
 شاهداً وبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميت المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
 ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزىء السيئة بمثلها ولكن يعفو ويتجاوز ولن يقبضه حتى يقيم به الملة
 العوجاء بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عمياً واذاناً صماً وقلوباً غلفاً . وقال عطاء بن يسار :
 وأخبرنى الليث أنه سمع كتب الاحبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام أشبه ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان
 قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث عنهما كثيراً ، ولعلم أن كثيراً من
 السلف كانوا يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى وقد
 ثبت شاهد ذلك من الحديث . وقال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ثابت بن شرجيل عن
 ابن أبي أوفى عن أم الدرداء قالت قلت لكتب الاحبار كيف تجدون صفة رسول الله (ص) ، فى التوراة
 قال نجهده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق واعطى المفاتيح
 فيبصر الله به أعينا عوراً ويسمع آذاناً وقرأ وقيم به ألسنا معوجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد
 لا شريك له يمين به المظلوم ويمننه . وقد روى عن كتب من غير هذا الوجه . وروى البيهقي عن الحاكم
 عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا أبو قطن عمرو بن الميثم حدثنا
 حزمة بن الزيات عن سليمان الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة (وما كنت بجانب
 الطور إذ نادينا) قال نودوا يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني ، واعطيتكم قبل أن تسألوني .
 وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى الى داود فى الزبور ياداد إنه سيأتى من بعدك نبي اسمه أحمد
 ومحمد صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبداً ، ولا يفضينى أبداً وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من
 ذنبه وما تأخر وأمنه مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء ، وفرضت عليهم الفرائض
 التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء . الى أن قال :
 يا داود إني فضلت محمداً وأمنته على الامم كلها . والعلم بأنه موجود فى كتب أهل الكتاب معلوم من
 الدين ضرورة وقد دل على ذلك آيات كثيرة فى الكتاب العزيز تكلمنا عليها فى مواضعها والله الحمد .
 فمن ذلك قوله (الذين آمنواهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من

ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يملكون) وقال تعالى (إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) أي ان كان وعدنا ربنا بوجود محمد وارساله اسكائن لا محالة فسبحان القدير على ما يشاء لا يمجزه شيء . وقال تعالى اخباراً عن القسيسين والرهبان (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكثبنا مع الشاهدين) وفي قصة النجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم كما سيأتي شواهد كثيرة لهذا المعنى والله الحمد والمنة .

وذكرنا في تضاعيف قصص الانبياء ما تقدم الاشارة اليه من وصفهم لبعثة رسول الله . ومنه وبلد مولده ودار مهاجره ونعت أمته في قصة موسى وشعيا وأرميا ودانيال وغيرهم وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بني اسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم انه قام في بني اسرائيل خطيباً قائلاً لهم (إني رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) . وفي الانجيل البشارة بالفارقليط والمراد محمد . . . وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن الميزار بن حرب عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله . . . قال « مكتوب في الانجيل لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يمجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح » وقال يعقوب بن سفيان حدثنا فيض البجلي حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل ابن حيان قال : أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم جسد في أمرى واسمع واطع بابن الطاهرة البكر البتول - أنا خلقتك من غير غل فخلعتك آية للعالمين فايلى فاعبد فبين لأهل صودان بالسريانية ، بلغ من بين يديك اني أنا الحق القائم الذي لا أزول صدقوا بالي الأُمى العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة - وهي التاج - والنملين والمراوة - وهي القضيب - الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الانجيل العينين الاهدب الاشفار الأذعج العينين الاقني الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كالؤلؤ ربح المسك ينضح منه كأن عتقه ابريق فضة وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من ابته الى سرته تجرى كالقضيب ليس في بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا جاء مع الناس غريم وإذا مشى كأنما ينقلع من الصخر ويتحدر من صلب ذو النسل القليل - وكأنه أراد الذكور من صلبه - هكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان . وروى البيهقي عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان حدثني بعض عومتي وآبائي أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وبقيت عندهم فلما قدم رسول الله . . . المدينة ذكر وهاله وأتوه بها مكتوب فيها بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . هذا الذكر لآمة تأتي في آخر الزمان ليلبوس اطرافهم ويوترون على

أوساطهم ويخوضون البحور الى أعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، وفي عاد ما أهلكوا بالريح ، وفي ثمود ما أهلكوا بالصيحة : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . ثم ذكر قصة أخرى قال ففجب رسول الله (ص) لما قرأت عليه فيها .

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف (الذي يحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) قصة هشام بن العاصي الأموي حين بعثه الصديق في سرية الى هرقل يدعو الى الله عز وجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الانبياء في رُقعة من آدم الى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين على النعت والشكل الذي كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله (ص) قام قائما إكراما له . ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها . قال فقلنا له من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم سأل ربه أن يرهب جميع الانبياء من ذلك ، فأنزل عليه صورهم ، فكان في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها الى دانيال . ثم قال : اما والله إن نفسي قد طابت بالخروج من ملكي وأنى كنت عبداً لاشركم ملكة حتى أموت . ثم أجازنا فاحسن جائزتنا وسرحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما قل لنا ، قال فبكى وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ، ثم قال أخبرنا رسول الله (ص) أنهم واليهود يحدون نعت محمد عندهم . رواه الحاكم بطوله فليكتب ها هنا من التفسير . ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

وقال الأُموي : حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن اسحاق . قال وحدثني يعقوب بن عبيد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية قال : قدمت رقيق من عند النجاشي أعطانيهم فقالوا لي يا عمرو لو رأينا رسول الله لمرفناه من غير أن نخبرنا ، فرأى أبو بكر قتلته أهو هذا ؟ قالوا لا ، فر عمر قتلته أهو هذا ؟ قالوا لا فدخلنا الدار فر رسول الله (ص) فتأدوني يا عمرو وهذا رسول الله (ص) فنظرت فإذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يحدونه مكتوباً عندهم وقد تقدم انذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله (ص) في شعر أسلفناه في ترجمته فأغنى عن إعادته ، وتقدم قول الخبرين من اليهود لتبمع اليماني حين حاصر أهل المدينة إنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها وفظم شعراً يتضمن السلام على النبي (ص) .

قصّة سيف بن ذي يزن وإشارة بالنبي

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخريزطي في كتابه هواتف الجان : حدثنا علي بن حرب حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عمرو بن بكر - هو ابن بكار القعني - عن أحمد بن القاسم عن محمد بن السائب السكبي عن أبي صالح عن عبيد الله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن قال ابن المنذر - واسمه النعمان بن قيس - على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله (ص) بسنتين أخته وفود

العرب وشعراؤها تهنته وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه ، وأتاه فيمن أتاه وفود قریش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأميرة بن عبد شمس أبي عبد الله ^(١) وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد في أنس من وجوه قریش قدموا عليه صنعاء ، فإذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أميرة أبي الصلت :
واشررت هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلاً

فدخل عليه الآذن ، فأخبره بمكانهم فاذن لهم ، فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له ان كنت ممن يتكلم بين يدي قد أذنا لك ، فقال له عبد المطلب ان الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيماً صعباً منيعاً ، شاعخاً باذخاً ، وابنك منبتاً طابت أرومته ، وعذيت جرتومته ، وثبت أصله ، وبقي فرعه في أكرم موطن وأطيب معدن فانت - أيت اللعن - ملك العرب وريعيها الذي تخصب به البلاد ، ورأس العرب الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومقلها الذي يلجأ إليه العباد . وسلفك خير سلف ، وأنت لبانهم خير خاف . فلن يخدم من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدة بيته ، اشخصنا اليك الذي أبهجتك من كشف الكرب الذي قد فدحنا ، وفد التهنته لا وفد المرزومة . قال : وإيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال أناب عبد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا ؟ قال نعم ، قال ادن فادناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحباً وأهلاً وناقاً ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً ، وملسكاً ربحلاً ^(٢) يعطى عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقاتلكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فانتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما اقمتم والحياه إذا ظعنتم ، ثم نهضوا الى دار الكرامة والوفود ، فاقاموا شهراً لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادنى مجلسه واخلاه ثم قال : يا عبد المطلب إني مفض اليك من سر على ما لو يكون غيرك لم أبح به . ولكني رأيتك معدنه فاطمعتك طلبه فليكن عندك مطوي حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ أمره ، إني أجد في الكتاب المكنون والسلم المحزون الذي اخترناه لانفسنا واجتجناه دون غيرنا خبيراً عظيماً ، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياه وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة . فقال عبد المطلب أيها الملك مثلك سر وبر ، فما هو فداؤك أهل البر زمرأ بعد زمر ؟ قال إذا ولد بهتامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة كانت له الامامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة . قال عبد المطلب - أيت اللعن - لقد أبت بخير ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألت من بشارته إياي ما ازداد به سرورا . قال ابن ذى بزن هذا حينه الذي يولد فيه أوقد ولد واسمه محمد . يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه . ولدناه سراراً والله باعته جهاراً ، وجاعل له منا انصاراً يعزبهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويخمد النيران ، يعبد الرحمن ويدحر

(١) كلمة أبي عبد الله . غير موجودة في الدلائل . (٢) الرجل الكثير العطاء .

الشیطان ، قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف وينهى عن المنکر ویطلبه . قال عبد المطلب
 أيها الملك - عز جدك وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرک . فهذا نجاری فهل الملك سارلی بانصاح
 فقد أوضح لی بعض الايضاح . فقال ابن ذی یزن : والبيت ذی الحجب والعلامات علی الثقب انك
 يا عبد المطلب لجد غير كذب ، فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع رأسك تلج صدرك وعلا أسرك فهل
 أحسست شيئا مما ذكرت لك . فقال أيها الملك كان لی ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقا فزوجته كريمة
 من كرائم قومه آمنة بنت وهب فجات بسلام سميت محمدآ فأت أبوه وأمه وكفلته انا واعمه . قال ابن ذی
 یزن إن الذی قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فاتهم له أعداء ولین يجعل الله لهم
 عليه سبيلا ، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فانی لست آمن ان تدخل لهم النفاة
 من أن تكون لكم الرئاسة فيطلبون له الفوائل وينصبون له الحبال فهم فاعلون أو ابناؤهم ولولا انی
 اعلم أن الموت محتاجی قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى اصير يثرب دار مملكته فانی أجد فى
 الكتاب الناطق والسم السابق ان يثرب استحکام امره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا انی أقيه
 الآفات واحذر عليه الماهات لاعلنت على جدانة سنه أمره ولأوطأت اسنان العرب عقبه ، ولكنى
 صارف ذلك اليك عن غير تقصير بمن معك . قال ثم أمر لكل رجل منهم بشرة أعبد وعشرة اماء
 ومائة من الابل وحلتين من البرود وبخسة ارطال من الذهب وعشرة ارطال فضة وكرش ملو عنبراً
 وأمر لعبد المطلب بشرة أضعاف ذلك وقال له : اذا حال الحول فأتني فأت ابن ذی یزن قبل أن
 يحول الحول ، فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول لا يغبطنى رجل منكم بمجزيل عطاء الملك فاته الى فناد
 ولكن ليغبطنى بما يبقی لی ولعقبى من بعدى ذكره وخبره وشرفه ، فاذا قبل له متى ذلك قال سيعلم ولو
 بعد حين قال وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جلبنا النصح نخبه المطايا على أكوار أجمالٍ ونوق
 مقلنةً مراتبها تمالى إلى صنماء من فجج عميق^(١)
 توأم بنا ابن ذی یزن وتقرى بذات بطلونها ذم الطريق
 وزعى من تحائله بردقا مواصلة الوميض الى بروق
 فلتا واصلت صنماء حلت بدار الملك والحسب العريق

وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم فى الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكار القعنى ثم قال أبو نعيم
 أخبرت عن أبي الحسن على بن ابراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن
 السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذی یزن حدثني أبي أبو یزن ابراهيم حدثنا عمى احمد بن محمد ابو

(١) كذا بالاصول ولم نجد هذا الشعر فى الدلائل ولا فى غيره من المراجع .

رواه به حدثنا عبي محمد بن عبد العزيز حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زرعة بن سيف بن ذى
 وزن الحيرى قال لما ظهر جدى سيف بن ذى وزن على الجبشة . وذكره بطوله . وقال أبو بكر الخرائطى
 حدثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحاق القلوسى حدثنا الملاء بن الفضل بن أبى سوية أخبرنى أبى عن أبيه
 عبد الملك بن أبى سوية عن جده أبى سوية عن أبيه خليفة قال سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة
 ابن خثعم بن سعد فقلت كيف سماك أبوك محمداً ؟ فقال سألت أبى عما سألتنى عنه ، فقال خرجت رابع
 أربعة من بنى تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جندب بن العقيد ، ويزيد
 ابن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ، ونحن نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا
 على غدير عليه شجرات فتحدثنا فسمع كلامنا راهب ، فأشرف علينا فقال إن هذه لغة ما هى بلغة هذه
 البلاد قلنا نعم نحن قوم من مضر ، قال من أى المضرين ؟ قلنا من خندف قال أما إنه سبيث وشيكا
 بنى خاتم النبين ، فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . قلنا له ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال
 فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً . يعنى ان كل واحد منهم طمع فى أن
 يكون هذا النبي المبشر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثنا حازم بن عقال بن الزهر بن
 حبيب بن المنذر بن أبى الحصين بن السموأل بن عاديا حدثني جابر بن جدان بن جميع بن عثمان بن
 سماك بن الحصين بن السموأل بن عاديا . قال لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر
 الوفاة اجتمع اليه قومه من غسان فقالوا إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى وكنا نأمرك بالتزوج فى
 شبائك فتأبى وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك فقال : لن يهلك هالك ترك
 مثل مالك إن الذى يخرج النار من الوثيمة ^(١) قادر أن يجعل للملك نسلا ورجالا يسلا وكل إلى الموت
 ثم أقبل على مالك وقال : أى بنى المنية ولا الدنية ، العقاب ولا العتاب ، التجلد ولا التلد ^(٢) القبر خير
 من الفقر ، إنه من قل ذل ، ومن كثر فر ، من كرم الكريم الدفع عن الحريم . ولدهر يومان فيوم لك
 ويوم عليك ، فاذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، ليس يثبت منهما
 الملك المتوج ، ولا اللثم المطمئح ، سلم ليومك حياتك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدت السبايا يوم آل محرق
 وأدرك أمرى صيحة الله فى الجبر
 فلم أر ذا ملك من الناس واحداً
 ولا سوقة إلا إلى الموت والقبر
 فل الذى أرى ثموداً وجرحماً
 سيعقب لي فشلاً على آخر الدهر

(١) الوثيمة الحجارة ، يريد ما يكون من شر إذا قدحت الحجارة بالزند .

(٢) فى الامالى لابی على القالى هذه القصة بسياق غير هذا وزيادة وقصان .

تقربهم من آل عمرو بن عامر
فإن لم تك الأيام أبليَنَ جدتي
فلن لنا رباً علا فوق عرشه
ألم يأت قومي أن الله دعوة
إذا بُعث المبعوث من آل غالب
هناك فابغوا نصره بيلادكم
غيمون لدى الداعي إلى طلب الوثر
وشين رأسي والمشيب مع العمر
علياً بما يأتي من الخير والشر
يفوز بها أهل السعادة والبر
بمكة فيما بين مكة والحجر
بني عامر إن السعادة في النصر

قال ثم قضى من ساعته .

باب في هولاك الجاه

وقد تقدم كلام شق وسطيح لريعة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسول الله (ص)، رسول ذكى يأتي إليه الوجي من قبل العلى . وسأني في المولد قول سطيح لعبد المسيح : إذا كثرت التلاوة وغاضت بحيرة ساوة وجاء صاحب المراوة يعني بذلك رسول الله (ص) كما سأني بيانه مفصلاً (١) وقال البخاري حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثني ابن وهب حدثني عمرو - هو محمد بن زيد - أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر قال ما سمعت عمر يقول لشيء قط إني لأظنه إلا كان كما يظن . بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم ، على الرجل ، فدعى به فقال له ذلك قال : ما رأيت كالذي استقبل به رجلاً مسلماً . قال فاني أعزم عليك إلا ما أخبرتنى قال كنت كاهنهم في الجاهلية ، قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟ قال بينما أنا في السوق يوماً جاءتنى أعرف فيها الفرع . فقالت :

ألم ترَ الجنَّ وإبلاسهَا وبأسها من بعد أنكاسها؟

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

قال عمر صدق بينا أنا نائم عند آهتهم جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول : يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله فوثب القوم ، قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقامت فما نشبنا أن قبل هذا نبي . تفرد به البخاري .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأردى . ويقال السدوسي من أهل السراة من جبال البلقاء .

(١) من أول الباب إلى هنا كله تفردت به النسخة الحلبية ولم ترد في المصرية .

له محبة ووفادة . قال أبو حاتم وابن منده روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن علي ، وقال البخاري له محبة . وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن روح البرذعي الحافظ ، والدارقطني ، وغيرها وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري سواد بن قارب بالتخفيف . وقال عثمان الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي كان من أشرف أهل اليمن ذكره أبو نعيم في الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه آخر مطولة باليسر من رواية البخاري .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنه حدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله (ص) ، إذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر قال إن الرجل لعلى شركه ما فارقته بعد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فلم عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين . قال فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟ فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيته منذ وليت ما وليت . فقال عمر : اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام . قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال ف أخبرني ما جاء به صاحبك . قال جاءني قبل الإسلام بشهر أو شيعه ^(١) قال : ألم تر إلى الجن والانساء . وياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص واحلاسها .

قال ابن اسحاق : هذا الكلام سجع ليس بشعر . [قال عبد الله بن كعب] .

فقال عمر عند ذلك يحدث الناس : والله أتى لعند وثن من أوثان الجاهلية في فبر من قریش قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننظر قسمه أن يقدم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أشد منه ، وذلك قبل الإسلام بشهر أو شيعه يقول : يا ذريح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله . قال ابن هشام ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا إله إلا الله قال وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجن والانساء وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها

وقال الحافظ أبو يعلی الموصلي حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامي حدثنا علي بن منصور الأنباري عن محمد بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي . قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل . فقيل يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار ؟ قال ومن هذا ؟ قالوا هذا سواد بن قارب الذي أمه رثيه بظهور رسول الله (ص) قال ف ارسل إليه عمر . فقال له أنت سواد

(١) أي دونه بقليل ، وشيع كل شيء ما هو له تبع .

بن قارب قال نعم . قال فانت على ما كنت عليه من كهاتك ؟ قال فضضب . وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين ، فقال عمر يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهاتك ، فأخبرني ما أنباك رثيك بظهور رسول الله (س) . قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رثي فضر بني برجله وقال قم ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل ، إنه قد بث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلباها وشدها العيس بأقباها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذباها
فارحله إلى الصفوة من هاشم ليس قداماها كأذناها

قال قلت دعني أنام فأتني أمسيت ناعسا . قال فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضر بني برجله وقال قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن ونجبارها وشدها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحله إلى الصفوة من هاشم بين زوايها وأحجارها

قال قلت دعني أنام ، فأتني أمسيت ناعسا ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضر بني برجله . وقال : قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن ونجاسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كأنجاسها
فارحله إلى الصفوة من هاشم وأسمر بينك إلى راسها

قال فسمعت وقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحلت فأتني ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فاذا رسول الله (س) في أصحابه قد نوت فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال هات فأنشأت أقول :

أتاني نجي بد هدى ورقدة ولم يك فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليل قوله كل ليلة أنك رسول من لؤي بن غالب
فتمرت عن ذيلي الأزارو وسطت ربي الدعلب الوجناء غير السباب
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنت مأمون على كل غالب
وأنت أدنى المرسلين وسيله إلى الله يا ابن الأكرمين الأتابير

فَوُتْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى وَإِنْ كَانَ فَيَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَأَذُو شَفَاعَةٍ يِوَالِكَ بِمَنْعٍ عَنْ سِوَادِ بْنِ قَارِبٍ

قال فرح رسول الله (ص)، وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً، حتى روى الفرح في وجوههم. قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال قد كنت أشتكى أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك ذلك اليوم؟ قال أما منذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوض كتاب الله من الجن. ثم قال عمر: كنا يوماً في حى من قریش يقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا مجلهم والجزار يعالجه، إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل - ولا نرى شيئاً - قال يا آل ذريح، أمر نجح صائح يصبح بسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخاري. وقد تساعدوا على أن السامع الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه الذي جمعه في هواتف الجن: حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المازدب حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصابي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي. قال: دخل سواد بن قارب السدوسي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال نشدتك بالله يا سواد بن قارب، هل تحسن اليوم من كهانتك شيئاً؟ فقال: سبحان الله يا أمير المؤمنين، ما استقبلت أحداً من جاساتك بمثل ما استقبلتني به قال سبحان الله يا سواد ما كنا عليه من شركتنا أعظم مما كنت عليه من كهانتك، والله يا سواد لقد بلغني عنك حديث إنه لعجيب من العجب، قال إني والله يا أمير المؤمنين إنه لعجيب من العجب. قال فحدثني قال كنت كاهناً في الجاهلية، فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني نجي فضر بني برجله. ثم قال يا سواد اسمع أقل لك، قلت هات قال:

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَأَنْجَاسِهَا ^(١) وَرَحَّلَهَا الْمَيْسَ بِأَحْلَاسِهَا

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدْيَ مَأْمُونُوهَا مِثْلُ أَرْجَاسِهَا

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَاسْمُ بَيْنِكَ إِلَى رَأْسِهَا

قال فسمت ولم أحفل بقوله شيئاً، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضر بني برجله ثم قال لي قم يا سواد

ابن قارب اسمع أقل لك، قلت هات. قال:

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَتَطْلَافِهَا وَشَدَّهَا الْمَيْسَ بِأَقْتَابِهَا

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدْيَ مَا صَادَقُ الْجَنِّ كَكُذَابِهَا

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ الْمَقَادِيمُ كَأَذَانِهَا

(١) وفي المصرية وإيجاسها. وفي ابن هشام وإبلاسها.

قال فحرك قوله مني شيئاً ونمت فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضر بني برجله ثم قال يا سواد بن قارب
أتمتل أم لا تمتل ؟ قلت وما ذاك ؟ قال ظهر بمكة نبي يدعو إلى عبادة ربه فالحق به ، اسمع اقل لك .
قلت هات قال :

عجبت للجن وتنغارها ورخلها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى مامؤمنو الجن ككفارها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم بين روايها وأحجارها

قال فعلت أن الله قد أراد بي خيراً . فممت إلى بردة لي ففتقتها ولبستها ووضعت رجلي في غرز
ركاب الناقة . وأقبلت حتى انتهيت إلى النبي (ص) فرض على الاسلام فأسلمت ، وأخبرته الخبر فقال
« إذا اجتمع المسلمون فاجبرهم » فلما اجتمع المسلمون قت فقلت :

أتاني نجي بد هدم ورقدة ولم يك فيما قد بولت بكاذب
ثلاث ليل قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشررت عن ذيلي الأزار ووسطت بي الدعلب الوجناء غير السباب^(١)
وأعلم أن الله لا رب غيره وأنت مأمون على كل غائب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
فرنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الذوائب^(٢)

قال فسر المسلمون بذلك ، فقال عمر هل تحس اليوم منها بشي ؟ قال أما اذ علمني الله القرآن فلا
وقد رواه محمد بن السائب الكلابي عن أبيه عن عمر بن حفص . قال لما ورد سواد بن قارب على عمر
قال : يا سواد بن قارب ما بقي من كهانتك ؟ فنضب وقال ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً
من العرب بمثل هذا ، فلما رأى ما في وجهه من الغضب ، قال : أنظر سواد الذي كنا عليه قبل اليوم
من الشرك أعظم . ثم قال يا سواد حدثني حديثاً كنت أستهي أسمعه منك ، قال نعم ، بين أنا في ابل
لي بالسراة ليلاً وأنا نائم وكان لي نجي من الجن أتاني فضر بني برجله فقال لي قم يا سواد بن قارب فقد
ظهر بهامة نبي يدعو الى الحق والى طريق مستقيم ، فذكر القصة كما تقدم وزاد في آخر الشعر :
وكن لي شفيها يوم لا ذو قرابة سواك بمن عن سواد بن قارب^(٣)

(١) كذا في الأصلين . والذي في السهيلي :

فرقت اذبال الإزار وشررت بي العريس الوجناء حول السباب

(٢) في السهيلي : فرنا بما يأتيك من وحي ربنا وإن كان فيما جئت شيب الذوائب

(٣) في السهيلي : بمن فتيلاً عن سواد بن قارب .

فقال رسول الله (ص): « سر في قومك وقل هذا الشعر فيهم » ..

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربى عن عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير قال أخبرني سواد بن قارب الأزدي . قال : كنت نائماً على جبل من جبال السراة فأتاني آت فضر بني برجله - وذكر القصة أيضاً .

ورواه أيضاً من طريق محمد بن البراء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء . قال قال سواد بن قارب : كنت نازلاً بالهند فخانني رثي ذات ليلة فذكر القصة . وقال بعد انشاد الشعر الأخير فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه وقال : « أفلحت يا سواد » .

وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة ^(١) حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا علي بن حرب حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد الله العماني . قال كان منا رجل يقال له مازن بن المضروب يصدن صنماً بقرية يقال لها سمايا ، من عمان ، وكانت تعظمه بنو الصامت وبنو حطامة ومهرة وهم اخوال مازن . أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن خويص ^(٢) أحد بني نمران قال مازن : فمترنا يوماً عند الصنم عتيرة - وهي الذبيحة ^(٣) - فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن اسمع تسر ، ظهر خير ووطن شر ، بعث نبي من مضر ، يدين الله الاكبر ، فدع نحيبتنا من حجر . تسلم من حرس قتر . قال ففزعت لذلك فرعاً شديداً . ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : اقبل الى اقبل ، تسمع بالانجيل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ، فأمن به كي تعدل عن حر فار تشعل وقودها الجندل . قال مازن : فقلت إن هذا لعجب وان هذا لخير يراد بي وقدم علينا رجل من الحجاز فقلت ما الخبر وراهك ؟ فقال ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله ، فقلت هذا نبأ ما سمعت ، ففرت الى الصنم فكسرتة جذاً اذا وركبت را حلتى حتى قدمت على رسول الله (ص) . فشرح الله صدرى للاسلام ، فأسلمت ، وقلت :

كسرتُ بالجر ^(٤) الجذاً اذاً وكان لنا رباً نُطِيفُ به ضلاً بضلال
فالهاشي هداًنا من ضلالتنا ولم يكن دينه مئياً على بال
يا راكباً بلعن عمراً وإخوانها إني لمن قال ربّي بالجرّ قالي

يعني يعمرو الصامت واخوانها حطامة . فقلت يا رسول الله إني اسرؤ مولع بالطرب وبالهلوك من النساء وشرب الخمر . وألحت علينا السنون فاذهبن الأموال واهزلن السرازي وليس لي ولد ، فادعو

(١) هذه القصة كانت مؤخرة في الحلبية . (٢) في الدلائل لابي نعيم حويص بلحاء المهمة .

(٣) شاة تذبح في رجب أو ذبيحة تذبح للاصنام فيصب دهما على رأسها . من النهاية .

(٤) وفي الدلائل : بالجر بالحاء . نقلاً عن عمود الامام .

الله أن يذهب عني ما أجد ويأتينا بالحيا ، ويهب لي ولدا فقال النبي (ص) : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرām الحلال وبالأثم والعهر عفة وآته بالحيا وهب له ولدا » قال فذهب الله عني ما أجد واخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر وحفظت شطر القرآن ، ووهب لي حيان بن مازن وأنشأ يقول :

اليك رسول الله خبت مطيتي تجوب الفيافي من عمان الى العرج
لنشفع لي ياخير من وطئ الحصى فيغفر لي ربّي فأرجع بالفلج
الى معشر خالفت في الله دينهم فلا رأيهم رأيي ولا شرّهم شرّجني
وكنّت امرأ بالحمر والعهر موماً شبابي حتى آذن الجسم بالهيج
فبدلني بالحمر خوفاً وخشياً وبالعهر إحصاناً فخصن لي فرجي
فأصبحت هي في الجهاد ونيّتي فلا ماصومي والله ما حجّني

قال فلما أتيت قومي انبوني وشتموني ، واسروا شاعرا لهم فهجاني ، فقلت إن رددت عليه قائما اهجو نفسي . فرحلت عنهم فأتيت منهم زلفة عظيمة وكنّت القيم بأمورهم فقالوا يا ابن عم : عبنا عليك أسرا وكرهنا ذلك فان آيت ذلك فارجع وقم بأمورنا وشأنك وما تدبّر به . فرجعت معهم وقلت :

لبغضكم عندنا سرّ مذاقته وبغضنا عندكم يا قومنا لبن
لا يظن الدهر ان بثت معائبكم وكألكم حين يثنى علينا فطن
شاعرنا مفتح عنكم وشاعركم في حديثنا مبلغ في شتمنا لسن
ما في القلوب عليكم فاعلموا وغر وفي قلوبكم البغضاء والإحن

قال مازن : فهداهم الله بعد الى الاسلام جميعا .

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله (ص) ان امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن ، فجاء في صورة طائر أبيض فوقع على حائط لهم ، فقالت له لم لا تنزل اليّنا فتحدثنا ونحدثك ، ونخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار .

وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن علي بن الحسين . قال : ان أول خبر قدم المدينة عن رسول الله (ص) ان امرأة تدعى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت ألا تنزل ؟ فقال لا أنه قد بعث الرسول الذي حرم الزنا .

وارسله بعض التابعين أيضاً وسماه بلن لوزان وذكر انه كان قد غاب عنها مدة ، ثم لما قدم عاتبته فقال اني جئت الرسول فسمعتة يحرم الزنا فليكن السلام .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة . قال قال عثمان بن عفان :

خرجنا في غير الى الشام - قبل أن يبعث رسول الله (ص) - فلما كنا بأفواه الشام - وبها كهنة - فتمرضتنا ، فقالت أتانى صاحبي فوقف على بلبي ، فقلت ألا تدخل قتال لا سبيل الى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطلق ، ثم انصرف فرجعت الى مكة فوجدت رسول الله (ص) ، قد خرج بمكة يدعو الى الله عز وجل

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله الزهري . قال : كان الوحي يسمع فلما كان الاسلام منعوا وكانت امرأة من بني أسد يقال لها سميرة لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يستطيع أتاها فدخل في صدرها فضج في صدرها فذهب عقلها فجعل يقول من صدرها : وضع العناق ومنع الرفاق وجاء أمر لا يطلق واحمد جرم الزنا .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر - - حدثنا عمارة بن زيد حدثنا عيسى بن يزيد عن صالح بن كيسان عن حدثه عن مرداس بن قيس السدوسي قال حضرت النبي (ص) - وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه - فقالت يا رسول الله قد كن عندنا في ذلك شيء ، أخبرك أن جارية منا يقال لها الخلصة لم يعلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس العجب العجب لما أصابني ، هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا وما ذاك ؟ قالت اني لفي غنمي إذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة قد خشيت أن أكون قد حبلت . حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاماً أعصف له أذانان كاذني الكلب فكث فينا حتى انه ليلعب مع الغلمان اذ وثب وثبة والتي إزاره وصلاح بأعلى صوته وجعل يقول : يا ويلة يا ويلة ، يا عولة يا عولة ، يا ويل غنم ، يا ويل فهم ، من قابس النار . الخليل والله وراء العقبة ، فيهن فتیان حسان نجيبة . قال فركبنا وأخذنا للاداة وقلنا يا ويليك ما ترى فقال [هل] من جارية طامث ققلنا ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا هي والله عندي عفيفة الأم ققلنا فمجلها فأتى بالجارية وطلع الجبل وقل للجارية اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم ، وقال للقوم اتبعوا أثرها ، وقال لرجل منا يقال له احمد بن حابس يا احمد بن حابس عليك أول فارس . فحمل احمد فطعن أول فارس فصرعه وانهمزوا فغنمناهم . قال فابتغينا عليهم بيتاً وسميناه ذا الخلصة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول حتى إذا كان مبعثك يا رسول الله قال لنا يوماً يا معشر دوس نزلت بنوا الحارث بن كعب فركبنا فقال لنا أكدسوا الخليل كدساً ، أحشوا القوم رمسا ، أنفوم غندية واشربوا الخمر عشية . قل فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا اليه ققلنا ما حالك وما الذي صنعت بنا فنظرنا اليه وقد احمرت عيناه واتصبت أذناه وانبرم غضباناً حتى كاد أن ينفطر وقام فركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حيناً ثم دعانا فقال هل لكم في غزوة تهيب لكم عزاً ونجمل لكم حرزاً ويكون في أيديكم كنزاً ؟ ققلنا ما أخرجنا إلى ذلك فقال اركبوا فركبنا ققلنا ما تقول فقال بنو الحارث بن مسعدة : ثم قال ققلنا فوقفنا

ثم قال عليكم فيهم ، ثم قال ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمضرهم أرباب خيل ونعم ثم قال لا ، رهط دريد
 ابن الصمة قليل السدد وفي الذمة ثم قال لا ، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة وأسكنوها ضيمة عامر بن
 صمصمة فليكن بهم الواقعة قال فلتيناهم فيرمونا وفضحونا فرجعنا وتلنا وبلك ماذا تصنع بنا قال ما أدرى
 كذبي الذي كان يصدقني . أسجنوني في بيتي ثلاثاً ثم اثثوني ففعلنا به ذلك ثم أتينا به ثالثة ففتحنا عنه
 فإذا هو كأنه حجرة نار ، فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الأنبياء قلنا أين ؟ قال بمكة
 وأنا ميت فادفنوني في رأس جبل فإني سوف أضطرم ناراً وإن تركتموني كنت عليكم عاراً فإذا رأيتم
 اضطرابي وتلهي فادفنوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر بسمك اللهم فإني أهدى وأطفي . قال وإنه
 مات فاشتعل ناراً ففعلنا به ما أمر وقد قذفناه بثلاثة أحجار تقول مع كل حجر بسمك اللهم فحمد وطفي
 وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فآخبرونا بمبعثك يا رسول الله . غريب جداً . وروى الواقدي عن أبيه عن
 ابن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن أبيه . قال : خرجنا في غير لنا إلى
 الشام فلما كنا بين الزرقاء ومان قد عرسنا من الليل فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها
 النيام هبوا فليس هذا بمجن رقاد قد خرج أحمد فطردت الجن كل مطرد ففرعنا ونحن رقعة حزورة كلهم
 قد سمع بهذا فرجعنا إلى أهلنا فلذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش في نبي قد خرج فيهم من بني
 عبد المطلب اسمه أحمد . ذكره أبو نعيم . وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر -
 حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء - حدثني يحيى بن عروة عن أبيه أن نفراً من قريش منهم
 ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش بن رئاب
 وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً كانوا
 يعظمونه وينحرون له الجوزور ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه فدخلوا عليه في الليل فرأوه
 مكبواً على وجهه ، فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عتيقاً ، فأخذوه
 فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث ماله قد
 أكثر التنكس إن هذا الأمر قد حدث وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ فجعل عثمان يقول :

أيا صنم الصبر الذي صُفِّ حوله صنديدٌ وفديٌّ من بعيدٍ من قُربِ
 تنكَّتْ مغلوباً فما ذاك قُله لنا أذاك صفيه أم تنكَّتْ للعُتبِ
 فإن كان من ذُنْبِ أُنَيْنا فإنا نبوءُ بأقرارٍ وتُلوِي عن الذنْبِ
 وإن كنت مغلوباً وتُنكَّتْ صاغراً فما أنت في الأوثانِ بالسَّيدِ الربِّ

قال فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير

وهو يقول :

تردّى لمولود أنارت بنوره
 وخزت له الأوثان طراً وأرعدت
 وفار جميع الفرس باخت وأظلمت
 وصدت عن السكبان بالنسب رجتها
 فبات جميع الأرض في الشرق والغرب
 قلوب ملوك الأرض طراً من الرعب
 وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب
 فلا مخبر عنهم بحق ولا ركنب
 فبات جميع أرجعوا عن ضلالكم
 وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرحب

قال فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض ، فقالوا
 أجل ، فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد اخطئوا الحجة وتركوا دين ابراهيم
 ما حاجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضرب قوم التمسوا لأنفسكم الدين . قال فخرجوا
 عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الخنيفة دين ابراهيم عليه السلام فأما ورقة بن نوفل
 فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علماً وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده
 وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض حتى بلغ
 الرقة من أرض الجزيرة فلقى بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب فقال له الراهب إنك لتطلب ديناً ما
 نجد من يملك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الخنيفة فلما قال له ذلك
 رجع يريد مكة فغارت عليه لخم قتلوه ، وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي (ص) ، ثم
 خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر وفارق الاسلام فكان بها حتى هلك هناك
 نصرانياً . تقدم في ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل له شاهد .

وقد قال الخرائطي : حدثنا أحمد بن اسحاق بن صالح أبو بكر الوزراق حدثنا عمرو بن عثمان حدثني
 أبي حدثنا عبد الله بن عبد العزيز حدثني محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن أنس السلمي
 عن العباس بن مرداس أنه كان يمر في لقاح له نصف النهار إذ طلعت عليه فامة بيضاء عليها راكب عليه
 ثياب يابض مثل اللبن فقال : يا عباس بن مرداس ألم تر أن السماء قد كفت احراسها ، وإن الحرب
 تجمعت اغفاسها ، وإن الخيل وضعت احلاسها ، وإن الذي نزل بالبر والتقوى ، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ،
 صاحب الناقة القصوى قال فرجعت مرعوباً قد راعني ما رأيت وسمعت حتى جئت وثناً لنا يدعى الضماد
 وكنا نعبده ونسكك من جوفه فكفست ما حوله ثم تمسحت به وقبلته فإذا صائح من جوفه يقول :

قل للقبائل من سليم كلها هلك الضماد وفاز أهل المسجد
 هلك الضماد وكان يُبكد مرة قبل الصلاة مع النبي محمد
 إن النبي ورث النبوة والمهدي بعد ابن مريم من قریش مهتد

قال فخرجت مرعوباً حتى أتيت قومي فقصصت عليهم القصة واخبرتهم الخبر وخرجت في ثلاثمائة

من قومي بني حارثة الى رسول الله (ص) وهو بالمدينة فدخلنا المسجد فلما رأى رسول الله (ص) قال لي: « يا عباس كيف كان اسلامك » ؟ قصصت عليه القصة . قال فسر بذلك واسلمت أنا وقومي . ورواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من حديث أبي بكر بن أبي عاصم عن عمرو بن عثمان به . ثم رواه أيضا من طريق الاصمعي حدثني الوصافي عن منصور بن المتمر عن قبيصة بن عمرو بن اسحاق الخزازي عن العباس بن مرداس السلي . قال : أول اسلامي ان مرداساً أبى لما حضرته الوفاة أوصاني بضم له يقال : نماذ فجعلته في بيت وجلت آتية كل يوم مرة فلما ظهر النبي (ص) سمعت صوتاً مرصلاً في جوف الليل راعني فوثبت الى ضياد مستغيثاً وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قل لقبيلة من سليم كلها هلك الانيس وعاش أهل المسجد
أودى ضياد وكان يعبد مرة قبل الكتاب الى النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى بد ابن مريم من قريش مهتد

قال فكتمته الناس فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في ابلي بطرف العقيق من ذات عرق راقداً سمعت صوتاً وإذا برجل على جناح نعامه وهو يقول : النور الذي وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة المضياء في ديار اخوان بني العتقاء ، فاجابه هاتف من شماله وهو يقول :

بشّر الجنّ وابلأسها أن وضعت المطي أحلاسها
وكَلَّاتِ السماءَ أحراسها

قال فوثبت مذعوراً وعلت ان محمداً مرسل ، فركبت فرسي واحتثت السير حتى انتهيت اليه فبايعته ثم انصرف الى ضياد فأحرقته بالنار ثم رجعت الى رسول الله (ص) فأنشدته شعراً أقول فيه :

لمرّك اني يوم أجعل جاهلاً
وتركي رسول الله والأوس حوله
كتارك سهل الارض والحزن بيتني
فأمنت بالله الذي أنا عبده
ودجّهت وجهي نحو مكة قاصداً
نبيّ أنا ما بدّ عيسى بناطقي
أمين على القرآن أول شافع
تلا في عرى الاسلام بدّاً تنقاضيها
عينك يا خير البرية كلها
وأنت المصطفى من قريش إذا سمعت
ضياداً لرّب العالمين مشاركا
أولئك أنصار له ما أولئك
ليسلك في وعث الامور المسالكا
وخالف من أمسى يريد المهالكا
أبايع نبيّ الاكرمين المباركا
من الحق فيه الفصل فيه كذلكا
وأول مبعوث يحجب الملائكا
فأحكمها حتى أقام المناسكا
توسط في الفرعين والمجد مالكا
على ضميرها تبقى القرون المباركا

إذا انتسب الحيان كمب ومالك وجدناك محضاً والنساء العواركا

قال الخرائطي : وحدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر حدثنا عمارة بن زيد حدثنا اسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق حدثني شيخ من الانصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد ابن مسلمة قال بلغني أن رجالا من خشم كانوا يقولون ان ممداعانا الى لاسلام انا كنا قوما نعبد الاوثان فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل فر يتقاضون اليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم إذ هتف بهم هاتف يقول :

يا أيها الناس ذوو الاجسام من بين اشياخ الى غلام
ما أنتم وطائش الأحمال ومستند الحكم الى الاصنام
أكلكم في حيرة نيام أم لا تزون ما الذي أنامي
من ساطع يحلوا دجى الظلام قد لاح للنظر من رهام
ذاك نبي سيد الأنام قد جاء بعد الكفر بالاسلام
أكرمته الرحمن من امام ومن رسول صادق الكلام
أعدلي حكم من الاحكام يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للأحلام ويزجر الناس عن الآثام
والرجس والاثوان والحرام من هاشم في ذروة السام
مستعلنا في البلد الحرام

قال فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وآتيناه النبي (ص) فأسلطنا .

وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله البلوي حدثنا عمارة حدثني عبيد الله بن الملا حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير أن رجلا من بني تميم يقال له رافع بن عمير - وكان أهدي الناس للطريق واسرام بليل ، وأهجمهم على هول ، وكانت العرب تسميه لذلك دعوص العرب لهدايته وجراوته على السير - فذكر عن بدء إسلامه قال إني لأسير برمل عاج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي ونحتها وتوسدت ذراعها ونمت وقد تموذت قبل نومي قلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن من أن أؤذي أو أهاج فرأيت في منامي رجلا شاباً يرصد ناقتي ويده حربة يريد أن يضفها في نحرها ، فانتبهت لذلك فرعاً فنظرت بيناً وشمالاً فلم أر شيئاً ، قلت هذا حلم ثم عمت فغفوت فرأيت في منامي مثل رؤيا الأولى فانتبهت فدرت حول ناقتي فلم أر شيئاً وإذا ناقتي ترعد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت فإذا أنا برجل شاب كالذي رأيت في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده برده عنها وهو يقول :

يا مالِكُ بنَ مُهَلَّبٍ بنِ دِثَارٍ مهلاً فدى لك منزري وإزاري
عن فاقة الأنسي لا تعرض لها واختربها ما شئت من أنواري
ولقد بدا لي منك ما لم أحسب ألا رغيته قرابتي وذماري
تسمو إليهم بحربة مسمومة تباً لعنك يا أبا الغفاري
لولا الحياة وأن أهلك جيرة لهدت ما كشفت من أخباري

قال فأجابه الشاب وهو يقول :

أردت أن تملو وتخفض ذكرنا في غير مزية أبا العيزار
ما كان فيهم سيد فيما مضى إن الخيار فهو بنو الأخيار
فاقصد لقصدك يامكبر واتما كان الحجير مهلهل بن دثار

قال فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الأنسي ، فقام الفتى فآخذ منها نوراً وانصرف . ثم التفت إلى الشيخ فقال يا هذا إذا نزلت واديا من الاودية فحفت هوله قتل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذب بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال قتل له ومن محمد هذا ؟ قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي بمثل يوم الاثنين . قلت وابن مسكنه قال يثرب ذات النخل . قال فركبت راحلتي حين ررق لي الصبح وجددت السير حتى قحمت المدينة فرآني رسول الله (ص) ، فحدثني بحديثي قبل ان أذكر له منه شيئا ودعاني إلى الاسلام فاسلمت . قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه (وإنه كان رجال من الانس يموذون رجال من الجن فزادهم رهتا) وروى الخرائطي من طريق ابراهيم بن اسماعيل بن حماد بن أبي جنيبة عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي . قال : إذا كنت بواد تخاف السبع قتل أعوذ بدانيال والجب ، من شر الأسد . وروى البلوي عن عمارة بن زيد عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قصة قتال علي الجن بالبر ذات العلم التي بالهجرة حين بعثه رسول الله (ص) . يستقي لهم الماء فارادوا منعه وقطعوا الدلو فنزل اليهم ، وهي قصة مطولة منكورة جدا والله أعلم .

وقال الخرائطي : حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره حدثنا سليمان ابن بنت شريحيل الدمشقي حدثنا عبد القدوس بن الجباج حدثنا خالد بن سعيد عن الشعبي عن رجل قال كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبي (ص) . بهذا كرون فضائل القرآن قال بعضهم خواتيم سورة النحل ، وقال بعضهم سورة يس ، وقال علي قأبن أنتم عن فضيلة آية الكرسي أما إنها سبعون كلمة في كل كلمة بركة . قال وفي القوم عمرو بن معدى كرب لا يحجر جوابا ، قال ابن أنتم عن

بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال عمر حدثنا يا أبا ثور . قال بينا أنا في الجاهلية إذ جهدني الجوع فأقحمت فرسى في البرية فما أصيبت الابيض النعام ، فبينما أنا أسير اذا أنا بشيخ عربي في خيمة ، وإلى جانبه جارية كأنها شمس طالمة ومعه غنيمات له ، فقلت له استأسر ثكلتك أمك . فرفع رأسه الى وقال يا قتي ان أردت قرى فانزل وان أردت معونة اعنك . فقلت له استأسر فقال :

عَرَضْنَا عَلَيْكَ النَّزْلَ مَا تَكْرُمًا فَلَمْ تَرْعُوِي جَهْلًا كِفْعَلِ الْأَشَانِمِ
وَجِئْتَ بِبُهْتَانٍ وَزُورٍ وَدُونَ مَا تُمْنِيْتُهُ بِالْبَيْضِ حَزُّ الْعَلَامِمِ

قال ووثب الى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأنني مثلت فتحته . ثم قال أقتلك أم أدخلك عنك ؟ قلت بل خل غنى قال فخل غنى . ثم ان نفسي جاذبتني بالمعاودة . فقلت استأسر ثكلتك أمك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَرْنَا هُنَالِكَ وَالرَّحِيمُ بِهِ قَهْرْنَا
وَمَا أَتَيْنِي بِجَلَادَةٍ ذِي حِفَاطٍ إِذَا يَوْمًا لِمَرْكَةٍ بَرَزْنَا

ثم وثب لي وثبة كأنني مثلت فتحته . فقال أقتلك أم أدخلك عنك ؟ قال قلت بل خل غنى . فخل غنى . فانطلقت غير بعيد . ثم قلت في نفسي يا عمرو أيقهرك هذا الشيخ . والله لعلوت خير لك من الحياة ، فرجعت اليه فقلت له استأسر ثكلتك أمك . فوثب الى وثبة وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فكأنني مثلت فتحته ، فقال أقتلك أم أدخلك عنك ؟ قلت بل خل غنى فقال هيهات ، يا جارية إئتيني بالمديفة فأتته بالمديفة فجز ناصيتي وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزت ناصيته استمبدته ، فكنت معه أخدمه مدة . ثم انه قال يا عمرو أريد أن تركب معي البرية وليس بي منك وجل ، فاني بيسم الله الرحمن الرحيم لو اتق قال فسرنا حتى أتينا واديا أشبا مهولا مفعولا . فننادى بأعلى صوته بسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبق طير في وكره الاطار . ثم أعاد القول فلم يبق سبع في مريضه الا هرب ، ثم أعاد الصوت فإذا نحن ببشبي قد خرج علينا من الوادي كالنخلة السحوق ، فقال لي يا عمرو اذا رأيتنا قد اتحدنا قتل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم . قال فلما رأيتهما قد اتحدنا قتل غلبه صاحبي باللات والعزى فلم يصنع الشيخ شيئا ، فرجع الى وقال قد علمت انك قد خالفت قولي . قلت أجل ولست بمائد ، فقال إذا رأيتنا قد اتحدنا قتل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم ، فقلت أجل فلما رأيتهما قد اتحدنا قتل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم ، فاتسكا عليه الشيخ فيعجه بسيفه فاشتق بطنه فاستخرج منه شيئا كهيمته اتقديل الاسود ثم قال يا عمرو هذا غشه وغله . ثم قال اتدري من تلك الجارية ؟ قلت لا ، قال تلك الفارعة بنت السليل الجرهمي من خيار الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمها يفزوني منهم كل عام رجل ينصرفني الله عليه بيسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال قد رأيت ما كان مني الى الحبشي . وقد غلب على الجوع فتتقى بشي آكله ،

فاقحمت بفرسى البرية فما اصبحت الابيض النعام ، فاقبته به فوجدته ناثما ، واذا نحت رأسه شيء كهيئة الحشبة ، فاستلته فاذا هو سيف عرضه شبر في سبعة أشبار ، فضربت ساقيه ضربة أبنت الساقين مع القدمين ، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما اغدرك يا غدار . قال عمر: ثم ماذا صنعت ؟ قلت فلم أزل أضربه بسيفي حتى قطعته إربا إربا . قل فوجم لذلك ثم أنشأ يقول :

بالقدرِ نلتَ أخا الإسلامِ عن كُذِّبٍ ما إن سمعتُ كذا في سالفِ العربِ
والمُجِّمِ تأنفُ مما جئته كَرَمًا تبأ لما جئته في السيدِ الأربِ
اني لأعجبُ أني نلتُ قتلَهُ أم كيف جازاك عند الذنبِ لم تب ؟
قرم عفا عنك مرأتٍ وقد علفت بالجسم منك يدها موضع العطبِ
لو كنت آخذ في الإسلام ما فعلوا في الجاهلية أهل الشرك والصلبِ
أذاً لنا لك من عليّ مُشْطَبَةٌ ندعو لذاتها بلويل والحربِ

قال ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت ثم إنى أتيت الجارية . فلما رأتني قالت ما فعل الشيخ قلت قتله الحبشي ، فقالت كذبت بل قتله أنت بندرك ثم انشأت تقول :

يا عينُ جُودي للفارسِ المغوارِ ثم مجودي بوا كفاتٍ غزارِ
لا تملِي البكاءَ إذ خانك الدُّرُ هرُ بوافٍ حقيقة صبارِ
وتقيّ وذِي وَقَارٍ وحِلْمٍ وعدلِ الفخارِ يومَ الفخارِ
لهف نفسي على بقائك عمرو أسلمتُك الأعمارُ للأقدارِ
ولعمري لولم ترمهُ بغدرٍ رمت ليئلاً كصارِمٍ بتارِ

قال فأحفظني قولها فاستللت سيفي ودخلت الخيمة لا قتلها فلم أر في الخيمة أحداً فاستقت الماشية وجئت الى أهلي . وهذا أثر عجيب . والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وقلم القرآن ، وفيما تعلمه بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوذ بها .

وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد قال حدثني عبد الله بن الملا عن هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل يذكران أنهما اتيا النجاشي بمدرجوع أبرهة من مكة ، قالوا فلما دخلنا عليه قال لنا أصدقاني أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فلم ونحرت عنه ابل كثيرة ؟ قلنا نعم . قال فهل لكما علم به ما فعل ؟ قلنا تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب تركها حاملا وخرج قال فهل تعلمان ولده أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل أخبرك أيها الملك أني ليلة قد بت عند وثن لنا كنا فطيف به ، وفبدم إذ سمعت من جوفه هاتما يقول :

وُلِدَ النَّبِيُّ قَدَّسَ الْأَمْلاَكُ وَفَأَى الضَّلَالُ وَأَدْبَرَ الْإِشْرَاكُ

ثم انكس الصنم على وجهه . قال زيد بن عمرو بن نفيل عندي كخبيره أيها الملك . قل هات قل أنا في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل آمنة حتى أتيت جبل أبي قيس أريد الخلو فيه لأمر رابني إذ رأيت رجلا نزل من السماء له جناحان أخضران ، فوقف على أبي قيس ثم أشرف على مكة فقال : ذل الشيطان وبطلت الأوثان ولد الأمين . ثم نشر ثوباً معه وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيناه قد جلال ما تحت السماء وسطع نور كاد أن يختطف بصري وهالني ما رأيت . وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة . فسطع له نور أشرفت له تهامة . وقال : ذكت الأرض وأدت ربيما . وأوماً إلى الأصنام التي كانت على الكعبة فقطت كلها . قال النجاشي ويحك أخبر كما عما أصابني ، إني لنائم في الليلة التي ذكرتما في قبة وقت خلوتي ، إذ خرج على من الأرض عنق ورأس ، وهو يقول حل الويل بأصحاب الفيل ، رمتهم طير أبابيل ، بحجارة من سجيل هلك الأشرم المعتدى المجرم ، وولد النبي الأنبي ، المسكي الحرمي ، من أجابه سعد ، ومن أباه عند . ثم دخل الأرض فغاب فذهبت أصبحت فلم أطق الكلام ، وروى القيام فلم أطق القيام ، فصرعت القبة يدي ؟ فسمع بذلك أهلي فجأوني فقالت احجبوا عني الحبيثة فجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي . وسيأتي إن شاء الله تعالى في قصة المولد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شراقة من إخوانه ، وخود نيرانه ورؤيا مودعته ، وتفسير سطوح لذلك على يدي عبد المسيح . وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه في ترجمة الحارث بن هاني بن المدلج بن المقداد بن زمل بن عمرو المذري عن أبيه عن جده عن أبيه عن زمل بن عمرو المذري قال : كان لبني عذرة صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة وكان سادته رجلاً يقال له طارق وكانوا يمترون عنده . فلما ظهر رسول الله (ص) سمعنا صوتاً يقول يا بني هند بن حرام . ظهر الحق وأودى صام ودفع الشرك الاسلام . قال ففرغنا لذلك وهالنا فذكرنا أياماً . ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق يا طارق . بمث النبي الصادق ، بوحى نطق ، صدع صاعد بأرض تهامة ، لناصريه السلامة ، ولخاذه الزدامة ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة . قال زمل فوقع الصنم لوجهه . قال فابتعت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي (ص) مع غمر من قومي وأفتدته شعراً قلته :

اليك رسول الله أعلمت نصها وكأمتها حرمًا وغورًا من الرمل
لأفصر خير الناس نصراً مؤزراً وأعقد جلاً من حبالك في حبل
وأشهد أن الله لا شيء غيره أدين به ما أقلت قدمي فلي

قل فأسلمت وبأيمته . وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلام الجن » . ثم قال : « يا معشر العرب إنني رسول الله إليكم وإلى الأنعام كافة ، أدعوم إلى عبادة الله وحده ، وإنني رسول الله وعبيده ، وأن نحجوا البيت وقصوموا شهراً من إثنى عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فن أجابني فله الجنة نزلاً ، ومن عصاني كانت النار له منقلباً » . قال فأسلمنا وعقد لنا لواء . وكتب لنا كتاباً فسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لزم بن عمرو ومن أسلم معه خاصة إني بعثته إلى قومه عامداً فمن أسلم ففي حزب الله ورسوله . ومن أبى فله أمان شهرين . شهد علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري » ثم قال ابن عساكر : غريب جداً

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في منازيه : حدثني محمد بن سعيد - يعني عمه - . قال قال محمد بن المنكدر إنه ذكر لي عن ابن عباس قال هتف هاتف من الجن على أبي قيس قال :

قَبِّحَ اللهُ رَأْيَكُمْ آلَ فِهْرِ مَا أَدَقَّ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ
حِينَ قُمَصَى إِنْ يَعْصِبُ عَلَيْهَا دِينَ آبَائِهَا الْحَمَاقَةِ الْكِرَامِ
حَالَفَ الْجِنَّ جَنَّ بَصْرَى عَلَيْكُمْ وَرَجَالَ التَّخِيلِ وَالْإِطَامِ
تَوَشَّكَ الْخَلِيلُ أَنْ تَرُدَّهَا تَهَادَى قَتَلَ الْقَوْمَ فِي حَرَامِ بَهَامِ
هَلْ كَرِيمٌ مِنْكُمْ لَهُ نَفْسٌ حَرٌّ مَا جُنِدَ الْوَالِدِينَ وَالْأَعْمَامِ
ضَارِبٌ ضَرْبَةً تَكُونُ نَكَالاً وَزَوَاحاً مِنْ كَرْبَةٍ وَاعْتَامِ

قال ابن عباس فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله (ص) : « هذا شيطان يكلم الناس في الاوثان يقال له مسمر ، والله محزبه » فكشوا ثلاثة أيام فاذا هاتف يهتف على الجبل يقول :

نَحْنُ قَتَلْنَا فِي ثَلَاثِ مِشْرَا إِذْ سَفَّ الْجِنَّ وَسَّ الْمَنَكْرَا
قَتَعَتْهُ سَيْفًا حُسَامًا مُشْرَا بَشْتَمِهِ نَيْتَنَا الْمَطْهَرَا

فقال رسول الله (ص) : « هذا عفریت من الجن اسمه سميج آمن بي سميته عبد الله أخبرني أنه في طلبه ثلاثة أيام » فقال علي جزاه الله خيراً يا رسول الله .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في الدلائل قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفار . حدثنا عباس بن الفرج الرياشي حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس عن سعد بن عباد قال : بعثني رسول الله (ص) . إلى حضر موت في حاجة قبل الهجرة ، حتى اذا كنت في بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول :

أَبَا عَمْرٍو فَلَوْ بَنَى السَّهْوُ وَرَاحَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْمَجُودُ
لَذُكِّرَ عِصَابَةٌ سَلَفُوا وَبَادُوا وَكُلُّ الْخَلْقِ قَضَرُمُ يَبِيدُ
تَوَلَّوْا وَارْدَيْنَ إِلَى الْمَنَابِا حِيَاضًا لَيْسَ مَنَهِلُهَا الْوَرُودُ
مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَبَقِيَتْ خَلْفًا وَحِيدًا لَيْسَ يُسَمِّنِي وَحِيدُ
سُدَى لَا أَسْتَطِيعُ عِلَاجَ أَمْرٍ إِذَا مَا عَالَجَ الْفَطْلُ الْوَلِيدُ
فَلَا يَأْ مَابَقِيَتْ إِلَى أَنَاسِرٍ وَقَدْ بَاتَتْ بِمَهْلِكِهَا نَمُودُ
وَعَادَ الْقُرُونُ بِذِي شُعُوبٍ سَوَاءٌ كُلُّهُمْ إِدْرَمٌ حَصِيدُ

قال ثم صاح به آخر : يا خرب ذهب بك العجب . ان العجب كل العجب بين زهرة وينرب .
قال وما ذاك يا شاحب ؟ قال نبي السلام ، بعث بخير الكلام الى جميع الأنام ، فاخرج من البلد الحرام
الى نخيل وآطام . قل ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل ، والامى المفضل ؟ قال رجل من ولد لؤى
ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . قال هيئات قات عن هذا سقى ، وذهب عنه زمنى لقد
رأيتنى والنضر بن كنانة ترمى غرضا واحداً ، ونشرب حلباً بارداً ، ولقد خرجت به من دوحه فى غداة
شبهه وطلع مع الشمس وغرب معها ، يروى ما يسمع ويثبت ما يبصر . ولئن كان هذا من ولده لقد سل
السيف وذهب الخوف ، ودحض الزنا ، وهلك الربا . قال فاخبرنى ما يكون ؟ قال ذهبت الضراء
والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة ، الا بقية فى خزاعة . وذهبت الضراء والبؤس ، والخلق المنفوس
الابقية من الخرج والأوس . وذهبت الخيلاء والفخر ، والنمية والفدر ، الا بقية فى بنى بكر . يعنى
ابن هوازن . وذهب الفعل المندم والعمل المؤثم ، الا بقية فى خثعم . قال أخبرنى ما يكون ؟ قال إذا
غلبت البرة ، وكظمت الحره ، فاخرج من بلاد الهجرة ، وإذا كف السلام ، وقطعت الارحام فاخرج من
البلد الحرام . قال أخبرنى ما يكون ؟ قال لولا أذن تسمع ، وعين تلمع لاخبرتك بما تفرع . ثم قال :

لَا مَنَامٌ هَذَا نَهْ بِنَعِيمٍ يَا ابْنَ غَوَاطِرٍ وَلَا صَبَاحٌ أَكَا

قال ثم صرصر صرصرة كأنها صرصرة حبلى ، فذهب الفجر فذهبت لا نظر فاذا عظاية وثعبان
مبيتان . قال فما علمت أن رسول الله (س) هاجر الى المدينة إلا بهذا الحديث . ثم رواه عن محمد بن
جعفر عن إبراهيم بن على عن النضر بن سلة عن حسان بن عباد عن موسى عن عبد الحميد بن بهرام
عن شهر عن ابن عباس عن سعد بن عباد . قال : لما يابعنار رسول الله (س) ليلة العقبة خرجت الى حضر
موت لبعض الحاج ، قال فقضيت حاجتى ثم أقبلت حتى اذا كنت ببعض الطريق نمت ، ففرغت من
الليل بصباح يقول :

أَبَا عَمْرٍو فَلَوْ بَنَى السَّهْوُ وَرَاحَ النَّوْمُ وَاقْطَعَ الْمَجُودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن علي حدثنا النضر بن سمة حدثنا أبو غزية محمد بن موسى عن العطار بن خالد الوصابي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال سمعت ثمما الداري يقول : كنت بالشام حين بعث النبي (ص) ، فخرجت لبعض حاجتي فادر كني الليل . قلت أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة . قال فلما أخذت . هججني إذا أنا بمناد ينادي - لا أراه - عذابا لله فان الجن لا نجبر أحداً على الله قلت أيهم الله قول ؟ فقال قد خرج رسول الامين رسول الله وصلينا خلفه بلحجون . فاسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب . فانطلق الى محمد رسول رب العالمين فاسلم . قال نعيم فلما أصبحت ذهبت الى دير أبوب فسألت راهبا واخبرته الخبر . قال الراهب قد صدقوك يخرج من الحرم ومهاجرة الحرم وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه . قال نعيم فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله (ص) فاسلمت .

وقال حاتم بن اسماعيل عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن عبد الله بن ساعدة الهذلي عن أبيه قال كنا عند صنمنا سواع ، وقد جلبنا اليه غنا لنا مائتي شاة قد أصابها جرب ، فاديناها منه لنطلب بركته فسمعت مناديا من جوف الصنم ينادي قد ذهب كيد الجن . ورمينا بالشهب لنبي اسمه أحمد . قال قلت غويت والله . فصدقت وجه غني منجداً الى أهلي فرأيت رجلا . فخبرني بظهور النبي (ص) . ذكره أبو نعيم هكذا مطلقاً ثم قال : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن السدي حدثنا النضر بن سمة حدثنا محمد بن مسلمة الخزوعي حدثنا يحيى بن سليمان عن حكيم بن عطاء الظفري - عن بني سليم من ولد راشد بن عبد ربه - عن أبيه عن جده عن راشد بن عبد ربه قال كان الصنم الذي يقال له سواع بالملعة من رهط تدين له هذيل وبنو ظفر بن سليم فارسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم الى سواع قال راشد فالتقيت مع الفجر الى صنم قبل صنم سواع ، فإذا صارخ يصرخ من جوفه : العجب كل العجب من خروج نبي من بني عبد المطلب ، يحرم الزنا والزبا والذبح للاصنام . وحرست السماء ورمينا بالشهب العجب كل العجب . ثم هتف صنم آخر من جوفه ترك الضمار وكان يمد ، خرج النبي أحمد ، يصلي الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصلوات للارحام . ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف يقول :

ان الذي ورث النبوة والهدى بد ابن مريم من قريش مهتد
نبي أتى يخبر بما سبق وبما يكون اليوم حقا أو غدا^(١)

(١) كذا في الاصول وهذا البيت لم يرد في السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد) وورد قبل البيت الاول

قل للقبائل من سليم كلها هلك الأنيس وعاش أهل المسجد
اودى ضللا وكان بعد مرة قبل الكتاب الى النبي محمد

قال راشد: فأنفيت سواعاً مع الفجر وطلبان يلحسان ماحوله ، وياكلان ما بهدي له ، ثم يموجان عليه يومهما ، فند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

{أرب يولك الثعلبان برأسه لقد ذك من بكت عليه الثعالب

✓ وذلك عند مخرج النبي (ص) ومهاجره إلى المدينة وتسامع الناس به فخرج راشد حتى أتى النبي (ص) المدينة ومعه كلبه ، واسم راشد يومئذ ظالم ، واسم كلبه راشد قال النبي (ص) : « ما اسمك ؟ » قال ظالم : « فما اسم كلبك ؟ » قال راشد ، قل « اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم » ونحك النبي (ص) . وبقي النبي (ص) وأقام بمكة معه ثم طلب من رسول الله (ص) : قطعة بوهاط - ووصفها له - فاقطعه رسول الله (ص) بالملالة من وهاط شاو الفرس ، ورميته ثلاث مرات بمجر ، وأعطاه أداة مملوءة من ماء وقل فيها وقال له « فرغها في أعلا القطعة ولا تمنع الناس فضلها » ففعل فجعل الماء معينا يجرى إلى اليوم ففرس عليها النخل . ويقال ان وهاط كلها تشرب منه فمأها الناس ماء الرسول (ص) . وأهل وهاط يقتلون بها وبافت رمية راشد الركب الذي يقال له ركب الحجر ، وغدا راشد على سواع فكسره .

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن إبراهيم الخزاعي الأهوازي حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دهاك بن اسماعيل بن مسرع بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله (ص) حدثنا أبي عن أبيه دهاك عن أبيه اسماعيل أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر أن أباه ياسر حدثه عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال : خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية . فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشمر جهينة . فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : اهتمت الظلاء ، وسطح الضياء ، وبث خاتم الأنبياء ، ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وبيض المدائن . فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام ، فاقبته فرعاً ، قلت لقومي والله ليحدثن في هذا الحى من قريش حدثاً وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل فأنبأنا أن رجلاً يقال له أحمد قد بث فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال « يا عمرو بن مرة إني المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام ، وأمرهم بحسن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج البيت . وصيام شهر من اثني عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار ، فأمن يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من نار جهنم » قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام ، فم أنشدته أبياتاً قلها حين سمعت به وكان لنا صنم وكان أبي سادنا له فسمت إليه فكسره ثم لحقت النبي (ص) وأنا أقول :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنِّي
فَشَمَرْتُ عَنْ سَائِي إِزَارَ مَهَاجِرٍ
لَا صَحْبَ خَيْرِ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا
رَسُولَ مَلِكٍ النَّاسِ فَوْقَ الْجَبَانِ

قال النبي (ص): «مرحباً بك يا عمرو بن مرة». قلت يا رسول الله بأني أنت وأمي إبعث بي إلى قومي، لعل الله أن يمن بي عليهم كما من بك علي، فبعثنى إليهم وقال: «عليك بالقول السديد ولا تسكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً». فأتيت قومي فقلت لهم: يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة إني رسول من رسول الله إليكم أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم النار، وأمركم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، شهر من إثني عشر شهراً. فمن أجاب فله الجنة. ومن عصي فله النار. يا معشر جهينة إن الله - وله الحمد - جعلكم خيار من أنتم منه وبغض إليكم في جاهليتكم ما حجب إلى غيركم من الرفث، لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل على امرأة أبيه، والترات في الشهر الحرام. فأجيبوا هذا النبي المرسل (ص) من بني لؤي بن غالب. تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة، سارعوا سارعوا في ذلك يكون لكم فضيلة عند الله. فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال: يا عمرو بن مرة أمر الله عليك عيشك، أنا أمرنا أن نرفض آلهتنا ونفرق جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعو هذا القرشي من أهل نهامة لا ولا مرحباً ولا كرامة، ثم أنشأ يقول:

إِنْ ابْنُ مُرَّةٍ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ لَيْسَتْ مِقَالَةً مِنْ يُرِيدُ صَلَاحًا
إِنِّي لَا حَسَبَ قَوْلِهِ وَقَعَالُهُ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ رِيَاحًا
أَتَسْفَهُ الْأَشْيَاخَ مِمَّنْ قَدْ مَضَى مَنْ رَامَ ذَلِكَ لَا أَصَابَ فَلَا حَا

فقال عمرو بن مرة: الكاذب مفي ومنك أمر الله عيشه، وأبكم لسانه، وأكبه بصره. قال عمرو ابن مرة والله ما مات حتى سقط فوه وكان لا يجد طعم الطعام، وعى وخرس. وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي (ص)، فحسب بهم وحبام وكتب لهم كتاباً هذه نسختة: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق، وحق فاطق، مع عمرو ابن مرة الجهني للجهينة بن زيد إن لكم بطون الأرض وسهولها، وتلاع الاودية وظهورها، ترعون نباته وتشربون صافيه. على أن تقرؤا بالحنس، وتصلوا الصلوات الخمس، وفي التبعة والصريمة شاتان أن اجتمعتا، وإن تفرقتا فتاة شاة. ليس على أهل الميرة صدقة، ليس الوردة البقرة». وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضي الله عنهم. وذلك حين يقول عمرو بن مرة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَيَسَّرَ بَرَهَانَ الْقُرْآنِ لِعَامِرٍ
كُتِبَ مِنَ الرَّحْمَنِ نَوْرٌ لَجْمِنَا وَأُحْلِفْنَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ

الى خير من يمشي على الارض كلها وأفضلها عند اعتكاف الصرائ
أطعنا رسول الله لما تقطعت بطون الاعادي بالظن والمخاطر
فنحن قبيل قد بني المجد حولنا اذا اجتلبت في الحرب هام الاكابر
بنو الحرب فربها بأيدٍ طويلة وَيُضِ ثَلالِي أ كَفَّ المغاور
ترى حوله الانصار تحمي أميرهم بُسْر العوالي والصفاح البواتر
إذا الحرب دارت عند كل عظمة ودارت رحلها بالليوث الهواصر
تبلغ منه اللون وازداد وجهه كمثل ضياء البدر بين الزواهر

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموى فى مغازيه : حدثنا عبد الله حدثنا أبو عبد الله حدثنا المجالد
ابن سعيد والاجلح عن الشعبي حدثنى شيخ من جهينة قال : مرض منا رجل مرضاً شديداً فقتل حتى
حفرنا له قبره وهياناً أمره فأغشى عليه ثم فزع عينيه وافاق فقال أحفرتم لى ؟ قلوا نعم ، قال فما فعل الفصل
- وهو ابن عم له - قلنا صالح سر آغا يسأل عنك ، قال أما إنه يوشك أن يجعل فى حفرة فى انه أتاني آت
حين أغشى على فقال ابك هبل ؟ أما ترى حفرتك تنتشل ، وأمك قد كادت تشكل ؟ أرايتك أن حولناها
عنك بالمحول ، ثم ملأناها بالجندل ، وقذفنا فيها الفصل ، الذى مضى فاجزأك ، وظن أن لن يفعل . أشكر
لربك ، وتصل وتدع دين من أشرك وصل ؟ قال قلت نعم . قال قم قد برئت . قال فبرى الرجل . ويات
الفصل فجعل فى حفرة . قال الجهيني : فرأيت الجهيني بعد ذلك يصلى ويسب الأولئ ويقع فيها .
وقال الأموى : حدثنا عبد الله قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مجلس يتحدثون عن
الجن ، فقال خريم بن فاتك الاسدى : الا أجدئك كيف كان اسلامى ؟ قال بلى ، قال إني يومافى طلب
ذودلى أما منها على أثر تنصب وتصد ، حتى إذا كنت ببارق العراق انحنت راحلتى وقلت أعوذ بعظيم
هذه البلدة أعوذ برئيس هذا الوادى ، فإذا بهاتف بهتف بي :

ويحك ، عذ بالله ذي الجلال والمجد والعلياء والإفضال
ثم اتل آيات من الأنفال ووَحِّدَ الله ولا تبالى

قال فذعرت ذعراً شديداً ثم رجعت الى نفسى فقلت :

يا أيها الهاتف ما تقولُ أرشدتُ عندك أم تضليل ؟

* بين هداك الله ما الحويل *

قال فقال :

هذا رسول الله ذو الخيرات ريثرب يدعو الى التَّجاة
بأمر بالبر وبالصلاة ويزعُ الناس عن الهنات

قال قلت له : والله لا أرح حتى آتية . وأومن به ، فنصبت رجلى في غرز راحتي وقلت :

أرشدني أرشدني هدينا لا جمعت ما عشت ولا عرينا

ولا برحت سيّداً مقبنا لا تؤثر الخير الذي آتينا

• على جميع الجن ما قبينا •

قال :

صاحبك الله وأدى رحلكا وعظم الأجر وعافا فسكا

أمن به أفلج ربي حكا وانصره نصر أعزراً نصركا

قال قلت من أنت عافك الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا ملك بن ملك ، وأنا قبيح على جن نصيبين . وكفيت إياك حتى أضمتها إلى أهلك إن شاء الله . قال فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس أرسل إلى المسجد والنبي (ص) على المنبر كأنه البدر يخطب الناس ، قلت انيخ على باب المسجد حتى يصلي وادخل عليه فاسلم واخبره عن إسلامي ، فلما انخث خرج إلى أبو ذر فقال مرحبا واهلا وسهلا قد بلغنا إسلامك ، فادخل فصل ، ففعلت ، ثم جئت إلى رسول الله (ص) فاخبرني بإسلامي . قلت الحمد لله . قال « أما إن صاحبك قد وفى لك وهو أهل ذلك ، وادى إياك إلى أهلك » . (١)

وقد رواه الطبراني في ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قائلا حدثنا الحسين بن اسحاق اليسري حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي حدثنا عبد الله بن موسى الاسكندري حدثنا محمد بن اسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي ، قال بلى أفذكره غير أنه قال فخرج إلى أبو بكر الصديق فقال أدخل ، فقد بلغنا إسلامك ، قلت لا أحسن الطهور ، فلبني فدخلت المسجد فرأيت رسول الله (ص) كأنه البدر وهو يقول « ما من مسلم توضأ فحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويقبها إلا دخل الجنة » فقال لي عمر لتأتيني على هذا بيته أو لا نسكن بك ، فشهد لي شيخ قريش عثمان بن عفان فجاز شهادته . ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن تيم عن محمد بن خليفة عن محمد بن الحسن عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك حدثني بحديث يصحني فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شرحبيل حدثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن الديلمي قال أتى رجل ابن عباس فقال بلغنا أنك تذكر سطيجا تزعم أن الله خلقه ، لم يخلق من بني آدم شيئا يشبهه ؟ قال قال نعم إن الله خلق سطيجا للأناسي لحما على وضء (٢) ولم يكن فيه عظم ولا

(١) رواية الطبراني ليست في المصرية . (٢) الوضء شرائع من جريد النخل .

عصب إلا للجحمة ، والكفان . وكان يطوى من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شئ يتحرك إلا لسانه . فلما أراد الخروج إلى مكة حمل على وضعة فأتى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش عبد شمس ، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي ، والاحوص بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص فأتهموا إلى غير نسبهم وقالوا نحن أناس من جحج أتيناك بلغنا قدومك ، فرأينا أن إتياننا إياك حق لك واجب علينا وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية ، وصعدة ردينية ، فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا ، أهل يراها سطيح أم لا . فقال : يا عقيل نادني يدك فتأوله يده فقال : يا عقيل والعالم الخفية ، والعاقر الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك للجاني بالهدية ، الصفيحة الهندية ، والصعدة الردينية . قالوا صدقت يا سطيح ، فقال والآتي بالفرح ، وقوس قزح ، وسائر الفرح ، والطليم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مر منحنح ، فأخبر أن القوم ليسوا من جحج ، وإن نسبهم من قريش ذى البطح قالوا صدقت يا سطيح نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لتزورك لما بلغنا من علمك . فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده فلمل أن يكون عندك في ذلك علم قل : الآن صدقم ، خذوا مني ومن إلهام الله إياي ، أنتم يا مشعر العرب في زمان المهزم ، سواء بصائركم وبصائر المعجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشؤ من عقبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويلغون الردم ، ويقتلون المعجم ، يطالبون الغنم ، قالوا يا سطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذى الأركان ، والامن والسكان لينشؤن من عقبكم ولدان يكسرون الأوثان ، وينكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن ، ينشرون دين الديان ، يشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان ، قالوا يا سطيح من نسل من يكون أولئك ؟ قال : وأشرف الأشراف ، والمفضي للأشراف ، والمزعزع الأحقاف ، والمضصف لاضعاف ، لينشؤن الآلاف من عبد شمس وعبد مناف ، نشوءا يكون فيه اختلاف . قالوا يا سوء تله يا سطيح مما نخبرنا من العلم بأسرهم ومن أى بلد يخرج أولئك ؟ فقال والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجن من ذا البلد ، فتى يهدى إلى الرشدي فرض يغوث والفند ، يبرأ من عبادة الضدد ، يعبد رباً آخر ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً . ثم يلى أمره الصديق إذا قضى صدق ، في رد الحقوق لا خرق ولا تزق ثم يلى أمره الخفيف ، مجرب غطريف ، ويترك قول العنيف . قد ضاف المضيف . وأحكم التحنيف . ثم يلى أمره داعياً لأمره مجرباً ، فتجتمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه قهمة عليه وغضباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبح ، ما فيقوم به رجال خطباء . ثم يلى أمره الناصر يخطط الرأي رأى المناكر يظهر في الأرض المساكر ثم يلى بعده ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده . ويأخذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال بعقبه من بعده ، ثم يلى من بعده عدة ملوك لا شك الدم فيهم مسفوك ، ثم يدم الصملوك يطويهم كلى الدر نوك . ثم يلى من بعده عظمور يقضى الحق ويدنى مصر يفتح الأرض افتتاحاً منكراً ، ثم يلى قصير القامة ، بظهره علامة

يموت موتاً وسلامة . ثم يلى قليلاً باكر ، يترك الملك باثر يلى أخوه بسفته سابر ، يختص بالأموال والمنابر
ثم يلى من بعده أهوج ، صاحب دنيا ونعيم مخليج ، يتشاوره معاشره وذووه ، ينهضون اليه يخلعوناه بأخذ
الملك ويقتلوناه ، ثم يلى أمره من بعده السابع ، يترك الملك محلاً ضائع ، بنوه فى ملكه كالمشوه جامع ،
عند ذلك يطعم فى الملك كل عريان ، ويلى أمره اللهقان . يرضى زاراً جمع قحطان ، إذا التقيا بدمشق
جثمان بين بنيان ولبنان ، يصنف اليمن يومئذ صنفان . صنف المشورة ، وصنف الخذول . لا ترى
الاحياء محلول . وأسيراً مغلول . بين القراب والخيول . عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الأرامل ،
وتسقط الحوامل وتظهر الزلازل ، وتطالب الخلافة وائل ، فتغضب نزار فتدنى العبيد والأشرار ،
وتقصى الامثال والأخبار . وتقلو الاسمار فى صفر الاصفار يقتل كل حيا منه ، ثم يسرون إلى خنادق
وإنها ذات أشمار وأشجار تصدله الأنهار وبهزمهم أول النهار ، تظهر الأخبار فلا ينفعهم نوم ولا
قرار . حتى يدخل مصرأ من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يجىء الرماة تلف مشاة ، لقتل
الكهنة ، وأسر الحماة . وتهلك الفواة هنالك بدرك فى أعلى الميساه . ثم يبور الدين ، وتقلب الأمور ،
وتكفر الزبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا من كان فى جزائر البحور ، ثم تبور الجيوب ، وتظهر
الأعاريب ليس فيهم معيب على أهل الفسوق والريب فى زمان عصيب ، لو كان للقوم حيا ، وما تفى
المنى . قلوا ثم ماذا يا سطيج ؟ قال ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه الفتن .
وهذا أثر غريب ككتاباه لفرأته وما تضمن من الفتن والملاحم . وقد تقدم قصة شق وسطيج مع ربيعة
ابن نصر ملك اليمن ، وكيف بشر بوجود رسول الله (ص) ، وكذلك تقدم قصة سطيج مع ابن أخته
عبد المسيح حين أرسله ملك بنى سامان ، لارتجاس الايوان ، ونجود النيران ، ورؤيا الموبدان .
وذلك ليلة مولد الذى نسخ بشرعته سائر الأديان .

❦

ثم الجزء الثانى من البداية والنهاية وبليه الجزء الثالث وأوله

❦ باب كيفية بدء الوحى الى رسول الله (ص) ❦

فهرست

الجزء الثاني

من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٤٦ - فصل	٢ - جماعة من انبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام
٤٧ - قصة زكريا ويحيى عليهما السلام	٢ - قصة حزقيل
٥٣ - بيان سبب قتل يحيى عليه السلام	٤ - قصة اليسع عليه السلام
٥٦ - قصة عيسى بن مريم عليه من الله افضل الصلاة والسلام	٥ - قصة شمويل وفيها بدأ أمر داود عليهما السلام
٦٣ - ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم البتول	٩ - قصة داود وما كان في أيامه ثم فضائله ودلائل نبوته واعلامه
٧٠ - باب بيان أن الله تعالى منزّه عن الولد	١٦ - كنية حياته وكيفية وفاته عليه السلام
٧٥ - منشأ عيسى بن مريم عليهما السلام وبيان بدء الوحي اليه من الله تعالى	١٨ - قصة سليمان بن داود عليهما السلام
٧٨ - بيان نزول الكتب الأربعة ومواقبتها	٣٠ - وفاته ومدة ملكه وحياته
٧٨ - بيان شجرة طوبى ما هي	٣٢ - جماعة من أنبياء بني اسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا عليهم السلام
٨٦ - خبر المائدة	٣٣ - ومنهم أرميا بن حلقيا من سبط لاوي ابن يعقوب
٨٧ - فصل	٣٤ - خراب بيت المقدس
٩١ - رفع عيسى عليه السلام إلى السماء	٤٠ - شيء من خبر دانيال عليه السلام
٩٦ - صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله	٤٢ - عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع بني اسرائيل بعد تفرقهم في بقاع الارض
١٠١ - فصل	٤٣ - وهذه قصة العزيز
١٠١ - بيان بناء بيت لحم والقمامة	
١٠٢ - كتاب أخبار الماضين	
١٠٢ - خبر ذي القرنين	
١٠٧ - بيان طلب ذي القرنين عين الحياة	

صفحة .

صفحة

١٠٩ - ذكر أمي ياجوج وماجوج

١١٣ - قصة أصحاب الكهف

١٧ - قصة الرجلين المؤمن والكافر

١٢٠ - قصة اصحاب الجنة

١٢١ - قصة اصحاب إيلة الذين اعتدوا في سبتهم

١٢٣ - قصة لقمان

١٢٩ - قصة اصحاب الأخدود

١٣٢ - بيان الاذنب في الرواية عن أخبار بني

اسرائيل

١٣٤ - قصة جريج أحد عبياد بني اسرائيل

١٣٦ - قصة برصيصا

١٣٧ - قصة الثلاثة الذين آووا الى الفار فانطبق عليهم

١٢٨ - خبر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع

١٣٩ - حديث الذي استلف من صاحبه ألف

دينار

١٣٩ - قصة أخرى شبيهة بهذه القصة في

الصدق والإمانة

١٤٠ - قصة أخرى

١٤٠ - حديث آخر

١٤٢ - قصة الملكين التائبين

١٤٦ - فصل

١٤٧ - تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم

١٤٩ - ليس للجنب لمس التوراة

١٥١ - كتاب الجامع لأخبار الانبياء المتقدمين

١٥٦ - ذكر أخبار العرب

١٥٨ - قصة سبا

١٦١ - فصل

١٦٢ - قصة ربيعة بن نصر بن ابي حارثة بن عمرو

بن عامر

١٦٣ - قصة تبع أبي كرب مع أهل المدينة

١٦٧ - وثوب لحنينة ذي شنار على ملك اليمن

١٦٨ - خروج الملك باليمن من حير الى الحبشة

والسودان

١٦٩ - خروج أبرهة الأشرم على أرباط

فاختلافها

١٧٠ - سبب قصد أبرهة بالفييل مكة ليخرب

الكعبة

١٧٧ - خروج الملك عن الحبشة ورجوعه الى

سيف بن ذي يزن

١٨٠ - ما آل اليه أمر الفرس باليمن

١٨١ - قصة الساطرون صاحب الحضرة

١٨٣ - خبر ملوك الطوائف

١٨٤ - ذكر بني اسماعيل وما كان من أمور

الجاهلية الى زمان البعثة

١٨٧ - قصة خزاعة وعمرو بن لحي وعبادة

العرب للاصنام

١٩٠ - باب جهل العرب

١٩٣ - خبر عدنان جد عرب الحجاز

١٩٨ - أصول أنساب عرب الحجاز الى عدنان

٢٠٠ - قريش نسباً واشتقاقاً وفضلاً وهم

بنو النصر بن كنانة

صفحة	صفحة
٢٦٦ - فصل	٢٠٥ - خبر قصي بن كلاب وارتجاعه ولاية البيت وانتزاعه ذلك من خزاعة
٢٦٨ - ذكر ارتجاس ايوان كسرى	٢٠٩ - فصل
٢٧٢ - حواضنه ومراضه عليه الصلاة والسلام	٢١١ - ذكر من الاحداث في الجاهلية
٢٧٣ - رضاعه عليه الصلاة والسلام	٢١١ - ذكر جماعة مشهورين في الجاهلية
٢٧٩ - فصل	٢١٢ - حاتم الطائي احد اجواد الجاهلية
٢٨١ - فصل	٢١٧ - شيء من اخبار عبدالله بن جدعان
٢٨٣ - فصل	٢١٨ - امرىء القيس بن حجر الكندي صاحب احدى المعلقات
٢٨٦ - قصة بحيرا	٢٢٠ - اخبار امية بن ابي الصلت الثقفي
٢٨٦ - فصل	٢٢٩ - خبر بحيرا الراهب
٢٨٩ - ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام	٢٣٠ - ذكر قس بن ساعدة الايادي
٢٩٠ - فصل	٢٣٧ - زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه
٢٩٣ - تزويجه خديجة بنت خويلد عليه الصلاة والسلام	٢٤٣ - شيء من الحوادث في زمن الفترة -
٢٩٦ - فصل	٢٤٤ - كعب بن لؤي
٢٩٨ - فصل	٢٤٤ - تجديد حفر زمزم
٣٠٥ - فصل	٢٤٨ - نذر عبد المطلب ذبح ولده
٣٠٦ - مبث رسول الله (ص)	٢٤٩ - تزويج عبد المطلب ابنة عبدالله آمنة بنت وهب الزهرية
٣٠٨ - فصل	٢٥٢ - كتاب سيرة رسول الله (ص) . نسبه الشريف وطيب اصله المنيف
٣١٦ - ذكر اخبار غريبة في ذلك	٢٥٩ - باب مولد رسول الله (ص)
٣١٩ - قصة عمرو بن مرة الجهني	٢٦٢ - صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام
٣٢٨ - قصة سيف بن ذي يزن وبشارته بالنبي	
٣٣٢ - باب هواتف الجان	

النَّاشِر
مكتبة المعارف

ص. ب - ١٧٦١ - بيروت